

جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

أطروحة علمية لنيل درجة الدكتوراة

بعنوان

القضايا البلاغية والنقدية

في كتاب تمام المتون في شرح رسالة ابن

زيدون

((الجدّية))

للإمام صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

عرض ودراسة وتحليل

إعداد الطالب :

إبراهيم نور الجليل المدني محمد

إشراف الدكتور :

محمد الحسن عليّ الأمين

١٤٣٢ هـ _ ٢٠١١ م

اسنهلال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ

الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ (الرحمن : ١ - ٤)

طَبَقَ اللَّهُ الْعَظِيمِ

إهداء

إلى روح أبي الطاهرة

إليك يا أبي أهديت بحشاً ثوابك فيه أجزل من ثوابي

فأنت أبي وأستاذي وشيخي وخذن طفولتي وهدى شبابي

وحادي مرحلتي ودليل مركبي وقائد زورقي فوق العبابي

إلى أمي الفاضلة أطال الله عمرها

وأهل بيتي الميامين

وإلى كل من وقف معي وساعدني

وأخص بالذكر الأخ عمر عبد الله

وإلى من أسعفني بفكرة صائبة ومسألة غائبة

وإلى كل من دعاني بظهر الغيب

وإلى طلاب العلم والمعرفة

أهدى هذا البحث

شكر و عرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الكرام الهداة إلى طريق الخير والنجاة . والحمد والشكر لله القائل : ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥] .

وبعد حمد الله وكامل الشاء عليه :

أتقدم بخالص شكري وتقدير لأستاذي وشيخي الجليل الدكتور/ محمد الحسن علي الأمين والذي بذل علمه وجهده لخدمة لغة القرآن ، وتقديم الدرر الثمينة لطلابه وطالباته بالجامعة الإسلامية ، والذي لم يتوان في تقديم النصيح والإرشاد لي في مسيرتي مع هذا البحث بصبر جميل ، ورأي سديد ، وقول مفيد ، حتى استوي على سوقه . فאלله أسأله أن يجزيه خير الجزاء ، ويعطيه من الخير حتى يرضى .
والشكر إلى جامعة أم درمان الإسلامية إدارة وأساتذة وعاملين ، وأخص بالشكر كلية اللغة العربية ذلك المعهد العريق ، ولله درّ العلامة الشيخ محمد علي الطريفي رحمة الله تعالى حيث قال :

يا معهدي يا من ألفت ربوعه يا من بسيرته يلذ كلام
فيك البلاغة أورقت أشجارها وعلوم تشريع بها وأحكام
والشكر لأسرة مكتبة جامعة أم درمان الإسلامية ، ومكتبة جامعة القرآن الكريم وإلى أخي الحبيب الحافظ مأمون وإلى كل من أسهم وقدم لي يد العون والمساعدة .

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم . والصلاة والسلام على سيد البلغاء ، وإمام الفصحاء ، من شدّت عليه الفصاحة نطاقها ، ومدّت إليه البلاغة رواقها ، ومن أُوتِي جوامع الكلم ، القائل : " أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ " النبي المعصوم والصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد :

لقد اهتم الباحثون قديماً بعلوم البلاغة العربية لما التمسوه فيها من حاجة ماسة لمعرفة أحكام الدين الإسلامي ، ولأنّ فهم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يحتاج إلى معرفة ودراية تامة باللغة العربية عامة ، وبالبلاغة على وجه الخصوص . فلذا أردت أن أقف على آراء عالم من العلماء الذين أسهموا في إذكاء نور البلاغة ونمو شجرتها الوارفة ، وألقى بدلوه مع الدلاء فخرج بكثير ماء ، وغاص في بحر الضاد فأخرج كريم الجواهر ، وذلك من خلال كتابه "تمام المتون" الذي شرح فيه رسالة ابن زيدون "الجديّة" مع العلم أنّ له كتب متخصصة في البلاغة غير تلك التي ينشر فيها آرائه البلاغية مثل "جنان الجناس" و"فض الختام عن التورية والاستخدام" وغيرها ، ألا وهو العالم الجليل أبو الصفاء خليل بن أيّيك صلاح الدين الصفدي .

أسباب اختيار الموضوع :

رغبة الباحث وحاجته لمعرفة الصور البلاغية من خلال تناول علماء البلاغة واختلاف آرائهم في قبول النصوص واستحسانها أو ردها أو استقباحتها .

أهداف البحث :

❖ خدمة القرآن الكريم والحديث النبوي باعتبارهما المصدرين الأساسيين لكل طلاب العلم .

❖ عرض آراء الصفدي البلاغية من خلال شرحه للرسالة .

❖ إظهار شخصية الصفدي النقدية من خلال استحسانه وإعجابه بالرسالة وإبدائه بعض المأخذ التي أخذها على ابن زيدون في بعض نصوص الرسالة وطرحه لنصوص بديلة لتلك التي انتقدها .

❖ معرفة الفنون البديعة الكثيرة التي ظهرت في عصر الصفدي والتي تتقارب أحياناً في المعنى وتختلف في الاسم .

❖ عرض رسالة ابن زيدون وتوضيح اهتمام العلماء والأدباء بها ومعرفة ما تحمله في مضامينها من أسرار بلاغية .

❖ توضيح القضايا البلاغية والنقدية وأوجه اختلاف العلماء وآرائهم فيها .

❖ إبراز مدى اهتمام العلماء السابقين بالمسائل البلاغية واهتمامهم بها .

أهمية البحث :

- ❖ تناوله لأراء علماء البلاغة في الألوان البلاغية المختلفة .
 - ❖ معرفة المسائل البلاغية المتعلقة بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، والتراث العربي الخالد .
 - ❖ إظهار قيمة كتاب تمام المتون بالبحث فيه والنقل منه ، وتمعن معانيه .
 - ❖ التعريف بابن زيدون ورسالته التي انتشرت ، وصارت مضرب المثل في البلاغة والفصاحة ، وجمال التعبير .
 - ❖ التعريف بعصر الصفدي ، وبالعلماء الذين تتلمذ عليهم ، والذين أخذوا عنه ، والذين عاصروه .
- منهج البحث :
- أتبع الباحث في دراسته المنهج التحليلي الوصفي في عرضه للقضايا البلاغية والنقدية .
- خطة البحث :
- قمت بعرض مقدمة تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع وأهدافه وأهميته ، ومنهج البحث .
- وقسمت البحث إلى تمهيد تحدث فيه عن عصر الصفدي ، ومولده ، ونشأته ، وحياته ، وشيوخه ، وإنتاجه العلمي . وقمت بدراسة وصفية للكتاب ، ونبذة أيضاً عن ابن زيدون وعصره وشيوخه وإنتاجه الأدبي ، وإلى أربعة أبواب ثم إلى فصول فمباحث على النحو الآتي :
- الباب الأول : علم المعاني .

الفصل الأول : الخبر .

المبحث الأول : الخبر وأضره والغرض من إلقاءه .

المبحث الثاني : الإنشاء الطلبي .

الفصل الثاني : التقديم والتأخير والقصر .

المبحث الأول : التقديم والتأخير .

المبحث الثاني : القصر .

الباب الثاني : علم البيان .

الفصل الأول : التشبيه .

المبحث الأول : التشبيه المفرد .

المبحث الثاني : تشبيه التمثيل .

المبحث الثالث : التشبيه الضمني .

الفصل الثاني : المجاز الغوي .

المبحث الأول : الاستعارة التصريحية .

المبحث الثاني : الاستعارة المكنية .

المبحث الثالث : الاستعارة التمثيلية .

المبحث الرابع : المجاز العقلي والمرسل .

الفصل الثالث : الكناية .

المبحث الأول : الكناية عن صفة .

المبحث الثاني : الكناية عن موصوف .

المبحث الثالث : الكناية عن نسبة .

الباب الثالث : علم البديع .

الفصل الأول : المحسنات اللفظية .

المبحث الأول : الجناس .

المبحث الثاني : السجع .

المبحث الثالث : الاقتباس والتضمين .

المبحث الرابع : الطلب .

الفصل الثاني : المحسنات المعنوية .

المبحث الأول : المذهب الكلامي .

المبحث الثاني : التمثيل ، الشماتة .

المبحث الثالث : حسن التعليل .

المبحث الرابع : المبالغة .

المبحث الخامس : التورية .

المبحث السادس : التقسيم ، الاستقصاء ، الإسجال بعد المغالطة .

المبحث السابع : العكس والتبديل ، الحل والعقد ، إرسال المثل .

الباب الرابع : القضايا النقدية .

الفصل الأول : الصفدي الناقد .

المبحث الأول : طريقة الصفدي النقدية .

المبحث الثاني : طريقة اختياره للنصوص .

المبحث الثالث : الذوق الأدبي .

المبحث الرابع : مقومات الشخصية الأدبية عند الصفدي .

المبحث الخامس : توثيق النصوص .

الفصل الثاني : المصطلحات النقدية .

المبحث الأول : الاستحسان والتعديل .

المبحث الثاني : الاختلاس .

المبحث الثالث : الحوشي .

المبحث الرابع : العذوبة .

المبحث الخامس : الفصاحة .

الفصل الثالث : القضايا النقدية .

المبحث الأول : السرقات الأدبية .

المبحث الثاني : الموانرnat .

المبحث الثالث : المفاضلة بين الشعر والنثر .

المبحث الرابع : اللفظ المعني .

المبحث الخامس : نماذج لنقد الصفدي لبعض نصوص ابن نريدون .

الخاتمة : وتشمل النتائج والتوصيات .

الفهارس :

- فهرس الآيات .
- فهرس الأحاديث .
- فهرس الأشعار .
- فهرس الأعلام .
- فهرس القبائل .
- فهرس الأماكن .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس المحتوى .

تفہیم

- ❖ الصفدي عصره وحياته .
- ❖ دراسة وصفية لكتاب "تمام المتون" .
- ❖ ترجمة أبو الوليد ابن زيدون .
- ❖ نص رسالة ابن زيدون "الجديّة" .

الصفدي عصره وحياته

عصر المماليك الذي عاش فيه الصفدي :

المماليك جمع مملوك مشتق من (ملك) يقول ابن فارس^(١). "ملك" الإنسان الشيء يملكه ملكاً والاسم الملك لأنّ يده فيه قوة صحيحة فالملك : ما ملك من مال والمملوك : العبد"^(٢). غير أنّ هذا المصطلح يقصد به في التاريخ الإسلامي ذلك الرقيق الأبيض من الفرس والروم والأتراك الذي أسروا في الحروب أو تم جلبهم بواسطة التجار إلى البلاد الإسلامية ، ومن ثمّ تم بيعهم في سوق النخاسة ، يقول عبد المنعم ماجد : "بيد أنّ لفظة المماليك نفسها تعني ما يملك بقصد تربيته والاستعانة به كجند وحكام على عكس لفظة العبيد التي تعني (العبودية)"^(٣). وقد اعتمد خلفاء بني العباس عليهم في توطيد حكمهم فالمأمون^(٤) أعتمد على الفرس لأنّ أمه فارسية . والمعتصم^(٥) على الأتراك لأنّ أمه تركية . وكلا الطبقتين ازداد نفوذها في الدولة الإسلامية حتى صاروا هم القادة الحقيقيين ، وصار الخلفاء لعبة في أيديهم ، يخلعونهم أنّى شاءوا ، أو يقتلونهم بواسطة أقربائهم إن دعا الأمر .

(١) أحمد بن فارس بن زكريا صاحب كتاب "المجمل" في اللغة وغيره . انظر : البداية والنهاية ، للحافظ ابن كثير الدمشقي ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، دار ابن حزم بيروت ، لبنان ، ط١ ، سنة ١٤٢٦ هـ _ ٢٠٠٥ م : ج٢ ، ص٢٣٧٩ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل بيروت ، ط١ ، ١٤١١ هـ _ ١٩٩١ م : ص٣٥٢ .

(٣) نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ، للدكتور عبد المنعم ماجد ، مطبعة الرسالة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، شارع محمد بك فريد ، ١٩٦٤ م : ج١ ، ص١١ .

(٤) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢ ، ص٢١١٩ .

(٥) محمد المعتصم بن أمير المؤمنين هارون الرشيد العباسي أبو اسحق يقال له المُثَمَّن . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢ ، ص٢١٣٣ .

يقول دكتور سعيد عاشور : "وكان الخلفاء العباسيون هم أول من استخدم الممالك أو الرقيق الأبيض ، واعتمدوا عليهم في توطيد نفوذهم ، والمعروف أنّ الدولة العباسية قامت على أكتاف الفرس ، ولكن الخلفاء العباسيين وبخاصة منذ أيام المأمون أخذوا يخشون ازدياد نفوذ الفرس ويتشككون فيهم ، فلجأوا إلى الإكثار من شراء ممالك من الترك ، ليعتمدوا عليهم في دعم نفوذهم وسلطاتهم"^(١). ولكن الممالك مع مرور الأيام وتعاقب الممالك الإسلامية ظهروا بصورة أكبر وبنفوذ أوسع ، خاصة في عهد الأيوبيين حيث دأب ملوكهم على شراء ممالك صغار من الرقيق الأبيض ، ليساعدوهم في تثبيت حكمهم ، وتوطيده ودعمه والدفاع عنهم ، خاصة في حروبهم ضد الصليبيين ، حتى أصبح لا غنى للأيوبيين عنهم . وعندما شعر هؤلاء الممالك بأهميتهم زاد نفوذهم السياسي حيث أصبحوا يدبرون المكائد السياسية ، ومثال ذلك خلعهم للسلطان الأيوبي العادل الثاني^(٢). وإحلال الصالح أيوب^(٣) محله في السلطة ، فأصبح بعدها الصالح أيوب تحت سيطرتهم ، لأنهم يرون أنهم أصحاب فضل عليه ، فبدأ يكثرون من شراء الممالك والاعتناء بهم وتدريبهم على فنون القتال والفروسية ، حتى صاروا

(١) العصر المالكي في مصر والشام ، لدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، ط٢ ، سنة ١٩٧٦م ، دار النهضة العربية ، بيروت ، القاهرة : ص ١ .

(٢) محمد العادل بن محمد الكامل بن محمد العادل بن أيوب سيف الدين العادل الثاني . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢ ، ص ٢٧١٨ . انظر : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط١٦ ، يناير ٢٠٠٥م : ج٧ ، ص ٢٨ .

(٣) أيوب "الملك الصالح" بن محمد "الملك الكامل" بن إبي بكر "العادل" أبو الفتوح نجم الدين : من كبار الملوك الأيوبيين بمصر ، كان شجاعاً مهيباً . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢ ، ص ٢٧٢ . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٢ ، ص ٣٨ .

فرساناً بارعين ومقاتلين أشداء ، أبلوا بلاء حسناً في حروبهم ضد المغول والصليبيين والأفرنج ، وحققوا انتصارات رائعة ويكفي المماليك فخراً أنّهم هم الذين كسروا شوكة التتار.

واستمر نفوذ المماليك يزداد إلى أن مات الصالح نجم الدين أيوب واستولت مقاليد الحكم بعده زوجه شجرة الدر^(١) ، لعدم وجود من يحل محله من أبنائه ، حيث أخفت خبر موت زوجها وصارت ترسل المناشير كل يوم عليها علامة السلطان باعتباره حياً^(٢) . ولكن الخبر تسرب إلى لويس التاسع فأراد تسديد ضربة للدولة الإسلامية قبل أن تفيق من صدمتها ، ولكن إرادة الله تعالى فوق كل إرادة ، ففي هذا الوقت ظهر المماليك على مسرح الحياة السياسية ، حيث أنّهم تركوا الصليبيين دخلوا المنصورة وناهوا وضلوا في شوارعها ، ثم حملوا عليهم حملة شعواء زعزعتهم ، وقطعت دابرهم ، وهدمت بنيانهم ، الأمر الذي أفرح المسلمين وبدد مخاوفهم ، وزاد من ثقتهم فيهم .

والملك الصالح هو الذي أنشأ المماليك البحرية بديار مصر ؛ وذلك لأنّه لما زال عنه ملكه بتفرق الأكراد وغيرهم من العسكر عنه حتى لم يثبت معه سوى مماليكه رعي لهم ذلك ، فلما استولى على مملكة مصر أكثر من شراء المماليك ، وجعلهم معظم عسكره ، وقبض على الأمراء الذين كانوا عند أبيه وأخيه فاعتقلهم وقطع أخبارهم ، وأعطى مماليكه الإمارة فصاروا بطانته ، والمحيطين بدهليزه ، وسماهم بالبحرية لسكناهم معه في قلعة الروضة

(١) شجرة الدر أم خليل التركية ، كانت من حظايا الملك الصالح نجم الدين أيوب . انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٨١٣ .

(٢) السلوك لمعرفة دولة الملوك ، لأبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقرئ ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط ١ ، سنة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان : ج ١ ، ص ٤٤١ .

على بحر النيل^(١).

بعد هذا يمكن أن نقول إن دولة الأيوبيين قد غاب بدرها وظهر بدر جديد وهو بدر المماليك . وقد أُرِخ له بعضهم بشجرة الدر ، واعتبرها أول أمراء المماليك وذلك بعد إقصاء تورنشاه^(٢) ابن زوجها ، وغدا المماليك بعد مقتل تورنشاه أصحاب الكلمة الأولى والأخيرة في شئون البلاد . وقد اختار المماليك شجرة الدر أملة أستاذهما الصالح أيوب لتكون سلطنة على البلاد .

وشجرة الدر جارية تركية الجنس ، وقيل بل أرمنية اشتراها الملك الصالح أيوب ، وحظيت عنده حتى اعتقها وتزوجها ، ولذلك هي من ناحية الأصل والنشأة أقرب للمماليك حتى اعتبرها المقرئزي^(٣) أول سلاطين المماليك في مصر^(٤) . وعلى الرغم من أن شجرة الدر خدمت الدولة الإسلامية وانقذتها من كارثة كادت أن تحل بها ، وقامت بأمر يعجز بعض الرجال عنه ، إلا أن تمليكها لم يرضه كثير من الناس لغرابته ، حتى قيل أن الخليفة العباسي أرسل إلى المماليك ينعي عليهم أن ملكتهم امرأة . وقال: "إن كانت الرجال قد عدت عندكم فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلاً"^(٥) وهنا وجدت شجرة الدر أنها في موقف لا تحسد عليه . فمظاهر الكراهية بدأت تظهر في الداخل والخارج ، ولأنها صاحبة عقل خلعت نفسها من الحكم ، واستشارت الأمراء والعلماء والقضاة فاختروا عز الدين أيبك^(٦) الذي كان عاملاً لزوجها ، وبعدها تم الزواج بينهما .

(١) السلوك لمعرفة دولة الملوك ، للمقرئزي : ج ١ ، ص ٤٤١ .

(٢) تورنشاه بن الصالح أيوب بن الكامل . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٨٠١ .

(٣) أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني تقي الدين المقرئزي ، مؤرخ الديار المصرية ، أصله من بعلبك . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ١ ، ص ١٧٧ .

(٤) العصر المماليكي ، لعاشور : ص ١١ .

(٥) العصر المماليكي ، لعاشور : ص ١١ .

(٦) عز الدين أيبك التركماني الملقب بالمعز . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٨٠٠ .

قال محمود رزق سليم : "ضربت شجرة الدر الحجاب على نفسها فكان لذلك أثره في ضعف مشورتها ، وصعوبة اتصالها بأمرائها ، وحسن إطلاعها على مهام دولتها ، زد على ذلك أنها كانت أول امرأة ملكة في الإسلام فكان تمليكها غريباً ، حتى قيل أن الخليفة العباسي على ضعفه أرسل إلى المماليك ينعى عليهم أن يملكوا امرأة . فكان ذلك كله حافزاً لهم على إعادة النظر في أمر الملك من جديد ، وكثر بينهم الأخذ والرد حتى رأت شجرة الدر بثاقب نظرها وبعيد رأيها ، أن تخلع نفسها من الملك بعد أن مكثت فيه نحو ثمانين يوماً ، ثم استشير الأمراء والقضاة لاختيار سلطان جديد فتمت المشورة بسلطنة الأمير عز الدين أيبك ، ثم تزوج هذا الأمير من شجرة الدر ليكون ذا صلة بالبيت المالك القديم مع أنها زوجة سيده"^(١).

فيذا اعتبرنا أن أول سلاطين المماليك هو عز الدين أيبك والذي أنتقل الملك على يديه من الأيوبيين إلى طائفة المماليك ، يمكننا القول أن دولة المماليك بدأت من عام ٦٤٨هـ على يد المعز "عز الدين أيبك"^(٢). وانتهي عهدهم في عام ٩٢٣هـ حيث جاء الحكم العثماني .

وقد قسم المؤرخون دولة المماليك إلى دولتين ، دولة المماليك البحرية من ٦٤٨هـ إلى ٧٨٤هـ وهي التي أسسها عز الدين أيبك . ودولة المماليك الجركسية من سنة ٧٨٤هـ إلى ٩٢٣هـ . فالأولى هي التي ولد فيها الصفدي ، حيث ولد بعد تأسيسها ، ومات قبل زوالها. وسأحدث عن حياتهم الاجتماعية والدينية والثقافية والسياسية حتى نتعرف على العصر الذي عاش فيه الصفدي ، فالإنسان ابن بيئته ، يتأثر بها ، ويؤثر فيها .

(١) عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، لمحمود رزق سليم ، ط٢ ، سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٢م ، مكتبة الآداب ومطبعتها بلجاميز : ج١ ، ص ٢١ . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢ ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٢) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢ ، ص ٢٨١٣ .

الحياة الاجتماعية :

كان النظام السائد نظاماً إقطاعياً ؛ حيث كان الممالك يحتلون أراضي كثيرة تحت سيطرتهم ، ويُقطعون بعض البدو والقبائل المحلية أراضي مقابل حماية الطرق . وكانوا هم أنفسهم طبقات ، كل طبقة تخدم الطبقة التي فوقها ، وتأخذ منها الأرزاق العينية والنقدية ، وكانوا يعيشون في رفاهية ، يسكنون أجمل القصور المزخرفة المحلاة بالذهب والجواهر ، وهذه القصور مقسمة منها قاعات الاجتماع التي بها كرسي السلطان ، وحوله حاشيته ، وعدة منازل لزوجات السلطان وجواريه . وكان السلاطين يسرفون في ميلهم للنساء ويدفعون الأموال الطائلة . وللسلطان مجلس خاص لا يحضره إلا هو وخاصته، وتقوم على حريم السلطان قهرمانة^(١) لها سلطات واسعة .

فكانوا في عالم من الرفاهية بعيدين كل البعد عن حياة بقية الشعب . وكان السلطان يوزع عليهم الأراضي الزراعية ، والمدن والقرى ، وحتى ملابسهم كانوا يلبسون فاخر الثياب والحرير الناعم والديباج الموشى . يقول ابن كثير^(٢): واصفاً موكب أحد سلاطين الممالك : " دخل قلعة دمشق وعليه من أنواع الملابس قباء زنجاري ، والقبة والطير يحملها على رأسه الأمير سيف الدين تومان تمرى الذي كان نائب طرابلس ، والأمراء تمشى بين يديه ، والبسط تحت قدمي فرسه ، والبشائر تضرب خلفه"^(٣).

(١) والقهرمان : جمع قهارمة : وهو الوكيل أو أمين الدخل والخرج . والقهرمة : وظيفة القهرمان وفعله . انظر : المنجد في اللغة والآداب والعلوم ، للويس معلوف ، المطبعة الكاثولوكية ، ط ١٩ : ص ٦٥٩ .

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي . أبو الفداء : حافظ ، مؤرخ ، فقيه ، تناول الناس تصانيفه في حياته ، ومن كتبه " البداية والنهاية " و " تفسير القرآن العظيم " وغيرها ، توفي بدمشق . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ١ ، ص ٣٢٠ .

(٣) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ٢ ، ص ٣١٠٧ .

وقد ظهر الترف والبذخ في حياة الممالك ومعائشهم ومناسباتهم ، حتى كانوا ينفقون الأموال الكثيرة في أفراحهم ومناسباتهم الخاصة ، لأنهم كانوا أثرياء يملكون العقارات والدكاكين التي تدر عليهم المال الوفير ، ومع هذا كانوا يقبلون الرشوة ، وقد بلغ بهم البذخ حد السفه والطيش . يقول ابن حجر^(١) : "إن المظفر حاجى أنفق في عصابة حظيته إنفاق التي على رأسها مائة ألف دينار . وبلغت النفقة على عمل حظير الحمام سبعين ألف درهم"^(٢) .

ولعل هذا الغنى الفاحش كان سبباً أساسياً في ترف الممالك ، والمستطيعين من أصحاب الأموال والجاه ووقعهم في الملاهي والملذات . يقول الدكتور محمد كامل الفقي : "ويتحدث التاريخ عن الترف البالغ الذي صاحب عهد الممالك ناشئاً من الغنى الخصب الذي كان يتدفق في مصر والشام ، إذ كانتا مثابة التجارة التي تنفق في سوقها سلع الشرق والغرب ، وكان من آثار ذلك أن سرت عدوى الترف والإسراف بين القادرين من الناس ، وصحب ذلك ما هو محتوم من أمراض اجتماعية تنمو في أحضان الترف والملذات"^(٣) .

(١) أحمد بن على بن محمد بن حجر الكنانى العسقلانى ، شهاب الدين أبو الفضل : من أئمة العلم والتاريخ . انتشرت مصنفاته في حياته ، وتهادتها الملوك ، وكتبها الأكابر ، وأشهرها "فتح الباري شرح صحيح البخاري" وكان فصيح اللسان ، راوية للشعر . انظر : الأعلام ، للزركلى : ج ١ ، ص ١٧٨ .

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م : ج ٢ ، ص ٤ .

(٣) الأدب العربى فى العصر المملوكى ، للدكتور محمد كامل الفقى ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، ط ١ : ص ٣٠ .

فهذه الحياة المترفة أثارت غضب وحنق الجماهير عليهم ، حيث كثرت الفوضى والرشوة واعترفوا بها . يقول ابن تغري بردي^(١) : "كان في دولة الصالح إسماعيل ابن الناصر محمد بن قلاوون ديوان يعرف بديوان البذل أعنى ديوان البراطيل ، وشاع ذلك في الأقطار ، وصار من له حاجة يأتي إلى صاحب الديون المذكور ويبذل فيما يرومه من الوظائف"^(٢).

وعلى الرغم من ذلك فإنّ في دولة المماليك مجموعة من المصلحين الاجتماعيين ، من رجال الدين والوعاظ والمرشدين ، كانوا ينصحون الأمراء ويكتبون الرسائل والكتب التي تدعو الناس للرجوع إلى الحق والخير والفضيلة ، والابتعاد عن الباطل والشر والرذيلة ، أمثال سلطان العلماء العز ابن عبد السلام^(٣)، ونجم الدين أحمد بن محمد بن علي ابن الرفعة المصري الشافعي^(٤)، وشيخ الإسلام ابن تيمية^(٥)، وقد كثر هؤلاء الدعاة المصلحين لما رأوا انحطاط الحياة المعيشية ، ولما كثر الفساد وعم البر والبحر.

(١) يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ، أبو الحسن . جمال الدين : مؤرخ بحثة ، من أهل القاهرة مولداً ووفاة ، أشهر كتبه : "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" و"المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي" . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٨ ، ص ٢٢٢ .

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي، دار الثقافة والإرشاد القومي : ج١١، ص ٢٦٢.

(٣) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الشيخ عز الدين أبو محمد السلمي الدمشقي الشافعي . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢ ، ص ٢٨٤٠.

(٤) أحمد بن محمد علي بن الرفعة نجم الدين : شارح التنبيه . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢ ، ص ٢٩٥٩.

(٥) أحمد بن عبد الحليم بن أبي القاسم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس : شيخ الحنابلة . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢ ، ص ٢٨٤٣.

الحياة الدينية:

على الرغم من الترف الذي يعيش فيه المماليك مقابل ضيق الحياة الذي تعاني منه طبقة الشعب العامة ، إلا أنّ المظهر العام لدولة المماليك يعد مظهراً إسلامياً ، فهم الذين دافعوا عن الدولة الإسلامية وصدوا جموع الصليبيين ، وكان بعض سلاطين المماليك يحرصون على المحافظة على الأخلاق الكريمة والشيم الفاضلة ، ويتمثل ذلك في إصدارهم الأوامر التي تبطل الملاهي ، وحانات الخمر ، وبيوت الدعارة . وينفذون أوامرهم بحماس شديد على المسلمين والنصارى ، ومثال ذلك إبطال السلطان بيبرس الملاهي بالديار المصرية وإغلاق أماكن الخمر وحبس جماعة من الزواني^(١).

ومما يدل على اهتمام المماليك بمظهر الحياة الدينية اهتمامهم بإقامة المدارس والجامعات التي ينتشر من خلالها العلم والمعرفة ، ونشر الدين الإسلامي بين الناس . وكان الطلاب يقدون على المدارس من شرق البلاد وغربها ، وقد شجعهم المماليك على ذلك بدفع الهبات إليهم وإعطائهم المال والطعام والكساء والمسكن المريح لهم ، حتى يجدوا الحياة المناسبة للبحث والدراسة ويتبحروا في العلوم .

وكان يوم افتتاح هذه المدارس يوم مهيب، يقام فيه احتفال يدل على عظمة المناسبة ، الأمر الذي يدل ويبرهن على اهتمام المماليك بنشر العلم والمعرفة بين الناس . يقول دكتور محمد كامل الفقي : "إنّ افتتاح هذه المدارس المنشيء لها في موكب حافل يتصدر مجلساً بالدار المفتحة ويشرع أحد شيوخها في إلقاء درسه فقهاً أو حديثاً أو نحو ذلك، ثم تمنح المنح وتهدي الهدايا وتمد الموائد وقد يلقي بعض الشعراء أبياتاً مناسبة للمقام"^(٢).

(١) تاريخ الأدب العربي، لعمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٦، سنة ١٩٩٧م ، ج٣، ص٦٠٨.

(٢) الأدب العربي في العصر المملوكي ، للفقي : ص٤٠.

ومن أشهر مدارس هذا العصر المدرسة الظاهرية ، التي أنشأها الظاهر بيبرس^(١)، الذي كانت له عناية بالغة بهذه المدرسة حيث رصد لها أوقافاً طائلة ، وبني بالقرب منها مكتباً لتعليم الأيتام القرآن الكريم ، ووفر لهم الطعام والشراب . والمدرسة المنصورية التي أنشأها الملك المنصور قلاوون^(٢)، لتدريس الفقه والطب وتفسير القرآن الكريم . والمدرسة الصاحبية البهائية التي أنشأها الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن الوزير سنة ٦٥٤هـ^(٣). وكانت من أجمل المدارس وأعظمها .

وكانت هذه المدارس تنشر العلوم الدينية ، وعلوم اللغة العربية ، إضافة للعلوم الإنسانية التي يكون الطالب بها ملماً بكل الثقافات الوافدة من الخارج .

ومع هذه المدارس كانت المساجد تعمل جنباً إلى جنب لنشر علوم الدين واللغة العربية . وكانت المساجد عبارة عن معابد ومعاهد ، حيث أهتم السلاطين بها وأنفقوا عليها الأموال الطائلة . يقول دكتور محمد كامل الفقي : " كانت المساجد الجامعية تحمل رسالة العلم والدين معاً فهي معبد ومعهد ، وقد درج السلاطين والملوك على العناية بهذه المساجد ، فهم ينشئونها وينفقون الأموال الطائلة في تأسيسها ، حتى تصبح تحفة تشهد بروعة الفن وجماله ، ويقيمون حول عمدتها حلقات الدرس التي تذخر بالحياة

(١) بيبرس بن عبد الله ، السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح الصالحى : كان جباراً في الحرب خافه التتار والإفرنج لأنه روعهم بالغارات . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، دار الفكر ، بيروت _ لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ _ ٢٠٠٥م : ج ٧ ، ص ٢٢١ .

(٢) قلاوون بن عبد الله الصالحى الألفى الملك المنصور ، انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٨٩٦ .

(٣) على بن محمد بن الوزير ، المعروف ببهاء الدين : وزير ، كان من أكابر الرجال في عصره حزمياً وعزماً وخبرةً استوزره الظاهر وفوض له الأمور . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ٣٣٣ .

العلمية ، فيزهو بها العلم والأدب وتشع منها أنوار المعرفة"^(١).

ولعل هذه الزخرفة الموجودة في المساجد ، وحلقات العلم الموجودة الآن هي من موروثات المماليك . ولكن مع اهتمام المماليك بالمظهر الديني واهتمامهم بالقرآن والحديث خاصة ، إلا أنّ اضطراب الأحوال السياسية والاجتماعية وتماذج الثقافات المختلفة ، ووفود شعوب لها ديانات غير الإسلام واستقرارها بالدولة الإسلامية ، وبعضهم يمارس طقوسه وعاداته ، هذه الممارسات أدت إلى ظهور دجل وشعوذة . يقول دكتور محمد زغلول سلام : "اضطربت عقائد الناس بسبب اضطراب الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وبسبب الاختلاط بين الناس والتماذج بين العقائد والديانات للعناصر المختلفة من روم وفرس وفرنجة وهنود ... الخ . وكانت تلك العقائد تختلف بين سماوية ووثنية أو طبيعية ، وأثر ذلك الامتزاج في العقيدة الإسلامية ، فأحدث مجموعة من الاتجاهات والظواهر الغريبة عن الروح العربية والإسلامية"^(٢).

ولكن مع ذلك نجد أنّ عقيدة أهل السنة والجماعة كانت سائدة على الرغم من المعارك الكثيرة التي خاضوها مع خصومهم ، خاصة أولئك الدجالين الذين يتخذون العقيدة للدجل والشعوذة وكسب الرزق . حيث قيض الله لهم من العلماء الصالحين من يجاربونهم ويتقربون إلى الله بالقضاء عليهم . وكان المماليك يناصرون العلماء والصالحين ، لأنّهم كما قلنا كانوا شديدي الحفاظ على مظهر الحياة الإسلامية ، وكان معظمهم متمسكاً بتعاليم

(١) الأدب العربي في العصر المملوكي ، للفتي : ص ٤٢ .

(٢) ضياء الدين ابن الأثير وجهوده في النقد ، للدكتور محمد زغلول سلام ، مكتبة النهضة ، مصر، بالفجالة : ص ٧. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس أحمد بن محمد إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق دكتور يوسف على طويل ودكتورة مريم قاسم طويل ، ط ١ ، دار الكتب العلمية بيروت ، سنة ١٤١٩ هـ _ ١٩٩٨ م : ج ١ ، ص ١٥٤ .

الإسلام تمسكاً صحيحاً ، وكانوا يدركون أهمية القيم الدينية إدراكاً واضحاً ،
ويدافعون عن هذه القيم دفاعاً صادقاً .
الحياة العلمية والثقافية:

مع ظهور المماليك وانتقال السلطة إلى مصر انتقل العلماء من كل
فج إلى مصر ، وكان للمماليك اهتمام كبير بنشر العلم والثقافة على الرغم
من أنهم لم يكونوا أهل حضارة في البيئات التي أتوا منها . وكان تعليمهم
سيراً لإنشغالهم بالتدريب على أساليب القتال ، إلا أنهم قاموا بإنشاء
المدارس والمساجد ، وإعانة المشايخ والأساتذة القائمين عليها ، ومن يريد
العلم يجده سهلاً من غير قيد أو شرط ، كل ما يصنعه أن يجلس في حلقة من
الحلقات يدون ويكتب ما يسمعه من أستاذه ، من فقه أو حديث أو نحو أو
غيره . وقد حرص السلاطين على اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات الكبيرة ،
وكل مسجد يؤسسوه يلحقوا به مكتبة علمية كبيرة بها الكتب النفيسة ،
ومن هؤلاء الملك الناصر حسن بن الناصر قلاوون^(١) .

وكثير من الأمراء والعلماء عرفوا بالحرص على الكتب والذخائر ،
حتى أن أحد أعيان الرؤساء بمصر والشام وجد عنده بعد موته ما يزيد عن
ثلاثة آلاف من المجلدات النفيسة^(٢) .

وبالرغم من أن السواد الأعظم من الشعب يغلب عليه الجهل ، إلا
أن في دولة المماليك علماء كبار أثروا المكتبة الإسلامية بأهميات الكتب في
كافة المجالات ، حيث أتسع التأليف في كافة العلوم مثل الفقه والحديث
وعلوم العربية والرياضيات والفلك والجغرافية .

(١) الناصر حسن بن الناصر محمد قلاوون ، أبو الحاسن : من ملوك الدولة القلاونية بمصر والشام

، بويح بمصر بعد مقتل أخيه حاجي المظفر . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٢ ، ص ٢١٦ .

(٢) عصر سلاطين المماليك ، لعمود رزق سليم : ج ٢ ، ص ٢١٨ .

يقول دكتور فروخ : "أما أكثر موضوعات العلم رواجاً فكان الحديث ودراسة الفقه على المذاهب الأربعة المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي ، وكان إلى جانب الحديث والفقه ، تفسير القرآن الكريم وأصول الدين واللغة والأدب . ثم إنّ كثرة التأليف في العلوم الرياضية والطبيعية من الرياضيات والفلك والجغرافية والهندسية والطب وما إليها يوحى بأنه كان لمثل هذه الموضوعات مدارس خاصة أو حلقات خاصة في المدارس الخاصة"^(١).
مما سبق يتضح لنا أنّ دعم الأمراء والسلاطين لمشايخ العلم وطلابه كان له الأثر الأكبر في نمو الحركة الثقافية ، وكانت العناية بالكتاب والاهتمام به أهم مساعد للطلاب في تنمية مواهبه وزيادة معرفته ، ولذا نشطت رحلات الطلاب نحو المدارس والمساجد لنهل العلوم المختلفة . يقول دكتور محمد زغلول سلام : "وقويت الحركة الثقافية وازدهر العلم تبعاً لتلك العوامل ، وكانت عناصر الثقافة في ذلك الوقت إسلامية أو عربية أو متأثرة بتيارات مختلفة يونانية وفارسية وهندية ومسيحية وسامية وأخرى . وأهم عناصر الثقافة الإسلامية القرآن ، وقد زاد اهتمام الناس به حفظاً وتفسيراً ودراسة ، وكان الأمراء يعينون على ذلك ويشجعون القراء فيهبون المال لمن يحفظ القرآن ، ويهتمون به في مدارسهم التي يشنّونها وفي المساجد"^(٢).

فالثقافة في هذا العصر ثقافة شاملة إسلامية وغير إسلامية ، ومما يؤكد حديث دكتور سلام هو ظهور مجموعة من الكتب المهمة بالدراسات القرآنية مثل كتاب "بدائع القرآن" لابن أبي الأصبع^(٣)، وكتاب "إعجاز

(١) تاريخ الأدب العربي ، لعمر فروخ : ج٣، ص ٦١١.

(٢) ضياء الدين ابن الأثير وجهوده في النقد ، لحمد زغلول سلام ، ص ١٠.

(٣) عبد العظيم بن عبد الواحد المصري ، ابن أبي الأصبع ، زكي الدين . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،

بيروت ، لبنان، ط١، سنة ١٤١٩هـ _ ١٩٩٨م : ج٥، ص ٦٥٤.

القرآن" للفخر الرازي^(١). وظهر محدثين مشهورين مثل الحافظ أبو طاهر السلفي^(٢)، والحافظ ابن عساكر الدمشقي^(٣)، وغيرهم مما يدل على اهتمامهم بالقرآن والعلوم. فالصفي عاش في هذا العصر وسنعرض في ترجمتنا له أنه نال حظاً وأقرأ ونصيباً كبيراً في هذه المجالات الثلاثة.

(١) محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري الفخر الرازي : الإمام المتكلم صاحب التفسير والتصانيف. انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٧٤ .

(٢) أحمد بن محمد بن سلفة (بكسر السين وفتح اللام) الاصبهاني، صدر الدين، أبو طاهر السلفي : حافظ مكثّر، من أهل أصفهان. انظر : الأعلام ، الزركلي : ج ١ ، ص ٢١٥ .

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن الحسن ابن هبة الله بن عساكر ، فخر الدين أبو منصور الدمشقي . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٧٤ .

ترجمة الإمام صلاح الدين الصفدي:

هو أبو الصفاء صلاح الدين خليل بن الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله الألبكي الصفدي ، ولد سنة ست وتسعين وستمائة^(١). ونشأ نشأة عربية خالصة ، فوالده من أمراء المماليك وعاش حياة رغدة في ظل والده ، وكان مولعاً بالآداب والفنون حبيب إليه الأدب ، وكتب الخط الجيد . قال عن نفسه: "إن أباه لم يمكنه من الأشغال حتى استوفي عشرين سنة ، فطلب بنفسه ، وقال الشعر الحسن، ثم أكثر جداً من النظم والنثر والترسل والتوقيع"^(٢).

وولعه بالرسم وتعلقه به جعله من أبرع الخطاطين ، وشغفه بالأدب جعله من أفضل الأدباء ، لذا صار يجيد التصوير في الشعر والنثر ، وكان يتقن الموسيقى وكان بارعاً ، ولا عجب في ذلك فأبناء الأمراء ميسر لهم ذلك للترفيه ، إضافة لمهارته وإلمامه بعلوم اللغة العربية من إنشاء ونحو وأدب وبلاغة . وصفه الزركلي بقوله : " خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي : "أديب ومؤرخ كثير التصانيف الممتعة ، ولد في صفد بفلسطين وإليها نسبته ، وتعلم في دمشق صناعة الرسم ، فمهر بها ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان"^(٣).

وأما عن أخلاقه وشمائله ، فمعظم المؤرخين أجمعوا على أنه يتصف بالصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة ، ولعل أفضل شهادة هي تلك التي شهد بها الإمام ابن حجر العسقلاني حيث يقول : "كان محبباً إلى النفس حسن المعاشرة جميل المودة"^(٤).

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص ٣١٤ .

(٢) الدرر الكامنة ، لابن حجر : ج٢، ص ١٧٦ .

(٣) الأعلام ، للزركلي : ج٢، ص ٣١٥ .

(٤) الدرر الكامنة ، لابن حجر : ص ١٧٦ .

وحيثما نذكر حديث العلماء عنه فيما بعد يتضح لنا أنّ الصفدي كان
لين العريكة ، حسن الأخلاق طيب المعشر ذو مروءة ، محبوباً لدى أهله
وأصحابه ورؤسائه وزملائه .

شيوخه :

تتلمذ الصفدي على يد :

(١) الشيخ شهاب الدين محمود بن سليمان ٧٢٥هـ^(١)، علامة الأدب وعلم
البلاغيين .

(٢) فتح الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيد الناس
اليعمري^(٢) . الإمام الحافظ الأندلسي .

(٣) بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي
الشافعي ٧٣٣هـ^(٣) ، وعليه أخذ المذهب الشافعي ، ولهذا الشيخ تعاليق في
الفقه والحديث والأصول والتاريخ وغير ذلك .

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، شمس الدين الذهبي^(٤) ،
الإمام الحافظ ، ومنه أخذ التاريخ .

(٥) علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي أبو
الحسن تقي الدين ٧٥٦هـ شيخ الإسلام في عصره ، وأحد الحفاظ المفسرين ،
والد التاج السبكي صاحب الطبقات^(٥) .

(٦) محمد بن محمد بن الحسن الجزمي الفارقي المصري ، أبوبكر جمال الدين
بن نباتة ، شاعر عصره وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب^(٦) .

(١) شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي : ج٦ ، ص٢٢٦ .

(٢) المصدر السابق : ج٦ ، ص٧٤٥ .

(٣) المصدر السابق : ج٦ ، ص٢٧٣ .

(٤) الأعلام ، للزركلي : ج٥ ، ص٣٣٦ .

(٥) المصدر السابق : ج٤ ، ص٣٠٢ .

(٦) الأعلام ، للزركلي : ج٧ ، ص٣٨ .

(٧) أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي ٧٤٥هـ. قال ابن العماد : "قال الصفدي ، لم أره قط إلا يسمع أو يشغل أو يكتب أو ينظر في كتاب وكان ثبثاً قيماً عارفاً باللغة ، وأما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيهما " ^(١).

(٨) مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن عمر الفيروزابادي ٨١٧هـ . اللغوى الشافعي العلامة . قال ابن العماد : " وكثرت فضائله وكثر الآخذون منه فكان ممن أخذ عنه الصفدي والفهامة ابن عقيل " ^(٢).

(٩) الحافظ الكبير جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن عبد الرحمن المزي ٧٤٢هـ. قال ابن العماد : "شيخ المحدثين عمدة الحفاظ أعجوبة الزمان الدمشقي المزي" ^(٣).

وللصفدي مشايخ كثر درس عليهم يضيق المجال بذكرهم . وقد طلب العلم في أنحاء عديدة طلبه في دمشق وفي القاهرة ، كما طلبه على يد علماء بلده ، وقد أجمع شيوخه على تقديره والإعجاب به ؛ لأنه كان نابغة في الأدب والفن ، حتى أن بعض شيوخه درس عليه ، واعترفوا بموهبته في الأدب والنقد منذ أن كان يقرأ عليهم . قال ابن تغري بردي عن الصفدي : " وكان إماماً بارعاً ، كاتباً ، ناظماً ، ناثراً . وديوان شعره مشهور بأيدي الناس ، وهو من المكثرين " ^(٤). وقد أشاد به شيوخه وأثنوا عليه . وهذه بعض آراء العلماء وإشاداتهم به .

(١) شذرات الذهب ، لابن العماد : ج٦ ، ص ٧٤٥.

(٢) المصدر السابق : ج٧ ، ص ٢٥٦.

(٣) المصدر السابق : ج٦ ، ص ٣٦٣.

(٤) النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي : ج ١١ ، ص ١٩.

قال الحافظ ابن حجر: "وكان محبباً إلى الناس حسن المعاشرة جميل المودة ، وكان في الآخر قد ثقل سمعه ، وكان قد تصدى للإفادة بالجامع ، وقد سمع منه من أشيخه الذهبي وابن كثير والحسيني وغيرهم" ^(١).

وقال الذهبي في حقه : "الأديب البارع ، شارك في الفنون وتقدم في الإنشاء ، وجمع وصنف" ^(٢) . وقال أيضاً : "وسمع مني وسمعت منه وله تأليف وكتب وبلاغة" ^(٣) . وهذه من أكثر الشهادات وأعظمها لأنها من أستاذه ، والأعجب والأجمل أنه يشهد بأنه سمع منه ، وهذا يدل على غزارة علمه . وقال أيضاً : "الإمام العالم البليغ الكامل ، طلب العلم وشارك في الفضائل ، وساد في الرسائل ، وقرأ الحديث ، وجمع وصنف" ^(٤).

قال ابن حجر : "وقال الحسيني : كان إليه المنتهي في مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، وأنه من بقايا الرؤساء الأخيار ، كما قال ابن سعد" ^(٥) . وخير دليل لوفائه وإخلاصه وتواضعه أنه عمل في مناصب الدولة فكانت سمعته طيبة ، وذكره حسن ، لم يتهم ، ولم تصبه مصادرة ، كما كانت تصيب أمثاله ، وكان وفياً لأصدقائه كثيراً الود لهم ، فإذا فرقت الأيام بينه وبينهم تجد المكاتبات والرسائل متواصلة بينهم ، وعندما يلتقون تجد مجلسهم عامراً يضم الأدباء والفقهاء والقضاة يجلسون يتداولون المسائل العلمية ، والأدبية بروح المحبة والإخاء .

(١) الدرر الكامنة ، لابن حجر : ج ٢ ، ص ١٧٦ .

(٢) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٧٦ .

(٣) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٧٦ .

(٤) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٧٦ .

(٥) الدرر الكامنة ، لابن حجر : ج ٢ ، ص ١٧٦ .

وقال جمال الدين ابن نباتة _ و كان الصفدي مختصاً به ، ملازماً له ،
وقد تأثر به تأثراً كبيراً في كتاباته وشعره _ في إجازته له : " وأجزت لك أن
تروى عني ما تجوز لي روايته من مسموع ومأثور ومنظوم ومنثور إجازة
ومناولة ، ونقل وتصنيف وتقوية وماض متردد وآت ، على رأي بعض الرواة
ومتجدد وجميع ما تضمنه استدعاؤك ، فأجمع ما يكون من لفظة المتبدد كاتباً
لك بذلك خطي ، مشروطاً عليك الشرط فليكن قبولك يا عربي البيان
جواب شرطي" ^(١). وهذا إن دل إنما يدل على إعجاب شيخه ابن نباتة به .
والإفادات الحسنة والحديث الطيب والإشادة بالصفدي من شيوخه
وعلماء عصره كثيرة لا حصر لها .

ولكن لا تخلو الحسناء من معيب ، فهنالك من انتقله وخاصة في
سرقاته الشعرية ، واختلاس معاني شعر شيخه ابن نباتة ، وقد صنف ابن
نباته في ذلك مصنفاً سماه " خبز الشعير المأكول المذموم " قال ابن حجة
الحموي ^(٢): هذا الكتاب " خبز الشعير " إشارة إلى أنه مأكول مذموم مع ذلك ،
إلا أنه كان يخترع المعنى الذي لم يسبق إليه ويسكنه بيتاً من أبياته العامرة
بالحاسن فيأخذ الشيخ صلاح الدين الصفدي بلفظه ولم يغير غير البحر ،
وربما عام به في بحر طويل يفتقر فيه إلى كثرة الحشو واستعمال ما لا
يلائمه" ^(٣).

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لأبي بكر بن علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي ، تحقيق

دكتورة كوكب دياب ، دار صادر، بيروت، ط٢، سنة ١٤٢٥هـ _ ٢٠٠٥م : ج٢ ، ص٣٥١.

(٢) أبو بكر بن علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي ، تقي الدين : إمام أهل الأدب في

عصره ، وكان شاعراً جيد الإنشاء حسن الأخلاق والمروعة ، من أهل حملة بسورية . انظر : الأعلام

، للزركلي : ج٢، ص٦٧ .

(٣) خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٢، ص٣٥٢.

وإذا استثنينا كلام ابن حجة نجد أن معظم العلماء الذين عاصروا الصفدي شهدوا له بالعلم والتبحر فيه ، وسماحة الأخلاق . وسرقة معاني الشعر لا تنقص من قدره ، لأنه ليس أول من ابتدعها ، فهي موجودة وقديمة عند الشعراء ، وقد ذكرها نقاد الأدب كثيراً في دراستهم لأدب الشعراء . أعماله :

تولى الصفدي كتابة الدرج في ديوان الإنشاء في صفد ، ثم انتقل إلى القاهرة و طال مُقامه بها ، وعمل بديوان الإنشاء في كتابة الدرج وعمره آنذاك أربع وستون سنة ، وقد ساعده صديقه قاضي القضاة تاج الدين السبكي^(١) في الترقى في ديوان الإنشاء ، حيث كتابة الدست ، وبعدها كتابة السر ، إلى أن تولى نظارة ديوان الإنشاء . يقول السبكي : " ثم ساعدته فحضر إلى دمشق على وكالة بيت المال ، وكتابة الدست "^(٢) وكان لا يلي نظر بيت المال في ذلك الزمن إلا من هو من ذوى المنزلة العالية ، فدل ذلك على علو مركزه وسمو مكانته .

آثاره ومؤلفاته :

للصفدي مؤلفات كثيرة وقال ابن العماد الحنبلي^(٣) : " وقفت على ترجمة كتبها الصفدي لنفسه نحو كراسين ، ذكر فيهما أحواله ومشايخه وأسماء مصنفاته ، وهي نحو الخمسين مصنفاً ، منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله "^(٤) . وقال ابن تغري بردي : " وله مصنفات كثيرة في التاريخ والأدب والبديع ، وتاريخه المسمى " الوافي بالوفيات " في غاية الحسن ، وقفت عليه

(١) تاج الدين السبكي أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي : قاضي القضاة المؤرخ الباحث . انظر : الإعلام ، للزركلي : ج٤ ، ص ١٨٤ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين عبد الوهاب السبكي ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطنجي ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي : ج ١٠ ، ص ٦ .

(٣) أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي ، مؤرخ وفقه ، وعالم بالأدب مات بمكة حاجاً سنة ١٠٨٩ هـ انظر : الإعلام ، للزركلي : ج ٣ ، ص ٢٩ .

(٤) شذرات الذهب ، لابن العماد : ج ٦ ، ص ٣٩٤ .

وانتقيته ونقلت منه أشياء كثيرة في هذا المؤلف وفي غيره . وله تاريخ أصغر من هذا أسماه "أعوان النصر في أعيان العصر" في عدة مجلدات^(١). وكتب كما قال ابن كثير: ما يقارب مئتين من المجلدات . وقال ابن حجر: "ووجد بخط يده : كتبت بيدي ما يقارب خمسمائة مجلداً ، ولعل الذي كتبه في الإنشاء ضعف ذلك"^(٢). ولا تعارض بين هذه الروايات لأنها ربما جاءت في أزمنة مختلفة ، ولكن رواية ابن حجر هي آخر الروايات حيث بلغت مؤلفاته خمسمائة مجلد . وهنا نذكر بعض كتبه على سبيل المثال لا الحصر .

- (١) ألحان السواجع من المبادئ والرواجع .
- (٢) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف .
- (٣) جر الذيل في وصف الخيل .
- (٤) جنان الجناس .
- (٥) الحسن الصريح في مائة مليح .
- (٦) ديوان الفصحاء وترجمان البلغاء .
- (٧) الروض الناصب والثغر الباسم "وهذه مخطوطة".
- (٨) وصف الزلال في وصف الهلال .
- (٩) الغيث المسجم في شرح لأمية العجم .
- (١٠) تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون "الجديّة" . وهو الكتاب الذي محل الدراسة والبحث .

(١) النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي : ج ١١ ، ص ١٩ .

(٢) الدرر الكامنة ، لابن حجر : ج ، ص ١٧ .

(١١) الوافي بالوفيات ، وهو أشهر كتبه وأكبرها . يقول الشيخ محمد علي الشوكاني^(١): "وألف كتباً منها التاريخ الكبير الذي سمه "الوافي بالوفيات" في نحو ثلاثين مجلداً على حروف المعجم ، وأفرد منه أهل عصره في كتاب سماه: "أعوان النصر وأعيان العصر" في ست مجلدات"^(٢).

هذه بعض كتب الشيخ الصلاح الصفدي ، ومن أراد معرفتها كاملة فعليه الرجوع إلى كتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردي أو كتاب الإعلام للزركلي^(٣).
مذهبه الفقهي :

كان الصفدي شافعي المذهب ، وقد ذكرت أنه أخذ المذهب ودرسه على يد شيخه بدر الدين بن جماعة . وتلمذ أيضاً على الشيخ علي بن عبد الكافي السبكي ، والد تاج الدين السبكي صاحب "طبقات الشافعية" وقد كان الأخير صديقاً له ، وقد كتب عن الصفدي ترجمة واسعة في طبقاته ، وهذا دليل آخر على أنه شافعي المذهب . وإضافة لذلك نجد كثيراً ما يذكر القصص التي تؤيد صحة رأي الإمام الشافعي . يقول الصفدي : "قال الإمام فخر الدين الرازي في كتاب "مناقب الشافعي" رحمته الله : روى محمد بن جرير الطبري عن الربيع قال : كان الشافعي جالساً يوماً بين يدي مالك رحمته الله فجاء رجل إليه فقال : يا أبا عبد الله إنني رجل أبيع القُمري ، وأتني بعت قُمرياً ، فبعد زمان أتاني صاحب القُمري فقال : إن قُمريك هذا لا يصيح ، فتشاجرنا

(١) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني : فقيه مجتهد ، من كبار علماء اليمن ، أشهر كتبه "نيل الأوطار" . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٦ ، ص ٢٩٨ .

(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، القاضي محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق خليل المنصور ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط ١ ، سنة ١٤١٨ هـ _ ١٩٩٨ م : ج ١ ، ص ١٦٦ .

(٣) النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي : ج ١ ، ص ١٩ . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ١ ، ص ١٥ _

فحلفت بالطلاق أن قُمرى ما يهدأ من الصياح . فقال مالك : طلقت امرأتك . فقام الرجل حزينا ، فقام الشافعي إليه وهو يومئذ ابن أربع عشرة سنة وقال للسائل: أصياح قمرية أكثر أم سكوته ؟ فقال السائل: بل صياحه ، قال الشافعي: أمض فإن زوجتك ما طلقت . ثم رجع الشافعي إلى الحلقة فعاد السائل إلى مالك وقال يا أبا عبد الله تفكر في واقعتي لتستحق الثواب فقال مالك : الجواب ما تقدم . قال : فإن عندك من قال : إن الطلاق غير واقع فقال مالك : من هو؟ قال السائل : هو هذا الغلام ، وأوما إلى الشافعي فقال: إنني سألته أصياحه أكثر أم سكوته ؟ فقال : إن صياحه أكثر ، فقال مالك : وهذا الدليل أقبح وأي تأثير لكثرة صياحه وقلة سكوته في هذا الباب ! فقال الشافعي: إنك حدثتني عن عبد الله بن يزيد عن أبي سلمة عن عبد الرحمن عن فاطمة بنت قيس أنها أتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله : إن أبا جهم ومعاوية خطباني فأيهما أتزوج؟ فقال النبي ﷺ: أما معاوية فصعلوك ، وأما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه . وقد علم رسول الله ﷺ أن أبا جهم كان يأكل وينام ويستريح ، فعلمنا أنه عليه السلام أراد بقوله : "لا يضع العصا عن عاتقه" على تفسير أنه الأغلب من أحواله ذلك فلما سمع مالك تعجب من الشافعي ولم يقدح في قوله البتة"^(١).

وهذه القصة تؤكد لنا حسن أخلاق مالك ، وجمال أدبه ، ورجوعه للحق ، وعدم تعصبه وانتصاره لرأيه . وذكاء الشافعي وصفاء بصيرته وسعة تفكيره وخصب خياله وهذا لعمرى أخلاق العلماء . وتؤكد أيضاً ميول الصفدي إلى مذهب الإمام الشافعي ، وذلك لذكره للأسباب التي تؤيد مذهبه ، وقد ذكرت أن السبكي ترجم له ترجمة واسعة في "طبقات الشافعية الكبرى" . وقد ذكر ذلك أيضاً ابن العماد الحنبلي في "شذرات الذهب"

(١) تمام المتون : ص ٣٦-٣٧ .

يقول : "صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيك بن عبد الله الصفدي الشافعي"^(١).

وعلى الرغم من ظهور المذاهب الهدامة في هذا العصر والتي ذكرتها في حديثي عن الحياة الدينية ، نجد أنَّ الصفدي كان مع مذهب أهل السنة والجماعة ، يرفض مذهب الروافض^(٢) ، والنواصب^(٣) ، لا يطعن في أصحاب النبي ﷺ ، ولا في أحد من السلف . وحينما تحدث عن ذلك الرجل الزنديق الذي أقام مجاوراً لقبر سيدنا معاوية بالشام بقصد التبرك ، وهو ينوي نية السوء في باطنه ويضمهرها . يقول الصفدي : "... وأقام في مجاورة قبر معاوية بالشام سنة جرداء بنيانه، ويتبرك باستلام أركانه. ووراء ملقه ذلك دفين أمر، وخلل رماده وميض جمر. ولم يزل ينتهز الفرصة حتى خلا وجهه يوماً من الأيام، وانفض عنه بعض من أولئك الأقوام، فنفض على القبر عيابه، وأسأل فوقه مرزابه وألقى به جنينه، وخلط بذي بطنه طينه وخرج منها خائفة يترقب ، قال: رب نجني من القوم الظالمين. وفي هذا المعنى يقول:

رأيت بني الطوامث والزواني بمقت ينظرون إليّ شذراً
لأنّي بالشام أقيمت حولاً على قبر ابن هند كنت أخرى^(٤)
وهنا رد عليه الشيخ صلاح الدين الصفدي: بقوله: "وقلت أنا رداً
على هذا الشاعر الأحق أخزاه الله تعالى :

أتحسب أن ذا يرضى علياً عليك وقد خريت جزيت شراً

(١) شذرات الذهب، لابن العماد: ج٦، ص٦٠.

(٢) الروافض : سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رضى الله عنهم .

(٣) النواصب : هم الذين انحرفوا عن الإمام علي كرم الله وجهه وناصروه العداء والنصب في اللغة مصدر نصبت الشيء إذا أقمته ونصبت لفلان إذا عاديته .

(٤) تمام المتون : ص٢٥٢ . دمية القصر وعصرة أهل العصر ، لأبي الحسن علي البخارزي ، تحقيق

على إبراهيم محمود ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١٤٢٩هـ _ ٢٠٠٨م : ص٦٠.

وكيف يكون وجهك يوم تأتي غداً ويقال هذا وجه خراً
ولكن كان هذا نقص عقل ودين من تحري ما تجرا^(١)
فهو يجب صحابة النبي ﷺ ويرى رأي السلف فيما جرى بينهم من
خلاف ، أنهم مجتهدون وكلهم مأجورون غير مأزورين ﷺ . ولا يطعن في دين
أحد منهم مثل بقية الطوائف المارقة عن الملة .

وترجمة السبكي له في " الطبقات " تؤكد أنه كان عالماً متفقهاً مقدماً في
المذهب لأن الترجمة أصلاً لعلماء المذهب . والدليل على تبحره في الفقه
واللغة ما دار بينه وبين شيخ الإسلام ابن تيمية يقول الصفدي : " وسألت
الشيخ الإمام العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله سنة سبعمائة
وسبعة عشر بدمشق الخروسة عن قوله تعالى : ﴿ وَأَخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ ﴾^ط فقلت :
المعروف بين النحاة أن الجمع لا يوصف بما يوصف به المفرد من الوصف .
فقال : كذا هو . فقلت ما مفرد متشابهات ؟ قال : متشابه . فقلت : كيف
تكون الآية الواحدة في نفسها متشابهة وإنما يقع التشابه بين الاثنين . وكذا
قوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾ كيف يكون الرجل الواحد يقتتل
مع نفسه ؟ فعدل بي من الجواب إلى الشكر ، وقال : ذهن جيد ولو لازمتني
سنة لانتفعت " ^(٢) .

فقول ابن تيمية " ذهن جيد " شهادة رفيعة وقيمة ، وتاج مرصع
بالجواهر يزين رأس الصفدي ، لأن هذه الشهادة منحت من شيخ متبحر في
العلم ، ومن أسرة عرفت بالعلم والصلاح أباً عن جد .

(١) تمام المتون : ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٢) الغيث المسجم في شرح لأمية العجم للشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار
الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط٣، سنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م : ج ٢، ص ٢٤ .

دراسة وصفية لكتاب نمام المنون في شرح رسالة ابن زيدون

كتاب "تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون الجديدة" لمؤلفه صلاح الدين الصفدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. قام المحقق بتنقيح وتحقيق الكتاب معتمداً على عدد من النسخ حتى يخرج الكتاب سليماً من الخطأ والتحريف ، الذي ورد في نسخة الكتاب التي طبعت في سنة ١٣٣٧هـ وتم ذلك في سنة ١٣٩٨هـ .

يقول دكتور شوقي ضيف متحدثاً عن الرسالة والكتاب: "ولكثرة ما في الرسالة من أمثال العرب ووقائع التاريخ والأشعار احتاجت إلى الشرح، وشرحها الصفدي وسمي شرحه "تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون" وواضح من كلمة "المتون" التي اختارها اسماً لكتابه ، أنه شعر أن الرسالة تشبه المتون لكثرة ما فيها من الأمثال وغير الأمثال مما يحتاج إلى تفسير وفضل بيان"^(١).

أي : أنه شرح فيها رسالة ابن زيدون "الجديدة" التي استعطف بها ابن جهور^(٢) وتبرأ فيها من التهم التي نسبت إليه . وشرحه ينحو نحو التفسير اللغوي ، والاستشهاد على شرح هذه المعاني اللغوية بالقرآن والحديث النبوي والشعر ، إلا أنه يكثر من الشعر العربي البديع والحكم والأمثال الشيقة ، ويميل إلى علم البديع وبعض فنون البلاغة ، ويشرحها حسب المناسبة ، مدعماً شرحه كما قلنا بالنصوص الأدبية ، ويشير أحياناً عندما يشرح فقرة إلى النص الأدبي وصاحبه مع ذكر الحوادث التاريخية

(١) تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس، لشوقي ضيف، دار المعارف مصر، ١١١٩
كورنيش النيل ، القاهرة ، ط ١ : ص ٤٧ .

(٢) جهور بن محمد بن جهور أبو الحزم : كان داهية ومن أهل بيت وزارة مشهور في الأندلس ،
انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٢ ، ص ١٤١ .

والأدبية ، مثل بيعة العقبة ،وحادثة الإفك ،ومقتل سيدنا عثمان ، وسيدنا علي وغيرها .

تحدث المحقق عن الطرق التي يسلكها العلماء السابقون في التأليف والتصنيف ، وطريقة شرحهم وتعليقات بعضهم على شروح غيرهم ، وعن تفننهم في إخراج هذه الشروح في ثوب قشيب محلي بجواهر البلاغة والأدب . وتحدث عن ابن زيدون ومذهبه الذي عرف به في الكتابة والإنشاء ، وعن أسلوبه الرشيق المنمق الذي يشتمل على كثير من حوادث التاريخ ومعارف الأدب. ثم تحدث عن المؤلف قائلاً : " وهو أحد الأئمة المصنفين في الإسلام بل هو أسبقهم في هذا الميدان ، جال وصال في ساحات الأدب والتاريخ والتراجم ، ما بين مطول ومختصر في النظم والنثر . وتحدث عن العلماء الذين ترجموا له مستشهداً بالترجمة التي أوردها المؤرخ ابن تغري بردي: في كتابه "المنهل الصافي" والتي ذكر فيها أخبار كتبه ، وأورد فيها مختارات من شعره ومصنفاته ، ورسالته إلى جمال الدين بن نباته وإجازة الأخير له"^(١).

أما المؤلف فقد تحدث عن الرسالة مادحاً لها ومقرظاً يقول: "فإن رسالة ابن زيدون التي كتبها لابن جهور من الرسائل الطنانة ، والخمائل التي لا يذوى زهرها وحائم غصونها بالتغريد رنانة"^(٢). ويقول: "قد أبرزها منشئها كالقمر ليلة تمامه ، كالزهر المخبوء في أكمامه ، أتعبت من يجاريها ، فما تشق الغبراء لها غباراً ، ولا يبيت داحس ذا حس في مباراتها"^(٣).

ويصفها وهو أستاذ الإنشاء في زمانه بأنها من أغرب ما كتب في الإنشاء ، وألفاظها أحلى من العسل . يقول: "نمط في الإنشاء غريب ، وحلاوة

(١) تمام المتون : ص ٥. من مقدمة المحقق.

(٢) المصدر السابق : ص ٣.

(٣) المصدر السابق : ص ٣.

ألفاظٍ ليس الضرب لها بضرب" ^(١). ثم يتحدث عن شرحه قائلاً: "فلذلك آثرت أن أملئ عليها شرحاً ، وأبني على كواكب كواعبها صرحاً ، وأكحل جفوناً باتت لرؤية بيانها قرحي ، وأطب قلوباً أمست لوصول إيضاحها جرحي" ^(٢). ويتحدث متواضعاً بقوله: "وإن لم أكن من خيل ميدانها ، ولا ممن يعده الأبطال من فرسانها ، ولكنه جهد المقل" ^(٣).

ويبدأ بعد ذلك كتابة بترجمة مستفيضة لصاحب الرسالة "الجديّة" ، ثم قسم الرسالة إلى مائة وواحد وثلاثين قسماً ، وقام بشرح جميع الأقسام شرحاً وافياً وشاملاً مستشهداً لكل عبارة بما يوضحها ويبينها من القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وأخبار العرب ، وأشعارهم ونثرهم ، ولأنّه أديب وناقد ينتقد بعض العبارات التي وردت في الرسالة ويأتي بعبارة مناسبة ، مثال ذلك قول ابن زيدون: "والذي ودادي له" قال الصفدي: "أتى بهذه العبارة فنة لا أخت لها ، ولو قال: بعدها: "وسدادي" لكان قد أخى بينهما كما قال بعد ذلك: "واعتماداي واعتماداي عليه" ^(٤). وهكذا يذكر ما ظهر له من العبارات التي يراها غير مناسبة ، أو أنّها ناقصة تحتاج للزيادة ، ويجعلها في خمسة عشر موضعاً ، ويجد العذر لابن زيدون . يقول: "إنّ هذا لا ينقصه فهو من الفضل بالخل الأعلى ، ولكن لكل جواد كبوة" ^(٥). وسوف نورد نقد الصفدي له في القضايا النقدية.

(١) تمام المتون : ص ٤.

(٢) المصدر السابق : ص ٥.

(٣) المصدر السابق : ص ٥.

(٤) المصدر السابق : ص ٤٠.

(٥) المصدر السابق : ص ٤.

شرح المؤلف الرسالة كما قلت شرحاً وافياً ، واستشهد فيه بالآيات
الكريمة ، وبالأحاديث الشريفة ، وبالنظم العربي ، وأقوال العلماء
واختلافهم في المعنى الواحد للكلمة . أما شرحه لمعاني المفردات الصعبة فهو
أشبه بشرح أصحاب المعجم اللغوية ، وشارحي الدواوين الشعرية ، وربما
يكون من الأسباب والدوافع التي جعلت الصفدي يشرح هذه الرسالة
ويصنف فيها كتاباً هو كثرة الوقائع والحوادث التاريخية المنشورة في أثنائها .
يقول شوقي ضيف: "وإذا استمررنا معه في الرسالة وجدناه يلجأ إلى شيء
أكثر صعوبة ، وهو ذكر كثير من وقائع القرآن وحوادث الإسلام الحنيف ،
وراع هذا الجانب في الرسالة القدماء ، لأنهم عثروا به على مادة غنية للشرح
والتفسير" (١) .

وقد تحدث الصفدي عن طريقة شرحه هذا في كتابه "الغيث
المسجم" الذي شرح فيه لامية العجم للطغرائي (٢) . يقول: "وقد أحببت أن
أضع عليها شرحاً يزين جيدها فرائداً ، وقصيدها فوائداً ، مما سمعت فوعيت
، وجمعت فأوعيت ، ولا أغادر فيها لغة ولا إعراباً ، ولا إيضاح معني ولا
إغراباً ، ولا ما يضمه إليها سلك أو يدخل معها جراباً إلا نبهت عليه
وأشرت بحسب الإمكان إليه" (٣) .

وقد شرح الصفدي الرسالة بعد شرحه للامية لأنه ذكر ذلك أثناء
شرحه للرسالة يقول : "وقد أوضحت هذا في شرح لامية العجم في قوله :

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي ، للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ١١١٩ كورنيش
النيل ، ط٤ ، ١٩٦٥م : ص ٣٢٩ .

(٢) الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد العميد ، فخر الكتاب ، أبو إسماعيل مؤيد الدين :
الكاتب المنشيء ، انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، سنة ١٤٢٥هـ _
٢٠٠٥م : ج٩ ، ص ٥٧ ،

(٣) الغيث المسجم ، للصفدي : ج١ ، ص ١٠ .

والدهر يعكس آمالي ... البيت" ^(١).

والجدير بالذكر أن منهج الصفدي في الشرح ينحو منحى واحد . ففي فاتحة شرحه للرسالة يقول: "وها أنا أورد الرسالة من خط الإمام على بن ظافر رحمه الله وأثبتها جملة ، ثم أعود بعد ذلك وأوردها شيئاً فشيئاً من أولها إلى آخرها ، وكلما أوردت منها شيئاً أوضحت مبهمه ، وفصلت مجمله ، وأوردت ماله به علاقة ، مستعيناً في بلوغ المقصود بالله تعالى" ^(٢).

وهذا المذهب الذي انتهجه الصفدي أحد تلك المذاهب التي كانت سائدة في عصره ، فبعضهم كان يشرح كتاباً لغيره من العلماء ويسهب في شرحه حتى تعم الفائدة ، وبعضهم يختصر إذا كانت الفائدة في الاختصار . يقول دكتور نبيل محمد رشاد: "وأخذ علماء الماليك هذا المنهج من السابقين واعتمدوه في البحث والتأليف العلمي ، واتخذوه مركباً ذلولاً لبلوغ مآربهم من التوسع في العلم ، والاستطراد في البحث . ومن أهم كتب الشروح في ذلك العصر كتاب جمال الدين محمد بن نباته الذي تناول فيه الرسالة "الهزلية" لابن زيدون الشاعر الوزير العاشق ، الذي أحب ولادة بنت المستكفي إحدى الظريفات من بنات خلفاء العرب الأمويين ، وهذا الكتاب سماه صاحبه "سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون" ، وكذلك كتاب صلاح الدين الصفدي الذي تناول فيه شرح رسالة ابن زيدون "الجدية" وهو "كتاب تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون" وكتاب "الغيث المسجم" وهو للصفدي أيضاً وشرح فيه لأمية الطغرائي" ^(٣).

(١) تمام المتون : ص ٣٧٢.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٢.

(٣) الصفدي وشرحه على لامية العجم دراسة تحليلية ، للدكتور نبيل محمد رشاد ، مكتبة الآداب

القاهرة ، ط ١ ، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م : ص ٦٢ - ٦٣.

وهذه بعض النماذج التي توضح طريقة شرحه . يقول الصفدي شارحاً عبارة ابن زيدون: "وسمع الأصم ثنائي عليك وأحس الجماد بإسنادي إليك"^(١). يقول شارحاً المفردات: والأصم : الذي لا يسمع شيئاً . وأحس: من الإحساس وهو الإدراك بالحواس الخمس . والجماد: كل ما ليس يدرك مثل الحجر والتراب وغيره ، وفي اللغة: والجماد الأرض التي لم يصبها مطر ، وناقصة جماد لا لبن فيها .والإسناد في الحديث: أن يرفعه إلى قائله . ثم بعد ذلك يشرح العبارة بقوله: "وفعلتَ بي كل ذلك بعدما نظر الأعمى إلى تأميلي لك ، وسمع الأصم وهو الذي لا سمع له ثنائي الذي كنت أثنيه عليك ، وأحس الجماد الذي لا إدراك له ولا إحساس برفع الحديث إليك ، وهذه غاية المبالغة"^(٢).

وشرحه لقوله: "والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك والتحمل الذي لم يفِ به احتمالك"^(٣). يقول: التطاول: تفاعل من الطُول وهو ضد العرض .يستغرق: يستفعل من الإغراق . والتطول: تفعل من الطُول: بفتح الطاء وهو المن والفضل . والتحمل: تفاعل من الحمل ، تقول: تحملت على نفسي أي : تكلفت الشيء على مشقة .لم يفِ به : لم يقم به ، والاحتمال : مصدر احتمل إذا تكلف فوق طاقته وقدرته "^(٤). ثم يكمل شرحه ذاكراً قصة دخول الحجاج^(٥) على عبد الملك بن مروان"^(٦) وثناء عبد الملك عليه لحسن حديثه ،

(١) تمام المتون : ص٤٤.

(٢) المصدر السابق : ص٤٤.

(٣) المصدر السابق : ص٩٦.

(٤) المصدر السابق : ص٩٦.

(٥) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، أبو محمد : الأمير الظالم ، سيف بني مروان ، داهية ، سفك ، خطيب . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٢ ، ص ١٦٨ .

(٦) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو الوليد : من أعظم الخلفاء ودهاتهم ، نشأ في المدينة فقيهاً واسع العلم ، متعبداً ناسكاً . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤ ، ص ١٦٥.

وجمال فصاحته . وقصة الحجاج واستئصاله للأسرى بالقتل حتى قال أحدهم:
والله يا حجاج لئن كنا أسأنا في اقتراف الذنب لما أحسنت أنت في ترك
العفو، فقال: أف لهذه الجيف! أما كان فيهم من يحسن مثل هذا: وأمسك عن
قتل الباقيين. وقصة العباس بن مرداس السلمي^(١). مع النبي ﷺ حينما أعطاه
أربعين من الإبل ، وأعطى المؤلفة قلوبهم خمسمائة من الإبل ، وقول العباس
مخاطباً النبي ﷺ:

أَتَجْعَلُ نَهْيِي وَنَهْيَ الْعُبَيْدِ دِينَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالْأَقْرَعِ

وكذلك شرحه لقول ابن زيدون: "والله ما غششتك بعد
النصيحة"^(٢). يقول الصفدي: "الغش: خلاف النصيحة كأنه شيء غطي عليه
والنصح: ضد ذلك ، والنصح الإخلاص ، والناصح: الخالص من العسل .
والغش أمر مذموم منهى عنه ، ويستشهد على ذلك بما رواه أبوهريرة رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ قال: (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)^(٣).

ويذكر قوله تعالى مخبراً عن سيدنا نوح: ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾ ثم يذكر أحاديث
أخرى وأبياتاً من الشعر للقاضي الفاضل^(٤) مستنكراً على ابن العماد.
وقصة محمد بن المثني ابن الأجدع الهمداني^(٥) مع الحجاج بن يوسف الثقفي،

(١) العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي ، من مضر ، أبو الهيثم : شاعر ، فارس ، من سادات
قومه ، أمه الخنساء الشاعرة ، أسلم قبل الفتح . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٣ ، ص ٢٦٧ .

(٢) تمام المتون : ص ٢٤٢ .

(٣) تمام المتون : ص ٢٤٢ . انظر : الجامع الصحيح ، للإمام مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار
الحديث القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ _ ١٩٩١ م : ج ١ ، ص ٩٩ .

(٤) عبد الرحيم بن علي بن الحسن القاضي الفاضل : صاحب ديوان الإنشاء ووزير السلطان
الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ٨ ، ص ٢٠١ .

(٥) محمد بن المثني ابن عبيد ، ابو موسى : من الحفاظ . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٧ ، ص ١٨ .

وكل هذا في أسلوب ممتع جذاب ، يشد القارئ ويجعله منتبهاً في تشوق.
بعد استعراض هذه النماذج يتضح لنا أنّ منهج المؤلف في التصنيف
وطريقة شرحه أشبه بطريقة الجاحظ^(١). والمبرد^(٢). وغيرهما من أساطين الأدب
العربي. وكانت عبارة عن حديقة غنية بالفواكه المختلفة، فهو تارة يبتدر
الشرح لمعاني المفردات ويؤيده بأقوال الشعراء ، ويغوص في بحور البلاغة ،
ويستطرد في تفصيل معني من المعاني أو حادثة من الحوادث ، وتارة يعلق
على عبارة من الرسالة ويذكر مناسبتها مفصلاً الحديث عنها ، وربما ربط
الأمر بموقف مشابه.

فالصفدي في شرحه يستوفي عناصر الموضوع الذي يتناوله ، فإذا
تعرض لرواية استوفي في ترجمتها . وإن تناول قصة ورد عنوانها في الرسالة
ذكر كل ما يتصل بها من أحداث ، وربما أتبع ذلك بتعليق أو إشارة أو
لطيفة، الأمر الذي جعل الكتاب مصدراً لتلك التراجم والقصص. ويقول
ياسر بن سليمان شوشو متحدثاً عن شرحه للامية العجم ورسالة ابن
زيدون : "وقد اعتمد في شرحه لهما على منهج مختلف عن مناهج سابقيه من
الشرح ، فهو وإن حرص على نسق بعض الشروح المطولة ، إلا أنّه كان
يتوسع بصورة غير تقليدية ، ليكشف عن تلك الجوانب المعرفية المتنوعة التي
اشتملت عليها النصوص التي يدرسها ، ولم تقف جهوده في مجال التطبيق
عند شرح النصوص الأدبية فحسب ، وإنما تجاوزها إلى نقد الكتب"^(٣).

(١) عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثى، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة

الادب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. الأعلام، للزركلي: ج ٥، ص ٧٤.

(٢) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر البصري، أبو العباس المبرد: إمام العربية في زمانه، كان فصيحاً

بليغاً ثقة، علامة، صاحب نواد وظرافة. انظر: الوافي بالوفيات، للصفدي: ج ٣، ص ٣٨٥.

(٣) النقد التطبيقي عند الصفدي دراسة وتوجيه، لدكتور ياسر بن سليمان شوشو، مكتبة وهبة

ط ١، سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م: ص ٦.

وهذه الطريقة لم يكن المؤلف أول من ابتدعها ، وإنما كانت هي طريقة الكُتَّاب السابقين له والمعاصرين . وقد زحرت كتب الأدب العربي القديم _ مثل "البيان والتبيين" للجاحظ ، و"الأُمالي" لأبي علي القالي^(١) ، و"الكامل" لأبي العباس المبرد _ بمثل هذه الشروح والتعليقات . إلا أنَّ ما يميز الصفدي هو اختياره لأسلوب ومنهج خاص به ، والتوسع كما قال شوشو بصورة غير تقليدية ، فهو كاتب مبدع مخترع .

والكاتب المبدع: هو الذي يستطيع تصريف المادة الخام ، وتشكيلها وإظهارها بمظهر يعكس الافتتان والإبداع ، ويدعو إلى الإعجاب. قال الجاحظ: "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج ، وجنس من التصوير"^(٢).

وما قاله الجاحظ وفق فيه الصفدي توفيقاً تاماً ، فهو على الرغم من أنَّه لم يسلك طريقاً بكاراً إلا أنَّه استطاع أن يختار مادة جيدة غنية اختار لها أحسن الطرق لعرضها ، ومزج عرضه بثقافته العميقة ، ونكهته الخاصة . يقول محمد زغلول: "وهكذا يمضي الشارح في شرح الرسالة التي تبدو وكأنها استعراض لمقدرة الكاتب البيانية ، وثقافته العربية والإسلامية العامة في فروع المعرفة الإنسانية على زمنه . يوظف فيها محفوظه منها ، ويتحاور معه في سياق حديثه ويعرضه عرض قدير على أشكال مختلفة في مجرى السياق بين

(١) إسماعيل بن القاسم بن هارون ، أبو علي القالي : أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب ، أشهر تصانيفه كتاب " النوادر " ويسمى أُمالي القالي ، الأعلام ، للزركلي : ج ١ ، ص ٣٣١ .

(٢) الحيوان ، لأبي عثمان الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط ١ ١٣٥٦ هـ _ ١٩٣٨ م : ج ٣ ، ص ١٣١ _ ١٣٢ .

نص مضمن ، أو عبارة من نص ، أو كلمات من آية ، أو حديث ، أو نصف بيت ، ويكون أحياناً لمخاً وإشارة إلى قصة ، أو خبر يترك للقارئ استدعائه بما يعرفه"^(١). فالصفيدي يشرح الرسالة موضعاً الغامض فيها ، كاشفاً خباياها ، ومترجماً للشعراء والأعلام الذين كثيراً ما يشير إليهم ابن زيدون ، معتمداً في شرحه على القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وعلى كثير من كتب الأدب والتاريخ ودواوين الشعراء . وقد ذكر كثيراً من المؤلفين مثل ابن بسام^(٢) ، وابن رشيق^(٣) ، والجاحظ ، والشهرستاني^(٤) ، وأبو الفرج الأصفهاني^(٥) ، وغيرهم . وأحياناً يذكر مؤلفاتهم مثل ذكره لـ "أدب الكاتب" و"الأغاني" و"مروج الذهب" و"مناقب الشافعي" .

فمعرفته الخصب الواسعة ، وجوده سبكه ، مما جعله يشكل مادة ابن زيدون الخام بصورة جميلة جذابة تعكس الإبداع ، والرؤى والفنون التي لا تتسنى إلا لكاتب عبقرى ضليع ، متمرس على الكتابة ، ينظر للكلمة فينقحها ويتذوقها ، ويجعلها تعيش في جوائحه فيبث فيها من المعاني ومن بنات أفكاره ما يدل على سعة ذخيرته اللغوية ، ومقدرته الفائقة على استخدام العبارات التي تبدو وكأنها توحى إليه إيجاءً ، أو كأنه يستمدّها من

(١) الأدب في العصر المملوكي، لـ محمد زغلول سلام : ج٢، ص٣٤٦-٣٤٧.

(٢) على بن بسام ، الشنتريني ، الأندلسي ، أبو الحسن : أديب من الكتاب الوزراء ، أشهر كتبه "الذخيرة " انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤ ، ص٢٦٦ .

(٣) الحسن ابن رشيق القيرواني أبو علي : أحد الأفاضل البلغاء ، له التصانيف الحسنة ، منها كتاب "العملة" انظر : شذرات الذهب ، لابن العماد : ج١ ، ص٢٦٦.

(٤) محمد بن عبد الكريم بن أحمد ، أبو الفتح الشهرستاني : من فلاسفة الاسلام . كان إماماً في علم الكلام وأديان الامم ومذاهب الفلاسفة . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٦ ، ص٢١٥ .

(٥) علي بن الحسين بن محمد المرواني الأموي القرشي ، أبو الفرج الأصفهاني : من أئمة الأدب ، والمعرفة بالتاريخ والأنساب والسير واللغة والمغازي ، قال الذهبي (والعجب أنه أموي شيعي) من كتبه "الأغاني" . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٤ ، ص٢٧٨ .

معين لا ينضب . ولذا اختط الصفدي منهجاً نقدياً جمع فيه بين النظرة العميقة والحس المرهف والذوق الرفيع ، وفق منهج ثابت ومحدد سواء ما أتصل منه بجانب شرح الألفاظ ، أو ما ارتبط بذلك الشرح من قضايا نقدية ولغوية ، كحديثه عن القافية أو موسيقي الشعر ، أو ما أتصل منه بجانب التركيب النحوي الذي غلب على شروحه ومكنه من ذلك معرفته الواسعة بالنحو ورغبته في تطبيقها . يقول شوشو: "ولقد حرص الصفدي على أن يرسم منهج نقده اللغوي القائم على بيان معاني الألفاظ في اللغة وما يتصل بذلك البيان من فوائد وشواهد لغوية أو اختلافات في الاستعمالات من خلال اللهجات العربية المختلفة ، وكل ما يتصل بتلك الألفاظ من ناحية الموقع الإعرابي مع عرض لاختلافات أراء النحاة في بعض المسائل والتأييد والترجيح ، إضافة إلى اهتمامه بالجانب العروضي وبحور الشعر والقافية المتمكنة والقلقة ، مما يؤكد أنه رجل موسوعي له خبرته الكبيرة في هذا المجال^(١) .

ولعل أهم آليات النقد عند الصفدي هو حسه اللغوي الأصيل ، وذوقه الذي صقلته معرفته الواسعة بالأدب العربي ، وإدراك أبعاده الفنية وقيمه الجمالية . والذوق هو الأساس الذي بُنى عليه النقد العربي القديم . يقول شوشو: "أما آليات النقد التطبيقي عند القدماء فقد اعتمدت على معطيات متعددة أسهمت مجتمعة في إبراز صور متنوعة له جعلت الناقد منهم ينظر إلى النص الأدبي نظرة متكاملة ، إتكتأت في مجملها على الذوق من جهة ، وعلى المنجز الثقافي والفكري الذي شكل العقلية العربية وصقلها بمختلف العلوم والمعارف الأصلية من جهة أخرى^(٢) .

(١) النقدي التطبيقي ، لسليمان شوشو : ص ١٢٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٥ .

والصفدي استطاع بمعرفته وإلمامه الواسع باللغة والنحو أن يطبقها على النصوص الأدبية ، فهو ناقد أدبي ملم باللغة وعميق النظر ، يعرف كيف يحكم ذوقه . وأديب يستخدم اللغة في عرض ما يقدمه من جيد الأعمال ، حصيفاً متفوقاً على غيره . تقول دكتورة نعمة رحيم العزاوي: "إن طريقة الأديب للغة في عرض مضامينه الجيدة تحدد منزلته بين الأدباء ، وتعطيه السمة التي يتفوق بها على غيره أو يتخلف. والتجديد في الشعر خاصة والأدب عامة يعني القدرة على إقامة علاقات متميزة بين الألفاظ. ... وإذا كانت اللغة مادة الفن الأدبي ، وإذا كان نبوغ الأديب أو تفوقه بطريقته في استخدام اللغة والتعامل بها ، فإنَّ على الناقد أن يولي هذه الإدارة عنايته ويصرف إليها جهده واهتمامه ليكون ذلك كفاءة لأهميتها في الأدب ، ومكانها منه"^(١).

وخلاصة الأمر يعد كتاب "تمام المتون" من أهم الأسفار الخالدة التي تعد ذخيرة ومصدراً لأشعار الشعراء السابقين والمعاصرين له ، ومرجعاً لبعض العلوم التي قد تكون ضاعت من مصادرها الأصلية ، ويحوى شرحاً قيماً نفيساً ؛ لأنَّه اشتمل على مادة ثرة ثمينة ، غطت مختلف الفنون الأدبية والتاريخية المفيدة للقراء والباحثين على مختلف عصورهم.

يعد الإمام الصفدي أول من شرح الرسالة "الجديدة" وتبعه آخرون منهم:

(١) أبوبكر محمد عليم:

وهو أحد الموظفين السابقين بوزارة الحربية المصرية . يقول في فاتحة الكتاب الذي شرح فيه الرسالة والمسمى "الدر المخزون في شرح رسالة ابن

(١) النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، للدكتورة نعمة رحيم العزاوي ،

منشورات وزارة الثقافة والفنون العراق، ١٩٧٨م : ص ٥.

زيدون" : "كنت قد قرأت في المجلد السادس للسنة الحادية عشرة بعد
الستمائة والألف الميلادية من مجلة المقتبس الغراء لمنشئها الكاتب الأديب
محمد كرد علي الذي كان يصدرها بدمشق ، رسالة لأبي الوليد أحمد بن عبد
الله بن زيدون إلى أبي الوليد محمد بن جهور^(١) من ملوك الطوائف
بالأندلس أيام اعتقاله ، وتنكر حاله ، وفيها ضروب من البلاغة تسحر
القلوب وتخلب الألباب ، شتم في استعطاف وتواضع في استنكاف ، ومرارة
فؤاد تذيب الصفة الصماء ، وشكوى حل ترق لها البهيمة العجماء .
فجعلت أكرر تلاوتها واستطعم حلاوتها ، وكلما فرغت منها عدت إليها ،
والمكرر أغلى وأحلى . وتمنيت لشدة إعجابي بنمطها العجيب وأسلوبها
الغريب ، أن يشاطرنني كل قارئ وسامع الإمام بمعانيها واستيطان
مغانيها"^(٢). إلى أن يقول: " بما بعثني إلى البحث عن شرح لها يشبع الغرثان
ويروى الظمان"^(٣).

وبعد ذلك تحدث عن شرح الصفدي وقال : إنّه عرفه من تعليق
صاحب المجلة يقول: "وقد علمت من تعليق صاحب المجلة عليها حين أورها
أنّ الأديب المؤرخ والعالم المحقق الشيخ صلاح الدين الصفدي قد شرحها
شرحاً مسهباً في نحو مائتي ورقة وسمي شرحه "تمام المتون في شرح رسالة ابن
زيدون"^(٤).

(١) محمد بن جهور بن أبي الحزم بن محمد بن جهور الكلبي بالولاء ، أبو الوليد : صاحب قرطبة
وليها بعد وفاة أبيه كان مشاركاً في العلوم والآداب . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٦ ، ص٧٤ .
(٢) الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون ، لأبي بكر محمد عليم ، سنة ١٣٤٥هـ _ ١٩٢٦م :
ص٤_٥ .

(٣) المصدر السابق : ص٥ .

(٤) المصدر السابق : ص٥ .

هذا وعلى الرغم من أنّ صاحب "الدر المخزون" يقول : إنّهُ لم يجد نسخة من كتاب "تمام المتون" في القاهرة لأنّها نفدت من المكتبات ، إلا أنّ طريقة شرحه تؤكد أنّه أطلع على نسخة من هذا الكتاب حتى ولو من المكتبات الخاصة ، وذلك لأنّه التزم منهج الصفدي في الشرح وخاصة شرحه للمفردات ، لكنه قصر دونه ولم يلحق به . ومما عبته على هذا الكاتب في مقدمة كتابه هجاءه وإساءته لبلاد السودان ، التي أكل هو وسادته من المستعمرين الإنجليز من خيرها . ووصفه لها ببلاد الشؤم والنكد . بدل أنيقول أنّه كتب الكتاب لقراء العربية حتى تعم الفائدة وخدمة لهذه اللغة الشريفة وللأمة الإسلامية ، وأنّه جعل هذا الشرح تاريخاً لشفائه : "فاجتهدت أن أحصل على نسخة مطبوعة ، وبعثت في طلبها من مكاتب القاهرة الشهيرة فلم أجدها ، وقيل لي أنّه لم يطبع في مطابعها ، وربما كان قد طبع في البلاد الأوربية ونفدت نسخه إلا ما كان في مكاتب الخاصة . وحينئذ حدثني النفس بأن أشرح الرسالة المذكورة ، وأجعل ذلك الشرح تاريخاً لشفائي من المرض ، وعودتي من بلاد الشؤم والنكد . مستمداً من الله المعونة والتوفيق في انتهاجي أقوم طريق"^(١). أقول بلادي ليست بلاد شؤم ونكد ، إنّما أهل الشؤم والنكد هم الدخلاء الأوغاد الذين أعانوا المستعمرين على ظلم أهلها. فالسودان هو ذلك البلد الذي أتاه الشاعر خليل مطران مريضاً فتعافى فيها من دائه ونظم فيه شعراً وهذه بعض أبياته:

بلاد تصطبى الأحلام فيها حقيقتها ويسببها الخيال
لجرى نيلها ولضفتيه جمال لا يباهيه جمال
وللبيد السحيفة والرواسي جلال لا يضاهيه جلال
فإن يك شعبها كرمًا وبأساً يمثلها فقد راع المثال

(١) الدر المخزون ، لأبي بكر محمد عليم : ص ٥.

شمائل حلوة طابت وروداً على مر الزمان وما تزال
بني السودان حي الله قوما بهم هذه الفضائل والخصال
شباب أذكاء تلوح فيهم لكل عزيمة ترجى خلال
وأشياخ ميامين حصاف تزكي ما يقولون الفعال^(١)

(٢) الشيخ حمزة فتح الله:

كان يعمل مفتشاً في علوم اللغة العربية ، شرح هذه الرسالة شرحاً موجزاً ذكره أبوبكر محمد عليم في مقدمة كتابه^(٢).

المصادر التي اعتمد عليها الصفدي في شرحه:

(١) المصادر الشفهية والسماعية:

نجد الصفدي أحياناً ينقل في شرحه نقلاً شفهيّاً ، سواء أن يقول سمعت من شيخنا أو أنشدت لشيخنا أو نقلت من خطه فمثلاً يقول : "أنشدني لنفسه إجازة شيخنا العلامة شهاب الدين محمود رحمه الله ومن خطه نقلت: قيل ما أعددت للحتف وقد جئت محله قلت أعددت مع التوحيد حسن الظن بالله"^(٣)

وقوله: "والبيت الأول رويناه عن شيخنا العلامة أثير الدين بن حيان رحمه الله"^(٤). ولكنه في الغالب ينقل عن مصادر مكتوبة . والنقل الشفهي يساعده في الشرح وخاصة شرحه للأشعار ؛ لأن معظم هذه الأشعار تكون سماعية في اجتماعات الأدباء فيما بينهم . فهو يصرح تارة باسم الشيخ الذي روى أو نقل عنه ، مثل قوله: "والبيت الأول كذا رويناه عن شيخنا العلامة

(١) ديوان الخليل ، للشاعر خليل مطران ، دار مارون ، بيروت : ص ٤٩١ .

(٢) الدر المخزون ، لأبي بكر محمد عليم : ص ٤.

(٣) تمام المتون : ص ٢٥٥.

(٤) المصدر السابق : ص ٢٧٢.

أثير الدين ... " ^(١)، وأحياناً يطوي ذكر من نقل عنه يقول: "وقال بعض الأدباء: كان الناس يتشوقون إلى أوطانهم ولا يفهمون العلة في ذلك إلى أن أوضحها ابن الرومي في قصيدته لسليمان بن عبد الله بن طاهر... " ^(٢)، وأحياناً يذكر رأيه يقول: "قلت : وابن أبي داود القاضي له مقامات مشهورة معروفة عند أهل العلم... " ^(٣).

هذا وسأورد فيما بعد الذين نقل عنهم الصفدي شفاة وسماعاً في مبحث توثيق النصوص .

٢) المصادر التي نقل منها كتابة :

مثال ذلك نقله عن صحيح البخاري: "يقول وفي الصحيح من حديث البراء ، أنّ أبا سفيان قال : إنّ لنا العُزى ولا عُزى لكم . فقال النبي ﷺ : (أجيبوه ، قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم) " ^(٤). وقوله أيضاً : "وقد ذكر المسعودي في شرح المقامات" ^(٥). فهو يذكر المسعودي وشرحه للمقامات . وكذا قوله : "ومن ذلك ما ذكره صاحب الأغاني" ^(٦) فهو يذكر كتاب "الأغاني"، وهكذا يذكر الكتب التي استمد منها مادته منها .

(١) تمام المتون : ص ٢٧٢.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٢٩.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٦٥.

(٤) المصدر السابق : ص ١٦١.

(٥) المصدر السابق : ص ١٧٧.

(٦) المصدر السابق : ص ٢٦٠.

نرجمة أبي الوليد ابن زيدون

اسمه ونسبه :

هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي القرشي أبو الوليد . ولد بالرصافة من ضواحي قرطبة ، في بيت علم وجه وغني . سنة ٣٩٤هـ ، وتلقي تعليمه على يد أبيه وكان أبوه فقيهاً نبيهاً عالماً أديباً .

وبعد وفاة أبيه كفله جده لأمه ، حيث أخذ عليه شيئاً من العلم .

قال الزركلي : "أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون المخزومي الأندلسي أبو الوليد : وزير، كاتب ، شاعر ، من أهل قرطبة . انقطع إلى ابن جهور من ملوك الطوائف بالأندلس ، فكان السفير بينه وبين ملوك الأندلس فأعجبوا به"^(١) .

شيوخه وثقافته وعلمه :

إضافة لنشأة ابن زيدون في بيت علم وأدب وترعرعه بين أبيه وجده العالمين الأديبين وولادته في قرطبة التي كانت آنذاك حاضرة العلم ومنارة الأدب ، يؤمها ويقصدها طلاب العلم من كل حذب وصوب ، مليئة بالعلماء مكتظة بالأدباء ، أمثال ابن زكوان^(٢) وأبوبكر مسلم بن أحمد بن أفلح^(٣) الذي كان رجلاً طيب الأخلاق عالماً متمسكاً بدينه متقدماً في علم العربية راوية للشعر والأدب . وقد لزمه ابن زيدون وأخذ عنه فنوناً من العلم .

(١) الأعلام ، للزركلي : ج ١ ، ص ١٥٨ . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ٧ ، ص ٥٩ .

(٢) أحمد بن عبد الله بن زكوان ، أبو العباس : قاضي القضاة بالأندلس ، ولاه ابن أبي عامر القضاء وكان من خاصته ومحلّه منه فوق محل الوزراء ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ١ ، ص ١٥٦ .

(٣) مسلم بن أحمد ابن أفلح القرطبي . أبوبكر : النحوي ، الأديب ، العالم باللغة ، انظر : الذخيرة لابن بسام : القسم الأول : ج ١ ، ص ٣٥٥ .

وبرع ابن زيدون بعد ذلك في الفقه والتفسير والحديث واللغة والأدب والتاريخ ، وكان كثير المطالعة للكتب ، ومن ألمع شباب قرطبة يومها قال ابن بسام : "إنه فتى الآداب ، وعمدة الظرف ، والشاعر البديع الوصف ، غلب على قلوب الملوك بفضل ما أوتيته من اللسان والعارضة"^(١). وقال أيضاً: "كان أبو الوليد صاحب منشور ومنظوم ، وخاتمة شعراء مخزوم ، أحد من جر الأيام جراً ، وفات الأنام طراً ، وصرف السلطان نفعاً وضراً ، ووسع البيان نظماً ونثراً ، إلى أدب ليس للبحر تدفقه ولا للبدر تألقه ، وشعر ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزهر إقترانه ، وحظ من النثر غريب المباني ، شعري الألفاظ والمعاني"^(٢).

وهذه الشهادة القيمة من صاحب "الذخيرة" تؤكد أننا نقف أمام عالم وأديب مثقف ، ما ذكرت قرطبة إلا ذكر ، وما جاءت سيرة الأدب في الأندلس إلا وذاع ذكر اسمه على الألسنة ، لا يمكن لكاتب أو راوي أن يتجاوزه أبداً اختلف معه أم اتفق. ومما يدل على عبقريته ونبوغه وموهبته كتابته للشعر وهو لم يتجاوز العشرين بعد . وظهر ذلك في مرثيته لشيخه ابن ذاكوان^(٣). وأصبح بعد ذلك شاعراً مجيداً ، وناثراً مقتدراً حسن التصرف في النثر الجميل المسجوع ، ونجد في نظمه ونثره كثيراً من الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن الأمثال والأشعار.

(١) كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن على بن بسام الشنتريني ، تحقيق الدكتور

إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١٩٧٩م ، بيروت : القسم الأول ، ج ١ ، ص ٣١٣ .

(٢) المصدر السابق : القسم الأول ، ج ١ ، ص ٣١٣ .

(٣) تاريخ الأدب العربي ، لعمر فروخ : ج ٤ ، ص ٥٩٠ .

حياته السياسية والاجتماعية:

تأثر ابن زيدون كثيراً بجده الذي كان يتولى أحكام الشرطة والسوق بقرطبة ، وقد شهد مقتله على يد وزير المعتمد بالله الخليفة الأموي ، الأمر الذي حز في نفسه كثيراً وجعله يشترك مع المناهضين لبني أمية^(١) والعاملين على إسقاط حكمهم ، ومن هنا بدأت حياته السياسية.

وبعد اضطراب الأحداث في قرطبة خاف أهل قرطبة من الفوضى ووجدوا في أبي الحزم بن جهور ، أفضل حاكم فولوه عليهم فأنشأ فيها إحدى دويلات الطوائف.

فاتصل ابن زيدون بالحاكم الجديد وصار له وزيراً ، مع العلم بأنهما كانا صديقين من قبل وبعد الوزارة . فولج باب السياسة الملى بالخصومات والمكائد. وكان يطمع في منصب رفيع مع صديقه ابن جهور ، ولما لم يتحقق له ، اشترك في مؤامرة ضده فقبض عليه وزج به في السجن . وقد تعلق في تلك الفترة بولادة بنت المستكفي بالله^(٢). واشتهر بحبها وكان كثير التردد إلى مجالسها.

وقد كانت ذكية قوية الشخصية ، متأدبة بالفنون والآداب ، واستطاعت بسحر جمالها ، وخفة روحها ، وحسن معشرها ، وروعة أدبها وذوقها ، أن تستميل الأدباء والشعراء لمنزلها . قال ابن بسام: " كانت الحسية ولادة في نساء أهل زمانها ، واحدة أوانها ، حسن منظر ومخير ،

(١) تاريخ الأدب العربي ، لعمر فروخ : ص ٥٨٩.

(٢) ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصري ، انظر : الذخيرة ، لابن بسام : القسم الأول ، ج ١ ، ص ٤٢٩ . انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تأليف الشيخ أحمد المقري التلمساني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان : ج ٥ ، ص ٣٣٣ .

وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار مصر ، وفناؤها
ملعباً لجياد النظم والنثر ، يعيش أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، ويتهالك أفذاذ
الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها"^(١).

هذا وقد عاش ابن زيدون أجمل أيام وأحلى ليالي حب مع ولادة ،
وتوثقت صلتها ولكن هذا الحب الذي بدأ مبكراً لم يستمر حيث عكر
الوشاة صفو العلاقة بينهما ، وظهر له منافسون في حب ولادة مثل المنافسين
له في دنيا السياسة ، ومنهم أبو عامر بن عبدوس^(٢) الملقب بالفار ، وفيه كتب
رسالته "الهزلية" على لسان ولادة يتهم عليه ويسخر منه ، ويهجو
بعبارات نابية . وكتب قصائد استعطافية يطلب الصفح والعفو من ولادة
ويطلب منها الرجوع إلى أول عهدهما ، ولعل أشهر قصائده هي النونية التي
مطلعها :

أضحى التناهي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم حزنا من الدهر لا يبلي ويبلينا
إن الزمان الذي ما زال يضحكننا نساً بقربهم قد عاد يبكينا^(٣)
ووسط في قضيته هذه أبا الوليد بن أبي الحزم ولم يهتم به وحينما لم
يشفع له هرب من السجن إلى أشبيلية ، ومدح أميرها المعتضد بالله بن
عباد^(٤) . وكتب إلى أستاذه أبي بكر بن مسلم يطلب منه أن يشفع له عند أبي
الحزم ، ويوضح فيها شدة شوقه إلى قرطبة وإلى أمه التي طال غيابها عنها ، وأخيراً

(١) النخيرة ، لابن بسام : القسم الأول ، ج ١ ، ص ٤٢٩ .

(٢) أحمد بن عبدوس أبو عامر الملقب بالفار : ولي الوزارة بقرطبة ، ونافس ابن زيدون في حب
ولادة . شعره ركيك . النخيرة ، لابن بسام : القسم الأول ، ج ١ ، ص ٤٣١ .

(٣) نفح الطيب ، للمقري : ج ٤ ، ص ٢٥٦-٢٥٧ .

(٤) عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي ، المعتضد أبو عمرو ، أمير إشبيلية ، انظر : البداية
والنهاية ، لابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٤٩٩ .

استجاب أبو الحزم وعاد ابن زيدون إلى قرطبة . وبعد وفاة أبي الحزم قرب ابنه أبو الوليد شاعرنا إليه ، وولاه النظر على أهل الذمة ، ثم رقه إلى رتبة سفير ، ولقب بكبقية السفراء بندي الوزارتين ، وأصبح عمله الاتصال بالملوك يفد إليهم وكانوا معجبين به ، وخاصة إدريس بن يحيى بن على بن حمود الملقب بالعالي^(١)، وكان أديباً ملجناً ، وجد ابن زيدون في بلاطه مكاناً للهو والعبث ، الأمر الذي أغضب عليه أبو الوليد وعزله من منصبه ، وأعرض عنه إعراضاً تاماً لم ينفع معه استعطاف الشاعر . بعدها غادر ابن زيدون إلى بلنسية واتصل بالوزير الأديب عبد الله بن محمد بن مروان^(٢) . الذي أحسن استقباله وبالع في إكرامه ، ثم انتقل إلى بطليوس ومنها عاد إلى قرطبة بعد أن عفا عنه أبو الوليد.

وحدثت مؤامرة أخرى على أبي الوليد وعلى الرغم من أن الشاعر وقف مع أبي الوليد إلا أن أبا الوليد لم يسند إليه منصباً عالياً ، فأصابه يأس شديد وغادر قرطبة إلى أشبيلية.

وهكذا ظل ابن زيدون في هذا الجو المشحون بالماكيدات وصفو الحياة وعكرها ، يخرج من قرطبة غاضباً ويعود إليها فرحاً ، إلى أن ختم حياته في أشبيلية _ حين بعثه المعتمد بن عباد الذي فتح قرطبة وجعلها عاصمة لملكه لإخماد الفتنة هناك _ حيث اشتد عليه المرض وتوفي بها عام ٤٦٣هـ.

(١) إدريس بن يحيى بن على بن حمود الحسني ، أبو العلاء : من ملوك الدولة الحمودية بالأندلس تولى الخلافة بعد أخيه الحسن ولقب نفسه "العالي بالله" . أنظر : الأعلام ، للزركلي : ج ١ ، ص ٢١٨ .

(٢) محمد بن مروان بن عبد العزيز ، ابو عبد الله : الكاتب . الوزير . انظر : الذخيرة ، لابن بسام القسم الأول : ج ١ ، ص ٣٧٠ .

آثاره:

كان ابن زيدون كاتباً قديراً ذا أسلوب جزل متين يميل فيه إلى الصناعة ، ويتكي على السجع والموازنة بين الجمل ، ويظهر السجع جلياً في رسالته "الهزلية" .وله من الكتب :

(١) كتاب التبيين في خلفاء بني أمية بالأندلس^(١).

(٢) الرسالة الهزلية: وهي رسالة كتبها على لسان ولادة إلى ابن عبدوس والتي هجاه فيها ، يقول في مطلعها: "أما بعد أيها المصاب بعقله ، المورط بجهله ، البين سقطه الفاحش غلطه ..."^(٢).

يقول دكتور جودت الركابي: "كتب هذه الرسالة على لسان ولادة لمنافسه ابن عبدوس يهزأ به ، وقد جاءت الرسالة طريفة جمعت بين أفانين التهكم ، وضروب المعرفة ، وساق فيها طائفة من الأمثال والأبيات المنثورة من الشعر"^(٣).

(٣) الرسالة الجدية: وهي التي بعث بها إلى أبي الحزم بن جهور ، يستعطفه ويطلب عفوه ، ويتنصل مما نسب إليه . وهي محور دراستنا هذه .

يقول دكتور شوقي ضيف: "كتب ابن زيدون هذه الرسالة يتعطف أبا الحزم جهوراً أمير قرطبة ، حيث ألقى به في غياهب السجن ووراء قضبانه ، لما قيل من نهبه عقاراً لبعض مواليه ، وقيل _وهو الأصح_ ، بل لما دس عليه عند ابن جهور من اشتراكه ضده في مؤامرة فاشلة"^(٤).

(١) نفع الطيب، للمقري : ج٢، ص ١٨٢.

(٢) سرح العيون في شرح رسالة بن زيدون ، لجمال الدين بن نباتة المصري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٦م : ص ٢٥ .

(٣) في الأدب الأندلسي ، للدكتور جودت الركابي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٦ : ص ١٨٩.

(٤) عصر الدول والإمارات "الأندلس" ، للدكتور شوقي ضيف دار المعارف ، ط ٤ : ص ٤٦٨ .

ويقول أيضاً: " ويظل إلى نهاية الرسالة يستعطف أبا الحزم جهوراً كي يرد إليه حريته ، ويضيف إليها قصيدة استعطف بديعة"^(١). ويختمها بقوله لجهور: "فهب ذنباً لحرمة ، وأشفع نعمة بنعمة ، ليتأتى لك الإحسان من جهاته ، وتسلك إلى الفضل طرقاته"^(٢). والجدير بالذكر أن ابن زيدون كتب قصائد كثيرة يستعطف بها أبا الحزم ، وأخيراً كتب له هذه الرسالة الرائعة التي بهرت الأدباء والنقاد قديماً وحديثاً.

(٤) ديوان ابن زيدون: لقي الديوان اهتماماً كبيراً لأن صاحبه من ألمع وأنبع شعراء الأندلس الذين حافظوا على عمود الشعر العربي ، ويكتسى شعره بديباجة زاهية ، ملأت شعره جمالاً وحلاوة وموسيقى ، تظهر فيها الصناعة والبراعة .

نص رسالة ابن زيدون "الجديّة" :

يقول الصفدي: "وها أنا أورد الرسالة منقولة من خط الإمام على بن ظافر، رحمه الله تعالى: وأثبتها جملة، ثم أعود بعد ذلك وأوردها شيئاً فشيئاً، من أولها إلى آخرها، وكلما أوردت منها شيئاً أوضحت مبهمه، وفصلت مجمله، وأوردت ماله به علاقة، مستعيناً في بلوغ المقصود بالله تعالى. كتب أبو الوليد أحمد بن زيدون إلى ابن جهور:

"يا مولاي وسيدي الذي ودادي له ، واعتمادي عليه ، واعتدادي به . ومن أبقاه الله تعالى ماضي حد العزم ، وارى زند الأمل ، ثابت عهدالنعمة. إن سلبتني أعزك الله لباس إنعامك ، وعطلتني من حلي إيناسك ، وأظمأتني إلى برود إسعافك ، ونفضت بي كف حياطتك ، وغضضت عني طرف حمايتك ؛ بعد أن نظر الأعمي إلى تأميلي لك ، وسمع الأصم ثنائي عليك ،

(١) عصر الدول والإمارات "الأندلس" ، لشوقي ضيف : ص٤٦٨.

(٢) تمام المتون : ص٣٩٨ .

وأحس الجُماد باستحمادي إليك ؛ فلا غرو ، قد يغص بالماء شاربهُ ، ويقتل
الدواء المستشفي به ، ويؤتَى الحذر من مأمَنه ، وتكون منية المتمني في أمنيته ،
والحين قد يسبق حرص الحريص .

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الأعداء
وإنني لأتجلد ؛ وأرى الشامتين أني لريب الدهر لا أتضتع ، فأقول :
هل أنا إلا يد أدامها سوارها ، وجبين عض به إكليله ، ومشرفي ألصقه
بالأرض صاقله ، وسمهري عرضه على النار مثقفه ، وعبد ذهب به سيده
مذهب الذي يقول :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم
هذا العتب محمود عواقبه ، وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي ، وهذه
النكبة سحابة صيف عن قليل تقشع ، ولن يريني من سيدي أن أبطأ سبيه ،
أو تأخر غير ضنين غناؤه ، فأبطأ الدلاء فيضاً أملؤها ، وأثقل السحاب مشياً
أحفلهما ، وأنفع الحيا ما صادف جذباً ، وألذ الشراب ما أصاب غليلاً ، ومع
اليوم غد ، ولكل أجل كتاب ؛ له الحمد على اهتباله ، ولا عتب عليه في
إغفاله .

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللاتي سررن ألوف
وأعود فأقول : ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك ، والجهل الذي لم
يأت من ورائه حلمك ، والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك ، والتحامل
الذي لم يف به احتمالك ؛ ولا أخلو من أن أكون بريئاً فأين العدل ؟ أو
مسيئاً فأين الفضل ؟

إلا يكن ذنب فعدلك واسع أو كان لي ذنب ففضلك أوسع
حنانيك ! قد بلغ السيل الزبي ، ونالني ما حسبي به وكفي . وما
أراني إلا لو أني أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت ، وقال لي نوح :

﴿أَرْكَبَ مَعَنَا﴾، فقلت : ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾، وأمرت
ببناء صرح لعليّ أطلع إلى إله موسى ، وعكفت على العجل ، واعتديت في
السبت ، وتعاطيت فعقرت ، وشربت من النهر الذي ابتلى به جيوش
طالوت ، وقدت الفيل لأبرهة ، وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة ،
وتأولت في بيعة العقبة ، ونفرت إلى العير ببدر ، وانخزلت بثلاث الناس يوم
أحد ، وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة ، وجئت بالإنفك على عائشة
الصديقة ، وأنفت من إمارة أسامة ، وزعمت أنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة ،
ورويّت رمحي من كتيبة خالد ، ومزقت الأديم الذي باركت يد الله عليه ،
وضحيت بالأشعث الذي عنوان السجود به ، وبذلت لقطام :

ثلاثة آلاف وعبدًا وقَيْنَةً وضرب على بالحسام المسمم
وكتبت إلى عمر بن سعد : أن جمعج بالحسين ، وتمثلت عندما بلغني
من وقعة الحرة :

ليت أشياخي ببدر علموا جزع الخزرج من وقع الأسل
ورجمت الكعبة ، وصلبت العائد على الثنية ، لكان فيما جرى عليّ
ما يحتمل أن يسمى نكالا، ويدعى ولو على المجاز عقاباً .
وحسبك من حادث بامرئ ترى حاسديه له راحميناً

فكيف ولا ذنب إلا غيمة أهداها كاشح ، ونبأ جاء به فاسق ، وهم
الهمازون المشاءون بنميم ، والواشون الذين لا يلبثون أن يصدعوا العصا ،
والغواة الذين لا يتركون أديماً صحيحاً ، والسعة الذين ذكرهم الأحنف
ابن قيس ، فقال : ما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم !

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
والله ما غششتك بعد النصيحة ، ولا أنحرفت عنك بعد الصاغية ،
ولا نصبت لك بعد التشيع فيك ، ولا أزمعت يأساً منك مع ضمان تكلفتُ

به الثقة عنك ، وعهد أخذه حسن الظن عليك ؛ فقيم عبث الجفاء بأذمتي ،
وعاث العقوق في مواتي ، وتمكن الضياع من رسائلي ! ولم ضاقت مذاهبي
، وأكدت مطالبي ؟ وعلام رضيت من المركب بالتعليق ، بل من الغنيمة
بالإياب ! وأني غلبني المغلب ، وفخر على العاجز الضعيف ، ولطمتني غير
ذات سوار ! ومالك لم تمنع مني قبل أن افترس ، وتدركني ولما أمزق ! أم كيف
لا تتضررم جوانح الأكفء حسداً لي على الخصوص بك ، وتتقطع أنفاس
النظراء منافسة في الكرامة عليك ، وقد زاني اسم خدَمك ، وزهاني وسم
نعمتك ، وأبليت البلاء الجميل في سماطك ، وقمت المقام المحمود على
بساطك .

ألست الموالى فيك غر قصائدٍ هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما
ثناء يُظنُّ الروض منه منوراً ضحي ، ويخال الوشي فيه منمنما
وهل لبس الصباح إلا برداً طرزته بفضائلك ، وتقلدت الجوزاء إلا
عقداً فصلته بماثرك ، واستملي الربيع إلا ثناء ملأته من محاسنك ، وبث
المسك إلا حديثاً أذعته في محامدك ! ما يوم حليلة بسر .
وإن كنت لم أكسك سلبياً ، ولا حَلَيْتِكَ عَطْلاً ، ولا وسمتك غُفْلاً ؛ بل
وجدت أجراً وحصاً فبنيت ، ومكان القول ذا سعة فقلت :

حاشا لك أن أعدّ من العاملة الناصبة ، وأكون كالدُّبالة المنصوبة
تضيء للناس وهي تحترق ! فلك المثل الأعلى ، وهو بك _وبي فيك_ أولى .
ولعمرك ما جهلت أن صريح الراي أن أتحوّل إذ بلغتني الشمس ،
ونبا بي المنزل ، وأصفح عن المطاعم التي تُقَطَّعُ أعناق الرجال ، فلا استوطئ
العجز ، ولا أطمئن إلى الغرور ؛ ومن الأمثال المضروبة : خامري أم عامر ؛
وإني مع المعرفة أنّ الجلا سبلاء ، والثُّقْلة مُثْلة .

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى مصارع مظلوم : مجراً ومسحِباً

وتدفن منه الصالحات وإن يسيء يكن ما أساء النار في رأس كبكبا
العارف بأنّ الأدب الوطن لا يُخشى فراقه ، والخليط لا يتوقع زياله ،
والنسب لا يجفي ؛ والجمال لا يخفي . ثم ما قران السعد للكواكب أبهي
أثراً ، ولا أسنى خطراً ، من اقتران غني النفس به ، وانتظامها نسقاً معه ؛
فإنّ الحائز لهما ، الضارب بسهم فيهما _ وقليل ما هم _ أينما توجه ورد
منهل بر ، وحط في جناب قبول ، وضوحك قبل إنزال رحله ، وأعطى حكم
الصبي على أهله .

وقيل له : أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيت صالح ومقيل
غير أن الوطن محبوب ، والمنشأ مألوف ، والليب يحن إلى وطنه ،
حنين النجيب إلى عطنه ، والكريم لا يحفوا أرضاً فيها قوابله ، ولا ينسى
بلداً فيها مراضعه ، قال الأول :

أحب بلاد الله ما بين منعجٍ إليّ وسلمى أن يصوب سحابها
بلاد بها عق الشباب تئامي وأول أرض مس جلدي ترابها
هذا إلى مغالاتي لعقد جوارك ، ومنافستي بلحظة من قربك ،
واعتقادي أن الطمع في غيرك طبع ، والغني من سواك عنه وكل الصيد في
جوف الفراء ، والبذل منك أعور ، والعوض لفاء .

وإذا نظرت إلى أميري زادني ضنا به نظري إلى الأمراء
وفي كل شجرة نار ، واستمجد المرخ والعفار ، فما هذه البراءة ممن
يتولاك ، والميل عمن لا يميل عنك ! وهلا كان هواك فيمن هواه فيك ،
ورضاك لمن رضاه لك !

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم
أعيزك ونفسي من أن أشيم خلباً ، واستمطر جهاماً ، وأكدم في غير
مكدم ، وأشكو شكوى الجريح إلى العقبان والرخم ؛ فما ابسست لك إلا

لتدر ، وحركت لك الحوار إلا لتحن ، ونبهتك إلا لأنام ، وسريت إليك إلا
لأحمد السرى لديك . وإِنَّك إن شئت عَقَدَ أمرٍ تيسر ، ومتى أعذرت في فك
أسري لم يتعذر ، وعلمك محيط بأنَّ المعروف ثمرة النعمة ، والشفاعة زكاة
المروة ، وفضل الجاه تعود به صدقة .

وإذا أمرؤ أهدى إليك صنيحة من جاهه فكأنَّها من ماله
لعلِّي أن ألقى العصا بذراك ، ويستقر بي النوى في ظلك ، وأستأنف
التأدب بأدبك والاحتمال على مذهبك ، فلا أوجد للحاسد مجال لحظة ، ولا
أدع للقادح مساع لفظة ، والله ميسرك من إطلالي بهذه الطلبة ، وإشكائي
من هذه الشكوى ، بصنيعة تصيب منها مكان المصنع ، وتستودعها
أحفظ مستودع ، حسبما أنت خليق له ، وأنا منك حرى به ؛ وذلك بيده ،
وهين عليه .

ولما توالى غُرر هذا النثر واتسقت درره ، فhez عطف غُلوائه ، وجر
ذيل خِيلائه ، عارضه بالنظم مباهاياً ؛ بل كايده مداهاً ، حين أشفق أن
يستعطفك استعطافه ، وتميل بنفسك أطفافه ، فأستحسن العائِدة منه ، واعتد
بالفائدة له ، فما زال يستكد الذهن العليل ، والخطر الكليل ، حتى زف
إليك عروساً مجلوة في أثوابها ، منصوصة بحليها وملابسها ، وهي :

الهوى في طلوع تلك النجوم والمنى في هبوب ذاك النسيم
سَرَّنا عيشنا الرقيق الحواشي لو يدوم السرور للمستديم
وטר ما انقضى إلى أن تقضى زمن ما ذمامه بالذميم
إذا ختام الرضا المسوغ مسك ومزاج الوصال من تسنيم
وعريض الدلال غرض جني الصبوة نشوان من سلاف النعيم
طلما نافر الهوى منه عز لم يطل عهد جیده بالتميم
زار مستخفياً ، وهيهات أن يخ ففي سنا البدر في الظلام البهيم

فَوَشَى الحَلِي إِذْ مَشَى وَهَذَا الطَّيِّبُ إِلَى حَسَنِ كَاشِحٍ بِالنَّمِيمِ
أَيُّهَا الْمُؤَذِّنِي بِظُلْمِ اللَّيَالِي لَيْسَ دَهْرِي بِوَاحِدٍ مِنْ ظُلُومِ
مَا تَرَى الْبَدْرَ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالشَّمْسَ سَ هُمَا يَكْشِفَانِ دُونَ النُّجُومِ !
وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْحَوِ بِالْمَصَابِ الْعَظِيمِ نَحْوِ الْعَظِيمِ
بِوَأَلَّهِ جَهْوراً أَشْرَفَ السُّوءِ دَدٍ فِي السَّرِّ وَاللُّبَابِ الصَّمِيمِ
وَاحِدٍ سَلَّمَ الْجَمِيعَ لَهُ الْأَمْرَ فَكَانَ الْخُصُوصُ وَفَقَ الْعُمُومُ
قَلْدَ الْغَمْرِ ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ وَاکْتَفَى جَاهِلٌ بِعِلْمٍ عَلِيمِ
خَطَرَ يَقْتَضِي الْكَمَالَ بِنُوعِي خَلَقَ بَارِعٌ وَخَلَقَ وَسِيمِ
أَسْوَةَ الرُّوضِ تَطْبِيكَ يَحْظِي نَظَرَ مَا اعْتَمَدَتْهُ وَشَمِيمِ
أَبْهَذَا الْوَزِيرِ هَا أَنَا أَشْكُو وَالْعَصَا بَدَأَ قَرْعَهَا لِلْحَلِيمِ
مَا غَنَاءُ أَنْ يَأْلَفَ السَّابِقَ الْمَرْبُوطَ فِي الْعَتَقِ مِنْهُ وَالتَّطْهِيمِ
وَتَوَاءَ الْحَسَامِ فِي الْجَفْنِ يَثْنَى مِنْهُ بَعْدَ الْمَضَاءِ وَالتَّصْمِيمِ
أَفْصَرَ مَثْنٍ جَمْساً مِنَ الْأَيَّامِ نَاهِيكَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمِ
وَمَعْنَى مِنَ الصَّبَا بَهَنَاتٍ نَكَاتٍ بِالْكُلُومِ قَرَحَ الْكُلُومِ
سَقَمَ لَا أَعَادَ مِنْهُ فِي الْعَا ثَدَّ أَنْسَ يَفِي بَرِّ السَّقِيمِ
نَارَ بَغْيٍ سَعَى إِلَى جَنَّةِ الْأَمْنِ لَظَاهَا ، فَأَصْبَحْتَ كَالصَّرِيمِ
بِأَبِي أَنْتَ إِنْ تَشَاءُ تَكُ بَرْداً وَسَلَاماً كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ
لِلشَّفِيعِ الثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ فِي صَوْبِ الْحَيَا لِلرِّيَاحِ لَا لِلْغُيُومِ
وَزَعِيمِ بِأَنْ يَذُلَّ لِي الصَّعْدُ بِفِيَأْتِي إِلَى الْهَمَامِ الزَّعِيمِ
وَتَنَاءُ أَرْسَلْتَهُ سَلْوَةَ الظَّاعِنِ عَنْ شَوْقِهِ وَلَهُوَ الْمُقِيمِ
وَوَدَادٍ يَغِيرُ الدَّهْرَ مَا شَاءَ وَيَبْقِي بَقْلَهُ عَهْدَ الْكَرِيمِ
فَهُوَ رِيحَانَةُ الْجَلِيسِ وَلَا فُخْرَ رِ وَمِنْهُ مَزَاجُ كَأْسِ النَّدِيمِ
لَمْ تَزَلْ مَغِيّاً عَلَى هَفْوَةِ الْجَانِي مَصِيحاً إِلَى اعْتِذَارِ الْمَلِيمِ

ومتى نبدأ الصنعة يولى — لك تمام الخصال بالتميم
هاكها أعزك الله يبسطها الأمل ، ويقبضها الخجل ، لها ذنب التقصير ،
وحرمة الإخلاص ، فهب ذنباً لحرمة ، وأشفع نعمة بنعمة ؛ ليتأتى لك
الإحسان من جهاته ، وتسلك إلى الفضل طرقاته ؛ إن شاء الله تعالى .
هذه الرسالة الزيدونية بجملتها نثراً ونظماً، منقولة من خط ابن ظافر
رحمه الله تعالى.

الباب الأول

علم المعاني

الفصل الأول : الخبر

المبحث الأول: الخبر وأضرابه والفرض
من إلقائه .

المبحث الثاني: الإنشاء الطلبي .

الفصل الثاني: التقديم والتأخير والقصر .

المبحث الأول: النقيض والتأخير .

المبحث الثاني: القصر .

علم المعاني

تعريفه :

هو العلم الذي يعرف به وجوب مطابقة الكلام لحال المخاطب والموطن الذي يقال فيه .

فهو علم يوضح لنا أنَّ الكلام لا يكون بليغاً كيفما كانت صورته حتى يلائم المقام الذي قيل فيه ويناسب حال المخاطب الذي ألقى له .
أي : إنَّ لكل مقام مقالاً. قال الراعي^(١) : "علم المعاني قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال ، حتى يكون وفق الغرض الذي سيق له فيه نحتز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، فنعرف السبب الذي يدعو إلى التقديم والتأخير والحذف والذكر" ^(٢).

ومجمل كلام البلاغيين أنَّه علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال ، واللفظ العربي يشمل اللفظ المفرد واللفظ المركب ، أي : الجملة وأجزائها ويبحث في بناء الجملة العربية صياغتها ، اختيار أجزائها ، علاقة الجمل المتتابعة بعضها ببعض ، اختيار نوع الكلام الملائم لمقتضى حال المخاطب ، ولاهتمامه باللفظ الذي يطابق مقتضى حال السامع يعد أساساً لعلوم البلاغة .

وفائده: الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في كتاب الله ، والحديث النبوي الشريف ، وفي منشور كلام العرب ومنظومه .

(١) أحمد مصطفى الراعي : أديب ، كاتب ، مفسر . انظر : الاعلام ، للزركلي : ج ١ ص ٢٥٨ .

(٢) علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ، لأحمد مصطفى الراعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،

لبنان ، ط ٤ ، ٢٠٠٧ _ ١٤٢٨ هـ : ص ٤١ .

وفي دراستنا هذه سنتعرض لدراسة الخبر والانشاء والتقديم والتأخير
والقصر فقط ولأنّ هذا العصر يكثر فيه علم البديع ويليه البيان ثم
المعاني . وفي كتاب تمام المتون نجد هذا العلم أقل نصيباً من علمي البيان
والبديع .

الفصل الأول : الخبر

**المبحث الأول: الخبر وأضرابه والفرض
من إلقائه .**

المبحث الثاني: الإنشاء الطلبي .

المبحث الأول

الخبر وأضرابه والفرض من إلقائه

تعريف الخبر :

الخبر لغة : بالتحريك واحد الأخبار ، والخبر ما أتاك من نبأ عمن تستخبر^(١). واصطلاحاً : هو ما يصح أن يقال لقائله أنه صادق فيه أو كاذب .
فإن كان الكلام مطابقاً للواقع كان قائله صادقاً ، وإن كان غير مطابق للواقع كان كاذباً ، أي : أن جملة الخبر يكون القصد منها إفادة أن محتواها سواء أكان إثباتاً أو نفيّاً له واقع خارج العبارة يطابق هذا المحتوى فنصف الكلام بالصدق ، أو لا يطابقه فنصفه بالكذب . فمثلاً إذا نظرنا إلى قول أبي الطيب المتنبي^(٢):

الخيل والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والقرطاس والقلم^(٣)

فهذا خبر يحتمل الصدق والكذب فإن كان ما قاله الشاعر مطابقاً للواقع فهو صادق ، وإن كان غير مطابق للواقع فهو كاذب .
يقول السيد أحمد الهاشمي^(٤) : " وهو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته "^(١). أي : بقطع النظر عن خصوص المخبر ، أو خصوص الخبر ، وإنما ينظر في احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله .

(١) لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرقي ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ : ج ٤ ، ص ٢٢٦ .

(٢) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي أبو الطيب المتنبي : الشاعر الحكيم أحد مفاخر الأدب العربي . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ١ ، ص ١١٥ .

(٣) ديوان المتنبي ، تحقيق الدكتور إسماعيل العقباني ، دار الحرم للتراث سوق الكتاب الجديد بالعتبة ، القاهرة : ص ٢٦٧ .

(٤) السيد أحمد بن إبراهيم الهاشمي ، أديب مصري . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ١ ، ص ٩٠ .

أضرب الخبر:

وللمخاطب عند إلقاء الخبر إليه ثلاثة أحوال هي:

الأول: أن يكون خالي الذهن من مضمون الخبر ، فيلقي إليه الخبر خالياً من أدوات التوكيد ، ويسمي الخبر الابتدائي . مثل قول الخنساء^(٢):
حامي الحقيقة محمود الخليفة مهدي الطريقة نفاع وضرار^(٣)
فالخبر لم يؤكد لعدم الحاجة لتأكيد . يقول المراغي: "خالي الذهن من الحكم ، ومن التردد فيه فيلقي إليه الكلام ساذجاً غفلاً من أدوات التوكيد ، ويسمي هذا الضرب ابتدائياً"^(٤).

الثاني: أن يكون المخاطب متردداً ، وله إمام قليل يمتزج بالشك ، ويريد معرفة الحقيقة ، فيؤكد له بمؤكد واحد حتى يصل للحقيقة ، ويسمي بالخبر الطلبي . نحو قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ [الأعلى: ١٤] . قال الهاشمي: "وإما أن يكون متردداً في الحكم طالباً لمعرفته ، فيستحسن تأكيد الكلام الملقى إليه تقوية للحكم ، ليتمكن من نفسه ويطرح الخلاف وراء ظهره"^(٥).

الثالث: أن يكون المخاطب منكراً للحكم الذي يتضمنه الخبر ، لذا يجب أن يؤكد له الخبر بقدر إنكاره ، وبقدر ما يكون الإنكار يكون التوكيد .
نحو قول حسان بن ثابت^(٦):

وإنني لحلو تعتريني مرارة وإنني لتراك لِمَا لم أعود^(١)

(١) جواهر البلاغة ، السيد أحمد الهاشمي ، تحقيق حسن نجار محمد ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م : ص ٢٢٦ .

(٢) تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية ، الخنساء : الصحابية الشاعرة ، واشتهرت برثائها لأخيها صخر ، انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ٧ ، ص ٢٥٩ .

(٣) تمام المتون : ص ٣٢ .

(٤) علوم البلاغة ، للمراغي : ص ٤٩ .

(٥) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص ٤٥ .

(٦) حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري: شاعر النبي ﷺ . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٢ ، ص ١٧٥ .

قال القزويني^(٢): "وإن كان منكراً وجب توكيده بحسب الإنكار كما قال تعالى في حكاية عن رسل سيدنا عيسى عليه السلام إذا كذبوا في المرة الأولى: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤]، وفي الثانية: ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦]، ويسمى الضرب الأول ابتداءً والثاني طلبياً والثالث إنكارياً^(٣). ومن أدوات التوكيد المشهورة: (إنّ وأنّ ولام الابتداء، وأحرف التنبيه والقسم ونونا التوكيد والحروف الزائدة وقد وأما الشرطية... الخ). وإلقاء الخبر للمخاطب على المنهج السابق والسير على تلك الطريقة في الأضرب الثلاثة يسمى إخراج الكلام على مقتضى الظاهر. هذا وقد يخرج الكلام أحياناً على خلاف مقتضى الظاهر يقول المراغي: "وقد يلاحظ المتكلم اعتبارات أخرى خفية فيخرج كلامه على اعتبارها، ويسمى ذلك إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر"^(٤). أغراض الخبر:

يلقي الخبر لغرضين أساسيين هما:

- (١) إفادة المخاطب بالحكم الذي تتضمنه جملة الخبر، وهذا الحكم يسمى بفائدة الخبر. مثل قول أبي الطيب:
- وما كل هاو للجميل بفاعلولا كل فعّال له بتمم^(٥)

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان: ص ١٨٦.

(٢) محمد بن عبد الرحمن القزويني الشافعي جلال الدين: خطيب دمشق، له تصانيف أشهرها "الإيضاح في علوم البلاغة" وغيره. انظر: البداية والنهاية، لابن كثير: ج ٢، ص ٣٠٤٣.

(٣) التلخيص في علوم البلاغة: للخطيب القزويني، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط سنة ١٩٠٤م: ص ٤٦.

(٤) علوم البلاغة، للمراغي: ص ٥٠.

(٥) ديوان المتنبي، للعقباوي: ص ٣٦١.

(٢) إفادة المخاطب أنّ المتكلم عالم بالحكم ، وهذا يسمى بلازم الفائدة ، نحو: (إنّك لتكظم الغيظ ، وتحلم عند الغضب) . إضافة لهذين الغرضين نجد أنّ الخبر قد يخرج لأغراض أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال ، مثل الفخر والاسترحام وإظهار الحسرة وإظهار الضعف والخشوع والتوبيخ والتنشيط وتحريك الهمة لنيل ما يلزم تحصيله ، وغيرها من الأغراض . وهذا على سبيل المثال لا الحصر . يقول القزويني: "لا شك أن قصد المخبر خبره إفادة المخاطب إما الحكم ، أو كونه عالماً به ، ويسمى الأول فائدة الخبر ، والثاني لازمها"^(١).

أضرب الخبر وأغراضه في كتاب "تمام المتون" :
(١) قال ابن زيدون: "وسيدي الذي ودادي له واعتمادي عليه واعتدادي به"^(٢).

يقول الصفدي: "تقول العرب ساد قومهم يسودهم سيادة وسؤدداً فهو سيدهم ، إى : فضل عليهم وارتفع عن طبقتهم لما امتاز بمناقبه . وما أحسن قول أبي نواس في الفضل بن عبد الصمد الرقاشي:

وجدنا الفضل أكرم من رقاش لأن الفضل مولاه الرسول^(٣)
وفي قول ابن زيدون خبر ابتدائي ، أراد به إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته جملة الخبر ، وفي شرح الصفدي توضيح للمعنى ، ولكن الصفدي يرى أنّ الغرض من الخبر في قول أبي نواس^(٤) هو الهجاء ، يقول: "أراد أبو نواس نفيه عن ولائه لأنّه جعله أكرم ممن ينتمي إليه وذهب إلى قوله ﷺ:

(١) التلخيص ، للقزويني : ص ٤٠-٤١.

(٢) تمام المتون : ص ٣٠.

(٣) تمام المتون : ص ٣١. انظر : ديوان أبي نواس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ص ٥٢٧ .

(٤) الحسن بن هاني بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء ، أبو نواس : شاعر العراق في عصره . انظر : الإعلام ، للزركلي : ج ٢ ، ص ٢٢٥.

(أنا مولى من لا مولى له)، وهذا من باب الهجو الخبيث الخفي^(١). وأرى
أنّ الغرض هو المدح لأنّ الشاعر نسبته إلى أكرم الخلق سيدنا محمد ﷺ ولن
يجد الفضل^(٢) مولى أفضل منه.

ويشرح كلمتي "المولى والسيد" . فيقول: "وقال دعبل^(٣):

فإذا جالسته صدرته وتنحيت له في الحاشية

وإذا سايرته قدمته وتأخرت مع المستأنية

وإذا عاشرتة صادفته شرس الري ألباً داهية

فأحمد الله على صحبتها وسل الرحمن منه العافية"^(٤)

أي: أنك إذا جلست معه تركت له صدر المجلس ، وتنحيت أنت في
حاشيته ، وإذا سرت معه جعلته أمامك ومشيت خلفه ، وإذا كانت بينك
وبينه عشرة وجدته ذا رأي سديد. في الأبيات الثلاثة الأولى أخبار ابتدائية ،
خلوها من أدوات التوكيد ، والغرض هو المدح لأنّه وصفه بالهبة والوقار
واحترام الناس له ، وأنّه حسن المخالقة ذو رأي سديد. وعكس أبيات دعبل
قول الفرزدق^(٥):

يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعيناً له حولاء بادٍ عيوبها^(٦)

(١) تمام المتون : ص ٣١.

(٢) الفضل بن عبد الصمد الرقاشي البصري ، من فحول الشعراء مدح الخلفاء الكبار ، بينه وبين
أبي نواس مهاجة ومباشطة ، من ربعة . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٥ ، ص ١٣٧ .

(٣) دعبل بن علي بن زين الخزاعي : شاعر هجاء ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٢ ، ص ٣٣٩ .

(٤) تمام المتون : ص ٣٣ ، انظر : ديوان دعبل بن علي الخزاعي تحقيق عبد الصاحب عمران ، دار الكتاب
الليبياني ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٩ م : ص ٣١ .

(٥) همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس الفرزدق : من أهل البصرة عظيم الأثر في اللغة . انظر :
الأعلام ، للزركلي : ج ٨ ، ص ٩٣ .

(٦) تمام المتون : ص ٣٣ . انظر : تاريخ دمشق ، للحافظ هبة الله بن عساكر ، تحقيق علي شيري ، دار
الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م : ج ٤١ ، ص ٤٠٣ .

وصفه بأنّ رأسه ليس برأس السيد ، وهذا يؤكد أنّ رأسه صغير ، لأنّ من صفات السيد أن يكون ضخّم الرأس ، ويملاً العين جلالاً ، ولكنّه قال إنّ عينه حولاء وعيوبها ظاهرة: فالغرض هنا الهجاء والذم.

يقول الصفدي: "وتقول العرب: إنّ من نعت السيد أن يكون لحيماً ضخّم الهامة ، جهير الصوت ، إذا أخطأ أبعد ، وإذا يؤمل ملأ العين مهابة ، لأنّ حقه أن يكون في صدر المجلس أو ذروة منبر متفرداً في موكب"^(١).

أوضح الصفدي لنا ما نجهله من صفات السيد ويوضح لنا الحكم الذي تضمنته جملة الخبر وهو فائدة الخبر. وآخر الشواهد قول عامر بن الطفيل^(٢):

فما سودتني عامر عن كلاله أبى الله أن أسمع بأمر ولا أب ولكنني أحمي حماها وأتقي أذاها وأرمي من رماها بمقنب^(٣) يقول : إنّّه لم يصبح سيّداً على قبيلته بالوراثة عن أبيه وأمه ، وإنّما سادها لأنّه حاميها ، والذي يدفع الأذى ، ويرمي من يرميها من الأعداء بجماعة من الفرسان ، والغرض الذي يرمي إليه الشاعر هو الفخر والمباهاة بشجاعته ، ودفاعه عن قبيلته.

(٢) قال ابن زيدون : "وأظمتني إلى برود إسعافك ، ونفضت بي كف حياطتك ، وغضضت عني طرف حمايتك"^(٤).

(١) تمام المتون : ص ٣٣.

(٢) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري من بني عامر بن صعصعة . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٣ ، ص ٢٥٢.

(٣) تمام المتون : ص ٣٤ . انظر: ديوان عامر بن الطفيل رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩ : ص ١٣.

(٤) تمام المتون : ص ٤٠ _ ٤١.

يقول الصفدي: "وقد أخذ ابن زيدون يعدد على ابن جهور ما عامله به من الجفوة ، وكان يكفيه أن يقول : "إن سلبتني لباس إنعامك بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك" ، ولكنه وفى المقام حقه من تعداد ما وجده منه ، من سلبه لباس إنعامه ، وتعطيله من حلي إيناسه ، وإظمائه إلى برود إسعافه ، ونفض كف الحياطة ، وغض طرف الحماية... ولا شك أن تعداد الظلمات أبلغ وأجلب للرحمة ، وأدلّ على التوجع"^(١).

فالصفدي يرى أن الغرض من الخبر هو الاسترحام ، وهذا صحيح ، لأن ابن زيدون في السجن ، وهو في شوق لنيل حريته وإرجاعه لمرتبه ومكانته التي كان يجدها عند ابن جهور . ويستشهد بقول الشاعر:

قال لي : كيف أنت ؟ قلت عليلسهر دائم وحزن طويل
ولكن هذا الخبر الغرض منه ليس الاسترحام ، وإنما هو إظهار الضعف ، لأن الشاعر يذكر مرضه وقلة حيلته.

وقال أبو فراس الحمداني^(٢):

قد كنت عدتي التي أسطو بها ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما أملتة والمرء يشرق بالزلال البارد^(٣)
والمعنى أنت الذي كنت اعتمد عليك ، وأنت خير معين ومساعد لي
عند حلول المصائب والحن ، وأنت سهمي الذي أرمي به الأعداء والآن
صرت عدوى وصرت غير الأمل الذي كنت أومله فيك ، فسهمك الذي
أرمي به صار يرميني ، ولا عجب في ذلك فالمرء قد يشرق بالماء الزلال.

(١) تمام المتون : ص ٤١ .

(٢) الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي أبو فراس الحمداني: ابن عم سيف الدولة .
انظر: الأعلام ، للزركلي : ج ٢ ، ص ١٥٥ .

(٣) تمام المتون : ص ٤٦ . انظر: ديوان أبي فراس رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٦٥ هـ - ١٩٦٦ م : ص ٧٨ .

والخبر طلبي ، لأنه استخدم أداة واحدة من أدوات التوكيد "قد" ،
والغرض من الخبر إظهار الشكوى والعتاب . ومثل هذا قول ابن حيوس^(١):

مضى الكرماء صانوا ماء وجهي بما بذلوه عن ذل السؤال
وها أنا بعدهم في الناس أبغي كريماً يشتري شكري بمل
أرى الأكدار يشرق شاربوها فوا شرقي من الماء الزلال^(٢)

يقول: إنّ أهل الفضل الذي يكرموني بعطاياهم ونوالهم وصانوا
كرامتي ببذلهم عن مذلة السؤال ، قد ذهبوا وصرت بعدهم أبيع مدحي
وثنائي بالمال . ويختتم بالحكمة وهو أنّ الشاربين يشرقون بالأكدار ، وأنا أشرق
بالماء الزلال ، وهذا إشارة إلى سوء الحال التي وصل إليها . فالخبر ابتدائي
والغرض التحسر وإظهار الشكوى والعتاب.

(٣) قال ابن زيدون:

"كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الحساد"^(٣)

أي: أنّ المصيبة قد تؤلم الإنسان وتؤذيه ، ولكن بمرور الأيام تضعف
وتتلاشى وتنسى إلا شماتة الأعداء ، فإن جرحها لا يبرأ .

يقول الصفدي: "المصائب: جمع مصيبة وهي ما يصيب الإنسان من
حوادث الدهر ونوازل . والشماتة: التشفي"^(٤).

وهذا خبر طلبي ، الغرض منه إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته
جملة الخبر (فائدة الخبر) . وتعميماً للفائدة نذكر قول الصفدي: "قل لأيوب

(١) محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس، الأمير أبو الفتيان بن مصطفى الدولة : شاعر الشام في
عصره . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٦ ، ص١٤٧ .

(٢) تمام المتون : ص٤٧ . انظر : ديوان ابن حيوس ، تحقيق خليل مردم بك، دار صادر ، بيروت،

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م : ج٢ ، ص٤٦٨ .

(٣) تمام المتون : ص٥٧ .

(٤) المصدر السابق : ص٥٧ .

العليه السلام أي شيء كان في بلائك أشد عليك؟ قال: شماتة الأعداء. وفي المثل: "الشماتة لؤم" أول من قاله أكثم بن صيفي، أي: لا يفرح بنكبة الإنسان إلا من لؤم أصله^(١).

(٤) قال ابن زيدون: "وعكفت على العجل ، واعتديت في السبت ، وتعاطيت فعقرت ، وشربت من النهر الذي ابتلى به جنود طالوت ، وقدت الفيل لأبرهة"^(٢).

وكل حديث ابن زيدون خبر ابتدائي ، الغرض منه إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته جملة الخبر .

يقول الصفدي في قوله "وعكفت على العجل" : "يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمَ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨]. ثم بعد ذلك سرد القصة التي تتحدث عن سيدنا موسى عليه السلام ، وموسى السامري.

وفي قوله: "واعتديت في السبت" يقول: "يشير بذلك إلى ما اعتاده بنو إسرائيل في السبت من انتهاك حرمة ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥]. وهكذا يستمر الصفدي في إرجاع كل جملة من حديث ابن زيدون إلى المصدر الذي أتت منه ، ثم يأتي بالشواهد التي تبينه وتوضحه، فلما وصل إلى قول ابن زيدون: "وقدت الفيل لأبرهة" ذكر الأبيات التي أنشدها عبد المطلب بن هاشم^(٣) وهو متعلق بأستار الكعبة ومبتهلاً إلى الله تعالى :

يا رب إنَّ العبد يمنع رحله فأمنع رحالك

(١) تمام المتون : ص ٥٨.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٣.

(٣) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو الحارث : زعيم قريش في الجاهلية ، وأحد سادات العرب ومقدميهم . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ١٥٤.

لا يغلبن صليهم
ومحالم غدواً محالك
عمدوا حماك بجهلهم
كيداً وما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم وكعبتنا
فأمر ما بدا لك^(١)

في الأبيات السابقة خبر ابتدائي ، والمخاطب المولي عز وجل يعرف الخبر ويعلم به . يقول : إنّ النصاري قد جمعوا جيوشهم وأتوا بأفياهم لهدم البيت ، ولا حيلة لهم ولا قوة لدفعهم ، ولكنه يعلم أنّ الله قادر على صدهم وردهم ، لذا يطلب منه النصر والرحمة ، فالغرض من الخبر الاسترحام .

يقول الصفدي : "وهذه القصة دالة على شرف النبي ﷺ ، ومعجزة له في كون الله عز وجل صدّ الفيل وأصحابه عن بلد سيظهر منه"^(٢) .
ويقول أيضاً : "وفي قصة البيت ، قلت أنا من جملة قصيدة مدحت بها النبي ﷺ :

والبيت صار حمى إذ كان مظهره
وكل من رامه بالسوء مخدول
فصان ساحته من كيد أبرهة
لما أتاه وفي أصحابه الفيل

(١) تمام المتون : ص ١٣٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٣٤ .

بادوا بأحجار سجيل وما رجعوا

لما رمتهم بها الطير الأبابيل^(١)

فهو يذكر هذا البيت الذي حمه الله من كيد الظلمين ، فصار حمى ومأوى لمن يلجأ إليه . ثم ذكر ما حدث لأصحاب الفيل من عذاب وتدمير كامل عن آخرهم ، والغرض فائدة الخبر .

(٥) قال ابن زيدون : "ومزقت الأديم الذي باركت يد الله عليه"^(٢).

قال الصفدي : "يشير بذلك إلى قتل عمر بن الخطاب"^(٣).

ثم يذكر الصفدي رثاء امرأته عاتكة^(٤) له :

وأفجعني فيروز لادرّ دره

بأبيض تال للكتاب منيب

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا

أخى ثقة في النائبات مجيب

متى ما يقل "لا" يكذب القول فعله

سريع إلى الخيرات غير قطوب^(٥)

تؤكد الشاعرة حزنها وأسفها على فراق سيدنا عمر رضي الله عنه . والخبر

ابتدائي والغرض منه تأكيد الأسى والحزن .

(١) تمام المتون : ص ١٣٤ . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١ ، ص ٧٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٨٧ .

(٣) تمام المتون : ص ١٨٧ .

(٤) عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل : شاعرة ، صحابية من المهاجرات . انظر : الأعلام ،

للزركلي : ج ٣ ، ص ٢٤٢ .

(٥) تمام المتون : ص ١٨٩ . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ٢ ، ص ١٤٣٣ .

٦) قال ابن زيدون : "وإني لأتجلد ، وأرى الشامتين أني لريب الدهر لا أتضعع"^(١).

يقول الصفيدي : "التجلد : تكلف الثبات والصبر ، وعدم المبالاة بالأمر الذي ينزل بالرجل ، وهو صعب يشق احتماله"^(٢).

وهذا خبر إنكاري ، الغرض منه إظهار الصبر على نوائب الدهر .
٧) قال ابن زيدون : "وأبليت البلاء الجميل في سمائك ، وقمت المقام المحمود في بساطك"^(٣).

وابن جهور يعلم ذلك ، ولكنّ الشاعر يريد أن يؤكد له أنّه عالم بالخبر ، وهذا ما يسمى بلازم الفائدة .

ويستشهد بقول أبي الحسين الجزار^(٤):

لست أنسى وقد وقفت فأنشدت قصيداً يفوق نظم الجمان
كل بيت يزري على خلف الأحمر بالحسن وهو شيخ ابن هانئ
بديع يحار في نظمه الطائي بل مسلم صريع الغواني
ومديح ما نال جودته قدماً زياد في خدمة النعمان
قمت وسط الإيوان بين ملك تسامي على أنوشروان
يفتخر الشاعر بشعره ويصفه بأنّه عقد نضيد ، يفوق حسنه عقد الجمان . وكل بيت في شعره يزري على خلف الأحمر^(٥). أستاذ أبي نواس في

(١) تمام المتون : ص ٦٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٦٠ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٨٤ .

(٤) عبد الله بن محمد بن الجزار أبو الحسين : عالم العربية من تلاميذه المبرد . انظر : الأعلام للزركلي : ج ٤ ، ص ١١٩ .

(٥) خلف بن حيان ، ابو محرز المعروف بالأحمر : راوية ، عالم بالأدب ، شاعر من أهل البصرة ، له ديوان شعر . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٢ ، ص ٣١٠ .

الشعر ويختار فيه أبو تمام^(١)، ومسلم بن الوليد^(٢)، وهم أساطين الشعر، ومع ذلك يدعى أنه يفوقهم ويفتخر بمعرفته بفن المديح وأنمديحه لهذا الملك مديحاً سامياً لم يقله النابغة^(٣). في النعمان^(٤). ملك الحيرة ويصف الملك بأنه أفضل من أنوشروان^(٥) ملك الفرس.

ومثل ذلك قول أبي الطيب:

أنا صخرة الوادي إذا ما زوحت

وإذا نطقت فإنني الجوزاء

وإذا خفيت على الغبي فعاذر

ألا تراني مقلة عمياء^(٦)

فهو يفتخر بقوته التي تشابه قوة صخرة الوادي الصلبة التي يضرب بها المثل في الثبات، فالسيول تجرف ما حولها ولا تستطيع اقتلاعها. والجوزاء

(١) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر الأديب. انظر: الأعلام، للزركلي: ج ٢، ص ١٦٥.

(٢) مسلم بن الوليد الأنصاري، بالولاء المعروف بصريع الغواني: شاعر غزل، أول من أكثر من البديع وتبعه الشعراء، انظر: النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي: ج ٢، ص ١١٦.

(٣) زياد بن معاوية بن ضباب، أبو إمامة النابغة الذبياني الغطفاني: شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، انظر: الأعلام، للزركلي: ج ٣، ص ٥٤.

(٤) النعمان الثالث بن المنذر "الرابع" بن المنذر امرئ القيس، اللخمي أبو قابوس. انظر: الأعلام، للزركلي: ج ٨، ص ٤٣.

(٥) أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور: كسرى ملك الفرس، انظر: تاريخ الامم والملوك، للامام ابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م: ج ١، ص ٤٢٢. انظر: الاعجاز والايجاز، لأبي منصور الثعالبي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م: ص ٥٧.

(٦) تمام المتون: ص ٣٨٥. انظر: شرح ديوان المتنبي وضعه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م: ج ١، ص ١٤٣.

من الأبراج ، أي : إذا زوحت لم يقدر على إزالي عن موضعي كصخرة
الوادي ، وإذا نطقت كنت في علو المنطق كالجوزاء . فهو يؤكد قوته وعلو
مكانته ، وأنّ الذين ينافسونه ويحاولون مجاراته في ميدان الشعر لا يلحقونه
فالغرض هو الفخر .

المبحث الثاني

الإنشاء الطلبي

تعريف الإنشاء :

الإنشاء لغة: الإبتداء والإيجاد. وفي "اللسان" : "قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ : أي : ابتدعها وابتدأ خلقها ، وكل من ابتدأ شيئاً فهو أنشأه" ^(١).

وأما في اصطلاح البلاغيين: هو ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ، نحو : "قم" ، "لا تكذب" ، فلا ينسب إلى قائله صدق أو كذب .

وهو قسمان طلبي وغير طلبي ، فالطلبي هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب . وغير الطلبي هو ما لا يستدعي مطلوباً حاصلاً وقت الطلب ، وهذا يتبع لعلم النحو . يقول الهاشمي : " فالإنشاء غير الطلبي هو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ، كصيغ المدح والذم والعقود والقسم والتعجب والرجاء ، وكذا رُبَّ ولعل وكم الخبرية ولا دخل لهذا القسم بعلم المعاني" ^(٢). هذا وللإنشاء غير الطلبي أنواع كثيرة أخرى .

أما الإنشاء الطلبيفهو خمسة أنواع : الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء. يقول الهاشمي : "اعلم أنه إذا كان المطلوب غير متوقع كان الطلب "تمنياً" ، وإن كان متوقعاً ، فإما حصوله صورة أمر في الذهن فهو "الاستفهام" ، وإما حصوله في الخارج فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل فهو "النهي" ، وإن كان ثبوته فإما بأحد حروف النداء فهو "النداء" وإما بغيرها فهو "الأمر" . وبهذا تعلم أننا نطلب هنا منحصر في هذه الأمور الخمسة

(١) لسان العرب ، لابن منظور : ج ١ ، ص ١٧٠ .

(٢) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص ٥٧ .

لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية"^(١).

والحديث في تفصيلات هذه الفنون البلاغية كثير أسهب علماء
البلاغة في الحديث عنه ، وقد ذكرت هنا ما ذكرت مجملاً وسوف أورد أمثلة
لكل فن من الشواهد التي ذكرها الصفدي في شرحه للرسالة إنشاء الله.
الإنشاء الطلبي في كتاب "تمام المتون" :

وردت أنواع الإنشاء الطلبي في كتاب "تمام المتون" في مواضع عدة
ولكن أكثرها وروداً هو الاستفهام. فقد ورد في ثمانية مواضع من رسالة ابن
زيدون وبينه الصفدي في أثناء شرحه ، أحياناً يذكر غرضه فيقول: "هذا
الاستفهام معناه الإغراء والحض والحث"^(٢)، وأحياناً يذكره من غير أن يذكر
غرضه ويوضحه يقول الصفدي : "لم ضاقت؟ استفهام عن العلة في ضيق
مذاهبه"^(٣)، وأحياناً يشرحه لغوياً فيقول: "فقيم: أصله: "ففي ما" وهذه
"ما" الاستفهامية إذا دخلت عليها حروف الجر حذفت ألفها فيقال: علام،
والام وعم"^(٤).

وقد قلت في موضع آخر : أن الصفدي في شرحه يعتمد على اللغة
كثيراً ، حتى يخرج أحياناً من القضية البلاغية ، فهو يتحدث عن الاستفهام
الذي ورد في الرسالة مثلاً فيأتي بشواهد أدبية لشرح وتوضيح المعنى ، وهذه
الشواهد قد تحمل ألواناً بلاغية أخرى ، ولكن لها نفس المعنى.

وقد ابتدأت بالاستفهام لأنه الأكثر وروداً سواء عند الصفدي أو عند

ابن زيدون .

الاستفهام :

(١) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص ٥٨.

(٢) تمام المتون : ص ٦٧٥.

(٣) المصدر السابق : ص ٢٦٨.

(٤) المصدر السابق : ص ٢٥٨.

(١) قال ابن زيدون : "هل أنا إلا يد أدامها سوارها وجبين عض به إكليله"^(١).

يقول الصفدي : "ومعنى هذا أنه لما قال : أتجلد وأرى الشامت أنني لا أتضعع لما نزل بي منك فأكابر نفسي ، وأريها الباطل حقاً ، قال : ما أنا إلا يد أدامها سوارها الذي تحلت وتزينت به ، وجبين عض به تلجه الذي وضعه فوقه ليتجمل به ، ويتحلى بجواهره ، فما ألوم أحد فعل بي ذلك"^(٢).

فالشاعر ينفي أن يكون سبب محنته غير ذلك ، فالمعنى المراد من الاستفهام النفي .

(٢) قال ابن زيدون : "وأعود فأقول : ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك"^(٣).

يقول الصفدي : "رجع بعد أن وطّن نفسه في مخاطبته على الصبر والانتظار إلتفاتاً منه إلى ما في ضميره من بقايا العتب ، فقال يستفهم منه : ما هذا الذي صدر مني حتى أن عفوك لم يسعه ، وهو صغير بالنسبة إلى كبير عفوك ، وما هذا الجهل في حقه حتى وقع ما وقع ، ولم يأت من ورائه حلمك وعقلك"^(٤).

فالاستفهام هنا الغرض منه استعطاف بن جهور ، وطلب الرحمة منه ، بإعتبار أن ذنبه مهما عظم ، فإن عفو الملك وصفحه أوسع .

ثم استطرد في الحديث عن العفو مستشهداً بما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ : (هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ

(١) تمام المتن : ص ٦٥ .

(٢) المصدر السابق : ص ٦٦ .

(٣) المصدر السابق : ص ٨٩ .

(٤) المصدر السابق : ص ٨٩ .

أُحَدِّثُ؟ قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعُقَبَةِ (١) . والحديث طويل يؤكد عفو النبي ﷺ وصفحه . ففي قولها رضي الله عنها: " هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ " استفهام حقيقي ، لأن السيدة عائشة رضي الله عنها تستفهم عن معلومات لم تكن تعلمها من قبل .

(٣) قال ابن زيدون: " ولا أخلو من أن أكون بريئاً فأين عدلك ؟ أو مسيئاً فأين فضلك ؟ " (٢) .

وهذا استفهام حقيقي لأنه يستفهم عن أشياء لا يدركها ، يريد معرفتها . يقول الصفدي: " لا أخلو: لا أكون خالياً من أحد القسمين : إما بريئاً مما رميت به ، فأين كان عدلك ؟ والعدل: ضد الجور . وإما مسيئاً فأين كان فضلك ؟ والفضل: ضد النقص ، وهو الاتصاف بالحمد " (٣) .

يقول أبو الأسود الدؤلي (٤):

أيرجو معشراً قتلوا حسيناً شفاعته جده يوم الحساب (٥)

وجه الشاعر السؤال للذين قتلوا الإمام الحسين بن علي (٦) رضي الله عنهما) بكربلاء ، يقول: هل أنتم مسلمون وتنتظرون شفاعته النبي ﷺ بعد فعلتكم الشنيعة وقتلكم لابنه.

(١) تمام المتون : ص ٩٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٩٧ .

(٣) المصدر السابق : ص ٩٧ .

(٤) ظالم بن عمرو بن جندل : أبو الأسود الدؤلي . يعد من شعراء التابعين والحدثين ، وأول من عمل في النحو كتاباً . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١١ ، ص ٣٤٢ .

(٥) تمام المتون : ص ٢٠٦ . انظر : ديوان أبي الأسود الدؤلي : صنعة أبي سعيد الحسن السكري ، تحقيق الشيخ محمد آل ياسين مؤسسة إي ف للطباعة والتصوير ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ _ ١٩٨٢ م : ص ٣٢٩ .

(٦) الحسين بن علي بن أبي طلب الهاشمي سبط النبي . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٢ ، ص ٢٤٣ .

فالاستفهام غير حقيقي ، والغرض منه الاستنكار والتعجب ، فهو يستنكر عليهم ، ويتعجب منهم.
وقال ابن أبي عيينة^(١):

ما لي أرى أمري لديك كأنه من ثقله طود من الأطواد^(٢)
ففي قوله: "مالي أرى أمري لديك" استفهام ، الغرض منه التعجب ،
فهو يتعجب من الحالة التي وصل إليها من التعب والضنك ، بعد أن كان
مقرباً من الأمير . وقريب من هذا قول أبي ذؤيب الهزلي^(٣):

أمن المنون وريبها تتصدع والدهر ليس بمعتب من يجزع^(٤)
فالاستفهام هنا الغرض منه الإنكار ، لأنه يخاطب نفسه ، كيف تتألم من
الموت ، ولا تكون صابرة ، لأن الدهر ليس بمعتب من يجزع ، كأنه قال:
أنت توجع من حوادث الدهر ، والدهر لا يعتب؟ وإن عتبته طويلاً.
(٤) قال ابن زيدون: "فكيف ولا ذنب إلا نعمة أهداها كاشح ، ونبا جاء به
فاسق"^(٥).

(١) عبد الله بن محمد بن أبي عيينة، أبو جعفر، وأبو عيينة هو ابن المهلب بن أبي صفرة. انظر:
الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق دكتور عمر الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم
للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م: ص ٦٢٩.

(٢) تمام المتون: ص ٥٧. انظر: الكامل في اللغة، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م: ج ٢، ص ٣١٧.

(٣) خويلد بن خالد بن محرز، أبو ذؤيب الهزلي: من بني هزيل، شاعر مخضرم. انظر: الأعلام،
للزركلي: ج ٢، ص ٣٣٥.

(٤) تمام المتون: ص ٦١. انظر: شرح المفضليات، للتبريزي، أبو زكريا يحيى ابن علي بن حمد
الشياني، تحقيق على محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر: ج ٣، ص ١٣٩٧. والشطر
الأول في الديوان: "... وريبها تتوجع".

(٥) تمام المتون: ص ٢٢٢.

يقول الصفدي : "يريد بذلك ، فكيف يصدر في حقي منك هذا كله من الذل والإبعاد والجفاء والإقصاء والغضب والإعراض والصد ولا ذنب لي بعد هذا كله إلا نعمة أهداها كاشح _ والكاشح : الذي يضمرك للعدواة _ ، ونبأ أذاك به فاسق" ^(١).

فهو يستفهم نافياً عنه هذه التهمة ، وأنها أراجيف وأباطيل غير صادقة أتت بها النمامون الكذابون والحاقدون والفاسقون .

وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: (أَلَا أُنبِئُكُمْ مَا الْعِصَةُ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ) ^(٢).

والغرض من الاستفهام التشويق، فالنبي ﷺ حينما قال ما العضة ؟ كان المخاطبون من الصحابة الكرام في شوق ولهفة ليعرفوا معناها بعد سماعها .

٥) قال ابن زيدون: "فقيم عبث الجفاء بأذمتي؟" ^(٣).

قال الصفدي : "فقيم أصله "ففي ما" وهذه ما الاستفهامية إذ دخلت عليها حروف الجر حذفت ألفها فيقال : علام ، وإلام ، وعم ، ومم" ^(٤).

فابن زيدون يُذكر ابن جهور بأيامه النضرات معه ، وبعهوده ومواثيقه ويتعجب من هذا الجفاء الذي عبث بأذمته ، ويستنكر عليه عدم مراعاة الذمة التي كانت بينهما . يقول الصفدي : "وكانت العرب تراعي أمر الذمة ، وتحافظ عليه ، ويتوخون الوفاء به ، ولو جرت الدماء ، وقامت الحروب ودامت ، فمن ذلك أمر كليب وائل فإنه كان يقول : قد أجرت وحش

(١) تمام المتن : ص ٢٢٢.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٢٥ . انظر : صحيح مسلم : ج ٤ ، ص ٢٠١٢.

(٣) تمام المتن : ص ٢٥٨.

(٤) المصدر السابق : ص ٢٥٨.

صحراء ، كذا وكذا فلا يتعرض له أحد ، ولا يقدم على صيد ذلك الوحش أحد أبداً . وكان يمنع أن ترد إبل أحد مع إبله ، حتى تصدر إبله ، ثم ترد إبل الناس بعد ذلك" (١).

فالغرض من الاستفهام التعجب من إهماله له ، وعدم والوفاء معه ، وتذكيره بسابق عهده معه .

٦) قال ابن زيدون : " ولم ضاقت مذاهبي وأكدت مطالبي ؟" (٢).

يقول الصفدي : " لم ضاقت : استفهام عن العلة في ضيق مذاهبه ، كأنه قال : ولأيّ علة ضاقت بي السبل حتى ما أجد مضطرباً ؟" (٣).

يقول : مستفهماً عن سبب ضيق السبل أمامه ، وتعثرها عن مطالبه التي تأخرت في تحقيقها ، أو أمتنع تحقيقها . والغرض من الاستفهام التعجب لأنه يتعجب عن سبب التأخير وقد كان مقرباً من ابن جهور .

ومن التعجب قوله تعالى : ﴿ مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٧] . فهم يتعجبون ويستغربون من حدوث هذا الأمر ، لأنهم لا يعرفون شيئاً عن العالم الذي يأتي منه الوحي ، لذا تعجبوا وأنكروا على الرسول ﷺ تناول الطعام والسير في الأسواق .
يقول أبو العتاهية (٤) :

تذكر أمين الله حقي وحرمتيوما كنت توليني لعلك تذكر
ليالي تدني منك بالقرب مجلسي ووجهك من ماء البشاشة يقطر

(١) تمام المتن : ص ٢٥٩ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٦٨ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٦٨ .

(٤) إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان أبو العتاهية : نشأ بالكوفة وسكن بغداد . انظر :

الوافي بالوفيات : ج ٦ ، ص ٢٣١ .

فمن لي بالعين التي كنت مرة إلى بها في سالف الدهر تنظر^(١)
في البيت الثالث استفهام فهو استفهام هل تعود له الرعاية والرحمة
من الخليفة مرة أخرى ، وهل ينظر له بتلك العين التي كان ينظر له بها
سابقاً؟ والغرض من الاستفهام في قوله: "فمن لي بالعين ؟" هو التمني.
(٧) قال ابن زيدون: "ما لك لم تمنع مني قبل أن افترس ، وتدركني ولما
أمزق"^(٢).

قال الصفدي: "هذا الاستفهام معناه الإغراء والحض والحث على
إنجاده ، والسرعة إلى إنفاذه من هذه الشدة"^(٣).
وأرى أنّ الاستفهام هنا الغرض منه العتاب واللوم ، لأنّه يلومه
ويعاتبه في تأخره عن إنفاذه ، وعدم إدراكه ولحقوه له قبل أن يفترس ويمزق .
فالصفدي بعد أن وضع الاستفهام في الرسالة وبين الغرض منه ،
يستشهد ليؤكد المعنى ، ويجعله أكثر وضوحاً ، يقول: " وما أحسن قول بعض
العرب يرثي قومه:

وقد غادروني بعدهم لحمة العدى وطعمه ما تبغي الخصوم العواث
أضام فلا يأوي لضيبي مانعوا ظلم لا يأتي لصوبي غاث
وأعطى لكفي القليل من الأذى
وقد كان يخشاني الألد المماث
وحيد بنفسي لا ألائم منزلاً
كما اعتزل النسك الإماء الطوامث"^(٤)

(١) تمام المتون : ص ٢٦٩. انظر : ديوان أبي العتاهية، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ،

١٣٨٤هـ _ ١٩٦٤م : ص ٢١٥.

(٢) تمام المتون : ص ٢٧٥.

(٣) المصدر السابق : ص ٢٧٥.

(٤) المصدر السابق : ص ٢٧٥.

فالاستفهام في قوله: "أضام" و"أظلم" و"أعطى" أصلها: "أضام، أظلم ، أعطى" حذفت الهمزة للتخفيف ، وكله استفهام إنكاري ، فهو يستنكر أن يظلم ، ولا يجد من يدافع عنه ويقف معه ، على الرغم من أنه كان قوياً يخشاه القوم الألداء الأقوياء ، والآن هو وحيد لا يأتي أحد يعينه ، ولا آخر يغيثه.

(٨) قال ابن زيدون:

ألست الموالي فيك غر قصائد

هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما

ثناه يظن الروض منه منوراًضحى ويخال الوشي فيه منمنماً^(١)

والمعنى: أليس أنا الموالي ، والذي كتبت فيك قصائد غراء تشبه في حسنها الأنجم . يقول الصفدي: "هذان البيتان من قصيدة للبحثري ، يعاتب فيها الفتاح بن خاقان"^(٢).

والاستفهام هنا تقريرى ، لأنّ المراد حمل المخاطب على الإقرار بأمر قد استقر عند ثبوته أو نفيه ، ويشترط فيه أن يلي المقرر به همزة الاستفهام .

يقول إبراهيم بن المدبر وقد حبس^(٣):

ألست ترين الخمر يظهر حسنها

وبهجتها بالحبس في الطين والغار^(٤)

الاستفهام هنا تقريرى.

(١) تمام المتون : ص ٢٨٦.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٨٦.

(٣) إبراهيم بن محمد عبيد الله بن المدبر ، أبو الحسن : من الكتاب المترسلين، انظر :الأعلام ، للزركلي : ج ١، ص ٦٠.

(٤) تمام المتون : ص ٧٠. انظر : فوات الوفيات والذيل عليها ، محمد بن شاعر الكتي تحقيق ،

الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت : ج ١ ، ص ٤٦ .

يقول أبوبكر الخوارزمي^(١):

ألست ترى الريحان يشمم ناضراً ويطرح في الميضا إذا ما تغيرا^(٢)
وهذا استفهام تقريرى ، فالشاعر أراد أن يحمل المخاطب على الإقرار
بما إدعاه من شم الريحان إذا كان ناضراً ، وطرحه حينما يتغير في الميضا ، وهي
مكان الوضوء ، حيث يغتسل ، ويتنظف بالماء للصلاة .
ومثله قول أبي طالب^(٣):

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب^(٤)
وفي هذا استفهام تقريرى ، لتأكيد المعنى . أي: أننا وجدنا حقيقة أن
محمداً ﷺ نبياً مثل موسى عليه السلام ورد ذكره في الكتب السابقة.
وقوله أيضاً:

أليس أبونا هاشم شد أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب^(٥)
والمعنى الذي يريد توكيده هو أن بني هاشم أهل حرب ، وقد وصاهم
أبوهم هاشم بطعن الأعداء بالرماح ، وضربهم بالسيوف ، فهو يعرف أنهم
شجعان ، لكنه أراد صوغ ذلك عبر الاستفهام التقريرى ، ويدل على ذلك
قوله في البيتين السابقين لهذا البيت حيث حذرهم من حرب عوانٍ تتكسر
فيها الرماح ، وتكون مرتعاً للنسور إن هم اتبعوا الضلال والغي يقول:

(١) محمد بن العباس الخوارزمي ، أبوبكر : من أئمة الكتاب وأحد الشعراء العلماء ، كان ثقة في اللغة ومعرفة الأنساب ، له ديوان شعر . انظر الأعلام : للزركلي : ج ٦ ، ص ١٨٣ .

(٢) تمام المتون : ص ٦٥ . انظر : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق الدكتور مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م : ج ٤ ، ص ٢٧٥ .

(٣) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم ، أبو طالب : عم النبي ﷺ وكافله ، ووالد الإمام على كرم الله وجهه . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ١٦٦ .

(٤) تمام المتون : ص ١٣٥ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٣١ .

وتستعجلوا حرباً عواناً وربما أمراً على من ذاقه حلب الحرب
بمعترك ضيق ترى كسر القنا

به والنسور الطخم يعكفن كالشرب^(١)

ومن أغراض الاستفهام التي أوردها الصفدي الاستبطاء :
يقول أبو الطيب:

حتام نحن نساري النجم في الظلم وما سراه على خف ولا قدم^(٢)
حتام : هي "حتى ما" حذفت ألف ما لامتزاجها بحتى . يقول : إلى متى
نسري مع النجوم في ظلم الليل وليست تسري هي على خف كالإبل ولا
على قدم كالناس . ولا يصيبها التعب من السرى كما يصيب دوابنا . فأبو
الطيب لا يريد إجابة ولم يستفهم عن شيء لم يكن معلوماً من قبل وإنما
يستبطئ الليل ، ويرى أن الليل طويل ، وهو يسير هذا المسير المتعب ،
فالغرض من الاستفهام الاستبطاء.

يقول الصفدي: "قال أبو الطيب هذه القصيدة عند قدومه من بغداد
إلى الكوفة ، ويذكر مسيره من مصر إلى العراق"^(٣).

ولأنه راجع إلى بلده فهو في شوق إليه ، ومهما كانت الإبل تسير
سيراً سريعاً فهو يراه بطيئاً . ونحو ذلك قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤] لأنهم استبطأوا النصر.

ومن أغراض الاستفهام أيضاً التوبيخ :

نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي
إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ ﴾ [المائدة: ١١٦].

(١) تمام المتن : ص ١٣٦.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٤٩. انظر : شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج ٤ ، ص ٢٨٦ .

(٣) تمام المتن : ص ٣٤٩.

يقول الصفدي : " هذا سؤال له وهو تبريع في الباطن لمن اعتقد ذلك وتوبيخ له " (١).

فالقصد هنا توبيخ للذين يعتقدون وجود إله آخر غير الله من النصارى ، وبجهم القرآن هنا بسؤاله لسيدنا عيسى عليه السلام ، والله يعلم أنّ سيدنا عيسى عليه السلام لم يأمرهم بذلك . والاستفهام للتقرير بما يعرفه سيدنا عيسى عليه السلام من هذا الحكم ، لا بأنه قد قال ذلك .

والمراد بذلك تكذيب قومه ، وهو توبيخ لغير المذنب ، وفي هذا تصوير للغرض وتمكن للمعنى في نفس السامع .
الأمر :

(١) قال ابن زيدون : " وأصفح عن المطامع التي تقطع أعناق الرجال " (٢).
طلب منه العفو عن المطامع التي تقود إلى هلاك الإنسان ، وهذا خطاب من أدنى إلى أعلى ، الغرض منه الدعاء . ونحو ذلك قول الشاعر :
فاسلم أمير المؤمنين ولا تزل مستعلياً بالنصر والتأييد (٣)
يقول الصفدي : " وفي الأمثال المولدة : أخرج الطمع من قلبك تحل القيد من رجلك " (٤). فالغرض هنا النصيح والإرشاد .
يقول دعبل :

فأحمد الله على صحبتته وسل الرحمن منه العافية (٥)
في قوله : " فأحمد الله على صحبتته " أمر غير حقيقي والغرض الالتماس لأنه أمر من ند إلى ند .

(١) تمام المتن : ص ٢٥٥ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣١٣ .

(٣) علوم البلاغة ، للمراغي : ص ٧٥ .

(٤) تمام المتن : ص ٣١٣ . انظر : مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ج ١ ، ص ٣٣٣ .

(٥) تمام المتن : ص ٣٣ .

وقال أبو طالب:

ألا أبلغا عني ذات بيننا

لؤياً وخصاً من لؤي بني كعب^(١)

وهذا أيضاً أمر الغرض منه الالتماس ، لأنَّ الشاعر يتخيل صاحبين له فيخاطبهما ، ويوجه لهما رسالته ليبلغاها لؤياً ، ويخصاً في لؤي بني كعب ، واللدان يخاطبهما هما أنداده وأقرانه.

وقوله أيضاً:

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى

ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنب^(٢)

وهذا أمر الغرض منه النصح والإرشاد ، فهو يأمرهم وينصحهم بأن يثوبوا إلى رشدهم ويهتدوا ، ويؤكد لهم ذلك بالتكرار ، فلموت آتٍ لا محالة. يقول الأمير أبو الفضل الميكالي^(٣):

دع الحرص وأقنع بالكفاف من الغني

فرزق الفتى ما عاش عنه بعيشه^(٤)

والغرض هنا أيضاً النصح والإرشاد .

(٢) قال ابن زيدون: "ومن الأمثال المضروبة : خامري أم عامر"^(٥).

خامري أي: "تستري يا أم عامر ، وهذا أمر للضبع ، والضبع غير عاقل ، فالغرض من الأمر هنا التمني .

(١) تمام المتون : ص ١٣٥ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٣٥ . انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ١ ، ص ٤٨٥.

(٣) عبيد الله بن أحمد بن علي الميكالي، أبو الفضل : أمير ، من الكتاب الشعراء ، من أهل خراسان . انظر : دمية القصر ، للباخرزي : ص ٢٧ .

(٤) تمام المتون : ص ٣١٥ . انظر : دمية القصر ، للباخرزي : ص ٢٧ .

(٥) تمام المتون : ص ٣١٨ . انظر مجمع الأمثال ، للميداني : ج ١ ، ص ٣٣٢ .

ومثله قول عنتره^(١):

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة وأسلمي^(٢)
وقال زهير بن صرد الجشمي^(٣) مخاطباً الرسول ﷺ وهو بالجعرانة:

أمنن علينا رسول الله في كرمفانك المرء نرجوه وننتظر
أمنن علي بيضة قد عاقها قدر مُشتت شملها فيدهرها غير
إذ أنت طفل لأم كنت ترضعها إذ فوك تملؤها من محضها الدرر^(٤)
في البيت الأول والثاني أمر ، وبما أنه يخاطب النبي ﷺ ، والشاعر أدنى
والنبي ﷺ أعلى ، فالأمر غير حقيقي ، الغرض منه الدعاء . فهو يمدحه ويصفه
بالكرم والصفح ، وأن الآمال معقودة عليه ، ويطلب منه العفو ، ولكي
يستجيب لدعائه سريعاً ويستعطفه ، ذكره بطفولته وأيام رضاعه، لأنه يعلم
أنه ﷺ هو أهل الوفاء. فعفى عنهم النبي ﷺ جميعاً .

يقول حسان بن ثابت:

من سره الموت صرفاً لا مزاج به فليأت مأدبة في دار عثمان^(٥)
في قوله: "فليأت" أمر غير حقيقي والغرض منه السخرية ، لأن في
دار عثمان ﷺ لا توجد مأدبة وإنما يوجد قتل _ يشير إلى يوم الدار _ ، وإنما
ذكر المأدبة من باب السخرية والاستهزاء.

(١) عنتره بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الاولى . انظر : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة : ص ١٦٣ .

(٢) شرح المعلقات العشر وأخبار شعرئها ، للشيخ أحمد الأمين الشنقيطي ، تحقيق محمد الفاضلي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، سنة ١٤٢٠هـ _ ١٩٩٩م : ص ١٥٠ .

(٣) زهير بن صرد السعدي ، من بني سعد بن بكر ، كان رئيس قومه قدم على الرسول ﷺ في وفد هوازن ، ورسول الله ﷺ بالجعرانة . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٠ ص ١٤١ .

(٤) تمام المتون : ص ٣٣٣ . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٠ ، ص ١٤١ .

(٥) تمام المتون : ص ١٩١ .

(٣) قال ابن زيدون : "فاستحسن العائدة منه واعتد بالفائدة له"^(١)

فالشاعر يطلب من ابن جهور العفو منه ويعدد فوائده ، وتقول فلان ذو عائدة ، أي : ذو عطف وعفو ورحمة ، واعتدت بالفائدة له معناه : عدت الفائدة له.

يقول الصفيدي: "وهذا الكلام أخرجه مخرج التوكيد لاستعطاف ابن جهور ، وميل نفسه إلى النظم وقبوله له ، وأنه صادف من قلبه موضعاً ، فكأنّ هذا الأمر صار وأنفصل حكمه ، وهذا من باب قولك: غفر الله له ورحمه الله، وهذا إنّما هو في الأصل دعاء ، والدعاء طلب ، والطلب استدعاء أمر لم يكن بعد ولكن تخرجه مخرج أمر قد صار ومضى ووقع ، وثوقاً برحمة الله وطمعاً في جوده . وما أحسن ما أتى بهذه الألفاظ في حق النظم ، وأنه الذي يبلغه المقصود لا النثر ، وإن كان قد جاء في النثر بما هو السحر الحلال ، والخدعة التي لا محيد لها عن الانفعال ، ولكن هذا كله من التصرف في فنون البلاغة ، وقوة العارضة ، فهو يغالطه من هاهنا ويخدعه من هنا ، ويكابه من هنا ، حتى يظفر منه بمراحه"^(٢). فابن زيدون يريد أن يؤكد لابن جهور شدة وثوقه في عفوه وصفحه ، فكأنّه واقع لا محالة ومحقق لاشك فيه ، لذا أخرجه هذا المخرج.

ومثله قول ابن مسعود : "كأنّي انظر إلى رسول الله ﷺ يحكي أنّ نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه ، وهو يسمح الدم عن وجهه ، ويقول : (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)"^(٣).

(١) تمام المتن : ص ٣٨٨.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٣٨ .

(٣) المصدر السابق : ص ٩١ ، "الحديث متفق عليه" انظر : الجامع الصحيح للإمام البخاري ، تحقيق أبو عبد الله محمود بن الجميل ، مكتبة الصفا ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م : ج ٢ ، ص ١٧٢ .

ففي قوله : (اغْفِرْ لِقَوْمِي) أمر ، والغرض منه الدعاء .

يقول أبي العتاهية :

تذكر أمين الله حقي وحرمتي وما كنت توليني لعلك تذكر^(١)
في قوله : " تذكر " أمر ، الغرض منه الدعاء ، فهو يدعو أمير المؤمنين
أن يتذكر حقوقه ، وما كان يوليه له من رعاية في الزمن السالف .
يقول الصفدي :

يا قليل الخير موفور الصلف والذي في البغي قد حاز الشرف
كن لئماً وتواضع تُحتمل أو كريماً يحتمل منك الصلف^(٢)
في البيت الثاني أمر ، الغرض منه التخيير ، فقد خيره بين أن يكون
لئماً متواضعاً ، أو كريماً متكبراً ، فالأول ينسى لؤمه لتواضعه ، والثاني يصبر
عليه لكرمه .
النهي :

يقول ابن الخياط^(٣) :

فلا تعدل إلى الواشين سمعاً فإنّ كلام أكثرهم كلام^(٤)
في هذا البيت نهى ، الغرض منه نصح المخاطب وإرشاده لعدم
الاستماع إلى النمام لأنّ محبته غير صادقة ، وحديث النمام يفرق بين الأخلاء
والأحباب فهو أشد وقعاً عليهم من وقع السهام على الأجسام .
قال الشاعر :

لا تترك الناس موضع شبهة وأحزم فمثلك في العظام يحزم^(٥)

(١) تمام المتون : ص ٢٦٩ . انظر : ديوان أبي العتاهية : ص ٢١٥ .

(٢) تمام المتون : ص ٩٥ ،

(٣) أحمد بن الحسن الدمشقي ، مجد الدين ابن الخياط . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ١ ، ص ١١١ .

(٤) تمام المتون : ص ٢٣٦ .

(٥) المصدر السابق : ص ٧١ .

طلب من الملك أن لا يترك موضع شبهة حتى يكون حازماً ، ولكي يهابه الأعداء . الغرض من النهي الدعاء .

وقال أبو الحسين الجزار:

لا تقطعن عائدة بر ولا تجعل عقاب المرء في رزقه

وأعفو عن الجاني فإن الذي ترجوه عفو الله عن خلقه^(١)

ينهي الشاعر مخاطبه ألا يقطع إحسانه عن من كان يحسن إليهم ، وألا

يجعل العقوبة قطع الرزق عنهم، فالغرض هو النصح والإرشاد.

وقال ابن المنير الطرابلسي^(٢):

لا ترض من دنياك ما أدناك من دنس وكن طيفاً جلاً ثم أنجلاً^(٣)

أي: لا ترقب بالأشياء التي لا فائدة منها ، وكن طموحاً لا تقنع باليسير

، والغرض أيضاً النصح والإرشاد.

ويقول سيف الدين قزل المشد^(٤):

فلا تبال بأمر جاء عن قدر فالسيف يضرب والخطي يعتقل^(٥)

في قوله : "فلا تبال بأمر" نهى غير حقيقي ، لم يقصد به طلب الكف

عن الفعل على وجه الإلزام ، وإنما أراد به النصح والإرشاد .

ويقول إبراهيم بن المدبر أيضاً:

فلا تنكرن طول المداراة للعدا فإن نهايات الأمور لإقصار

(١) تمام المتون : ص ١٧٣.

(٢) أحمد بن منير بن أحمد ، أبو الحسن مهذب الدين الطرابلسي : شاعر مشهور ، مدح السلطان

الملك العادل ، له ديوان شعر ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ١ ، ص ٢٦٠ .

(٣) ديوان ابن منير الطرابلسي ، تحقيق دكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الجيل ، بيروت، ط ١،

١٩٨٦م : ص ١٠٣ .

(٤) علي بن عمر بن قزل سيف الدين المشد . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٨١٤.

(٥) تمام المتون : ص ٧١.

لعل وراء الغيب أمراً يسرنا يقدره في علمه الخالق الباري^(١)
ففي قوله : " فلا تنكري " نهى الغرض منه الالتماس ، فهو يلتمس
منها ألا تنكر عليه مداراته للإعداد . وفي البيت الثاني ترجى ، لأنه يطلب
أمراً ممكناً حصوله .
التمني :

(١) قال ابن زيدون : " لعلي أن ألقى عصاي بذراك ، ويستقر النوى في
ظلك " ^(٢).

لعل هنا استخدمت للترجي ، لأن المطلوب مما يرجى حصوله . يقول
المراغي : " فإن كان منتظر الحصول قريب الوجود كان ترجياً ، ويعبر فيه
بعسى ولعل كقول الشاعر :

عسى الله أن يجري المودة بيننا ويوصل حبلاً منكمو بحالياً^(٣)
ومثل هذا قول المتنبي :

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل^(٤)
أي : لعل عتبك يكون سبباً لتحقيق وفائي وإخلاصي في خدمتك ، ويقطع
عني ألسنة الحساد فأحمد عواقبه ، كما أن من العلل ما يكون سبباً لصحة
الأجسام ، فهو يرجو ذلك . وقال ابن الخياط :

فليتك تسمع القولين حتى يبين في من الحق الخصام^(٥)
في قوله : " فليتك تسمع " تمني ، وبما أن هذا الطلب يرجى حصوله
يسمى ترجياً .

(١) تمام المتون : ص ٧١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٦٧ .

(٣) علوم البلاغة ، للمراغي : ص ٦٢ .

(٤) تمام المتون : ص ٧٣ . انظر : شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج ٣ ، ص ٢١٠ .

(٥) تمام المتون : ص ٢٣٠ .

ويقول الصفدي : وما أحسن قول ابن عبدون في قصيدته^(١) :

وليتها إذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بمن شاءت من البشر^(٢)

وهذا تمني ، لكونه بعيد التحقيق صعب المنال . يقول المراغي : "أما لكونه

بعيد التحقيق والحصول ، نحو : ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ﴾^(٣) .
النداء :

(١) قال ابن زيدون :

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم^(٤)

يقول الصفدي : "هذا البيت من قصيدة لأبي الطيب أولها :

وأحر قلباه ممن قلبه شيم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وكان سيف الدولة ابن حمدان^(٥) إذا تأخرت عنه مدائح أبي الطيب ، شق

ذلك عليه وأقلقه ، وأكثر معاتبته إذا حضر ، وتقدم إليه من بحضرته بالتعريض

بالمكروه ، ومخاطبته بما لا يحسن ، فكبر ذلك على أبي الطيب وآلمه غاية الإيلام ،

فأنشده هذه القصيدة بمحضر من العرب والعجم ، وكانت سبب الوحشة بينهما

وفساد الحال"^(٦) .

فالغرض هنا العتاب ، فأبو الطيب يخاطبه وهو قريب منه بحرف النداء

الياء المستخدم للبعيد ، وذلك لرفعة شأن المخاطب سيف الدولة وعظمته ، فكأن

بعده في العظمة والسمو يماثله بعده في المكان .

(١) عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري أبو محمد : ذو الوزارتين ، أديب الأندلس في عصره ،

صاحب القصيدة "البسامة" ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ١٤٩ .

(٢) تمام المتون : ص ٢٠٢ .

(٣) علوم البلاغة ، للمراغي : ص ٦٢ .

(٤) تمام المتون : ص ٣٤٤ . انظر : ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ٢٦٨ .

(٥) على بن أبي الهيثم عبد الله بن حمدان التغلبي الربعي ، أبو الحسن سيف الدولة : صاحب

حلب . انظر : البداية والنهاية ابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٣٥٣ .

(٦) تمام المتون : ص ٣٤٥ .

ومثل هذا قوله أيضاً:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
وقال عبد المطلب بن هاشم:

يا رب لا أرجو لهم سواكا يارب فأمنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا أمنعهم أن يخربوا قراكا^(١)

في البيت الأول نداء حقيقي ، والمنادي المولي عز وجل ، وكان من
المفترض أن يستعمل أداة النداء الهمزة ، لأنها تستعمل للقريب ، ولكنه
استعمل الياء التي تستخدم لنداء البعيد ، وذلك لأنّ المنادي عظيم القدر
عظيم الشأن ، فكأن بعد درجته في العظمة والعلو كالبعد في المسافة .
ومثل هذا قوله أيضاً:

يا رب إن العبد يحمي رحله فأمنع رحالك

قال الصفدي:

يا حبيبي الذي أرى فيه عمريضاع مني وضاق بالصد صدري
أنت أظللتنى ووجهك باد أفهذا يليق قط ببدر!^(٢)
حرف النداء الياء ينادي به البعيد في الأصل ، وقد ينادي به القريب
لأغراض بلاغية. والنداء هنا خرج عن معناه الأصلي ، فالشاعر هنا لا يناديه
ويتنظر منه أن يرد عليه ويخاطبه ، وإنما أراد التحسر على تلك الأيام
الزاهرات النضرات أيام الوصل ، والغرض هنا إظهار الشكوى من كثرة
الصد والهجر.

قال أبو الطيب:

وأحر قلباه ممن قلبه شيمومن بجسمي وحالي عنده سقم

(١) تمام المتون : ص ٣٤٥ . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ١ ، ص ٣٣٧ .

(٢) تمام المتون : ص ٣٠٥ .

أي : وا حرّ قلبي واحترقه حباً وشوقاً بمن قلبه بارد لا يحفل بي ، ولا يقبل عليّ وأنا عنده عليل الجسم لفرط ما أعاني وأقاسي فيه .

يقول البرقوقي : "وا حرّ قلبه : أصله وا حرّ قلبي ، فأبدل من الياء ألفاً طلباً للخفة ، والعرب تفعل ذلك في النداء" ^(١) .

خرج لفظ النداء عن معناه الأصلي ، وهو طلب إقبال المخاطب إلى معانٍ أخرى. فأبو الطيب لا يريد أحداً ولا ينادي ، وإنما يتعجب مما حدث له ، فالغرض من النداء هو التعجب.

وقال الصفدي : "وفي رواية أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَتَأَلَّتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا ، فَقَالَ : مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ قَالَ : أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ" ^(٢) .

في قوله : " يا صاحب الطعام " منادى ، والمنادى رغم قربه إلا أن النبي ﷺ ناداه بالياء دون الهمزة ، وذلك لغفلته وشروود ذهنه .

يقول الهاشمي : "أو إشارة إلى أن السامع لغفلته وشروود ذهنه ، كأنه غير حاضر ، كقولك للساهي : أيا فلان" ^(٣) .

ومثل ذلك قول الصفدي :

يا قليل الخير موفور الصلف والذي في البغي قد حاز الشرف
كن لثيماً وتواضع تُحتَمَل أو كريماً يحتمل منك الصلف
في البيت الأول نداء ، والمنادى على الرغم من قربه إلا أنه نودي بالياء التي تستخدم للبعيد ، نسبة لغفلته وشروود ذهنه .

(١) شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج٤ ، ص ٨٠ .

(٢) تمام المتون : ص ٢٤٢ . انظر : صحيح مسلم : ج ١ ، ص ٩٩ .

(٣) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص ٨٠ .

المبحث الأول

التقديم والناخير

من المعلوم أنّ الجملة العربية لها نظام في ترتيب أجزائها ، فالجملة الاسمية يتصدرها المبتدأ ويليه الخبر ، ثم ما تعلق به . والجملة الفعلية تبدأ بالفعل يليه الفاعل فالمفعول به ، فالمكملات الأخرى.

يقول المراغي: "الألفاظ قوالب المعاني فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي بحسب ترتيبها الطبيعي ، ومن البين أنّ رتبة المسند إليه التقديم ، وإنّ المحكوم عليه ، ورتبة المسند هو التأخير إذ هو المحكوم به ، وما عداهما فتوابع ومتعلقات تأتي تالية في الرتبة . ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا ما يدعو إلى تقديمه وإن كان حقه التأخير ، فيكون من الحسن تغيير هذا النظام ليكون المقدم ، فيشير إلى الغرض الذي يراد ومترجماً عما يقصد منه"^(١).

وصف الإمام عبد القاهر الجرجاني باب التقديم والتأخير بقوله: "هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتّر لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروك مسمعه ، ويلطف لك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"^(٢).

ومن أسباب التقديم:

(أ) التعجيل بالمسرة ، نحو: العفو عنك صدر به الأمر.

(١) علوم البلاغة ، للمراغي : ص ١٠٠ . انظر : جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص ١١٣.

(٢) دلائل الإعجاز ، للإمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق دكتور محمود محمد شاكر ، مطبعة

مطبعة المدني مجلة، ط٣، سنة ١٤١٣هـ _ ١٩٩٢م : ص ١٠٦ .

(ب) التعجيل بالمساءة ، نحو : القصاص حكم به القاضي.
(ج) التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مشعراً بغرابة ، مثل قول المعري^(١) :
والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد
أي : تحيرت الخلائق في المعاد الجسماني والنشور الذي ليس بنفساني
بدليل ما قبله .

بان أمر الإله واختلف الناس فداغ إلى ضلال وهادٍ
يعني بعض الناس يقول بالمعاد ، وبعضهم لا يقول به^(٢) .
(د) التلذذ بذكر ما هو حبيب إلى النفس ، مثل : هند وصلت .
(هـ) التبرك ، نحو : بسم الله أهديت .
(و) سلب العموم (ويكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم) ، نحو : لم يكن
كل ذلك .

أي : لم يقع المجموع فيحتمل ثبوت البعض ، ويحتمل نفي كل فرد ،
لأنّ النفي يوجه إلى الشمول خاصة دون أصل الفعل ، ويسمي نفي الشمول.
وأعلم أن سلب العموم ، يكون النفي فيه للمجموع غالباً.
يقول المتنبي:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن^(٣)
(ز) وعموم السلب (وهذا يكون بتقديم أداة العموم ، مثل : "كل" و"جميع"
على أداة النفي) ، نحو : كل ظالم لا يفلح أحد الظلمة .

(١) أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي ، أبو العلاء المعري: فيلسوف ، وشاعر مبرز . انظر :

الأعلام للزركلي : ج ١ ، ص ١٥٧ .

(٢) حاشية الدسوقي على مختصر السعد ، تحقيق الدكتور خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ،

بيروت _ لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ _ ٢٠٠٢ م : ج ١ ، ص ٩٩ .

(٣) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ٣٧٠ .

ويسمى شمول النفي وعموم السلب ، ويكون النفي فيه لكل فرد.
 (ح) إفادة التخصيص قطعاً (وذلك إذا كان المسند إليه معرفة ظاهرة بعد نفي)
 نحو: ما زيد فعل هذا. أو (أن يكون معرفة مضمرة بعد نفي)، نحو: ما أنا قلت
 ذلك . أو (أن يكون نكرة بعد نفي)، مثل: ما طالب حفظ الدرس.
 ط) كون المتقدم محط الإنكار والتعجب ، مثل : قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ
 عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ ﴾ [مريم: ٤٦] . ففي الآية يستنكر آزر على ابن أخيه إبراهيم
 عليه السلام أن يرغب عن آلهته، ولما كانت الرغبة عن الآلهة هي محط الاستنكار
 وموضعه قدمت في الكلام.

هذا وهنالك أغراض أخرى لتقديم المسند إليه ، كما أن هنالك
 أغراض تستدعى تقديم المسند الذي من أصله التأخير، مثل:
 أ) التخصيص بالمسند إليه، مثل : قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [المائدة:
 ١٢٠]. أي: أن السموات والأرض لله وحده لا شريك له.
 ب) التشويق للمتأخر (إذا كان المتقدم مما يشوق لذكره) ، نحو : قوله تعالى: ﴿
 إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [ال عمران:
 ١٩٠] .

ج) التفاؤل: كما تقول للمريض في عافية أنت .
 د) إفادة قصر المسند إليه على المسند ، نحو : قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَرَبِّي
 دِينَ ﴾ [الكافرون: ٦] .

هذا وربما نورد أغراضاً غير تلك الأغراض التي ذكرناها أثناء عرضنا
 للشواهد البلاغية التي وردت في كتاب تمام المتون.

التقديم والتأخير في كتاب تمام المتون

ذكر الصفدي التقديم والتأخير حينما شرح قول ابن زيدون: "ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب" وسمه بالمقلوب .

هذا وقد حاولت أن أذكر أغراض التخصيص والقصر والتشويق وتقوية الحكم وتقريره حينما يكون المخاطب محط الإنكار والتعجب ، بادئاً بكتابة الغرض ، ثم الشواهد التي ذكرها الصفدي ، ثم بعد ذلك قمت بتحليلها ، وذكر المقدم والأسرار البلاغية من تقديمه .

أ) التخصيص بالمسند إليه:

قال ابن زيدون: "ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب"^(١).

قدم المسند "ولكل أجل" خبر المبتدأ على المسند إليه المبتدأ "كتاب" ، فقد خصص المسند بالمسند إليه وقصره عليه ، والمعنى أن لكل أجل قدره الله كتاب أثبتته فيه ، لا يتقدم عن وقته ولا يتأخر .

قال الصفدي: "وقيل هذا من المقلوب الذي جاء في القرآن ، ومعناه لكل كتاب أجل ينزل فيه ، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩] وإنما هو: "وجاء الحق بسكرة الموت" وكقوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩] وهو كثير في القرآن^(٢).

وكلام الصفدي يؤكد أن مثل هذا الفن من فنون البلاغة أمثله كثيرة واردة في كتاب الله .

يقول ابن الأثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ^(٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦] . وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ

(١) تمام المتن : ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق : ص ٨٣.

أَلْحَمْدُ [التغابن: ١] . فَإِنَّهُ إِنَّمَا قَدِمَ الطَّرْفَيْنِ هَاهُنَا فِي قَوْلِهِ : ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ
أَلْحَمْدُ﴾ لِيَدُلَّ بِتَقْدِيمِهِمَا عَلَى اخْتِصَاصِ الْمُلْكِ وَالْحَمْدِ بِاللَّهِ لَا بغيره" (١).

ويورد أمثلة من كلام العرب مثل: "ومن أمثالهم: لكل صباح صبح" و "لكل غد طعام" (٢).

في المثالين أعلاه نجده قدم المسند وخصصه بالمسند إليه، وتقديم الجار
والجور هنا يدل على التخصيص. ومثل ذلك أيضاً قول السراج الوراق (٣):
أَرَانِي بِطِيئاً إِذَا مَا كَتَبْتُ وَقَدْ خَلَقْتَ طِينَتِي مِنْ عَجَلٍ
كَأَنِّي خَالَفْتُ نَصَ الْكِتَابِ فَعَنَدِي لِكُلِّ كِتَابٍ أَجَلٌ (٤)

وقول أبي الطيب:

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله ولكن شعري فيه من نفسه شعر (٥)
خصص أبو الطيب نفسه بقوله: "وما أنا" أي : لم أقل كل هذا
الشعر ، حيث قدم الضمير "أنا" مصدراً جملة بالنفي ، وإذا كان المسند
فعلاً منفياً ووسط المسند إليه بين الفعل وحرف النفي كما في المثال وهو "ما
أنا قلت" دل ذلك على التخصيص . أي : أنا لم أقل الشعر وحدي بل
شاركني فيه غيري ، لأنه من الخطأ أن تقول: ما أنا فعلت هذا ولا غيري
لأن معنى ما أنا فعلت يفيد نفسه نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك فقولك ولا
غيري يكون تناقضاً . ومثل ذلك قوله أيضاً :

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق الشيخ كامل محمد محمد
عويضة، دار لكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١، سنة ١٤١٩هـ _ ١٩٩٨م : ج٢، ص ٢٥.

(٢) تمام المتون : ص ٨٢ .

(٣) عمر بن محمد بن حسن ، سراج الدين الوراق ، الشاعر المشهور ، أديب ، عارف بالبدیع
وانواعه ، أجاد فنون الشعر جميعها . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٥ ، ص ١٩ .

(٤) تمام المتون : ص ٨٣ .

(٥) المصدر السابق : ص ٢٩٧ . انظر : ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ١٦٤ .

وما أنا أسقمت جسمي بهولا أنا أضمرت في القلب ناراً^(١)
يقول الجرجاني : " المعنى كما لا يخفي على أن السقم ثابت موجود ،
وليس القصد بالنفي إليه ، ولكن إلى أن يكون هو الجالب له ، ويكون قد
جره إلى نفسه . ومثله في الوضوح قوله: " وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله "
، الشعر مقول على القطع ، والنفي لأن يكون هو وحده القائل له "^(٢) .
(ب) التشويق للمتأخر (إذا كان في المتقدم ما يتوق لذكره) : مثل ذلك قول
ابن الساعاتي^(٣) :

ثلاثة منعتها من زيارتنا إذا دجى الليل فوق الكاشح الحنق
فضوء الجبين ووسواس الحليوما تبديه من عرق العنبر العبق
هب الجبين بفضل الكم تستره والحلي تنزعه ما الشأن في العرق^(٤)
فقد ذكر ثلاثة موانع ، والسامع مشوق لمعرفة هذه الثلاثة التي منعت
وحالت دون زيارة الحبيبة للشاعر ، ثم يأتي بعد ذلك ليوضح أنها نور جبينها
، وصوت حليها ، ورائحة العرق الذي يشبه العنبر في جمال رائحته .
وتقديم الخبر فيما سبق للتشويق إلى ما بعده . يقول الهاشمي : " قدم
العدد وهو ثلاثة ، وآخر المعداد ليشوق إليه ، لأن الإنسان إذا سمع العدد
مجموعاً يشتاق إلى تفصيل أحاده "^(٥) .

ومثل ذلك ما رواه الصفدي : " حضر إعرابي وليمة فرأى نعمة فقال:
النعم ثلاث: نعمة حال كونها نعمة ، ونعمة ترجي مستقبله ، ونعمة تأتي

(١) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ٢٩١ .

(٢) دلائل الإعجاز ، للجرجاني : ص ١٢٥ .

(٣) علي بن محمد بن رستم أبو الحسن بهاء الدين ابن الساعاتي : شاعر خراساني الأصل ، ولد
ونشأ بدمشق ، وكان أبوه يعمل بالساعات ، انظر: الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ٣٣٠ .

(٤) تمام المتون : ص ٢٢٨ .

(٥) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص ١٢٦ .

غير محتسبة ، فأدام الله لك ما أنت فيه ، وحقق ظنك فيما ترجوه ، وتفضل عليك بما لا تحتسبه" ^(١).

فالمخاطب في شوق وتلهف لمعرفة هذه النعم الثلاثة ، فلو أنه ذكرها أو قدمها في الجملة لما حدث هذا التشويق.

وقال القاضي زين الدين عمر بن الوردي ^(٢):

لي شهوتان أحب جمعهما لو كانت الشهوات مضمونة

أعناق عذالي مدققة ومفاصل الرقباء مدفونة ^(٣)

قدم قوله: "لي شهوتان" ، قال إنَّ له شهوتان يجب أن تجمعاً له ، وبذا جعل المخاطب في شوق ولهفة ، لمعرفة هاتين الشهوتين اللتين تحدث عنهما في البيت الثاني بقوله : "دق وقطع أعناق العذال ، ودفن مفاصل الرقباء" ، والغرض من التقديم هو التشويق . ويمكنك أن تحدث تغييراً في تركيب جملة الشاعر ، فتقدم ما أخره وتوخر ما قدمه ، ولكنك لن تجد فيه من التشويق ما وجدته.

يقول الصفدي: "والكفاءة سبعة أمور وهي: الدين والنسب والصناعة والحرية والنقاء من العيوب واليسار على أحد الوجهين ، وألا يكون الزوج مولى الزوجة أو أهلها" ^(٤).

وهنا قدم المسند إليه "والكفاءة سبعة أمور" للتشويق إلى المتأخر ، وهي هذه الأمور التي ذكرها ، لأنَّ المتقدم مشعراً بغرابة ، فالمخاطب حينما يسمع أنَّ الكفاءة سبعة أمور يشفق لمعرفة هذه الأمور .

(١) تمام المتون : ص ٣٩.

(٢) عمر بن مظفر بن عمر بن الوردي المصري الكندي، زين الدين أبو حفص : شاعر، أديب، مؤرخ ، فقيه وقاضي ، له مؤلفات كثيرة . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٥ ، ص ٦٧.

(٣) تمام المتون : ص ٢٢٤ . انظر : علوم البلاغة ، للمراغي : ص ١٠٦.

(٤) تمام المتون : ص ٢٧٩.

ومثل ذلك قول الشاعر:

شرط الكفاءة ستة قد حررت ينبيك عنها بيت شعر مفرد
نسب ودين صنعة حرية فَقَدْ العيوب وفي اليسار تردد^(١)
وأيضاً هنا قدم الشاعر المسند إليه "شرط الكفاءة" ، الأمر الذي جعل
نفس المخاطب والسامع تتشوق وتتلهف لمعرفة هذه الشروط الستة ، ولو قدم
البيت الثاني وآخر الأول لم يتحقق الغرض البلاغي وهو التشويق.
ج) كون المتقدم محط الإنكار والتعجب :

قال ابن الخياط الدمشقي:

أبعد تمسكي بنداك دهرأوحبل نداك ليس له انصرام
وكوني من دفاعك في حصون منيعات الذوائب لا ترام^(٢)
قدم "أبعد تمسكي" ، لأن هذا موضع الإنكار والاستغراب . وذلك
مثل قول الشاعر:

أبعد المشيب المنقضي في الذوائب تحول وصل الغانيات الكواعب
فالغرض من التقديم هو تقوية الحكم وتقريره ، لأنّ المتقدم محط
الإنكار والتعجب^(٣).

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْنَىٰ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٦٤]
حيث قدم المفعول لكونه محط الإنكار.

(١) تمام المتون : ص ٢٧٩.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٥٤.

(٣) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص ١١٦.

المبحث الثاني

القصر

القصر لغة: الحبس ، ومنه قوله تعالى: ﴿ حُرِّ مَقْصُورَتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٢].

واصطلاحاً: تخصيص أمر بأمر آخر بطريق مخصوص . يقول الهاشمي:
"القصر لغة: الحبس، واصطلاحاً: هو تخصيص أمر بأمر آخر بطريق مخصص.
أو هو إثبات الحكم لما يذكر في الكلام ونفيه عما عداه"^(١).
تقسيم القصر من حيث طرفيه:
ينقسم القصر باعتباره طرفيه إلى قسمين:
أ) قصر صفة على موصوف:

مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] . فلما كان العلماء مقصور عليه _ وهو موصوف _ لذا كان القصر قصر صفة على موصوف.

ب) قصر الموصوف على الصفة:

نحو قوله تعالى: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ [المائدة: ٧٥] .
والمقصود عليه هنا رسول _ وهو صفة _ ، وحينما يكون المقصور عليه صفة يكون القصر قصر موصوف على صفة.
تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع:
ينقسم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى قسمين :
أ) قصر حقيقي:

وهو أن يختص المقصور بالمقصود عليه لا يتعداه في الحقيقة والواقع .

(١) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص ١٥٢.

فإذا قلنا: "إنّما خاتم الأنبياء محمد" ، فهو من حيث الحقيقة والواقع كذلك ،
لأنّه لا خاتم للأنبياء غيره . وإذا قلنا: "لا رازق إلا الله" ، فصفة الرزق لا
تتعدى الله عز وجل إلى سواه . والملاحظ أنّ كل قصر حقيقي لا بد أن يكون
قصر صفة على موصوف^(١).

(ب) قصر إضافي:

ويكون بحسب الإضافة إلى شيء معين ، فإذا قلنا إنّما الشاعر المتنبي ،
فصفة الشعر يمكن أن نضيفها إلى المتنبي ونضيفها إلى غيره ، والواقع يؤكد
وجود شعراء كثيرين غير المتنبي . وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾
[آل عمران: ١٤٤] . قصر إضافي ، لأنّ لرسول الله ﷺ صفات أخرى غير الرسالة ،
فهو نبي ، وقائد ، وزاهد ، وعابد ، وأب رحيم ، وزوج كريم ، وغيرها من
صفاته العظيمة التي لا تحصى.

والجدير بالذكر أن كل قصر موصوف على صفة قصر إضافي ، وأما
قصر الصفة على الموصوف ، فقد يكون حقيقياً أو إضافياً.

هذا وهنالك تقسيمات أخرى للقصر ليس هذا مجالها ، ولكن نوع
القصر الذي يتباري في ميدانه أرباب البلاغة ، وأهل الأدب ، هو القصر
الإضافي . يقول دكتور فضل حسن عباس: "للقصر أقسام متعددة ، وذلك
لأنّه له اعتبارات مختلفة ، وحيثيات متنوعة ، فمن حيث طرفه ولفظه له
تقسيم ، ومن حيث الواقع له تقسيم ، ومن حيث المخاطب الذي من أجله
جننا بأسلوب القصر له تقسيم ثالث"^(٢).

(١) علوم البلاغة ، للمراغي : ص ١٥٣.

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها ، دكتور فضل حسن عباس. دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، ط ١٤٢٨ هـ _

طرق القصر :

أ) النفي والاستثناء: مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ٧] . وفي هذه الحالة يكون المقصور عليه بعد أداة الاستثناء . يقول الهاشمي : "الأصل في النفي والاستثناء أن يجيء لأمر ينكره المخاطب ، أو يشك فيه ، أو لما هو منزل هذه المنزلة ، مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٣] .

ب) القصر بإنما: مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ ﴾ [الحديد: ٢٠] . وهنا يكون المقصور عليه مؤخرًا ، وهو "لعب" وهو وزينة وتفاخر" . يقول الهاشمي : "الأصل في إنما أن تجيء لأمر من شأنه ألا يجهله المخاطب ولا ينكره ، وإنما يراد تنبيهه فقط ، أو لما هو منزل هذه المنزلة" (١) . فقد أراد المولي عز وجل أن ينبه إلى حقيقة الدنيا ، ولذا قدمت ، ولو أخرت لما كان للفظ حسن وجمال .

يقول الجرجاني في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] : "وها هنا كلام ينبغي أن تعلمه ، إلا أنني أكتب لك من قبله مسألة ، لأن فيها عوناً عليه ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ في تقديم اسم الله عز وجل معنى خلاف ما يكون له آخر ، وإنما يبين لك ذلك إذا اعتبرت الحكم في "ما" و"إلا" ، وحصلت الفرق بين أن تقول: "ما ضرب زيداً إلا عمرو" ، وبين قولك: "ما ضرب عمرو إلا زيد" (٢) .

ج) العطف "بلا" و"بل" و"لكن" : مثل قولنا: الأرض متحركة لا ثابتة ، فالمقصود عليه يكون مقابلاً لما بعدها ، فالمقصود عليه "متحركة" ، لأنها تقابل "ثابتة" ، والنفي بـ"لا" العاطفة لا يجتمع مع النفي والاستثناء ، فلا نقول: ما محمد إلا ذكي لا غبي (٣) .

(١) جواهر البلاغة، للهاشمي: ص ١٥٤.

(٢) دلائل الإعجاز ، للجرجاني : ص ٣٣٨.

(٣) جواهر البلاغة، للهاشمي : ص ١٥٥.

العطف بـ "بل" وبـ "لكن" مثل قولنا: ما الأرض ثابتة بل متحركة ، وما الأرض ثابتة لكن متحركة . يقول الهاشمي: "والمقصور عليه مع "بل" أو "لكن" العاطفتين هو الواقع بعدهما ، نحو: "ما الفخر بالمال بل بالعلم" ، ونحو: "ما الفخر بالنسب لكن بالتقوى"^(١).

(د) تقديم ما حقه التأخير: مثل قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] . حيث المقدم المفعول به على الفعل والفاعل ، وفي هذه الحالة يكون المقصود عليه هو المقدم ، وهو لفظ "إياك" . قال الهاشمي: "والمقصود عليه: في تقديم ما حقه التأخير هو المقدم ، نحو: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [يونس: ٨٥]"^(٢).

القصر في كتاب تمام المتون

قسمت القصر في هذا المبحث على أربعة أقسام على عدد طرقه الأربعة ، ابتدأت بالنفي والاستثناء ، ثم إنَّما ، فالعطف بلا وبل ولكن ، ثم تقديم ما حقه التأخير ، ثم ذكرت الأمثلة التي تجري في مجرى هذه الطرق . وقد سماه الصفدي بالتخصيص . يقول الصفدي في شرحه لقول ابن زيدون: "فلك المثل الأعلى ، وهو بك وببي وفيك أولى" . يقول : "وما أحسن قوله: "وهو بكوبي ، وفيك أولى" ، كأنه يقول: هو بك أولى ، وهو بك كذلك ، إذا كان فيك ، فكلا الحالين مخصوص بك"^(٣).

والقصر كما هو معلوم تخصيص بأمر آخر بطريق مخصوص ، ولذلك نجد الصفدي ينعته بالتخصيص ، يقول الصفدي: "قال الزمخشري في كشافه: فإن قلت: لم أخرت الصلة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] ، وقدمت في قوله تعالى: ﴿هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾ [مريم: ٩]، قلت: هنالك قصد

(١) جواهر البلاغة، للهاشمي : ص ١٥٥.

(٢) المصدر السابق : ص ١٥٥.

(٣) تمام المتون : ص ٣٠٧.

الاختصاص ، وهو محزه ، فليل: هو على هين ، وإن كان متصعباً عندكم أن يولد بين هم^(١) وعافر، وأما هنا فلا معنى للاختصاص ، كيف والأمر مبنى على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء ، فلو قدمت الصلة لتغير المعنى"^(٢). وما ذكره الصفدي ينطبق على طريق واحد من طرق القصر ، هو تقديم ما حقه التأخير.

(أ) النفي والاستثناء:

(١) قال ابن زيدون: "وهل لبس الصباح إلا برداً طرزته بفضائك"^(٣).

أي : أنّ النور الواضح والضوء الذي في النهار ما هو إلا برداً طرزته أنت بفضائك وإحسانك. فقد قصر لبس الصباح على البرد الذي طرزته الممدوح ، عن طريق النفي والاستثناء ، ونوع القصر باعتبار طرفيه قصر صفة على موصوف ، وباعتبار الحقيقة والواقع فهو قصر إضافي. ومثله قول أبي تمام:

وما السيف إلا زبرة لو تركت على الحالة الأولى لما كان يقطع^(٤)

حصر السيف في صفة احدة وهي أنه زبرة^(٥).

وقبل هذا البيت قوله:

فصار اسمه في النائبات مدافعاً وكان اسمه من قبل وهو مدقع

والمعنى: أنّ هذا المدقع لما أعنته صار مدافعاً ، وكان كالزبرة من الحديد

(١) الهم : هو الرجل الفاني . انظر : الكشف ، للزخشري : ج ٣ ، ص ٣٧٥ .

(٢) تمام المتون : ص ٣٨٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٨٨ .

(٤) المصدر السابق : ص ٦٨ . انظر : شرح ديوان أبي تمام ، للخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده

علام ، دار المعارف، القاهرة ، ط ٤ : ج ٢ ، ص ٣٣٤ .

(٥) وزبرة الحديد : القطعة الضخمة منه والجمع زُبُرٌ ، انظر لسان العرب : ج ٤ ، ص ٢١٥ .

لما صنعها الصانع وقام عليها صارت سيفاً يقطع ، ولولا ذلك لم يكن لها إلى القطع سبيل، وقد صار هذا البيت مثلاً. فطريقة القصر النفي والاستثناء والقصر قصر صفة على موصوف. قال أبي سعيد الرستمي^(١):

فما لي رجاء في سواك ولا يرى يمر قريضي عند غيرك أو يحلّي
وهل بارق يشتام إلا من الحيا وهل عسل يشتار إلا من النحل^(٢)
في قوله: "وهل بارق يشتام إلى من الحيا"، وقوله: "وهل عسل يشتار إلا من النحل"، قصر صفة على موصوف. فقد قصر اشتيام البرق على المطر، واشتیار العسل على النحل فقط.

وقول أبي فراس الحمداني:
ما كنت إلا السيف أخلصه القيون فزاد صقلاً
يفري رؤوس عداته ويشلهم بالضرب شلاً^(٣)
في قوله: "ما كنت إلا السيف"، حصر نفسه في صفة واحدة وهي أنه مثل السيف المصقول، وهذا قصر موصوف على صفة.
(٢) قال ابن زيدون: "وما نبهتك إلا لأنام، وسريت لك إلا لأحمد السري إليك"^(٤).

يقول الصفدي: "هذا فيه إشارة إلى المثل السائر وهو: "نبه لها عمراً ثم نم"^(٥). حتى لا يفهم السامع أنه نبه لشيء آخر.

(١) محمد بن محمد بن الحسن، أبو سعيد الرستمي: من شعراء العصر في الطبقة الأولى، يمتاز شعره بفصاحة البداوة، وحلاوة الحضارة. انظر: يتيمة الدهر، للثعالبي: ج ٣، ص ٢٧٧.

(٢) تمام المتون: ص ٢٦٧. انظر: يتيمة الدهر، للثعالبي: ج ٣، ص ٢٩٢.

(٣) تمام المتون: ص ٦٨. انظر: ديوان أبي فراس، تحقيق دكتور يوسف شكري فرحات، دار الجليل، بيروت: ص ٢٧٠.

(٤) تمام المتون: ص ٣٥٢.

(٥) المصدر السابق: ص ٣٥٢.

(ب) القصر بأنما:

قال محمد بن القاسم بن عاصم شاكر الحاكم^(١):

ما زلزلت مصر من كيد يراد بها وإنما رقصت من عدله طرباً^(٢)
قصر صفة على موصوف ، لأنه حصر سبب رقص الأرض أنه من
عدله ، فهي في طرب. وإن كان تعليله غير بليغ ، لأن الأول خيف محزن ،
والأخير مفرح مطرب .

وقال أبو اسحق الغزي^(٣):

فقلت العلا بالمكرمات وإنما ينم بأسرار السيوف الصواقل^(٤)
حصر المعرفة بأسرار السيوف في الصياقل فقط ، فهم الذي يجلون
السيوف من الصدا ، ولما كانت المعرفة بأسرار السيف صفة ، وهي المقصور
، والصياقل موصوف، وهي المقصور عليه ، كان القصر قصر صفة على
موصوف .

يقول البعيث المجاشعي^(٥):

طمعت بليلى أن تريع وإنما تقطع أعناق الرجال المطامع^(٦)
هذا وقد أخذ ابن زيدون قوله: "وأصفيح عن المطامع التي تقطع
أعناق الرجال" من قول البعيث ، وقد أشار الصفدي إلي هذا في شرحه .

(١) محمد بن القاسم بن عاصم: المعروف بصناعة الدوح ، شاعر الحاكم صاحب مصر . انظر :
الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ٣ ، ص ١٩٤ .

(٢) تمام المتون : ص ٦٧ . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ٣ ، ص ١٩٤ .

(٣) إبراهيم بن عثمان بن محمد ، أبو اسحاق الغزي: أحد فضلاء الدهر ، ومن سار ذكره بالشعر
الجيد . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ٦ ، ص ٣٥ .

(٤) تمام المتون : ص ٦٨ .

(٥) خدّاش بن بشر أبو مالك المجاشعي: لقبه البعيث ، كان أخطب بني تميم إذا أخذ القنّة ، وكان
يهاجي جريراً . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ٩ ص ٢٥٠ .

(٦) تمام المتون : ص ٣١٣ .

وهذا أسلوب قصر ، حيث قصر الشاعر قطع أعناق الرجال على المطامع ، ولما كان قطع الأعناق صفة ، والمطامع موصوف ، كان القصر باعتبار طرفيه قصر صفة على موصوف. أما باعتبار الحقيقة والواقع فهو إضافي ، لأنّ هذه الصفة يمكن أن تضاف إلى المطامع وإلى غيرها ، ولكنه أدعى أنّ المطامع هي التي تقود الرجال إلى المهالك .

يقول الجرجاني : "وأما مثال ما ينزل هذه المنزلة فكقوله:

إنّما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

إدعي كون الممدوح بهذه الصفة ، أنّه أمر ظاهر معلوم للجميع على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدعوا في الأوصاف التي يذكرون بها الممدوحين أنّها ثابتة لهم ، وأنّهم قد شهرها بها ، وأنّهم لم يصفوا إلا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد"^(١).

ج) العطف بـ"بل" و"لا":

قال الصفدي : "قال محمد بن كثير^(٢)، يخاطب ابن الزبير^(٣)، لما حبس

محمد بن الحنفية^(٤)، في سجن عارم:

تخبر من لاقيت أنّك عائد بل العائد المحبوس في بطن عارم"^(٥)

(١) دلائل الإعجاز ، للجرجاني : ص ٣٣١.

(٢) قائل البيت ليس محمد بن كثير ونسبته إليه تصحيف ، وإنّما القائل هو كثير عزة ، وقد أورده المبرد في الكامل : ج ٣ ، ص ١٤٦ ، وأورد بعده قوله :

وصي النبي المصطفى وابن عمه وفكك أعناق وقاضي مغارم

(٣) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ، أبوبكر : فارس قریش في زمنه ، وأول مولود في الإسلام بالمدينة بعد الهجرة . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ٨٧.

(٤) محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، أبو القاسم: أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام ، وهو أخو الحسن والحسين ، غير أن أمهما فاطمة الزهراء ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ، ينسب إليها تمييزاً له عنهما، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ١ ، ص ٢٠٧.

(٥) تمام المتون : ص ٢١٧ . انظر : ديوان كثير عزة ، شرح عدنان زكي درويش ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م : ص ٣٦٤ .

نفي أن يكون هو العائد ، فأتي بأداة العطف "بل" ، وقصر القول
على محمد بن الحنفية ، أي : ليس أنت العائد يا ابن الزبير ، بل العائد هو.
ومن العطف بـ "لا" : قول ابن المنير الطرابلسي :

للقفر لا للفقير هبها إنما مغناك ما أغناك أن تتوسلا^(١)

في قوله: "للقفر لا للفقير" ، نفي الفقر وأثبت القفر، حتى لا يقول
قائل أنه لهما معاً ، وأتي بـ "لا" العاطفة ، حتى يثبت القفر ، وينفي الفقر.
(د) تقديم ما حقه التأخير:

(١) قال ابن زيدون: "فلك المثل الأعلى وهو بك وببي وفيك أولى"^(٢).

قال الصفدي: "والمثل الأعلى : الصفة العليا ، قال ابن عباس رضي
الله عنهما: "هي أن ليس كمثله شيء ، أو هي أنه لا إله إلا هو" . وما
أحسن قوله: "وهو بك وببي ، وفيك أولى" ، كأنه يقول: هو بك أولى ، وهو
بي كذلك ، إذا كان فيك فكلا الحالين مخصوص بك"^(٣).

وهذا قصر صفة على موصوف ، حيث قدم شبه الجملة "الجار
والمجرور" ، وحصر المثل الأعلى في الممدوح فقط .

ويقول الصفدي : "يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧] . وهذا أيضاً قصر صفة على موصوف
، وباعتبار الحقيقة والواقع قصر حقيقي .

(١) تمام المتون : ص ٣٠٧ . انظر : ديوان الطرابلسي : ص ١٠٣ . وهذا البيت من قصيدة مطلعها:

أخلى فصد عن الحميم وما اختلى ورأي الحمام يقصة فتوسلا

(٢) تمام المتون : ص ٣٠٧ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٠٧ .

وقال محمد بن القاسم بن عاصم:
بالحاكم العادل أضحي الدين معتلياً
نجل العلا وسليل السادة العلماء^(١)

في قوله : " بالحاكم العادل أضحي " ، قصر صفة على موصوف ، حيث
قصر علو الدين وسموه بفضل الحاكم فقط ، لا يشاركه أحد في هذه الصفة.
(٢) قال ابن زيدون: " وفي كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار " ^(٣).
واستمجد المرخ والعفار ، أي : استكثر ، وأخذنا من النار ما هو
حسبهما ، شبهاً بمن يكثر العطاء طالباً للمجد ، لأنّهما يسرعان الوري ^(٣).
قال الصفدي : " ليس في الشجر كله أوري ناراً من المرخ ، وربما كان
المرخ متجمعاً ، وهبت الريح فأحترق بعضه ببعض ، فأورى النار ، واحترق كله
، ولم يرى ذلك في سائر الشجر " ^(٤). وهذا قصر صفة على موصوف.

(١) تمام المتون : ص ٦٧.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٤١.

(٣) مجمع الأمثال، للميداني : ج ٢، ص ٣١.

(٤) تمام المتون : ص ٣٤١.

الباب الثاني

الفصل الأول : التشبيه

- المبحث الأول: التشبيه المفرد .
 - المبحث الثاني: تشبه النمثيل .
 - المبحث الثالث: التشبه الضمني .
- ### الفصل الثاني: المجاز اللفوي .

- المبحث الأول: الاسنارة النصريية .
- المبحث الثاني: الاسنارة المكنية .
- المبحث الثالث: الاسنارة النمثيلية .
- المبحث الرابع: المجاز العقلي .
- والمرسل .

الفصل الثالث : الكناية .

- المبحث الأول: الكناية عن صفة .
- المبحث الثاني: الكناية عن موصوف .
- المبحث الثالث: الكناية عن نسبة .

علم البيان

تعريفه :

البيان لغة: الكشف والإيضاح . قال ابن فارس ^(١): "وبان الشيء: أتضح وأبان فهو بَيِّنٌ ومُبين. والبيان: هو الكشف عن الشيء وفلان أبين من فلان، أي: أفصح وأوضح كلاماً" ^(٢).

واصطلاحاً: أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد ، بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة على نفس المعنى ، ولا بد من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائماً .

يقول الخطيب القزويني: "وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ، في وضوح الدلالة عليه ، ودلالة اللفظ" ^(٣). أي: يعرف من عرف تلك الأصول ، كيف يعبر عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة بعضها عن بعض .

فعلم البيان علم يتمكن من إبراز المعنى الواحد بصور متباينة . مثل التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والكناية وغيرها. فالبلوغ العارف بعلم البيان يستطيع أن يختار من فنون القول ، وطرق الكلام ، ما هو أقرب لمقصده ، وأليق بغرضه. يقول المراغي: "إن الضليع بهذا الفن إذا حاول التعبير عما يختلج في صدره من المعاني وجد السبيل ممهداً ، فيختار ما هو أليق بمقصده ، وأشبه بمطلبه ، من فنون القول ، وأساليب الكلام ، فإذا حثَّ همة الشجعان

(١) أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن : اللغوي ، صاحب كتاب المجل . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٣٧٩ .

(٢) مجمل اللغة ، لابن فارس ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة : ج ١ ، ص ١٤١ .

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، تحقيق مجدي فتحي السيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر : ص ١٣٥ .

على اقتحام غمار الوغى ، بهرهم بساحر بيانه ، وعظيم إحسانه ، فإن شاء شبههم بأسود خفان ، فقال: وكأنكم أسود لها في غيل خفان أشبل، وإن شاء استعار ، وقال: "إني أرى هنا أسوداً تتحفز للكر والفر، وتشب لاقتناص فرائسها ، ولها قدم إلى الأخذ بنواصيها ، وحز رؤوسها، وإن أراد كني عن مقصده ، ووري عن مراده ، فقال: ألبسوا لعدوكم جلد النمر ، واقلبوا له ظهر الجحش ، فإنه قد ورم أنفه عليكم ، وداسكم تحت أقدامه ، هنالك تناديه القلوب ، وتتسابق عليه الفرسان قائلة: لبيك لبيك ، نحن أولاء نحمي الذمار ، ونجبر الجار ، ونجز الأقران ، ونصرعهم في الميدان ، ونبيع النفوس رخيصة ، ونشتري بها المجد والسؤدد"^(١).

يتضح لنا مما سبق أن علم البيان يتيح لك أن تعبر عن الموضوع الواحد بطرق مختلفة ، فقد نجد مثلاً مجموعة من الأدباء كلهم يتحدثون عن الشجاعة ، ولكنهم يعبرون عنها بأساليب مختلفة .

فأنت بمعرفتك لعلم البيان تستطيع أن توضح وتكشف وتبين الفنون البيانية المختلفة ، وتميزها. يقول السيوطي^(٢): "وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال بطرق مختلفة في إيضاح الدلالة عليه ، بان يكون بعض الطرق واضح الدلالة ، وبعضها أوضح ، فخرج معرفة إيراده بطرق مختلفة في اللفظ والعبارة فقط؟ والمراد بالمعنى الواحد كل معنى يدخل تحت قصد المتكلم وإرادته"^(٣).

(١) علوم البلاغة ، للمراغي: ص٢٠٧-٢٠٨.

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن الشيخ همام الدين الخضري السيوطي الشافعي جلال الدين . انظر: شذرات الذهب ، لابن العماد : ج٨ ، ص٧٨ . وانظر : الأعلام ، للزركلي : ج٢ ، ص٥٢.

(٣) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، للحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان : ص٧٧ .

الفصل الأول : التشبيه

المبحث الأول: التشبيه المفرد .

المبحث الثاني: تشبيه النمثيل .

المبحث الثالث: التشبيه الضمني .

الفصل الأول

النشبيه

تعريفه :

النشبيه لغة: التمثيل تقول شابه الشيء إذا ماثله. واصطلاحاً: عقد مماثلة بين شيئين أو أكثر ، اشتركا في صفة أو أكثر ، بأداة لغرض يقصده المتكلم ، أو مشاركة أمر لأمر في معنى ، بأدوات معلومة.

قال الجرجاني^(١): "اعلم أنّ الشئين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين، أحدهما: أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج فيه إلى تأويل، والآخر: أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأويل ، فمثال الأول: تشبيه الشيء من جهة الصورة والشكل ، نحو أن يُشبه الشيء إذا استدار بالكرة وبالخلقة في وجه آخر... ومثال الثاني : وهو الشبه الذي يحصل بضرب من التأويل ، كقولك هذه حجة كالشمس في الظهور ، وقد شُبّهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها"^(٢).

ومعنى هذا أنّ تشبيه الشيء بالشيء مثل تشبيه القد بالغصن ، لأنّ كلاهما معتدل وناعم ويتثنى . أو بتشبيه صوت بصوت ، مثل تشبيه صوت المدافع بصوت الرعود . ويمثل له الجرجاني بقوله: "كتشبيه أطيّط الرجل بأصوات الفراريج كما قال:

كأنّ أصوات من إيغالهن بنا أواخر الميس إنقاض الفراريج

(١) عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي : واضع أصول البلاغة، انظر :

شذرات الذهب ، لابن العماد : ج ٤ ، ص ٣٣.

(٢) أسرار البلاغة في علم البيان ، للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد رشيد رضا ، دار

المعرفة ، بيروت ، لبنان : ص ٧٢ .

تقدير البيت: كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريح من إيغالهن بنا ، ثم فصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله: "من إيغالهن" ، ومعنى البيت : أن بعض الرجل يحك بعضه بعضاً ، فيحصل صوت يشبه صوت صغار الدجاج ، ووجه الشبه الاشتراك في النغمة الخاصة . وقد جعله العسكري^(١): ثلاثة أوجه حيث يقول: "والتشبيه على ثلاث أوجه: فواحد منها تشبيه شيئين متفقين من جهة اللون ، مثل تشبيه الليلة بالليلة ، والماء بالماء ، والغراب بالغراب ، والحررة بالحررة ، والآخر تشبيه شيئين متفقين يعرف اتفاقهما بدليل ، كتشبيه الجوهر بالجوهر ، والسواد بالسواد ، والثالث تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما لطافة التعبير ودقة المسلك"^(٢).

وأسلوب التشبيه من أكثر الأساليب البلاغية ذيوماً في الشعر العربي ، وبه تقاس مقدرة الشاعر ، وملكوته البيانية ، ومهارته في تصوير البيئة التي يعيش فيها ، وهو مرتبط بمقدرة الخيال على الابتكار والإبداع.

يقول الهاشمي: "ومن أساليب البيان أنك إذا أردت إثبات صفة لموصوف مع التوضيح أو وجه من المبالغة عمدت إلى شيء آخر تكون هذه الصفة واضحة فيه ، وعقدت بين الاثنين مماثلة تجعلها وسيلة لتوضيح الصفة أو المبالغة في إثباتها ، لهذا كان التشبيه أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى"^(٣).

(١) الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران أبو هلال العسكري . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٢ ، ص ١٩٦ .

(٢) الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق دكتور مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، سنة ١٤٠٤ هـ _ ١٩٨٤ م : ص ٢٤٠ .

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع ، تأليف السيد أحمد الهاشمي ، تحقيق محمد رضوان مهنا ، مكتبة الإيمان ، ط ١ ، سنة ١٤٢٠ هـ _ ١٩٩٩ م : ص ٢٠٥ .

أركان التشبيه وأقسامه

أركانه:

للتشبيه أربعة أركان هي: المشبه والمشبه به وهما طرفا التشبيه ، ولا بد من وجودهما حتى يسمى التشبيه تشبيهاً ، ووجه الشبه وهو الصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به، وأداة التشبيه هي الرابط بين المشبه والمشبه به ، مثل الكاف وكأن وشبه ومثل وغيرها.

قال المراغي: "مما سبق نعلم أنّ أركانه أربعة: مشبه ومشبه به، ويسميان بالطرفين ، ووجه شبه وأداة"^(١).
أقسامه:

(١) تشبيه صريح : وهو قسمان:

(أ) تشبيه مفرد: وهو ما يحمل وجه شبه واحد أي أن الصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به صفة واحدة. وهو أنواع.
ف باعتبار وجه الشبه ينقسم إلى:

(١) مفصل: وهو ما ذكر فيه وجه الشبه أو ملزومه مثل : حاتم كالبحر في جوده ، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ ^(٢٤) تَوَاتَى أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٥].

فقد شبه القرآن الكريم الكلمة الطيبة وأثرها في النفس بالشجرة الطيبة الضاربة بجذورها في أعماق الأرض ، ومع ذلك ترتفع فروعها عالية في السماء ، وأداة التشبيه هي الكاف ، والصفة المشتركة هي الرسوخ والثبات.

(٢) مجمل: وهو ما حذف منه وجه الشبه ، مثل زيد كالأسد يقول الشاعر:

(١) علوم البلاغة، للمراغي : ص ٢١٣.

إنّما الدنيا كبيت نسجه من عنكبوت^(١)

فوجه الشبه هنا محذوف ، ولكنه ظاهر ومعروف ، وهو الوهن والضعف في كل.

وباعتبار الأداء ينقسم للآتي:

(١) المرسل: وهو ما ذكرت فيه الأداة . مثل قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧] .

(٢) المؤكد: وهو ما حذفت منه الأداة . مثل قولنا حاتم بحر في جوده ، ومثل قول الشاعر:

وتراكضوا خيل الشباب وبادروا أن تسترد فإنّهنّ عوار^(٢)
(٣) البليغ: وهو ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه . مثل قول الشاعر:
لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء^(٣)

فذكر الطرفين هنا "لساني، صارم" يوهم اتحادهما ، وعدم تفاضلهما ، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به ، وهذه مبالغة في قوة التشبيه ، وهذا أبلغ وأقوى أنواع التشبيه ، فإذا قلنا زيد أسد ، فحذف الأداة يؤكد الاتحاد بين المشبه والمشبه به ، وحذف وجه الشبه يؤكد التشابه في كل شيء.

قال الهاشمي: "التشبيه البليغ : ما بلغ درجة القبول لحسنه ، أو الطيب الحسن ، فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور يحتاج في إدراكه إلى إعمال الفكر ، كان ذلك أفعال في النفس ، وأدعى إلى تأثرها واهتزازها لما هو مركز

(١) علوم البلاغة، للمراغي : ص ٢٢٨.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٤٢.

(٣) ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق دكتور وليد عرفان، دار صادر، بيروت : ج ١، ص ١٨ .

في الطبع ، مع أنّ الشيء إذا نيل بعد الطلب له ، والاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين ، كان أحلى ، وموقعه في النفس أجل وألطف، وكانت به أحنن وأشفق ، وما أشبه هذا الضرب من المعاني بالجوهر في الصدف"^(١).

ب) تشبيه تمثيل: وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد ، مثل قول أبي الطيب:

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب^(٢)

يشبه أبو الطيب صورة جانبي الجيش ميمنة وميسرة والأمير سيف الدولة يتوسطهما ، وما فيهما من حركة واضطراب بصورة عقاب تنفض جناحيها وتحركهما ، ووجه الشبه هنا ليس مفرداً ، ولكنه منتزع من متعدد صور ، وهو وجود جانبيين لشيء في حال حركة وتموج .

وكقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]. حيث نجد في الآية الكريمة تشبيه هيئة اليهود الذين يحفظون التوراة ولا ينتفعون بها ، بهيئة وحال الحمار الذي يحمل كتباً على ظهره ولا يستفيد منها غير التعب .

قال الخطيب القزويني: "فإنه أيضاً منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روعي من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهي الأسفار التي هي أوعية العلوم ، وأن الحمار جاهل بما فيها ، وكذا في جانب المشبه"^(٣).

(١) جواهر البلاغة ، للهاشمي: ص ٢٢٦.

(٢) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ٢٠١.

(٣) الإيضاح ، للقزويني : ص ١٤٨.

هذا ومن التشبيهات التي تأتي على غير طرق التشبيه الأصلية ،
التشبيه المقلوب ، والتشبيه الضمني . فالمقلوب ، مثل قول البحري^(١) :
في طلعة البدر شيء من محاسنها وللقضيب نصيب من تشيها^(٢)
فالمعارف عليه تشبيه الوجوه الحسنة بالبدور ، والقامات بالقُضْب
فيالاستقامة والتشي ، لكنّه عكس ذلك مبالغة ، وهذا ادعاء بأنّ المشبه أفضل
من المشبه به.

وأما التشبيه الضمني ، فيختلف عن باقي التشبيهات حيث نجد أنّ
المشبه والمشبه به لا يوضعان في صورة من صور التشبيه المعروفة ، بل
يلمحان لمحا ، ويفهمان من المعنى ، ويكون المشبه به دليلاً وبرهاناً على إمكان
ما اسند إلى المشبه . ومنه قول المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليهما لجرح بميت إيلام^(٣)

أي: أنّ الذي اعتاد الهوان والذل يسهل عليه تحمله ولا يتألم له ، وليس
هذا الادعاء باطلاً ، لأنّ الميت إذا جرح لا يتألم. ونجد هنا تلميح بالتشبيه في
غير صراحة ، وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة ، وهنا أكد أنّ
الحكم المسند إلى المشبه ممكن . ومثله قول الشاعر:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي^(٤)

أي : لا تنكري خلو الرجل الكريم من الغنى ، فإنّ ذلك ليس عجباً
لأنّ أعالي الجبال لا تستقر فيها مياه السيول ، وفي هذه العبارة يلمح اللبيب

(١) الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي البحري : أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم
وهم : المتنبي وابو تمام والبحري . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٨ ، ص ١٢١ .

(٢) ديوان البحري ، شرح وتقديم حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م : ج ٢
، ص ٥٤٢ .

(٣) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ١٤٠ .

(٤) شرح ديوان أبي تمام ، للتبريزي : ج ٣ ، ص ٧٧ .

الفطن تشبيها غير صريح ، ثم أتى بعد ذلك بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى في صورة دليل ، فالكريم لا يستقر المال في يده وهذا هو المشبه ، والدليل على ذلك أنّ السيل لا يستقر في القمم العالية "المشبه به"، وهذا المشبه به جاء برهاناً على الحكم الذي أسند إلى المشبه ، فأنظر إلى تشبيه الرجل الكريم غير الغني بقمة الجبل وقد خلت من ماء السيل بطريقة غير صريحة ، تجدها تبعث في النفس نشوة وسروراً.

التشبيه في كتاب " تمام المتون "

ما مِنْ كتابٍ من كتب الأدب العربي ، أو ديوان لشاعر من الشعراء ، إلا تجد التشبيه يحتل موقعا مرموقا ، ومكانا ساميا بداخله ، وذلك استنادا على ما ذكرت أنّ التشبيه من أكثر الأساليب العربية انتشارا في الشعر العربي ، ومن ثمّ نجد أنّ الصفدي قد أورد شواهد شعرية كثيرة في كتابه تحمل في طياتها تشبيهات مختلفة ، لم يقسمها ولذا سنقوم بدارستها وتحليل كل نوع على حدة ، وستكون دراستنا لهذه التشبيهات دراسة موضوعية وهي:

أ) المفرد.

ب) التمثيل.

ج) الضمني. وهو أكثرها وروداً .

وأذكر أولاً ما ورد في الرسالة من تشبيه ، ثم ما ذكره الصفدي من شواهد ، وأقوم بعرضها ودراستها جميعاً.

المبحث الأول

النشبيه المفرد

(١) قال ابن زيدون:

"ألست الموالي فيك غر قصائد

هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما"^(١)

شبه القصائد في جمالها وحسنها وبهائها وسموها بالأنجم ، فالأنجم جميلة وسامية ووضيئة تبهر من يتأملها ، وكذلك قصائده ، وما يجمع بين قصائده والأنجم في هذا التشبيه البليغ هو الحسن والجمال.

(٢) قال ابن زيدون: "والليب يحن إلى وطنه ، حنين النجيب إلى عطنه"^(٢)

أي: أن الإنسان العاقل يحن ويشتاق لوطنه مثل حنين النجيب _ والنجيب: وهو الفحل الكريم من الإبل والجمع نُجَب ونَجائب_ إلى عطنه . والعطن: مفرد جمعه أعطان ومعاطن ، وهو مبارك الإبل .

شبه حنين الإنسان العاقل إلى وطنه بحنين الفحل الكريم إلى مباركه وأعطانه ، فالمشبه هو حنين اللبيب إلى وطنه وبلده ، والمشبه به حنين النجيب إلى عطنه ومبركه ، وهو تشبيه بليغ ، جاء على صورة المفعول المطلق المبين لنوع الفعل .

ومثل هذا النوع من التشبيهات البليغة ورد في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى

الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا

تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨] . حيث شبه مر الجبال بمر السحاب .

(١) تمام المتون : ص ٢٨٦.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٣٠.

(٣) قال ابن زيدون : "وعلمك محيط بأنّ المعروف ثمرة النعمة ، والشفاعة زكاة المروءة"^(١).

شبه المعروف وما يبذله الإنسان من خير للناس ، بأنّه الفائدة التي يجنيها الإنسان من النعمة التي أنعم الله عليه بها ، وشبه شفاعة الإنسان لأخيه والسعي وراء قبول عذره ، والعفو عنه ، بالفائدة التي يجدها من المروءة. وكذلك في قوله : "ثمرة النعمة" و"زكاة المروءة" شبه النعمة بالثمرة وشبه المروءة بالزكاة ، والتشبيهات الأربعة تشبيهات بليغة ، الأول والثاني جاءا على صورة المبتدأ والخبر ، والأخيران جاءا على صورة إضافة المشبه به للمشبه .

يقول الصفدي: وقوله : "المعروف ثمرة النعمة" يشير إلى قول الخفاجي رحمه الله :

فدّى لمن لا يزال نائله تخلف جوداً سحائب الديم
يمنح حتى تدوم نعمته إن العطايا تائم النعم^(٢)
ويقول الصفدي : "ومن كلام الحكمة : بذل الجاه أحد المالين ، وشفاعة اللسان أفضل زكاة الإنسان ، وبذل الجاه رفق المستعين ، والشفيع جناح الطالب"^(٣).

شبه الشفاعة بالجاه بالشفاعة بالمال ، وبرفق المستعين .

وقالت الخنساء:

وإنّ صخراً لمولانا وسيدنا وإنّ صخراً إذا نشتوا لنحار

(١) تمام المتون : ص ٣٥٨.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٥٩.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٥٨.

وإن صخر لتأتم الهداة بهكأنه علم في رأسه نار^(١)
تقول الخنساء في البيت الثاني : إنَّ صخرًا هو إمام الهداة ، وقائد
ركبهم ، وهو معروف ظاهر كأنه جبل على رأسه نار ، شبهت أخاها صخرًا
بالجبل فالمشبه صخر ، والمشبه به الجبل ، الذي على رأسه نار ، واستخدمت
أداة التشبيه كأنَّ ووجه الشبه المحذوف هو اهتداء السائرين بصخر وبالجبل .
والخنساء لم ترضَ لأخيها بأن تأتم به جهال الناس ، حتى جعلته يَأتم به أئمة
الناس ، ولم ترض تشبيهه بالجبل ، حتى جعلت في رأسه ناراً^(٢) . والتشبيه
مرسل مجمل.

وقال أبو أسحاق الغزي:

مصاحبة المنى خطر وجهلوكم شَرِقَ تولد من زلال^(٣)
في قوله: "مصاحبة المنى خطر وجهل" تشبيه بليغ ؛ حيث شبه
مصاحبة المنى وما يحدث من الضياع الذي تسببه ، بالخطر والجهل الذي
يسببه الضياع لمن يتبعه، وحذف وجه الشبه ، والأداة. ووجه الشبه المحذوف
هو الضياع الذي يحدث منها.
وقال ابن سناء الملك^(٤):

والملك العظيم فيهم أسيراً مستضاماً فأجعل له النار سجنا
يحسب النوم يقظة ويظن الشخص طوداً ويبصر الشمس دُجْناً

(١) تمام المتون : ص ٣٢. انظر : ديوان الخنساء ، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م : ص ٤٠ . انظر : الكامل ، للمبرد :
ج ٤ ، ص ٣١٧ .

(٢) خزانة الأدب ، لابن حجة : ج ٣ ، ص ١٧٠ .

(٣) تمام المتون : ص ٤٦ .

(٤) هبة الله بن جعفر بن سناء الملك أبي عبد الله بن هبة الله السعدي أبو القاسم القاضي السعيد:
شاعر . انظر : الأعلام ، للزركلي: ج ٨ ، ص ٧١ .

كم تمنى اللقاء حتى رآه فتمنى لو أنه ما تمنى^(١)

وفي هذه الأبيات يمدح الشاعر الملك الناصر ، ويتحدث عن الفرنج ، يقول:
قائدهم العظيم صار أسيراً وذليلاً ، ويدعوه بأن يجعل سجن هذا القائد من
نار حتى يصبح نومه كاليقظة ، ويرى النار ظلاماً ، والذي أمامه يحسبه جبلاً .
ويقول : إنَّ ملك الفرنج تمنى لقاء الملك الناصر ، فلما رآه تمنى لو أنه لم
يتمنى لقاءه . وهذه من التشبيهات البليغة التي على صورة الحال وصاحبها .
يقول أبو الطيب :

وإذا اهتز للندى كان بحراً وإذا اهتز للوغى كان نصلاً
وإذا الأرض أظلمت كان شمساً وإذا الأرض أمحلت كان وبلاً^(٢)
فحرف التشبيه هاهنا مضمر ، وتقديره كأنه كان بحراً ، وكان كأنه
نصل . وكذلك يقال في البيت الثاني: كان كأنه شمس ، وكان كأنه ببل ، فهذه
أوصاف أربعة جامعة بين المشبه والمشبه به ، وهي كما ترى في غاية الحسن
والجمال ، وكذلك في الغاية القصوى من التناسب والتلاؤم^(٣) .
وهو مثل التشبيه في أبيات ابن سناء الملك فقله: "النوم يقظة" ،
و"الشخص طوداً" ، و"الشمس دجناً" كلها تشبيهات بليغة ، الأول جاء
على صورة المبتدأ والخبر ، والثاني والثالث جاء على صورة الحال ، وما
استشهد به الصفدي من كلام ابن سناء الملك يعد من أجمل التشبيهات
وأحسنها ، لأنه جمع عدة تشبيهات كلها حسنة وبديعة.

(١) تمام المتون : ص ٥٠ . انظر : ديوان ابن سناء الملك ، تحقيق محمد إبراهيم نصر و د. حسين

محمد نصار . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٨ هـ _ ١٩٦٩ م : ج ٢ ، ص ٣٤٢ .

(٢) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ٣٢٢ .

(٣) المثل السائر ، لضيء الدين ابن الأثير : ج ١ ، ص ٣٥٨ .

وفي قوله: "فأجعل له النار سجنًا"^(١). تشبيهه مقلوب ، لأنّ وجه الشبه هنا هو شدة العذاب في النار والسجن ، وهو في النار أشد - فوجه الشبه في المشبه أقوى منه في المشبه به ، والأصل أن يكون أقوى منه في المشبهه. وقال البخارزي^(٢):

هي الآداب حلّية غير أنّي بحرفتها اضطرت إلى الصّغار^(٣)
في قوله: "هي الآداب حلّية" تشبيهه بليغ ، حيث شبه الآداب بالحلّية والدرر ، ووجه الشبه المحذوف هو الحسن والجمال في كلِّ. وقال أبو تمام:

حسد القرابة للقرابة قرحة أعيت عواندها وجرح أقدم^(٤)
وهذا البيت من قصيدة مدح بها مالك بن طوق^(٥) ، فقد شبه حسد القريب للقريب بالقرحة التي أعيت من يداويها ، وشبهها أيضاً : بالجرح القديم الغائر الذي لا شفاء منه. وقال أبو ذؤيب الهزلي:

فالعين بعدهم كأنّ حِداقها سملت بشوك فهي عور تدمع
حتى كأنّني للحوادث مروءة بصفاء المشقر كل يوم تقرع^(٦)

(١) تمام المتون : ص ٥٠.

(٢) علي بن الحسن بن علي أبو الحسن البخارزي . انظر: الأعلام ، للزركلي : ج ٢، ص ٢٧٣-٢٧٣.

(٣) تمام المتون : ص ٦٦.

(٤) تمام المتون : ص ٧١.

(٥) مالك بن طوق بن عتاب التغلبي أبو كلثوم: أمير كان من الأشراف الفرسان ، ولي إمارة دمشق للمتوكل ، وكان شاعرا فصيحاً . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٥، ص ٢٦٢ .

(٦) تمام المتون : ص ٦١ . انظر : أبو ذؤيب الهزلي، حياته وشعره، نورة الشعان، شركة الطباعة العربية السعودية ، ط ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م : ص ٥٧ . انظر: شرح المفضليات ، للتبريزي : ج ٢، ص ١٤٠٧.

ففي قوله: " سملت " أي: فقتت بجديد أو ما يجري مجراها ، فإن فقأتها بيدك لم يكن سماً . وفي البيت الثاني: "كأنّي للحوادث مروّة" ، معناه : أنّه صار مطافاً للحوادث تطأه وتدوسه ، فهو في وطئها له بمنزلة تلك المروّة. فقد شبه الألم الذي أصاب عينه ، والقروح التي أصابتها من شدة البكاء على أولاده ، بالألم الذي يحدث لها إذا سملت بشوك ، وما أشدّ أثر الشوك على العين ! ووجه الشبه هو شدة الألم والأذى الذي يحدث في كلّ. وهو تشبيه مرسل ، فالصورة الفنية الرائعة تتمثل في تشبيه دموعه المنهمرة وبكائه الدائم ، بتلك الدموع التي تنهمر من عين سملت بشوك . فكلا العينين في دمعٍ منهما دائم ، وهي من أشد الصور الحزينة المؤثرة في النفس. وفي البيت الثاني : شبه نفسه بالحجر الصلد الأبيض الذي تقتدح منه النار ، ووجه الشبه قوة التحمل ، فهو يتحمل ويصبر على قرع الحوادث ، والحجر يتحمل قرع الناس له . وهو تشبيه مرسل أيضاً.

وقال سيف الدين قزل المشد:

أنت الحسام إذا ما هاج معترك والرمح أنت إذا ما ضاقت السبل^(١)
في قوله: "أنت الحسام" تشبيه بليغ ، جاء على صورة المبتدأ والخبر ، ووجه الشبه المحذوف ، والصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به هو الاحتياج إليهما ساعة الشدة.

وقوله : "الرمح أنت" ، تشبيه مقلوب ، لأنّه جعل المشبه مشبهاً به ، والمشبه به مشبهاً.

وقال ابن الخياط:

فلا تعدل إلى الواشين سمعاً فإنّ كلام أكثرهم كلام
وإنّ الود عندهم نفاق إذا طاوعتهم والحمد ذام

(١) تمام المتون : ص ٧٠.

وللأقوال إن سمعت سهامتقصر عن مواقعها السهام^(١)

شبه الشاعر ودَّ النمام في عدم ثباته وتلويته بالنفاق ، وشبه حمده بالذام ، أي: كأنه هجاء ، لأنه يمدحك أمامك ، ويذمك لغيرك . كما شبه أقواله وأحاديثه وهي تفرق بين الأحباب بالسهام التي تفرق بين أضلاع الجسم.

وقال ابن المعتز^(٢):

قوم هم كدر الحياة وسقمها عرض البلاء بهم على وطالا
يتاكلون ضغينة وخيانة ويرون لحم الغافلين حلالا
وهم فراش الموت يوم ملمةيتهافتونتعاشيا وخبالا
وهم غرابيل الحديث إذا وعوا سراً تقطر منهم أو سالالا^(٣)
في البيت الأول : تشبيهه في قوله: "هم كدر الحياة" حيث شبههم في شرهم وفسادهم بكدر الحياة ، وسقمها وآلامها.
وكذلك في قوله: "وهم فراش الموت" ، أي: أنهم في إيذاء الجليس وإهلاكه مثل فراش الموت. وفي قوله: "وهم غرابيل الحديث" ، حيث شبههم في نقلهم الحديث وإفشائه بين الناس بالغرابيل . وكل هذه التشبيهات تشبيهات بليغة في غاية الحسن والجمال.

وقال أبو طالب:

جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا على ملأ يهدى لحزم ويرشد

(١) تمام المتون : ص ٢٣٠.

(٢) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي : الشاعر المبدع .
انظر: الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ١١٨.

(٣) تمام المتون : ص ٢٣٦ . أنظر: ديوان ابن المعتز ، شرح دكتور يوسف شكري فرحان، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م : ص ٥٦٧.

قعوداً لدي حطم الحجون كأنهم مقاوله بل هم أعز وأجد^(١)
في البيت الثاني: "تشبيه" حيث شبه قومه وهم قعود بالحجون بمكة
بملوك اليمن المقاوله ، ثم استدرك وقال: "بل هم أعز وأجد" ، أي: أنهم
أفضل وأكرم ، فهو يرى أنهم أفضل من اليمنيين القحطانيين ، لأنهم بنو
عدنان .

ويقول أيضاً:

جرئ على جل الخطوب كأنه شهاب بكفي قابس يتوقد^(٢)
وهنا شبه السيد من قبيلته في انطلاقه وسرعته لنجدة القبيلة بقوة ،
ولتحقيق هدفه ، بالشهاب المتوقد.

وقال مروان بن أبي الجنوب في المتوكل^(٣):

كانت خلافة جعفر كنبة جاءت بلا طلب ولا بتخل

وهب الإله له الخلافة مثلما وهب الرسالة للنبي المرسل^(٤)

في البيت الأول : تشبيه ، حيث شبه خلافته بالنبوة . وفي البيت الثاني
: شبه هبة الله تعالى للمتوكل الخلافة ، بهبته لرسوله الرسالة ، فالشاعر يريد
أن يضفي قدسية وشرف للخلافة ، مثل شرف النبوة وقدسيتها ، فنسبها لله
تعالى ، وأنها تخصيص من الله تعالى للمتوكل ، مثل تخصيص الرسالة للرسول
، وكلا التشبيهين تشبيه مرسل.

(١) تمام المتون : ص ١٣٩ . انظر : ديوان أبي طالب بن عبد المطلب ، صنعة أبي هفان المهزومي
المصري _ وعلى بن حمزة البصري التميمي ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل يسين ، دار مكتبة
الهلal ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ _ ٢٠٠٠ م : ص ٢٣٥ .

(٢) تمام المتون : ص ١٤٠ . البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ١ ، ص ٥١٥ .

(٣) مروان بن يحيى "أبي الجنوب" بن مروان ابن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ، كنيته أبو
السمط ، ويلقب بـ "غبار العسكر" . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٧ ، ص ٢٠٩ .

(٤) تمام المتون : ص ١٨٢ .

قال بكر بن حماد^(١) يرثي الإمام علي كرم الله وجهه:

وكان في الحرب سيفاً ماضياً ذكراً ليثاً إذا لقي الأقران أقرانا^(٢)

ففي قوله: "وكان في الحرب سيفاً" ، تشبيه بليغ ، جاء على صورة الحال وصاحبها ، حيث شبه الإمام علي كرم الله وجهه في الحرب حينما يلاقي الفرسان ، ويحمي الوطيس ، بالسيف الماضي القاطع ، وشبهه أيضاً بالأسد الجسور. وقال الصفدي مستشهداً ببيت شاعر لم يذكر اسمه يقول:

لا عهد لي بغارة مثل السيل لا ينجلي قتامها حتى الليل^(٣)

حيث شبه الجيش المغير في كثافته واندفاعه بالسيل، المشبه هنا الغارة ، والمشبه به السيل ، ووجه الشبه هو قوة الاندفاع ، وأداة الشبه مثل .

وتشبيه الجيش بالسيل شائع عند العرب ، يقول: المفضل النكري^(٤):

وجاءوا عارضاً برّداً وجئنا كمثل السيل ضاق به الطريق

حيث شبه الأعداء بالسحاب الكثيف ، وشبه جيشهم بالسيل ، والسيل بالطبع أقوى من السحاب ؛ لأنه يدفع كل من يقف أمامه. قال ابن الرومي^(٥):

وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتحرز^(٦)

(١) بكر بن حماد بن سمك الزناتي : شاعر عالم بالحديث . انظر: الأعلام ، للزركلي : ج ٢، ص ٦٣ .

(٢) تمام المتون : ص ٢٠١ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٥ . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٢ ، ص ٨٩ .

(٤) المفضل بن معشر بن أسحم بن عدي بن شيان ، فضلته قصيدته التي يقال لها المنصفة وأولها : ألم تر أن جيراننا استقلوا فنيتنا ونيتهم فريق . انظر : طبقات الشعراء ، لحمد بن سلام الجمحي ، تحقيق دكتور عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م : ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٥) علي بن العباس بن الرومي أبو الحسن . انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ٢، ص ٢٢٩ .

(٦) تمام المتون : ص ٢٢٧ . انظر: ديوان ابن الرومي ، تحقيق عبد الأمير علي مهنا، دار مكتبة الهلال ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م : ج ٣، ص ٢٤٧ .

ففي قوله: "حديثها السحر الحلال" ، تشبيه بليغ ، حيث شبه حلاوة حديثها ، وجمال صوتها ومنطقها الرخيم بالسحر ، والسحر يجذب النفس إليه ، ولكنه استدرك فقال : السحر الحلال. قال الصفدي: قال أحدهم:

أحببت جمالاً كبدر الدجي يقول لما عاد عنه السفير^(١)

شبه جمال محبوبته بالبدر ، وهذا من التشبيهات الشائعة غير المحصورة في البيان العربي ، حيث نجد الشعراء منذ العصر الجاهلي يشبهون المحبوب بالبدر ، بجامع الحسن والجمال وبينهما.

قال أبو فراس:

وما زالت رياح الشعر شتى فمن ريا الهبوب ومن سموم^(٢)

وهذا تشبيه بليغ ، جاء على صورة المضاف والمضاف إليه ، أي : إضافة

المشبه به إلى المشبه ، حيث شبه الشعر بالرياح.

قال صفي الدين الحلبي^(٣):

فأستجل دراً أنت لجة بحر هو ألبس ثناءً أنت ناسج برده^(٤)

في قوله "أنت لجة بحره" ، تشبيه بليغ ، حيث شبه الممدوح بالبحر ،

ووجه الشبه المحذوف أنّ الممدوح منه العطايا ، والبحر منه الجواهر والدر.

قال أبو الطيب:

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما فاته وفضول العيش أشغال^(٥)

(١) تمام المتون : ص ١٥٥.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٩٠.

(٣) عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم صفي الدين الحلبي . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ١٧-١٨.

(٤) تمام المتون : ص ٣٠٣ . انظر : ديوان صفي الدين الحلبي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ط ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م : ص ١٤٥.

(٥) تمام المتون : ص ٢٩٣ . انظر : ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ٣٧٣ .

شبه ذكر الفتى سواء أن كان بالخير أو بالشر بالنسبة للإنسان بالعمر الثاني له غير عمره الحقيقي ، كما شبه فضول العيش بالأشغال ، وكلا التشبيهين تشبيه بليغ.

قال أبو اسحق الغزي:

فشهب الدراري للأفول طلوعها وشهب القوافي ما لهن أفول^(١)
والمعنى : أنّ الدراري _ يريد بها الأموال بأنواعها المختلفة _ مصيرها الأفول والزوال ، أما القوافي _ ويريد بها الأشعار _ فإنّها لا تغيب أبداً.
أولاً شبه الدراري بالشهب ، وشبه القوافي أيضاً بالشهب ، لبريقهما ولمعانيهما ، ولكن السحر والجمال يكمن في أنّ الأولى تغيب ، والثانية لا تغيب أبداً . وهو تشبيه بليغ ، جاء على صورة المفعول المطلق.

قال أبو الحسين الجزار:

ولقد كسوتك من قريضي حلة جلت عن التضييق والترقيق
حسنت برقم من خالك فاغتدت

كالروض في التسهيم والتوسيع^(٢)

في قوله: "من قريضي حلة" تشبيه بليغ ، حيث شبه شعره الذي مدح به الممدوح في حسنه وبهائه ، وجمال ديباجته ، بالحلة الباهية الجميلة الواسعة . وفي قوله "كسوتك" من أجمل العبارات وأحلاها ؛ لأنه جعل الشعر مثل الحلة يكسى ويلبس ، وقد جاء التشبيه على صورة الحال وصاحبها، ولأنّ شعره ملئ بالألفاظ العذبة ، والمعاني البديعة ، شبهه أيضاً بالروض المليء بالدوح الظليل الوارف ، والزهر الجميل الناضر ، والجمال والحسن هو الصفة المشتركة والجامعة بينهما وهو تشبيه مرسل.

(١) تمام المتون : ص ٢٩٣.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٩٣.

قال ابن حيوس:

ولئن شعرت فإنّ أيسر ما أرى من مآثراتك ينطق الجلمودا
وألفيتهن جواهرأ منشورة وعلى القوافي أن يصرن عقوداً^(١)
في قوله: " ألفيتهن جواهرأ منشورة " ، تشبيه بليغ ، شبه مآثر الممدوح
وسجايه الحميدة بالجواهر المنشورة ، ووجه الشبه المحذوف هو أنّ كلاهما ثمين
وغالي ونفيس . كما شبه أيضاً قصائده التي مدحه بها في حسننها وجمالها
ونفاستها بالعقود ، والجامع بينهما الغاية القصوى في الحسن ، وكلا
التشبيهين تشبيه بليغ ، جاء أيضاً على صورة الحال وصاحبها.
واستشهد الصفدي أيضاً بقول النبي ﷺ: " إِنَّ مِنْ أُمَّتِي لَرَجَلاً إِيْمَانُ
أُثْبِتُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي " ^(٢) .
شبهه ﷺ ثبات ورسوخ الإيمان في قلوب هؤلاء الرجال من أمته المباركة ،
بثبات الجبال الرواسي الراسخات أو أشد . وهو تشبيه بليغ.
وقال الصفدي : "ومن كلام الحكماء: الغريب كالفرس الذي زایل
أرضه ، وفقد شربه " ^(٣) .

شبه الإنسان الغريب عن بلاده ووطنه ، وفقد العطف والحنان من
أهله ، وهو مشتاق لرؤيتهم ، بالفرس البعيد عن أرضه ، وهو بأرض لم
يألفها ، وفقد شربه . وهذا تشبيه مرسل.

(١) تمام المتن : ص ٣٠٣ . انظر : ديوان ابن حيوس : ج ١ ، ص ١٧١ . والشطر الأول ورد في الديوان:

ولئن نطقت فإن أيسر ما أرى .

(٢) تمام المتن : ص ٣٢٠ . انظر : كنز العمال ، لعلاء الدين على بن حسام الدين الهندي البرهان

فوري ، تحقيق الشيخ بكري حياتي _ صفوت السقا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، شارع سوريا ،

١٤٠٩ هـ _ ١٩٨٩ م : ج ١٢ ، ص ١٨٢ .

(٣) تمام المتن : ص ٣٣١ .

قال أبو تمام:

إنَّما البشْرُ روضةٌ فإذا كان ببذل فروضه وغدير^(١)

شبه الشاعر استقبال الضيف ببشر وبشاشة وترحاب ، بالروضة
(الحديقة)؛ لأنَّ كليهما يبعث في النفس السرور والبهجة وهذا هو وجه
الشبه ، وشبه البشر والبشاشة مع بذل العطاء له ، ومنحه الهبات بالروضة
ومعها غدير الماء . وكلا التشبيهين تشبيه بليغ .

(١) تمام المتون : ص ٣٣٦ .

المبحث الثاني

نشبيه النمثيل

(١) قال ابن زيدون: "وأكون كالدُّبالة المنصوبة تضي للناس وهي تحترق"^(١).
شبه الشاعر نفسه وهو يخدم الملك ابن جهور ، وقد كان من أحسن خلصائه ، ومع ذلك يسجن ويطرد ولا يجد فائدة من إخلاصه ، ولا يجني ثمرة خدمته ، بينما يستفيد ويقترب الآخرون بالدُّبالة ، أي: الفتيلة المنصوبة التي تضي للآخرين ويستفيدون من نورها بينما هي تحترق. فهذا تشبيه تمثيل لأن وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد صور ، وهي وجود شيء يفيد الآخرين ولا يستفيد منهم ، وهذا يشبه قول العباس بن الأحنف^(٢):
أحرم منك ما أقول وقد نال به العاشقون ما عشقوا
صرت كأني دُّبالة نصبت تضي للناس وهي تحترق^(٣)
شبه الشاعر نفسه وهو محروم من وصال حبيبته منقطع عنها ، بينما نجد بقية العشاق لا يجرمون من الوصال ، شبه هذه الهيئة والصورة بصورة أخرى وهي صورة الدُّبالة المنصوبة التي تضي للناس وهم منتفعون من ضوئها ، وهي لا تستفيد منه بل تحترق. ويعد هذا من أفضل أنواع التشبيه .
قال الصفيدي : "قال : الرياشي : وقد ذكر عنده العباس بن الأحنف :
والله لو لم يقل إلا هذين البيتين لكفه"^(٤).

(١) تمام المتون : ص ٣٠٥.

(٢) العباس بن الأحنف ، من بني حنيفة ويكنى أبا الفضل : كان ظريفاً كيساً ، حلوا النادرة . انظر :
الوافي بالوفيات ، للصفيدي : ج ١١ ، ص ٤٠٠ .

(٣) تمام المتون : ص ٣٠٦ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٠٦ .

وهذا المعنى : أقصد التشبيه بالدُّبالة أخذه شعراء كثيرون ، والصفدي
يفاضل بين هؤلاء الشعراء في أقوالهم ، ولكنه يفضل ابن المظفر محمد بن
عليّ الواعظ الدوري^(١) يقول: وما أحسن ما قاله ابن المظفر محمد بن عليّ
بن الواعظ الدوري:

يتوب علي يدي قوم عصاة أخافتهم من الباري ذنوب
وقلبي مظلم من طول ما قد جنى فأنا على يد من أتوب
كأنّي شمعة ما بين قوم تضىء لهم ويحرقها اللهيب
كأنّي مخيط يكسو أناساً وجسمي من ملابسهم سليب^(٢)
فالعصاة يتوبون من ذنوبهم على يديه ، وهو يرتكب الذنوب ،
ويتساءل من الذي يمكن أن يتوب على يده؟ فهو يشبه حالته التي يفيد فيها
الناس ولا يستفيد هو بالشمعة التي تضىء الطريق للقوم وتحترق هي ، كما
شبهها أيضاً بالمخيط (الإبرة) يكسو الناس ملابسهم وجسمه عارياً، وهذا من
أجل تشبيهات التمثيل ، لأنّ الشاعر شبه صورة واقعية أمامه بصورة تخيلها ،
وهي تحكي نفس المشهد الماثل أمامه . وهذه المعاني التي ذكرها الشعراء جميعاً
مأخوذة من قوله ﷺ: (الْعَالِمُ بِغَيْرِ عَمَلٍ كَالْمَصْبَاحِ يَحْرِقُ نَفْسَهُ وَيُضِيءُ لِلنَّاسِ
(٣) .

شبه النبي ﷺ حال العالم الذي يعلم الناس ويرشدهم للطريق المستقيم
، ولكنه لا يعمل بعلمه ، بحال المصباح الذي يضيء للناس ويحرق نفسه .
ووجه الشبه هو وجود شيء مفيد لغيره غير مفيد لنفسه .

(١) محمد بن علي بن نصر أبو المظفر الدوري : الواعظ ، سمع الحديث الكثير ، وقرأ الفقه

والأدب ، وحفظ المجالس . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج٣ ، ص ٦٢ .

(٢) تمام المتون : ص ٣٠٦ . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج٣ ، ص ٦٢ .

(٣) تمام المتون : ص ٣٠٧ . انظر: كنز العمال ، للمتقي الهندي : ج١٠ ، ص ٢١٠ .

وهذا الحديث الشريف يشابه في معناه قوله ﷺ أيضاً:
"مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السَّرَاجِ
يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ"^(١).

(٢) قال ابن زيدون: "تم ما قران السعد للكواكب أبهى أثراً ، ولا أسنى
خطراً ، من اقتران غني النفس به ، وانتظامها نسقاً معه"^(٢).

يقول الصفدي : وأما قول ابن زيدون رحمه الله تعالى : "ثم ما قران
السعد للكواكب أبهى أثراً" : مأخوذ من قول أبي الفتح البستي^(٣) :

وأتم الأشياء نوراً وحسناً بكر شكر زوجت إلى صهر بر

ما قران السعدين في الجو أبهى منظرأ من قران بر وشكر^(٤)

قارن ومائل بين الجمال والحسن الكامل في زفاف فتاة بكر من الشكر
، إلى صهر من بر وإحسان ، شبه هذه الصورة الجميلة بصورة قران السعد
للكواكب وما فيها من حسن وتفاؤل . فوجه الشبه هو اجتماع شيئين
كلاهما حسن وجميل ، والشيئين في الصورة الأولى هي "بكر شكر زفت إلى
صهر بر" ، والصورة الأخرى هي : "قران السعدين" فقران الكواكب
اجتماعهما وفيه تفاؤل ؛ لأن السعد بمعنى اليمن والنعمة والخير وهو ضد
الشقاء ، فوجه الشبه منتزع من متعدد صور .

(٣) قال ابن زيدون : "فلا غرو قد يغص بالماء شارب ، ويقتل الدواء
المستشفى به"^(٥).

(١) تمام المتون : ص ٣٠٧ . انظر : كنز العمال ، للمتقي الهندي : ج ١٠ ، ص ١٨٦ .

(٢) تمام المتون : ص ٣٢٢ .

(٣) علي بن محمد بن الحسين بن يوسف ، أبو الفتح البستي : شاعر عصره ، وكاتب ، انظر :
الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ٣٢٦ .

(٤) تمام المتون ، ص ٣٢٢ . انظر : يتيمة الدهر ، للثعالبي : ج ٤ ، ص ٢٣٤ .

(٥) تمام المتون : ص ٤٥ .

قال أكثم بن صيفي^(١): "ومن فسدت بطانته كان كمن غص بالماء"^(٢).

يقول الصفدي معلقاً على حديث أكثم بن صيفي : "لأن الغاص بالطعام يرجع إلى الماء ، وإذا كان الماء هو الذي أغصه فلا حيلة له ، فكذلك بطانة الرجل وأهله إذا خانوه فسد حاله"^(٣).

شبه الحاكم صاحب البطانة الفاسدة بالذي يغص بالماء ، وهو تشبيه صورة بصورة ، أو هيئة بهيئة ، حيث شبه صورة الوالي وحوله بطانته والضرر والمصائب تأتي منهم ، وهم الذين عينهم وقربهم لحمايته والدفاع عنه ، والمصائب أصلاً تأتي من الأعداء الأبعد ، بصورة الإنسان الذي غصه الماء ، لأن الغاص بالطعام يرجع إلى الماء ، وهو الأقرب إليه .

ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىهَا أْتَتْهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤].

حيث شبه حال الدنيا في سرعة زوالها ، وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه بعدما ألفت وتكاثف وزينت الأرض . وهو أيضاً تشبيه صورة بصورة^(٤) . ووجه الشبه منتزع من متعدد وهو وجود شيء له بريق ولمعان ولكنه يزول وينطفئ سريعاً.

(١) أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث التميمي : حكيم العرب في الجاهلية أدرك الإسلام ولم ير النبي ﷺ . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٢ ، ص ٦ .

(٢) تمام المتون : ص ٤٨ . انظر : الإعلام ، للزركلي : ج ٢ ، ص ٦ .

(٣) تمام المتون : ص ٤٨ .

(٤) المثل السائر ، لابن الأثير : ج ١ ، ص ٣٨٧ .

قال الشريف الرضي^(١):

يقول رم تلق الذي أنت طالب فإن العواقي دونه والمهالك
وكم سعي ساع جر حتفاً لنفسه
ولولا الخطأ ما شاك ذا الرجل شائك^(٢)

شبه الشريف الرضي من يسعى لتحقيق ما يرومه في حياته من مجد
وسمو ومعالي ، ويجد دون ذلك صعاب وأمام هدفه ومرماه الذي يريده جبال
وعرة وطرق شائكة ومخيفة ربما أدت إلى هلاكه وموته . شبه هذه الحالة بحالة
الذي يسعى ويقوده سعيه للموت ، ووجه الشبه وجود شيء نفيس وغالي
ولكن تحقيقه قد يؤدي إلى الموت. أراد أن يقول : أن من يسعى لتحقيق ما
تصبو إليه نفسه تقف أمامه عقبات صعاب . والذي لا يسعى ولا يبارح
مكانه لا يصيبه أذى ، فالرجل إذا لم تسع لن تصاب بأذى ، فالشائك الذي
شاكها كان بسبب الخطي .

وقال إبراهيم بن المدبر وقد حبس:

وما أنا إلا كالجواد يصونه مقومه للسبق في طي مضمار
أو كالدرة الزهراء في قعر لجة فلا تجتلي إلا بهول وأخطار^(٣)

شبه الشاعر نفسه وهو محبوس في السجن ، والسجن يزيد قوة وثباتاً
وسمواً بعد ما خرج منه بالجواد الذي يحبسه صاحبه ويصونه ويهتم بتربيته
حتى يخرج للسباق وهو أقوى وأشد وسابق لغيره من الخيول . وشبهها أيضاً
بالدرة البيضاء الثمينة تكون محبوسة في قاع البحر ، ولكن حينما تستخرج

(١) محمد بن الحسين بن موسى أبو الحسن الشريف الرضي العلوي الحسيني الموسوي : أشعر
الطالبيين على كثرة المجيدين منهم . انظر : الإعلام ، للزركلي : ج٦ ، ص ٩٩ .

(٢) تمام المتون : ٤٩ . انظر : ديوان الشريف الرضي لمصنفة أبو الحسن محمد بن الحسين بن

موسى ، وزارة الإرشاد الإسلامية إيران ، ط ١ ، رجب ١٤٠٦ هـ : ج ٢ ، ص ١١٠ .

(٣) تمام المتون : ص ٧١ .

تكون أغلى وأثمن . وهذا تشبيه تمثيل ووجه الشبه منتزع من متعدد صور وهو وجود شيء محبوس بعيد عن أعين الناظرين ، ولكن حينما يظهر ويبدو يكون أفضل وأحسن.

قال أبو الطيب:

وما أنا غير سهم في هواء يعود ولم يجد فيه امتساكاً^(١)

شبه الشاعر نفسه في خروجه عن بلده وعودته مرة أخرى بدون فائدة ، بالسهم الذي يرسل في الهواء ثم يعود مرة أخرى من غير فائدة. يقول الصفدي: "وقد اختلف أهل النظر في هذا الموضوع فقال قوم: إنّ السهم والحجر وغيرهما إذا رمي به وصعد وتناهي صعوده كان له في آخر صعوده لبثه ثم يتصوب منحدرًا وقال آخرون: لا لبث له هناك وإنّما أول وقت حدوره وآخر وقت صعوده والأول ذهب إليه الرئيس أبو علي بن سينا وقد أوضحت هذا في شرح لامية العجم في قوله: "والدهر يعكس آمالي"... البيت"^(٢).

وسواء لبث السهم أو الحجر مدة في الهواء أو لم يلث ، فلن يأتي بفائدة ما دام إرساله كان في الهواء ، وهذا ما أراده أبو الطيب. وقال الصفدي:

قنعت بالعود إلى منزلي وذلك دأب المرء في خيبته

كالحجر الملقى إلى صاعد ليس له هم سوى عودته^(٣)

شبه الشاعر خروجه من منزله وعودته إليه مرة أخرى دون فائدة بالحجر الذي يلقي إلى أعلى ولا خيار أمامه سوى العودة إلى الأرض دون

(١) تمام المتون : ص ٧١ . انظر: ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ٤٤١ .

(٢) تمام المتون : ص ٣٧٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٧١ .

فائدة ، فالشاعر شبه صورته وهو عائد إلى منزله دون فائدة بصورة الحجر الذي يصعد ثم يعود لمكانه مرة أخرى . وهذا تشبيه تمثيل ووجه الشبه صورة شيء يرتفع إلى أعلى ثم يعود من حيث أتى ، ولكن ليس كل من يخرج من منزله ثم يعود إليه يعود خائباً من غير فائدة فهناك كثير من الناس يغيبون عن ديارهم ، ثم يعودون وهم غائمون راجحون كاسبون.

ويقول الصفدي : إنّه أخذ هذا المعنى من بيت أبي الطيب السابق هذا في مجال تشبيه الحالة ووجه الشبه المأخوذ من عدة صور.

أما من ناحية المعنى فقد أخذه من قول امرئ القيس^(١) "رضيت من الغنيمة بالإياب" ، وقد أكد الصفدي هذا بقوله : "وقلت أنا في معني قول امرئ القيس : "وقنعت من الغنيمة بالإياب"^(٢).
قال كمال الدين بن النّبيه^(٣):

ألم ترني بين السماطين منشداً كأنني على شاه أرمن أنثر الدرا^(٤)
شبه الشاعر نفسه وهو بين السماطين في قصر الملك ينشد شعره السامي كأنه هو واقف على شاه أرمن ينثر الدرا ، فهذا تشبيه حالة يراها أمامه بحالة يتخيلها. في الحالة الأولى وقوفه أمام الممدوح ينشد هذا الشعر والحالة الثانية وقوفه ينثر الدرا ، فهناك وجه شبه بين وقوفه ينشد ، وقوفه ينثر ، ووجه شبه بين شعره البديع وبين الدر الثمين ، ولما كان وجه الشبه فيه

(١) امرؤ القيس بن حجر الكندي من أهل نجد ، من الطبقة الأولى ، قال لبيد بن ربيعة : أشعر الناس ذو القروح ، يعني امرأ القيس . انظر : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة : ص ٥٥ .

(٢) تمام المتون : ص ٣٧١ .

(٣) علي بن محمد بن الحسن بن يوسف أبو الحسن كمال الدين بن النّبيه: شاعر من أهل مصر ، مدح الأيوبيين ، وتولي ديوان الإنشاء . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ٣٣١ .

(٤) تمام المتون : ص ٢٨٤ . انظر : ديوان ابن النّبيه المصري ، تحقيق عمر محمد الأسعد ، دار الفكر ، ط ١ ، يناير ١٩٦٩ م : ص ٢٩١ .

صورة منتزعة من متعدد كان التشبيه تشبيه تمثيل.

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي:

دع الحرص وأقنع بالكفاف من الغنى

فرزق الفتى ما عاش عنه بعيشه

وقد يهلك الإنسان كثرة ماله

كما يذبح الطاوؤس من أجل ريشه^(١)

وهذا تشبيه تمثيل المشبه صورة الإنسان الغني صاحب الأموال الكثيرة والذي يقتله اللصوص من أجل ماله طمعاً ، فيكون المال سبباً في هلاكه فهو لم يقتنع ، طمع وأمل وأراد الزيادة فهلك . والمشبه به هو صورة الطاوؤس الذي يخرج متبخرأً بجمال ريشه فيذبح طمعاً في ريشه ويكون الريش سبباً في ذبحه ، ووجه الشبه وجود شيء جميل حسن يؤدي إلى هلاك صاحبه ، فوجه الشبه صورة منتزعة من متعدد.

وغرض الشاعر تحذير الناس من الطمع والجشع والتطلع وراء الآمال والطموحات الكبيرة التي تؤدي إلى الهلاك . ويستشهد الصفدي بحديث الأصمعي^(٢). يقول : "وقال الأصمعي: سمعت إعرابياً يقول : إنّ الآمال قطعت أعناق الرجال كالسرّاب غر من رآه وأخلف من رجاه"^(٣). يقول الصفدي أيضاً: وفي المثل : الطمع الكاذب يدق الرقبة"^(٤).

(١) تمام المتون : ص ٣١٥ . انظر : يتيمة الدهر ، للثعالبي : ج ٤ ، ص ٢٩٤ .

(٢) عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي أبو سعيد الأصمعي: راوية العرب . انظر:

الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ١٦٢ .

(٣) تمام المتون : ص ٣١٤ .

(٤) المصدر نفسه : ص ٣١٦ .

المبحث الثالث

النشبيه الضمني

(١) يقول ابن زيدون: "ومشر في ألصقه في الأرض صاقله ، وسمهري عرضه على النار مثقفه"^(١).

ويشرح الصفدي هذا بقوله : "أنا سيف وضعه على النار من يجلوه من الصدا ، وإن كان محمله على الكتف ، ورمح عرضه على النار مقومه وذلك لمصلحة تعود على السيف والرمح فما أعد ذلك شيئاً غريباً"^(٢).

ومن الشواهد التي تتناول هذا المعنى وفيها تشبيهات ضمنية ، استشهد بها الصفدي قول ابن سناء الملك:

جارت هذا الدهر لكن ما وجدت عليه نصرا
من أجل حربي قد أعدّ وقد أحدّ شِبَاً وظفراً
والقوس يحني والمهند ينتضي والسهم يبرى^(٣)
وقول القاضي أبو الفتح نصر بن سيار الهرمزي السهرودي^(٤):
عزاءك إن حبست فليس عيباً فتلك الراح تحبس في الدنان
وهذا الورد قد يزداد طيباً إذا حبسته أطراف البنان
وضربك إن ضربت فليس عاراً كما قد يضرب السيف اليماني
ومثلك من تعانده الليالي وتجمع نحوه نوب الزمان^(٥)

(١) تمام المتون : ص ٦٧.

(٢) المصدر السابق : ص ٦٨.

(٣) المصدر السابق : ص ٦٩ . انظر : ديوان ابن سناء الملك : ج ٢، ص ٥٤٣.

(٤) نصر بن سيار القاضي أبو الفتح الأسدي السهرودي: قال البخارزي له شعر كاسم ابيه بحوافر الاجادة سيار ، ويقوادم الاصابة طيار . انظر : دمية القصر ، للبخارزي : ص ٣٢١.

(٥) تمام المتون : ص ٧٠.

يقول الشاعر: "ليس عيباً أن تحبس في السجن فالسجن يزيدك قوة وبهاءً وهذا هو المشبه ، ثم أتى بأكثر من مشبه به ليؤكد به صحة المشبه ، وهو أن الخمر تكون معتقة حين تحبس في الدنان ، والورود حينما تحبس بين الأطراف تزداد عبقاً وطيباً ، ووجه الشبه جاء مضمناً في سياق الحديث وهو وجود شيء محبوس والحبس لا يزيده إلا حسناً.

وفي البيت الثالث تشبيه ضمني آخر حيث يقول له : ليس عيباً أن تضرب فالضرب لا يزيده إلا ثباتاً وعزيمة وإصراراً ، والدليل على ذلك أن الضرب يفيد السيف ويزيده ألقاً وورنقاً وقوة.

(٢) قال ابن زيدون: "هذا العتب محمود عواقبه"^(١).

ومعنى هذا أن عتابك _والخطاب لابن جهور من ابن زيدون _ يعود بالعواقب الحميدة ، والعواقب جمع عاقبة وهي آخر كل شيء . أي: أن لومك خاتمته وآخره خير.

يقول الصفدي معلقاً على حديث ابن زيدون السابق : "وهو يشير إلى قول أبي الطيب :

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل

وهذا من قصيدته التي مدح بها سيف الدولة بن حمدان ، وكان في نفس سيف الدولة بقية من موجلة عليه"^(٢).

ومعنى هذا إن عتابك رغم ما فيه من مرارة وشدة إلا أن عاقبته حمودة غير مدمومة ، والأمراض على الرغم من أنها تنهك الجسم وتؤلة إلا أن بعضها تصح منه الأجسام.

(١) تمام المتن : ص ٧٣.

(٢) المصدر السابق : ص ٧٣ . انظر : ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ٢٧٣.

في البيت تشبيهه ضمني فالمشبه : العواقب المحمودة التي تأتي من جراء العتاب والعقاب ، والمشبه به : صحة الأجسام وسلامتها التي تأتي بعد الأسقام والعلل.

فالمشبه به جاء مؤكداً لصحة المشبه ، ووجه الشبه جاء مضمناً في سياق الحديث وهو وجود شيء مؤلم يعود لصاحبه بالخير والصحة. وهذا البيت من الأبيات التي جرت مجرى المثل لما فيه من حكمة ووصف جميل.

(٢) قال ابن زيدون : "وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي ، وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تنقشع"^(١).

شبه المصيبة التي ألت به بالغمرة ، أي : الشدة التي تزول سريعاً ، وشبه النكبة التي أحلت به ، بسحابة الصيف التي تنقشع سريعاً أيضاً .

ومن اللطائف ما ذكره الصفدي وهو : "قال أبو حاتم : زعموا أن صبيّاً من العرب نظر إلى قوم يأكلون فأرادهم ، فجاء سيل فحال بينه وبينهم فألقى نفسه في الماء ثم جعل ينغط مرة ، ويرتفع مرة أخرى ، ويقول : "غمرات ينجلين" حتى تخلص ووصل إليهم"^(٢).

ومن التشبيهات الضمنية التي تدور حول هذا المعنى وذكرها الصفدي قول شرف الدين المبارك مستوفي أربل^(٣):

وما السجن إلا ظل بيت سكنته أرّفه في أفيائه وأنعم
فكم من طليق أوثق الذل نفسه وآخر مأسور يُعز ويكرم

(١) تمام المتون : ص ٧٤.

(٢) المصدر السابق : ص ٧٥.

(٣) سليمان بن بَنِيْمَان بن أبي الجيش بن عبد الجَبَّار بن بَنِيْمَان شرف الدين المبارك أبو الربيع الهمداني ثُمَّ الإربلي: أديب ، شاعر محسن ، سائر القول ، لَهُ نوادر. انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٠ ، ص ٣٨٦ .

وقد شحذ الهندي وهو مطبق وقد ثقف الخطي وهو مقوم
وما هي إلا غمرة ثم تنجلي سريعاً وألا نبوة تتصرم^(١)
شبه نفسه وهو في السجن ولكنه معزز ومكرم وحينما يخرج منه يخرج
قوياً بالسيف الذي في غمده وقد شحذ أي : صار حاداً^(٢). فالسيف في غمده
أشد عزيمة وأقوى حدة منه وهو خارج الغمد . وكذلك الرمح يوضع في
الثِّقاف^(٣) فيصير مقوماً . وتشبيه نفسه بالسيف والرمح أتى ليؤكد صحة
إسناد الحكم إلى المشبه.

قال أبو فراس الحمداني:

قد كنت عُدتني التي أسطو بها ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما أملتة والمرء يشرق بالزلال البارد^(٤)
يقول : إنك كنت سلاحي الذي أسطو به على الأعداء ، ويدي
وساعدي التي اعتمد عليها عند الشدة ، ولكنني رُميت من ناحيتك وأصابني
السهم من قبلك ولا عجب فالإنسان قد يغص ويشرق من شرب الماء
الزلال البارد . ففي البيت تشبيه ضمني والمشبه هو إصابة الإنسان بضرر من
جهة كان لا يأتيه منها إلا الخير . والمشبه به : هو أن يشرق الإنسان بالماء
الزلال الذي لا يؤمل أحد أنه يشرق به ، والمشبه به هنا أكد صحة المشبه ،
ووجه الشبه جاء مضمناً وهو حدوث ضرر من جهة لا يأتيك منها إلا النفع
والفائدة والخير.

(١) تمام المتون : ص ٧٥.

(٢) الشحذ : التحديد شحذ السكين والسيف ونحوهما يشحذه شحذا أحله بالمسن . لسان العرب
، لابن منظور : ج ٣ ، ص ٤٩٣ .

(٣) الثقاف : حديدة تكون معالقواسو الرماحيقومبها الشيء المعوج . لسان العرب ، لابن منظور : ج ٩ ،
ص ١٩ .

(٤) تمام المتون : ص ٤٦ . انظر: ديوان أبي فراس ، رواية ابن خالويه : ص ٧٨.

ومثل هذا أيضاً قول أبي اسحق الغزي :

مصاحبة المنى خطر وجهل وكم شَرَق تولد من زلال^(١)

والمعنى أن مصاحبة الأمانى والآمال والاعتماد عليها يقود للأخطار والمصائب وللجهل ، وهذا هو "المشبه" ، مثلما الشرق قد يحدث من الماء الزلال ، وهو "المشبه به" ، فالمشبه به في الشطر الثاني جاء مؤكداً ومبرهنًا على صحة المشبه في الشطر الأول.

ثم يأتي الصفدي بعد ذلك يعدد من الشواهد لتأكيد هذا المعنى السابق مثل :

قول ابن سناء الملك:

وإني لا خضر من ذكره فإني إلى كبدي أصطلي

وإني لأذكر منه الرضاب فأشرق بالبارد السلسل^(٢)

وقول ابن حيوس :

مضى الكرماء صانوا ماء وجهي بما بذلوه عن ذل السؤال

وها أنا بعدهم في الناس أبغي كريماً يشتري شكري بمال

أرى الأكدار يشرق شاربوها فوا شرقي من الماء الزلال^(٣)

قال الخطيب البغدادي^(٤):

ولا تغبطن أخا الدنيا بزخرفها ولا بلنة وقت عجلت فرحا

فالدهر أسرع شيء في تقلبه وفعله بين الخلق قد وضحا

(١) تمام المتون : ص٤٦.

(٢) المصدر السابق : ص٤٦.

(٣) المصدر السابق : ص٤٧ . انظر : ديوان ابن حيوس : ج٢، ص٤٦٨.

(٤) أحمد بن علي بن ثابت ، أبوبكر الخطيب البغدادي الحافظ ، صاحب تاريخ بغداد . انظر:

البداية والنهاية ، لابن كثير : ج٢، ص٢٤٩٧.

كم شارباً عسلاً فيه منيته وكم تقلد سيفاً من به ذبحاً^(١)
وهذا تشبيه ضمني ؛ حيث شبه الخطيب البغدادي صاحب الدنيا
المبهور بزخرفها الكاذب ، وبلذتها الفانية ، وفرحتها العجلى ، وهو غافل لا
يدري أنّ وراء هذه اللذة نكبة ومصيبة بالذي يشرب عسلاً ويحس باللذة ولا
يدري أنّ هذا العسل سيكون سبباً في موته ، وأنّ هذه النشوة والفرحة
سيعقبها موتاً . أو كالذي تقلد سيفاً ليحمي به نفسه فهو يحمله ويشعر
بالزهو والفرح ، ولا يدري أنّه سيدبح بهذا السيف.
فالمشبه به جاء دليلاً وبرهاناً لتأكيد صحة المشبه ، ووجه الشبه جاء
مضمناً وهو وجود شيء لذيذ وجميل تنجذب نحوه النفس ولكن تحدث
بعده مصيبة .

ومن القصص التي تدور حول هذا المعنى ما ذكره الصفدي قال :
"ذكر عند المتوكل أمر السيوف ، فقال بعض من حضر : يا أمير المؤمنين وقع
عند رجل من أهل البصرة سيف من الهند ، ليس له نظير فكتب يطلبه من
البصرة ، فاشتراه بعشرة آلاف درهم وسر المتوكل به سروراً كثيراً ، وقال
للفتح بن خاقان : أطلب لي غلاماً تثق بنجدته وشجاعته وأدفع إليه السيوف
ليكون واقفاً به على رأسي في كل يوم ما كنت جالساً ، فلم يتم المتوكل
حديثه حتى دخل باغر التركي فدعا به المتوكل ودفع إليه السيوف ، وأمره بما
أراده منه وزاد مرتبته . قال البحري : فوالله ما انتضاه باغر ولا سله إلا في
قتله المتوكل على ما هو مشهور في واقعه مع المتوكل^(٢) .

قال البخارزي:

هي الآداب حلي غير أنّي بحرفتها اضطرت إلى الصغار

(١) تمام المتون : ص ٥١.

(٢) المصدر السابق : ص ٥٢.

كذلك لمعصم الحسناء صبر على ضيق الخناق من السوار^(١)

في البيتين تشبيه ضمني ، حيث يشبه الشاعر حاله رغم أنه أديب وعالم
إلا أنه باحترافه للآداب مضطر إلى تصغير نفسه وإذلالها وسط ملوك وأمراء
لا يعرفون قيمة الأدب، بمعصم الحسناء الذي حوله السوار ، فهو يشكو من
ضيقه ، ولكنه مضطر إلى الصبر عليه . فالآداب قادت الشاعر للصبر على
ضيق الخناق ، فالمشبه به جاء ليؤكد صحة المشبه ، ووجه الشبه هنا وجود شيء
جميل يقود صاحبه إلى الألم والمشقة .

قال ابن الساعاتي:

وما أبيض وجه الخائن الحرب في الوغي

بصارمه لو لا سواد القساطل

يزيد النضار الطلق بالنار رفعة

ويذهب بالثقيف زيغ العوامل

وكذلك سيوف الهند يركبها الصدى

فتكسبها حسناً أكف الصياقل^(٢)

فالشاعر يثبت ويبرهن لنا بالدليل أن ابيضاض وجه المحارب في
الوغي ما هو إلا من السواد الناتج من المعركة ، وذلك لأن النضار _ وهو
الذهب الخالص _ ترتفع قيمته وتزداد نضارته ويظهر ألقه وبهاؤه بالنار .
وأيضاً سيوف الهند حينما تصدأ لا تكسب الحسن والبريق إلا بأكف
الصياقل . وهنا طرفا التشبيه يلحاناً من طرف خفي ، لأن التشبيه غير
مصرح به وإنما يلح ضمن الكلام وهذه من مزايا التشبيه الضمني .

(١) تمام المتون : ص ٦٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ٦٩ .

قال أبو العلاء^(١):

فأضرب وليدك تأديباً على رشد ولا تقل طفل غير محتلم
فرب شق برأس جر منفعة

وقس على شق رأس السهم والقلم^(٢)

يقول أبو العلاء: "إنَّ ضرب الوليد لتأديبه حتى ولو أدى ذلك إلى شق رأسه ربما يأتي له بمنفعة وفائدة، هذا هو المشبه، ثم أتى بعد ذلك بالمشبه به ليؤكد به صحة المشبه، فقال: إنَّ الشق الذي في رأس السهم والقلم يعود على صاحبهما بالنفع والفائدة. والمعنى المستفاد هو: توجيه الأولاد على هذا المبدأ إن لم يكن بالوعظ فبالضرب، فالقلم لا يصلح للكتابة إلا بعد شق رأسه.

قال أبو تمام:

يايها الملك النائي برؤيته وجوده لمراعي جوده كذب

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملاً إنَّ السماء ترجي حين تحتجب^(٣)

وضح الشاعر أنه مؤمل ومنتظر لعطاء وكرم الممدوح رغم الحجاب

الذي بينهما وهذا هو المشبه، ثم أتى بالمشبه به ليؤكد به صحة المشبه، وهو أنَّ السماء حينما تحتجب عن الناس بالسحب والغيوم يرجو الناس منها المطر والخير، ووجه الشبه جاء مضمناً في سياق الحديث وهو وجود شيء لا

(١) أحمد بن عبد الله بن سليمان أبو العلاء المعري، شاعر فيلسوف. انظر: الأعلام، للزركلي: ج١، ص١٥٧.

(٢) تمام المتون: ص٧٣، انظر: لزوم ما لا يلزم مما يسبق حرف الوري لأبي العلاء المعري، شرح وتحقيق د. كمال اليازجي، دار الجليل بيروت، ط١، ١٤١٢هـ _ ١٩٩٢م: ج٢، ص٣٤٧. و في

الديوان: أضرب وليدك وادله على رشد ولا تقل هو طفل دون محتلم

ورب شق برأس جر منفعة وقس على نفع شق الرأس في القلم

(٣) تمام المتون: ص٧٩. انظر: شرح ديوان أبي تمام، للتبريزي: ج١، ص١٣٦.

تراه ولكنه يأتي لك بالنفع والفائدة.

وهذه من المعاني الرائعة والحسنة التي ابتدعها أبو تمام يقول ابن الأثير^(١). في حديثه عن ابتداع المعاني وعن هذين البيتين : "وقد قيل إنّ أبا تمام أكثر الشعراء الآخرين ابتداعاً للمعاني وقد عُدَّت معانيه المبتدعة فوجدت ما يزيد على عشرين معنى"^(٢). وذلك لإبتداعه هنا معنى آخر لاحتجاب الملك.

وقريب من هذا قول ابن قلاقس^(٣):

رب ضحك جنيته من عبوس ونعيم ألفيته بين بؤس

وإذا ما السحاب قطب وجهاً كان في طيه حياة النفوس^(٤)

يقول : ربما أكون عابساً مكفهر الوجه ومع ذلك يجد الضحك إليّ سبيلاً ، وربما أكون عائشاً في بؤس وأجد النعيم والسعادة في ذلك البؤس والفقر ، ولا عجب في ذلك فالسحاب إذا أسود وقطب وجهه نزل المطر فكثرت البركات . انظر إلى هذه الصورة البديعة في قوله : "وإذا ما السحاب قطب وجهاً" كيف اختارها بدلاً عن أسود السحاب وغيره من الألفاظ التي تحمل نفس المعنى ، ولكن الصورة التي اختارها الشاعر والتي فيها تشخيص تعد من أجمل الصور البلاغية . وقريب من هذا قوله أيضاً :

ولي رسم عليك ولا دفاعلديك يصد عنه ولا مطال

(١) نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، أبو الفتح، ضياء الدين ، ابن الاثير الجزري : وزير، من العلماء الكتاب المترسلين . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٧ ، ص ٢٥.

(٢) المثل السائر ، لابن لأثير : ج ٢ ، ص ٦١.

(٣) نصر الله بن عبد الله بن عبد القوي بن قلاقس اللخمي ، أبو الفتوح : شاعر نبيل . انظر: الأعلام ، للزركلي : ج ٨ ، ص ٢٤-٢٥.

(٤) تمام المتون : ص ٧٩ . انظر : ديوان ابن قلاقس ، تحقيق الدكتورة، سهام الفريح ، مكتبة المعلا ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م : ص ٤٥٤.

ولما أن تأخر طاب عيشاً فقد تستبطأ السحب الثقال
قال أبوبكر الخوارزمي:

وعليك بإظهار التجلد للعدا ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
ألست ترى الريحان يشمم ناضرا ويطرح في الميضا إذا ما تغيرا^(١)
في البيت تشبيه ضمني ، حيث نجد الشاعر يأمر المخاطب بإظهار
التجلد والصبر أمام الأعداء ، ولا يظهر الضعف فيحتقره الناس ، وهذا هو
المشبه ، ثم أتى بالمشبه به ليبرهن به على صحة المشبه ، وهو أن الريحان
يشمم إذا كان ناضراً ، ويطرح ويهجر إذا تغير لونه ، فالشاعر لم يأت
بالتشبيه صريحاً ولكنه أتى به مضمناً ليؤكد أن صحة الحكم الذي أسند إلى
المشبه ممكناً.

يقول القاضي الفاضل:

لا تلن للخطوب وأصلب فمن لا ن توالي عليه قرع الخطوب
إن ضرب الحديد ما كان إلا حين أبدي لنا لحر اللهب^(٢)
فالشاعر يؤكد أن من يلين ويضعف تنزل عليه المصائب ، وتتوالي
عليه قرع الخطوب ، وتحل في داره الأهوال ، والدليل على ذلك أن الحديد
يضرَب إذا صار ليناً أمام النار .

قال البحرّي:

ولا عجب للأسد إن ظفرت بها كلاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشى سقت حمزة الردى وموت على من حسام ابن ملجم^(٣)

(١) تمام المتون : ص ٦٥ . انظر : الغيث المسجم ، للصفدي : ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

(٢) تمام المتون : ص ٦٥ . انظر : شرح ديوان البحرّي ، للفاخوري : ج ٢ ، ص ٣٦٤ . وفي الديوان:

وحتف علي في حسام بن ملجم .

(٣) تمام المتون : ص ٢٠٢ .

وهذا تشبيهه ضمني فالمشبه : الكلاب التي تظفر بالأسود وتقتلها ، ثم أتى بالمشبه به ليؤكد به صحة المشبه ، وهو قتل وحشي لسيد الشهداء حمزة رضي الله عنه ، وقتل ابن ملجم للإمام على كرم الله وجهه ، وهذه صورة بديعة رائعة وهي تشبيه هذين السيدين الجليلين حمزة وعلي (رضي الله عنهما) بالأسود وتشبيه هذين بـ كلاب الحي^(١) وكل هذا ليؤكد أنه يمكن ويجوز للكلب أن يبطش بالأسد ، ولا عجب فوحشي وابن ملجم قتلا هذين الفارسين ، ووجه الشبه جاء مضمناً في سياق الحديث وهو وجود شيء ضعيف حقير يهزم شيئاً قوياً عظيماً. قال حسان بن المصيصي الشبلي^(٢) :
وجدت معاليك أهلاً لشعري وهل ينظم الدرّ لولا النصاح
لك الفضل إن طاب شكري ونشري

بطيب الرياض تطيب الرياح^(٣)

وهذا أيضاً تشبيهه ضمني ، والمشبه هو جمال شعره في الممدوح وذلك في قوله : وجدت معاليك أهلاً لشعري " ثم أتى بالمشبه به ليؤكد صحة المشبه وهو أن الدرّ لا يكون منظماً من غير النصاح أي من غير السلك الذي ينظم الخرز فكما أن شعره لا يصلح إلا على الممدوح ، كذلك الدرّ لا يصلح إلا على النصاح ، لذا نجد أن الحكم الذي اسند إلى المشبه ممكناً.
قال ابن الشبل البغدادي^(٤) :

ملك تُعين المادحين صفاته فيصيب قائلهم بغير تقوّل

(١) وهذا التشبيه على جماله وروعته لا يليق بوحشي لأنه صحابي جليل .
(٢) حسان بن المصيصي من شلب ، أبو الوليد : الوزير الكاتب ، كان كاتب سر المعتمد وصاحب أكثر أمره . انظر : الذخيرة ، لابن بسام : القسم الثاني ، ج ١ ، ص ٤٣٣ .
(٣) تمام المتون : ص ٢٩٠ . انظر : الذخيرة ، لابن بسام : القسم الثاني ، ج ١ ، ص ٤٤٥ .
(٤) محمد بن الحسين بن عبد الله بن الشبل البغدادي أبو علي : شاعر حكيم من أهل بغداد ، وكان ظريفاً نديماً . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٦ ، ص ١٠٠ .

والسيف لولا جواهر في حده لم تبد منه فضيلة للصيقل^(١)
وفي هذا البيت تشبيه ضمني حيث شبه الملك بالسيف . وقال : إنّ
صفات الملك الحميدة ومكارمه تساعد المالحدين له حيث يأتون بالقول
الصحيح من غير تكلف أو من غير مبالغة ، ثم أتى بالمشبه به ليكون برهاناً
ودليلاً على المشبه ، فقال : إنّ السيف جواهره في حده ولولا هذا لم تظهر
فضيلة الصيقل فحد السيف ساعد وأعان الصيقل على صقله.

قال صفي الدين الحلبي:

فأستجلِ دراً أنت لجة بحره وألبس ثناءً أنت ناسج برده
يزداد حسناً كلما كررته كالتبر يظهر حسنه في نقده^(٢)
في البيت الثاني وضح الشاعر أن ثناءه ومديحه للمدوح يزداد حسناً
وجمالاً كلما كرره وأعاده وهذا المشبه ، ولكي يؤكد صحة ما يقوله قال إنّ
الذهب يظهر حسنه وجماله في نقده . وهو مثل قوله أيضاً:

لا فضل لي في نظامي در فضلكم بقيمة الدر لا بالسلك يعتبر
لم تزده صنعته إلا بصنعتكم تزهى الخمائل أنى يهطل المطر^(٣)
يرى الشاعر أنّ فضائل المدوح وهو ينظم هذا الدر أي : الشعر
الذي يشبه الدر ويقول أنّ القيمة في الدر لا في السلك وهذا مشبه ، ثم أتى
بالمشبه به ليبرهن به على صحة المشبه وهو أنّ الخمائل تزهى وتزدان
بهطول الأمطار.

(١) تمام المتون : ص ٣٠٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٠٣ . انظر : ديوان الصفي الحلبي : ص ١٤٥ .

(٣) تمام المتون : ص ٣٠٣ . انظر : ديوان الصفي الحلبي : ص ٢٠٥ . وفي الديوان:

لأفضل لي في نظامي در وصلكم بقيمة الدر لا بالسلك يعتبر

قال محمد بن الحداد المغربي^(١):

ومنك أخذنا القول فيك جلالة وما طاب ماء الورد إلا من الورد^(٢)
وهذا تشبيه ضمني ، حيث شبه أخذهم للقول من الممدوح وجمال
وجلال القول مع جمال القائل وهو المشبه ، ثم أتى بالمشبه به ليدل ويبرهن
به على صحة المشبه فقال : وما طاب ماء الورد إلا من الورد أي : أن ماء
الورد لا يكون طيباً إلا إذا أخذ من الورد.

قال ابن المنير الطرابلسي:

إذا الكريم رأي الخمول نزيله في منزل فلحزم أن يتحولاً
كالبدر لما تضاءل جد في طلب الكمال فحازه متنقلاً^(٣)
وهذا تشبيه ضمني حيث شبه الكريم الذي يهجر منزل الخمول
والانحطاط ، ويتحول إلى مكان أسمى وأرفع بالبدر الذي بدأ يتحول من كونه
هالاً ضئيلاً إلى بدر ساطع ، فهو أيضاً قد تحول إلى مكان أسمى وأرفع فالمشبه
به جاء مؤكداً لصحة المشبه.
وقال أيضاً :

سفهاً لحلمك إن رضيت بمشرب رنق ورزق الله قد ملأ الفلا
فارق ترق كالسيف سل فبان في متنيه ما أخفي القراب وأخماً^(٤)
وفيها أيضاً تشبيه ضمني ، المشبه وهو استقرار الإنسان في مكان واحد
وهو حامل فقير ، وبعد فراقه لوطنه يجد الرزق الواسع والرفاهية ، والمشبه به

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن الحداد ، أبو عبد الله القيسي الأندلسي : شاعر مشهور له ديوان كبير . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١ ، ص ٣٥٣ .

(٢) تمام المتون : ص ٣٠٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣١١ . انظر : ديوان الطرابلسي : ص ٢ .

(٤) تمام المتون : ص ٣١٢ . انظر : ديوان الطرابلسي : ص ١٠٢ .

وجود السيف داخل غمده وهو مهمل لا ترى فائدته وحينما سل من غمده
ظهر فضله وبان شرفه . يريد أن يؤكد أن الانتقال من مكان إلى آخر أفضل
من الإقامة على الفقر والخمول ، فوجه الشبه وجود شيء حامل وفقير
وحينما انتقل من مكانه صار معروفاً ومشهوراً.

وهذا يشبه قول الصفدي:

سافر تنل عزاً فما مسك الورى إلا دم في سرة الغزلان
والرمح لما فارق الوطن اغتدى بذؤابة خفقت وتاج سنان^(١)
وهو أيضاً تشبيه ضماني يؤكد نفس المعنى السابق وهو فائدة الانتقال
والسفر وعدم الاستقرار في مكان واحد . وللصفدي عدة أبيات من شعره
تحمل نفس هذا المعنى منها قوله:

سافر تنل رتب المفخر والعلا كالدر سار فصار في التيجان
وكذا هلال الأفق لو ترك السرى ما فارقتة معرة النقصان^(٢)
حيث شبه حال الذي يسافر فينال الجد والمعالى بحال الدر ينقل من
مكانه فيكون في تيجان الملوك ، فلحال الأولى هي المشبه ، والحال الثانية هي
المشبه به ، وهما لم يوضعا في صورة من صور التشبيه الصريحة بل يلمحان في
التركيب ووجه الشبه هو ازدياد جمال الشيء بعد انتقاله من مكان لآخر.
ومثله أيضاً قوله:

سافر فإن الليث لما غاب عن غاب حواه أشبع الأشبالا
والسيف لو لزم المقام بجفنه ما راع أعداء وراق صقالا^(٣)

(١) تمام المتن : ص ٣١٣. انظر : الغيث المسجم ، للصفدي : ج ٢ ، ١١٢ .

(٢) تمام المتن : ص ٣١٣. انظر : الغيث المسجم ، للصفدي : ج ٢ ، ١١٢ .

(٣) تمام المتن : ص ٣١٣ .

والصفدي يأتي هنا بأمثلة من عنده يؤكد نفس المعنى السابق ، وهو
أنّ الفائدة والخير والسعادة في الانتقال من مكان لآخر وهي افضل من
الإقامة في بلد علي الفقر والذل والهوان ، ويؤكد هذا المعنى بقوله : إنّ
الأسد إذا لم يترك أشباله ويخرج من عرينه لن يستطيع إطعامهم. والسيف لو
لم يخرج من غمده وقِرابه لن تهابه الأعداء ، والبدر لو لم ينتقل من مكانه
لأبصره الناس هاللاً .

وهذه المعاني كلها تؤكد الفوائد التي يجنيها الإنسان من سفره ، ووجه
الشبه جاء أيضاً مضمناً لأنّ التشبيه كلما دق وخفي كان أفضل وأبلغ أثراً في
النفس ، وهذه المعاني على الرغم من أنّ الشعراء طرّقوها كثيراً ولكنها
بديعة وبليغة .

الفصل الثاني: المجاز اللغوي.

المبحث الأول: الاسنارة النصيرية .

المبحث الثاني: الاسنارة المكنية .

المبحث الثالث: الاسنارة النمطية

المبحث الرابع: المجاز المرسل

والعقلي .

المجاز اللغوي

الاستعارة

تعريفها :

عرفها البلاغيون بأنها كلمة استعملت في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي. يقول أبو هلال العسكري : " الاستعارة : نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه ، أو تأكيده والمبالغة فيه ، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ" ^(١). يقول الجرجاني : "إنَّ الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنَّه اختُصَّ به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هنالك كالعارية" ^(٢). ويقول أيضاً : "فالاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجنئ إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه ، تريد أن تقول: رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول رأيت أسداً" ^(٣).

وقال ابن أبي الأصبع المصري معرفاً الاستعارة: "هي تسمية المرجوح الخفي باسم الراجح الجلي : كقول الله تعالى: ﴿وَلِئْلَهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ وكقوله سبحانه: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ وكقوله عزوجل: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ ولا بد في الاستعارة من اعتبار ثلاثة

(١)الصناعتين ، للعسكري : ص ٢٧٤ .

(٢)أسرار البلاغة ، للجرجاني : ص ٤١ .

(٣) دلائل الإعجاز ، للجرجاني : ص ٦٧ .

أشياء أصول مستعار ومستعار منه ومستعار له فالمستعار في الآية الأخيرة الاشتعال ، والمستعار منه النار ، والمستعار له الشيب ، والجامع بين المستعار منه والمستعار له مشابهة ضوء النار لبياض الشيب ، وحكمته وصف ما هو أخفي بالتشبيه لما هو أظهر"^(١).

وتنقسم الإستعارة إلى:

(أ) تصرّيجية: وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه . كقول المتنبي:

وأقبل يمشى في البساط فما دري

إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي^(٢)

شبه سيف الدولة أمير حلب بالبحر ، ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به وهو البحر للمشبه سيف الدولة بجامع العطاء في كل ، علي سبيل الاستعارة التصريجية ، والقرينة "فأقبل يمشى" . وشبهه في الشطر الثاني بالبدر ، بجامع الرفعة والسمو ، ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، على سبيل الإستعارة التصريجية ، والقرينة "فأقبل يمشى" . والمعنى: أقبل رسول الروم يمشي إلى الأمير سيف الدولة بين السماطين ، فغشيته الهيبة ، فاحتار إلى البحر يذهب أم إلى البدر يصعد، لعظم مشاهد ورأى من جلال المدوح .

(ب) مكنية: وهي ما حذف منها لفظ المشبه به ، ورمز له بشيء منلوازمه ليدل عليه . كقول الشاعر:

لا تعجبي يا سَلَمٌ من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي^(٣)

(١) تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثريان إعجاز القرآن ، لابن أبي الأصبع زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد المصري ، تحقيق دكتور حنفي محمد شرف، أشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة ، طبعة القاهرة، ١٣٨٣هـ : ج٢، ص٩٨.

(٢) شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج٣، ص٥٦ .

(٣) ديوان دعبل الخزاعي : ص٢٤٩.

شبه المشيب بإنسان وحذف المشبه به "الإنسان" ورمز له بشيء منلوازمه ، على سبيل الإستعارة المكنية ، والقرينة إثبات الضحك للمشيب. ومنها أيضاً قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤] . حيث شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر باشتعال النار ، وحذف المشبه به النار ورمز له بشيء من لوازمه "الاشتعال" ، والقرينة إثبات الاشتعال للرأس^(١).

ج) الاستعارة التمثيلية: عرفها البلاغيون بأنها تركيب مجازي استعمل في غير معناه الحقيقي ، والعلاقة بين معناه الحقيقي ومعناه المجازي المشابهة، وكل من المشبه والمشبه به في الإستعارة التمثيلية صورة مركبة تتألف من أجزاء متعددة ، حيث يحذف المشبه وتنقل صورة المشبه به إليه، وتكون القرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي في الاستعارة التمثيلية حالية. والاستعارة التمثيلية إذا استعملت كثيراً تحولت إلى مثل شاع استعماله بين الناس .

مثل قولهم: "قطعت جهيزة قول كل خطيب"^(٢) وهو تركيب يتمثل به في كل موطن يؤتي فيه بالقول الفصل .

وقول أبي الطيب :

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرأً به الماء الزلالا^(٣)

(١) أساس البلاغة ، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩ هـ _

١٩٧٩م : ص ٢٣٣.

(٢) مجمع الأمثال ، للميداني : ج ٢ ، ص ٥٣ .

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي ، شرح أبي البقاء العكبري المسمى بـ "التبيان في شرح الديوان"

وضع فهارسه مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة للطباعة

والنشر، بيروت ، لبنان : ج ٢ ، ص ٢٢٨.

هنا يوضح لنا حال المريض الذي يصاب بمرارة في فمه إذا شرب الماء العذب وجده مرّاً ، ولكنه لم يستعمله في هذا المعنى ، بل استعمله فيمن يعيبون شعره ، وينتقصون من قدره لقلة فهمهم ، وعدم قدرتهم على تذوق الشعر ، وضعف إدراكهم الأدبي ، وحسهم البلاغي، فالببت فيه مجاز قرينته الحالية ، والعلاقة علاقة مشابهة ، والمشبّه هو حال الذين يذمون شعره ، والمشبّه به هو حال المريض الذي يجد الماء الزلال مرّاً.

يقول الجرجاني: "لو كان سَلَك بالمعنى الظاهر من العبارة كقولك : إنّ الجاهل الفاسد يتصور المعنى بغير صورته ، ويخيل إليه في الصواب أنّه خطأ، هل كنت تجد هذه الروعة"^(١).

وهذه الاستعارة تسمى بالمجاز المركب ، وعلاقته المشابهة وذلك لأنّ المجاز المركب نوعان^(٢):

- (أ) الاستعارة التمثيلية ، أو المجاز المركب الذي علاقته المشابهة .
 - (ب) المجاز المركب الذي علاقته غير المشابهة ، ويسمى مجازاً مركباً مرسلاً ، مثل الخبر المستعمل في الإنشاء كقولنا: "رحمه الله" والمعنى "اللهم أرحمه" ومن الإنشاء المستعمل في الخبر كقوله ﷺ : (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ ، فَلْيَتَّبِعْهُ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ"^(٣). أي : يتبوأ فهو لا يأمر بدخول النار وإنّما سيقع. والإنشاء الذي خرج عن معناه الأصلي إلى معنى إنشائي آخر كقول امرئ القيس:
- قفأ نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوي بين الدخول فحومل^(٤)

(١) أسرار البلاغة ، للجرجاني : ص ١٠٣ .

(٢) علم البيان ، للشيخ عثمان أبو النصر، مطبعة أبو الحسن ، غزة ٦ ، ١٣٥٧هـ _ ١٩٣٨م : ص ١٦٣ _ ١٦٤ .

(٣) صحيح البخاري : ج ١ ، ص ٣٧ .

(٤) أشعر الشعراء الستة الجاهلين ، ليوسف سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنري ، شرح وتعليق دكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٢١هـ _ ١٩٩٢م : ج ١ ، ص ٢٩ .

يقصد به الالتماس.

هذا ومن أجمل الاستعارات التي يجمل أن نذكرها هنا هي التي وردت في قول أبي الطيب المتنبي^(١):

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
في قوله: " ومن قصد البحر استقل السواقيا " أراد أن يقول إنَّ من يذهب لكافور يستغنى عن غيره ، فيرسل العبارة كأنَّها مثل ، ويصور لنا أنَّ من قصد كافوراً ترك واستغنى عن غيره من الملوك، كما أنَّ قاصد البحر لا يهتم بالجداول ، فيعطينا استعارة تمثيلية لها روعة وفيها سحر وجمال ، وهي فوق ذلك تحمل برهاناً ودليلاً على صدق دعواه ، وتؤيد الحال التي يدعيها . يقول المراغي: " فصور لك ما يلقاه قاصدوا ممدوحه من الغنى والثروة وأنَّه من لا يبغى سواه ، كما أنَّ من قصد البحر تأبى همته أن ينظر إلى الجداول والغدران . وهي استعارة تمثيلية لها أثرها من البهجة والجمال الذي تحس به وتتذوقه^(٢) .

هذا وقد تباري العلماء في تقسيم الإستعارة إلى أكثر من ذلك ، أصلية وتبعية ، ومرشحة ومجردة ومطلقة ، وقد قسمها السكاكي باعتبار المستعار له والمستعار منه ، إلى خمسة أقسام^(٣):

(١) استعارة محسوس لمحسوس في أمر محسوس: مثل قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَعْلَ الرُّأْسُ شَيْبًا ﴾ يقول السيوطي: المستعار النار ، والمستعار له الشيب

(١) شرح ديوان أبي الطيب لأبي لعلاء المعري "معجز أحمد"، تحقيق دكتور عبد المجيد دياب، ط٢، سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، دار المعارف: ج٤، ص ٢٤ .

(٢) علوم البلاغة ، للمراغي : ص٣٦.

(٣) مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن السكاكي ، منشورات المكتبة العلمية الجديدة، بيروت : ص١٨٣.

والوجه الانبساط ومشابهة ضوء النار لضوء الشيب وكل ذلك محسوس^(١).

(٢) استعارة محسوس لمحسوس للمشاركة في أمر عقلي: مثل قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّهْمٌ أَلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧] ، يقول السيوطي: "المستعار منه السلخ الذي هو كشط الجلد عن الشاة ، والمستعار كشف الضوء عن مكان الليل ، وهما حسيان والجامع ما يعقل من ترتيب أمر على آخر ، وحصوله عقب حصوله ، كترتب ظهور اللحم على الكشط ، وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل ، والترتيب على أمر عقلي"^(٢).

(٣) استعارة معقول لمعقول للمشاركة في أمر عقلي : مثل قوله تعالى : ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقِدِنَا﴾ [يس: ٥٢]. يقول السيوطي: "المستعار منه الرقاد أي : النوم ، والمستعار له الموت ، والجامع عدم ظهور الفعل والكل عقلي"^(٣).

(٤) استعارة محسوس لمعقول للمشاركة في أمر عقلي: كقوله تعالى : ﴿مَسَّهِمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾ [البقرة: ٢١٤]. يقول السيوطي : "استعير المس _ وهو حقيقة في الأجسام _ وهو محسوس ، لمقاسات الشدة ، والجامع للحقوق وهما عقليان"^(٤).

(٥) استعارة معقول لمحسوس للمشاركة في أمر عقلي : مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا

(١) الإتقان في علوم القرآن ، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق فؤاد أحمد زمرلي، ط ٢، ١٤٢١هـ _

٢٠٠٠م : ج ٢، ص ٥٢.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٥٣.

(٣) المصدر السابق : ج ٢، ص ٥٣.

(٤) المصدر السابق : ج ٢، ص ٥٣.

لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ [الحاقة: ١١] . يقول السيوطي : "المستعار منه التكبر وهو عقلي ، والمستعار له كثرة الماء ، وهو حسي والجامع الاستعلاء وهو عقلي أيضاً" ^(١).

الاستعارة في كتاب تمام المتون
النصوص التي أوردتها الصفدي في شرح الرسالة نجد الاستعارة فيها
كغيرها من الفنون البلاغية متناثرة ، فحينما يورد نصاً يحوي استعارة وتعجبه
يقول: "وهذه استعارة حسنة" ^(٢)، وأخرى تعجبه جداً فيقول: "وهذه من أجمل
الاستعارات" ^(٣). ويفاضل ويقارن بين استعارة وأخرى ، فيقول: "وأجمل من
هذا قول الشاعر" أو "وما أحسن قول هذا الشاعر" ، "وذلك في غاية
الحسن" ^(٤). "وهذه استعارة جيدة" ^(٥).

هذا وسنورد هذه الاستعارات على ثلاثة أنواع هي:

- ❖ الاستعارة التصريحية.
- ❖ الاستعارة المكنية.
- ❖ الاستعارة التمثيلية.

(١) الإيتقان ، للسيوطي : ج ٢ ، ص ٥٤.

(٢) تمام المتون : ص ٣٩.

(٣) المصدر السابق : ص ٢٩٠ .

(٤) المصدر السابق : ص ٤٠.

(٥) المصدر السابق : ص ٢٧٩.

المبحث الأول

الاستعارة النصيرية

(١) قال ابن زيدون: "إن سلبتي _ أعزك الله _ لباس إنعامك ، وعطلتي من حلي إيناسك" ^(١)

يقول الصفدي: "وقد استعار الاستلاب للباس ، والعطل للحلي ، وهي استعارة حسنة ، كأنَّ إنعامه كان بمنزلة اللباس ، فارتجعه وسلبه ، وكأنَّ إيناسه له ، كان بمنزلة الحلي له ، فعطله منه ، وترك جيده بلا قلادة عارياً من حلي الأنس" ^(٢).

ومعنى حديث ابن زيدون أنك أخذت مني ما أنعمت به علي من ملابس الإنعام ، وارتجعتني مني وتركتني بعيداً عنك ، لا استطيع الأنس معك ، مثل الجيد الذي أصبح عاطلاً من الحلي.

الاستعارة: شبه إنعام وإحسان الملك عليه باللباس ، وحذف المشبه "الإحسان" ، وصرح بلفظ المشبه به "اللباس" ، وشبه الإيناس بالحلي ، وحذف المشبه "الحلي" ، وصرح بلفظ المشبه به "إيناسك" ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة في الاستعارة الأولى "سلبتي" ، وفي الثانية "عطلتي" ، لأن الاستلاب يستخدم للباس ، تقول سلبت الثياب إذا نزعته واختلستها . يقول الصفدي: "إن أخذت مني ، واختلست ما كان لك علي من لباس الإنعام ، وتركتني عاطلاً من حلي أنسك بي ، وأنسي بك وهو الأولى" ^(٣). يقول : "واللبس: ما يوارى الجسد . والإنعام: المنة واليد

(١) تمام المتون : ص ٣٩.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٩.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٩.

والتعطيل: خلو جيد المرأة من القلائد . يقال امرأة معطال إذا كانت عارية من الحلبي"^(١).

ومن تعليق الصفدي على قول ابن زيدون السابق نلاحظ اهتمامه بقيمة المبالغة في الاستعارة، وشرط المناسبة فيما بين المستعار له والمستعار منه ، لما له من قيمة جمالية وفنية رائعة.

قال الإمام أبو الفضل طاهر بن الفقيه الحدث^(٢):

أشارت إلى بعُناة مخضبة من دم الأفئدة

وقالت: على العهد يا سيدي فقلت إلى الحشر يا سيدة^(٣)

معني البيت أنَّ محبوبه الشاعر أشارت إليه بطرف بنانها الذي يشبه العُناة في لونه ، وكلاهما لونه أحمر.

ويربط الشاعر بين ألم الوجد والبين الذي يلاقيه الأحباب ، فكأنَّ هذا الخضاب ليس من الحناء ، وإنَّما من طعنها لقلوب الأحباب الذين يرومون الوصل بجبلها ولم ينالوه ، وهذه صورة شيقة وخيال خصب.

في قوله: "بعُناة" استعارة تصريحية ، حيث شبه طرف البنان بالعُناة ، وحذف المشبه "طرف البنان" ، وصرح بلفظ المشبه به "عُناة" ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، بجامع الحسن والجمال في كل ، والقرينة "مخضبة". وتشبيه أطراف البنان بالعُناة كثير في الشعر . يقول الشاعر:

وأمرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العُناة بالبرد^(٤)

(١) تمام المتون : ص ٣٩.

(٢) طاهر بن بركات بن إبراهيم بن الفقيه ، أبو الفضل القرشي الدمشقي : الإمام الحدث . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١١ ، ص ٢٥٧ .

(٣) تمام المتون : ص ٣٦ .

(٤) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص ٢٤٦ .

شبه الدمع باللؤلؤ ، والعين بالترجس ، والحدود بالورد ، والبنان بالعناب ، والأسنان بالبرد ، وحذف فيها جميعاً المشبه ، وصرح بلفظ المشبه به ، على سبيل الاستعارة التصريحية . والملاحظ هنا حذف المستعار له ، وهنا يكمن الحسن والإبداع ، فلو أنه ذكر المستعار له لكان الكلام غثاء غير بليغ .
(٢) قال ابن زيدون: "وأظمتني إلى برود إسعافك ، ونفضت بي كف حياطتك" (١) .

والمعنى أي : أظمتني وأعطشتني إلى برود إغاثتك ، وطرحتنني من كف حوزك . يقول الصفدي : " وقد استعار الظمأ وهو شدة العطش ، إلى برد الإسعاف . ونفض الكف من الإحاطة به والحوزة له ، وذلك في غاية الحسن " (٢) .

وهذه استعارة تصريحية فالظمأ يكون للإنسان لا إلى برد الإسعاف ، حيث استعار لفظ "الظمأ" للاحتياج فقال : "وأظمتني" بمعنى "أحوجتني" على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الروم: ١٩] . فالإحياء هو إيجاد الروح ، وهو يناسب الحيوان لا الأرض . والذي يناسب الأرض هو "التزيين والأخضرار" ، فيُشبه حينئذ تزيينها بالنبات ذي الخضرة والنضارة ، بالأحياء في الحسن والانتفاع . ثم استعار لفظ "الإحياء" بعد التناسي والادعاء للتزيين ، ثم اشتق من الإحياء بمعنى التزيين "يحي" بمعنى "يزين" على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.
قال صفى الدين الحلبي:

(١) تمام المتون : ص ٤٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٠ .

استجل دراً أنت لجة بحره وألبس ثناء أنت ناسج برده
يزداد حسناً كلما كررته كالتمر يظهر حسنه في نقده^(١)

في كلمة "در" استعارة تصريحية ، حيث شبه شعره بالدر ، بجامع
الحسن والجمال ، ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به وهو "الدر" ، على
سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة "استجل" . وهو شبيه بقوله:

لا فضل لي في نظامي در فضلكم بقيمة الدر لا بالسلك يعتبر^(٢)
يتحدث الشاعر عن فضائل الممدوح وهو ينظم هذا الشعر الذي هو
كالدر ، ولكن بحذفه للمشبه صار الحديث أبلغ ، أي : هو در . وهاتان
استعارتان تصريحيتان حيث شبه شعره بالنظام ، وفضل وإحسان الممدوح
بالدر ، وحذف المشبه الأول الشعر ، والمشبه الثاني الفضل، وصرح بلفظ
المشبه به الأول ، والمشبه به الثاني على سبيل الاستعارة التصريحية .

قال ابن التعاويني^(٣) يمدح القاضي الفاضل:

فاستجل أبكار المديح عرائساً أبدين زينتهن غير عواطل
أبرزتهن على علاك سوافراً وجعلتهن إلى نذاك وسائل
فأجلس لها وارفع حجابك دونها وأسمع إلى إنشادها وتطاولي
وأعرف لها تأميلها يا من يرى كرمأ على المأمول حق الآمل^(٤)

(١) تمام المتون : ص ٣٠٣. انظر : ديوان الصفي الحلي : ص ١٤٥.

(٢) تمام المتون : ص ٣٠٣. انظر : شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج ٣، ص ١٠٧ .

(٣) محمد بن عبيد الله بن عبد الله ، أبو الفتح ابن التعاويني: شاعر العراق في عصره ، من أهل
بغداد ، مولده ووفاته فيها ، ولي بها الكتابة في ديوان المقاطعات ، وهو سبط الزاهد أبي محمد
بن التعاويني، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ١، ص ٢٦٠ .

(٤) تمام المتون : ص ٢٦٧. انظر : ديوان ابن التعاويني ، تحقيق د. س. مرجليوث ، مطبعة المقتطف

في البيت الأول استعارة تصريحية في كلمة "عرائساً" ، حيث شبه قصائده بالعرائس بجامع الحسن والجمال في كل ، وحذف المشبه "قصائده" ، وصرح بلفظ المشبه به "عرائساً" ، على سبيل الاستعارة التصريحية . ومثل هذا قول أحمد شوقي^(١) في مدحه للنبي ﷺ:

لي في مديحك يا رسول عرائستيمن فيك وشاقهن جلاء^(٢)
فهو أيضاً شبه قصائده التي مدح بها النبي ﷺ بالعرائس ، بجامع الحسن ، ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به وهو "عرائس" ، للمشبه وهو "القصائد" ، على سبيل الاستعارة التصريحية . والقرينة "لي في مديحك" ، وهي قرينة لفظية.

ثم يواصل ابن التعاويذي وصفه لقصائده بالحسان السوافر ، اللائي جعلهن وسائلاً لنيل كرم وإحسان الممدوح. ويطلب منه أن يرفع الحجاب ويسمع لها ، ويعرف لها حقها ويتأملها ؛ لأنها تستحق المكافأة والنوال.
(٣) يقول ابن زيدون: " حتى زف إليك منه عروساً مجلوة في أثوابها ، منصوصة بجليها وملايها "^(٣).

يقول الصفدي : "وقد أدعى ابن زيدون أنه قد زف إليه عروساً من نظمه ، وهي القصيدة الميمية في أثوابها وحليها وملايها . أراد بالثياب ألفاظها ، لأنه تخير لها ألفاظاً فصيحة عذبة التركيب ، عرية من الألفاظ الغريبة الحوشية التي ينبو عنها السمع . وأراد بالجلي المعاني التي قصدها فإنها بليغة ، كأنها أنواع الجواهر التي يضمنها الحلي "^(٤).

(١) أحمد شوقي بن علي ، أمير الشعراء . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج١ ، ص١٣٦.

(٢) ديوان الشوقيات ، لأحمد شوقي ، السياسة والتاريخ والاجتماع : ج١ ، ص٢٩.

(٣) تمام المتون : ص٣٩٠.

(٤) المصدر السابق : ص٣٩٠.

أقول وهذه استعارة تصريحية ، وهي من أجمل الاستعارات ، لأنه شبه قصيدته في جمال ألفاظها وبديع معانيها بالعقد المرصع بالجواهر واللا ليو حذف المشبه "القصيدة" ، وصرح بلفظ المشبه به "العروس" ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، بجامع الحسن والجمال في كل . وهو نفس المعنى الذي طرقه ابن التعاويذي في تشبيهه لقوافيه بالعرائس. وتشبيه القصائد الغراء بالعرائس الحسان كثير في الشعر العربي . يقول الصفدي: "وقد جرت عادة الشعراء أن يسموا مدائحهم عروساً بديعة الحسن ، وأن سوقها إلى ممدوحهم زفاف ، وأن مهرها الإقبال على شاعرها"^(١). وابن زيدون يريد من الملك ابن جهور أن يقبل عليه ، ويعفو عنه ، لأنه قدم إليه عروساً حسناً. وقال أبو طالب يمدح النفر الذين مزقوا الصحيفة:

أعان عليها كل صقر كأنه إذا ما مشى في رفرف الدرع أحرد^(٢)

في كلمة "صقر" استعارة تصريحية ، حيث شبه السيد من قریش الذي ساعد على تمزيق الصحيفة بالصقر ، وحذف المشبه "السيد" ، وأتى باللفظ الدال على المشبه به "الصقر" ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة لفظية.

(٤) قال ابن زيدون: "وإن كنت لم أكسك سلباً ، ولا حليتك عطلاً ، ولا وسمتك غفلاً"^(٣).

يقول الصفدي: "الوسم: العلامة، تقول: ووسمته وسماً وسمه إذا أثرت فيه بسمه أو كي، والغفل يقال: أرض غفل لا علم بها ، ولا أثر عمارة ، ودابة غفل لا سمه عليها ، وقد أغفلتها إذا لم تسمها"^(٤).

(١) تمام المتون : ص ٣٩٠.

(٢) المصدر السابق : ص ٤٠. انظر : ديوان أبي طالب : ص ٢٣٦.

(٣) تمام المتون : ص ٢٩٦.

(٤) المصدر السابق : ص ٢٩٦.

ويقول الصفدي أيضاً : موضحاً الصورة البيانية: "وقد استعار الكسوة والتحلية للنساء ، والعطلة والإغفال له ، وهي استعارة جيدة"^(١). ويستشهد الصفدي على صحة حديثه بقول أبي الحسين الجزار^(٢):
ولقد كسوتك من قريضي حلة
جلت عن التضييق والترقيع
حسنت برقم من خالك فاغتدت
كالروض في التسهيم والتوشيع^(٣)

شبه ما كتبه من قوافي بلحلة الزاهية ، وانتقل من أسلوب التشبيه إلى أسلوب الاستعارة ، ولو قال كسوته شعراً كان أسلوباً غير مستساغ ، فإنّ ما يكتبه في الأصل حلة زاهية جلّت عن التضييق والترقيع ، فالشاعر شبه شعره بالحلّة وحذف المشبه ، وصرح بلفظ المشبه به ، على سبيل الاستعارة التصريحية.

وقال ابن الساعاتي:

وكم لي فيك من عذراء زفت لفهمك في غدوٍ أو رواح^(٤)
شبه قصيدته بالغادة العذراء الحسناء العروس التي زفت إلى بيت الزوجية ، بجامع الحسن والجمال في كل . ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به وهو "عروس" للمشبه وهو القصيدة ، على سبيل الاستعارة التصريحية .

(١) تمام المتون : ص ٢٩٧.

(٢) عبد الله بن محمد بن الجزار أبو الحسين: عالم العربية من تلاميذ المبرد، انظر الأعلام ، للرزكلي

: ج ٤، ص ١١٩.

(٣) تمام المتون : ص ٢٩٧.

(٤) المصدر السابق : ص ٢٨٥.

المبحث الثاني

الاستعارة المكنية

(١) قال ابن زيدون: "وغيضت عني طرف حمايتك" (١).

يشرح الصفدي حديث ابن زيدون بلاغياً بقوله: "وقد استعار الطرف للحماية لما كان الذي يحميك ويقيك كأنه ناظر إليك يحفظك من كل ما يهملك أمره، لا جرم أنه حسن استعمال الغض عنا لطرف الحماية وهي استعارة حسنة" (٢).

والمعنى هو : أنك خفضت طرف حمايتك عني ، فتركتني غرضاً لنكبات الدهر.

والاستعارة : في قوله: " حمايتك " شبه الحماية بإنسان ، وحذف المشبه به "الإنسان" ، ورمز له بشيء من لوازمه "طرف" ، على سبيل الاستعارة المكنية ، والقريظة إثبات الطرف للحماية.

قال بكر بن النطاح (٣):

وكم ترحة لم احتسبها لقيتها وكم فرحة جاءت على غير موعد (٤)
أي: كم حزن لم أتوقعه وجدته ، وكم فرحة ومسرة أتتني من غير موعد.
وفي قوله: "فرحة" استعارة مكنية ، حين شبه الفرحة بفتاة زائرة ، وحذف المشبه به "الفتاة" ، ورمز لها بشيء من لوازمها ، على سبيل الاستعارة المكنية ، والقريظة إثبات المجيء للفرحة.

(١) تمام المتون : ص ٤١.

(٢) المصدر السابق: ص ٤١.

(٣) بكر بن النطاح الحنفي، أبو وائل : شاعر غزل من فرسان بني حنيفة: انظر الأعلام ، للزركلي :

ج ٢، ص ٧١ .

(٤) تمام المتون : ص ٥٥ .

ويتجلى جمال الاستعارة في جعل "الفرحة" ، وهي أمر معنوي أمراً محسوساً يأتي من غير موعد . يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَا حَ فِي دُخَانٍ مُّهِيبٍ وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤] . فالغضب أمر معنوي ، ولكنه صار محسوساً بكلمة "سكت" ، فأصبح اللفظ بليغاً جميلاً يهز النفس ، بما فيه من روعة وحسن . يقول القزويني : "كأنّ الغضب كان يغريه على ما فعل ، ويقول له: قل لقومك كذا ، وألق الألواح ، وجر برأس أخيك إليه ، فترك النطق بذلك ، وقطع الأغراء ، ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم ، وذوق صحيح إلا لذلك" ^(١) .

وقال أبو ذؤيب الهزلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع ^(٢)

حيث شبه الموت بحيوان مستوحش ، وحذف المشبه به "الحيوان" ، ورمز له بشيء من لوازمه "أظفارها" ، والقرينة إثبات الأظافر للمنية . وقوله: "ألفيت كل تميمة لا تنفع" جواب شرط ، والشرط قوله: "إذا المنية أنشبت" وقبل هذا البيت قوله:

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم وإذا المنية أقبلت لا تدفع

هذين البيتين من عدة أبيات رثي فيها أولاده ، يؤكد فيها حقيقة الموت ، وعدم رده ودفعه إذا حضر ، وذكر التمام _ وهي من اعتقادات الجاهلية _ التي يرون أنها تدفع عنهم المصائب والأهوال ، وأبو ذؤيب يقول: إنّ هذا التمام لا تستطيع أن تدفع الموت . والجمال يتمثل في أنّه استعار الموت ليدل به على حيوان مفترس ، وهو الأسد ، وصار الموت في تصوره وخياله مثل الأسد الذي هو في الأصل مشبه به ، وتخيل وتصور أنللموت أظفار . والمعنى

(١) الإيضاح : للقزويني : ص ١٩٥ .

(٢) تمام المتون : ص ٦١ . انظر : شرح المفضليات ، للتبريزي : ج ٥ ، ص ١٤٠ .

أنّ الموت عبارة عن سبع ينشب أظفاره ، فإذا جاء لا تنفع التمام . يقول
الجلال السيوطي: "وحيثما نقول أنشبت المنية أظفارها نريد بالمنية السبع ،
بادعاء السبعية لها ، فنثبت لها ما يخص السبع "المشبه به" وهو "الأظفار"^(١).

وقال الصفدي قال الشاعر:

إذا مت مات الجود وانقطع الندى من الناس إلا من قليل مصرد^(٢)
شبه الجود بإنسان ، وحذف المشبه به "الإنسان" ، ورمز له بشيء من
لوازمه "مات" ، على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات الموت للجود.
وقال ابن قلاقس:

وإذا ما السحاب قطب وجهاً كأن في طيه حياة النفوس^(٣)
شبه السحاب بإنسان وحذف المشبه به "الإنسان" ، ورمز له بشيء
من لوازمه "قطب وجهه" ، على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات
تقطيب الوجه للسحاب ، فالحسن والجمال تجده في تشخيص السحاب ،
حيث جعل له وجه قاطباً ، والمقارنة بينه وبين المستعار له المحسوس.
وقال الصفدي قال الشاعر:

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقي الشامتون كما لقينا^(٤)
في البيت الأول شبه الدهر بالبعير ، ثم حذف المشبه به "البعير"
ورمز إليه بشيء من لوازمه "كلاكله" ، على سبيل الاستعارة المكنية . يقول

(١) شرح عقود الجمان ، للسيوطي : ص ٩٩.

(٢) تمام المتن : ص ٦٢.

(٣) المصدر السابق : ص ٧٩ . انظر: ديوان ابن قلاقس : ص ٤٠٤ .

(٤) تمام المتن : ص ٥٨ .

دكتور بدوي طبانة: "شبه الدهر والمراد نوازله وأحداثه بالبعير ، ولم يصرح بلفظ المشبه به بل حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه من الكلاكلوالإنخة ، تنبيهاً على البعير ، وهو المشبه به المحذوف"^(١). وتشبيه الدهر بالبعير ، ورد أيضاً عند امرئ القيس في وصفه لليل يقول:

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليلتي
فقلت له لما تمطي بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل^(٢)
حيث استعار لليل صلباً وأردافاً وكلكلاً ، وشبهه بالبعير، فأمرؤ القيس وصف أحوال ليله الطويل وشخصه ، ونقله من شيء معنوى إلى شيء حسي . يقول ابن الأثير: "إنَّ امرأ القيس وصف أحوال الليل الطويل فذكر امتداد وسطه ، وتثاقل صدره ، وترادف أعجازه ، فلما جعل له وسطاً ممتداً وصدرًا ثقیلاً وأعجازاً رادفة لوسطه ، استعار له اسم الصلب وجعله ممتطياً من أجل امتداده ، واسم الكلكل وجعله نائباً لتثاقله ، واسم العجز من أجل نهوضه"^(٣).

وقال ابن حيوس:

ولئن شعرت فإنَّ أيسر ما أرى من مآثراتك ينطق الجلود^(٤)
في قوله: "ينطق الجلود" استعارة مكنية ، حيث شبه الجلود بإنسان وحذف المشبه به "الإنسان" ورمز له بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات النطق للجلود.

(١) علم البيان، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية ، د. بدوي طبانة ، مكتبة الأنجلو المصرية : ص ١٣٦.

(٢) شرح المعلقات العشر ، للشنقيطي : ص ٣٣.

(٣) المثل السائر، لضياء الدين ابن الأثير : ج ١، ص ٣٦٩.

(٤) تمام المتون : ص ٣٠٣ . انظر: ديوان ابن حيوس : ج ١، ص ١٧١. وفي الديوان : ولئن نطقت فإن أيسر ما أري .

أي: أنه لا عجب إن كتبت فيك شعراً ، وذكرت مآثرك وفضائلك وإحسانك لي نظماً ، فإنّ إحسانك ونوالك وجودك وكثرة فضائلك تنطق الصخر ، ولأنّ الإحسان والعطاء الذي يجعل الصخر الأصم ينطق ، فإنّه بلا شك يجعل الإنسان ينطق ويتحدث ويثنى وهو مؤهل للنطق.
وقال الأصمعي:

"سمعت إعرابياً يقول: إنّ الآمال قطعت أعناق الرجال ، كالسرّاب غر من رآه ، وأخلف من رجه"^(١).

في قوله : "الآمال" استعارة مكنية ، حيث شبه الآمال بسيف ، وحذف المشبه به "السيف" ، ورمز له بشيء من لوزمه "قطع الأعناق" ، على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات القطع للآمال.

هذا والطمع والجشع من الصفات المذمومة عند العرب في الجاهلية والإسلام . ومن الشواهد التي ذكرها الصفيدي وهي تدور حول هذا المعنى ، قول ابن نباتة السعدي^(٢):

أرضى وأقنع بالآمال كاذبة

فما يضرك لو ألقيت أطماعي

قد كان يعرف وجه النذل في نظري

ويظهر العجز والتقصير في باعي^(٣)

وكذلك القول المنسوب للإمام علي كرم الله وجهه:

إذا عوفي المرء في جسمه وخوله الله قلباً قنوعاً

(١) تمام المتون : ص ٣١٤ .

(٢) عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدي ، أبو نصر : من فحول شعراء عصره ومجيديهم . انظر :

يتيمة الدهر ، للثعالبي : ج ٢ ، ص ٣٦٠ .

(٣) تمام المتون : ص ٣١٤ . انظر : يتيمة الدهر : ج ٢ ، ص ٣٦١ .

وألقي المطامع عن نفسه فذاك الغني ولو مات جوعاً^(١)
ففي قول ابن نباته: "الآمال كاذبة" ، و"وجه الذل" وقوله الإمام عليّ
كرم الله وجهه: "وألقي المطامع".

استعارات مكنية ، فالآمال لا تكذب ، ولكنه حذف المشبه به الإنسان ،
وأدعى أنها تكذب ؛ لأنه يتخيل ويقارن بين الطمع والكذب ، فالطمع لا
يعود على صاحبه بفائدة وكذلك الكذب. ومثلها قول الإمام عليّ كرم الله
وجهه فالمطامع لا تلقى ، وقول ابن نباته أيضاً: حيث جسد الذل ، وهو شيء
معقول بشيء محسوس وهو الوجه. فالاستعارة تبهرك بسحرها وتجعلها
تتناسي أحد طرفي التشبيه . يتحدث القزويني عن جمال الاستعارة في الآية
الكريمة: ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ [النحل: ١١٢]. فيقول: حيث قال
أذاقها ، ولم يقل كساها ، فإنّ المراد بالإذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس ،
كأنه قال: فأصابها الله بلباس الجوع والخوف^(٢).

وقال سراج الدين الوراق:

كتم الزيارة في الدجى فضياؤه وحليه وشذاه كل قد فشي
وكتمت وجدى فيه لو لا أدمع نمت بما أخفيه حتى قد فشا^(٣)
شبه الحلبي والشذى كليهما بإنسان نمام ، بجامع الأذى وانتشار الخبر ،
ثم حذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو "وشى" ، على سبيل
الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات الوشي للحلي والشذى .
وقال البحرى:

ألنت لي الأيام من بعد قسوة وعاتبت لي دهرى المسيء فأعتبا

(١) تمام المتون : ص ٣١٤.

(٢) الإيضاح ، للقزويني : ص ١٩٢.

(٣) تمام المتون : ص ٢٢٩.

وألْبستني النعمى التي غيرت أخي

عليّ فأَمسي نازح الود أجنباً^(١)

في هذين البيتين مجموعة من الاستعارات المكنية هي "الأيام" و"دهري" و "النعمى" حيث جعل الأيام تلين ، والدهر يعاتب ، والنعمى تلبس . ففي الأولى : شبه الأيام بالحديد ، وحذف المشبه ورمز له بشيء من لوازمه "ألنت" على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة هي إثبات اللين للأيام.

وفي الثانية : شبه الدهر بإنسان ، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو "عابت" ، والدهر لا يعاتب على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات العتاب للدهر.

وفي الثالثة : شبه النعمى بكساء ، ثم حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه "ألْبستني" ، على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات اللباس للنعمى .

وقال ابن الساعاتي :

أردد لحظ ظني في وجوه من الآمال كاسفة الصباح

وقد أعدت جفون الغيد حظى وليست بالمراض ولا الصباح^(٢)

في البيت الأول : استعارة مكنية في قوله : "لحظ ظني" حيث شبه الظن بإنسان ، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات اللحظ للظن . ومثلها قوله "وجوه من الآمال" حيث جعل وأدعى أن للآمال وجوه ، والجمال يتجلى في أنه جعل المعنويات محسوسات.

(١) تمام المتون : ص ٢٨٢ . انظر: شرح ديوان البحترى ، للفخوري : ج ١، ص ١٢٢.

(٢) تمام المتون ، ص ٢٨٥ .

(٢) قال ابن زيدون: "وهل لبس الصباح إلا بُرداً طرزته بفضائك" ^(١)

شبه الصباح بإنسان يلبس ويرتدي ، ثم حذف المشبه به "الإنسان" ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات اللباس للصباح . يقول الصفدي : "قد جرت العادة بين البلغاء وفرسان البيان ، وأرباب النثر والنظم ، أن يستعيروا للثناء ، وهو شيء يدرك بالسمع ، أشياء تدرك بحاستي البصر والشم ، فيقولون : ثناء كأنه المسك الأذخر ، أو زهر الروض الأنضر ، أو كالنجوم الزاهرة ، أو البرود المرقومة ، أو كأنفاس النسيم السَّحرية . ومن هذا وأمثاله لأنهم يريدون المبالغة فيما وصفوه" ^(٢).

والاستعارة كما هو معلوم استعمال كلمة في غير معناها الحقيقي لعلاقة مشابهة بين الطرف المذكور والطرف المحذوف ، وإثبات المحذوف للمذكور لأجل المبالغة في التشبيه . فابن زيدون جعل لون الصباح عبارة عن بُرد مطرز بفضائل الممدوح . يقول الصفدي : فقول ابن زيدون رحمه الله تعالى : "وهل لبس الصباح إلا بُرداً طرزته بفضائك" ، من هذا الباب الذي قدمته وكذلك إلى قوله : "وبث المسك إلا حديثاً أذعته من محامدك" ^(٣).

ووجه تشبيه الثناء بالمسك وبأنفاس الرياض في السحر ، هو أن الثناء الحسن يقال فيه فلان طيب الثناء ، فاستعاروا له رائحة المسك وأنفاس الرياض ، فقالوا : ثناء كالمسك ، وهذا ما أراده ابن زيدون .

يقول الصفدي : "قال الإمام فخر الدين : "الاستعارة: ذكر الشيء باسم غيره ، وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه". ووجه تشبيه الثناء بالبرود المرقومة ، هو أن الثناء الحسن يقال فيه : فلان يحوك أوصاف فلان ،

(١) تمام المتن : ص ٢٨٨.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٨٨.

(٣) المصدر السابق : ص ٢٨٩.

وينسجها على منوال غريب ، ويرقم برودها ، وما يريدون بذلك إلا المبالغة ،
لأنه صار بحيث يدرك بعد حاسة السمع بحاستي البصر والشم . وما أحسن
قول محمد بن غالب الرصافي:

أجرى حديثك ثم أعلم أنه قول يقال وعرفه مشموم^(١) .
فالنفس تهتز فرحاً ، وتزداد بهجة وتطرب وتنتشي حينما تعرف أن
الثناء يلبس ، والصباح يرتدي برداً ، والفضائل تطرز وتنسج .
وقال ابن عُنين^(٢):

يهدي إليك من السناء ملابساً تضيفو وتصفو من قذي الأطماع
مصقولة الألفاظ يلقاها الفتى من كل جارحه بسمع واع^(٣)
حيث جعل مديحه وثنائه يأتي ويصاغ في عبارات بديعة ، وألفاظ
مصقولة . فهو يهدي له ملابساً من الثناء ، وهذه لعمري من أجمل
الاستعارات وأحلاها ؛ لأنها تجعلك تسرح وتمرح في واد من الخيال خصب .
٣ قال ابن زيدون: "من أبقاء الله ماضي حد العزم ، وارى زند الأمل ، ثابت
عهد النعمة"^(٤) .

هنا يمدح ابن زيدون ابن جهور بقوله "ماضي حد العزم" ، شبهه في
عزيمته بالسيف النافذ . والعزيمة أمر معنوي ولكنه جعل لها حداً . وقوله
"وارى زند الأمل" جعل للأمل زنداً ناره تخرج ساعة الاقتداح ، أي : أن من
يؤمل فيه ، ويرجو منه طلباً يجده وقت الطلب . وقوله : "ثابت عهد النعمة"

(١) تمام المتون : ص ٢٨٨ .

(٢) محمد بن نصر بن مكارم بن الحسين بن عنين ، شرف الدين الحوراني الدمشقي الأنصاري ،
أبو المحاسن : أعظم شعراء عصره ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٧ ، ص ٣٨ .

(٣) تمام المتون : ص ٢٨٨ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٨ .

أي : أن نعمته ثابتة لا تتغير . يقول الصفدي : "فهذه الجمل واقعة موقع الحال ، وفيها ثلاث استعارات ، وهي المضاء لحد العزم ، كأنه لا يعزم على شيء إلا أمضاه ونفذ فيه حله . ووارى زند الأمل ، كأنه لا يؤمل شيئاً إلا وهو يرى نوره . وثبات عهد النعمة ، أي : لا تُغير له ذمة نعمة بل هي محفوظة أبداً عليه"^(١). والاستعارات الثلاث مكنية ، وفيها من التناسب والتلاؤم والحسن ما لا خفاء به .

٤) قال ابن زيدون: "وهل أنا إلا يد أدمها سوارها ، وجبين عض به إكليله"^(٢)

في قوله : "وجبين عض به إكليله" استعارة مكنية ، حيث شبه الإكليل بإنسان ، وحذف المشبه به الإنسان ، ورمز له بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات العض للإكليل. وقال ابن المعتز: يتأكلون ضغينة وخيانة ويرون لحم الغافلين حالاً^(٣)

استعار الأكل للضغينة والخيانة ، وهما معنويان لا يؤكلان لأن الأكل من المحسوسات ، ويناسب قوله : "لحم الغافلين" حيث شبه الضغينة والخيانة بطعام ، ثم حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه "يتأكلون" ، على سبيل الاستعارة المكنية . والمعنى أنهم قوم كل همهم النسيمة والحقد على الناس فهم يغتابون الناس ويذمونهم ويخونونهم ويرون ذلك من الحلال . والمعنى مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

(١) تمام المتون : ص ٣٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ٦٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٣٦ .

المبحث الثالث

الاستعارة النمطية

(١) قال ابن زيدون: "ويؤتى الحذر من مأمنه ، وتكون منية المتمني في أمنيته"^(١).

قال الصفدي : "ويؤتى الحذر من مأمنه" معناه في القرآن العظيم وهو قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً ۖ ﴾ [الأنعام: ٤٤]^(٢).
شبه هيئة الذي يجد الحذر والخوف في موضع مأمنه ، ويجد الموت في أمنيته ، بهيئة من يجد الشر والسوء في مكان لا يأتيه منه إلا الخير والأمن ، والجامع بينهما الهيئة الحاصلة من شيء معروف فيه الخير والأمن والسلامة فيأتي فجأة منه السوء والضرر . ثم استعار المركب الموضوع للمشبه به للمشبه بعد تناسي التشبيه ، وادعاء الاتحاد والتماثل ، على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة حالية . وهذا أشبه بقول أبي العتاهية:

وقد يهلك الإنسان من باب مأمنهوينجو بإذن الله من حيث يحذر^(٣)
وقول أبو الحسين الجزار:

وحقك ما لي من قدرة على كشف ضرر إذا مسني
فكم أخذتني عيون الظباء بعد الإنابة في مأمني^(٤)
ومثل ذلك ما ورد في خطبة عتبة بن أبي سفيان^(٥): "... ورب متمن

(١) تمام المتون : ص ٤٩.

(٢) المصدر السابق : ص ٤٩.

(٣) المصدر السابق : ص ٤٩ . انظر : ديوان أبي العتاهية وأشعاره وأخباره ، تحقيق دكتور شكري

فيصل : ص ١٥٣ . وقد وردت في الديوان "وينجو لعمر الله " بدل " بإذن الله " .

(٤) تمام المتون : ص ٤٩ .

(٥) عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية : أمير مصر ، وليها من قبل أخيه معاوية ، كان

عاقلاً فصيحاً ، مهيباً ، من فحول بني أمية . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ٢٠٠ .

حتفه في أمنيته" ^(١). ومن الشواهد التي تؤيد هذا المعنى ، واستحسنه قول أبي محمد عبد الله بن محمد الخفاجي ^(٢) يقول الصفدي : وما أحسن قول أبي محمد عبد الله بن محمد الخفاجي رحمه الله :

كم طالب أمراً وفيه حمامه وسائرة تسعى إلى ما يضرها ^(٣)

وكلها استعارات تمثيلية متشابهة في المعنى . ومن الطرائف التي حكاها الصفدي عن الشاعر المؤمل بن أميل ^(٤) وهي أنه تمنى أن لا يكون له نظر ، فتحققت أمنيته وفقد بصره . قال : " وكان المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي يهوى امرأة من أهل الحيرة يقال لها هند ، وفيها يقول قصيدته المشهورة وأولها :

شف المؤمل يوم الحيرة النظر ليت المؤمل لم يخلق له نظر
ونام فرأى في منامه رجلاً أدخل أصبعه في عينيه ، وقال هذا ما تمنيت
فأصبح وهو أعمي " ^(٥). هذا وقد منع الإسلام دعاء الإنسان على نفسه ، ونهى عن التشاؤم وحث على التفاؤل.

(٢) قال ابن زيدون : " فلا غرو قد يَغْصُ بالماء شاربهُ ، ويقتل الدواء المستشفَى به " ^(٦)

يقول الصفدي شارحاً قول ابن زيدون السابق : " هذه الفاء جواب

(١) تمام المتن : ص ٥٥.

(٢) عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان أبو محمد الخفاجي الحلبي : شاعر ، صاحب " سر الفصاحة " انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ١٢٢.

(٣) تمام المتن : ص ٥٥ .

(٤) المؤمل بن أسيل بن أسيد المحاربي : شاعر ، من أهل الكوفة ، أدرك العصر الأموي ، وأشتهر في العصر العباسي . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٧ ، ص ٣٣٤ .

(٥) تمام المتن : ص ٥٥ . انظر : نكت الهميان في نكت العميات ، للصفدي ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨ هـ _ ٢٠٠٧ م : ص ٢٨٤ .

(٦) تمام المتن : ص ٤٥.

الشرط في قوله أول الرسالة: "إن سلبتني ..." وما بعد من الجمل ، بعد ما نظر الأعمى إلى تأميلي لك ، فلا غرو أي: فلا بدع ولا عجب قد يغص بالماء شارب ، وهذه "قد" التي تدخل على الجمل للتقليل ، مثل : قد يكبو الجواد ، وقد ينبو الحسام ، وقد يصدق الكذوب ، وقد يينخل الجواد"^(١).

وحيثما نربط بين الجملتين يكتمل المعنى والجملة السابقة لهذه الجملة قوله : "إن سلبتني أعزك الله لباس إنعامك ، وعطتني من حلي إيناسك"^(٢). " ... فلا غرو قد يغص بالماء شارب" والمعنى : يقول ابن زيدون مخاطباً الملك : إن أنت سلبتني ثوب النعمة ولباس الإحسان الذي كسوتنيه ، وحرمتني من لذة الأنس بك ، وطيب الجلوس معك ، وأنا أقرب الناس إليك وأكثرهم إخلاصاً لك ، فلا غرو ولا عجب في ذلك ، فقد يغص الشارب بالماء . والماء يحتاج إليه الإنسان إذا غص بالطعام ، فكيف إذ غص به الماء ؟ وهو أقرب الناس للملك وهو الذي يحميه ، فكيف إذا أتت العقوبة منه ؟ يقول الشاعر:

من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يصنع من قد غص بالماء^(٣)
وقال آخر أيضاً:

إلى الماء يسعى من يُغص بأكلة فقل: أين يسعى من يغص بالماء^(٤)
قال الصفدي: "وفي المثل: يا ماء لو بغيرك غصصت"^(٥). ومعنى العبارة: أنك غصصت بالماء ، فلو أنك غصصت بالطعام كان دواؤك بالماء ، ولكن أن تغص بالماء فلا دواء لك.

(١) تمام المتن : ص ٤٥.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٩.

(٣) المصدر السابق : ص ٤٥.

(٤) المصدر السابق : ص ٤٥.

(٥) المصدر السابق : ص ٤٨ ، انظر : مجمع الأمثال ، للميداني : ج ٢ ، ص ٤٤٨.

شبه هيئة الذي يناله الأذى من أقرب الناس إليه بهيئة الذي يغص بالماء . وهو أقرب إلى قولهم: ويقتل الدواء المستشفي به " فالإنسان حينما يمرض يحتاج للدواء ليستشفي به ، ولكن إذا كان الدواء هو سبب القتل فلا سبيل لدوائه وشفائه. والجامع الهيئة الحاصلة من الضرر الذي يأتي من جهة ديدنها دفع الضرر لا جلبه. ثم استعير المركب الموضوع للمشبه بعد التناسي والإدعاء على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة حالية . وقد صار مثلاً يضرب لمن دُهي من حيث ينتظر الخلاص والمعونة . ومثل ذلك قول ابن حيوس:

أرى الأكدار يشرق شاربوها فواشريقي من الماء الزلال^(١)

وقول أكتثم بن صيفي : "من فسدت بطانته كان كمن غصبالماء"^(٢). وذلك لأنّ الغاص بالطعام يرجع إلى الماء، وإذا كان الماء هو الذي أغصه فلا حيلة له، فكذلك بطانة الرجل وأهله ، أو بطانة الحاكم ووزرائه ، إذا خانوه فسد حاله.

٣) قال ابن زيدون: "والحين قد يسبق جهد الحريص"^(٣).

وهذه استعارة تمثيلية ، ومثل يضرب أيضاً للإنسان الذي يطلب شيئاً ويجهد في طلبه فيموت ، فحينئذ يقال له: "والحين يسبق جهد الحريص". هذا ويذكر الصفدي مثلاً مقارباً له وهو : "سد ابن بيض الطريق" ، يقول : "ومما ضربت به العرب المثل في أنّ الحاجة تطلب فيحول دونها حائل قولهم: سد ابن بيض الطريق"^(٤). وله قصة طريفة ذكرها الصفدي وهي: "إنّ ابن بيض لما حضرته الوفاة قال لابنه: لا تقارب لقمان في أرضه ، فسّر

(١) تمام المتون : ص٤٧.

(٢) المصدر السابق : ص٤٨.

(٣) المصدر السابق : ص٥٦.

(٤) المصدر السابق : ص٥٦ . انظر : شرح المفضليات ، للتبريزي : ج ١ ، ص ١٨٨.

بأهلك ومالك ، حتى إذا كنت بشنية كذا فاقطعها وضع فيها للقمان حقه ، فإنّ له عندنا في كل عام حلة وجارية وراحلة ، فإن قبله فهو حقه عرضناه له لإجارته وخفارته ، وإن هو لم يقبله وبغى أدركه الله ببغيه ، ففعل الفتى ما أمره به أبوه. فأتى لقمان الثنية وأخذها حقه وانصرف ، وقال: (سد ابن بيض الطريق) ، وفي هذا يقول عمرو ابن الأبرد :

سددنا كما سد ابن بيض سبيلها فلم يجدوا عند الثنية مطالعا^(١)

(٤) قال ابن زيدون: " وهل أنا إلا يد أدمها سوارها ، وجبين عض به إكليله"^(٢).

هذه الجملة تمثل حال الإنسان الذي يسئ إلى من يحسن إليه . فهي استعارة تمثيلية . يقول الصفدي: " وما أنا إلا يد أدمها سوارها الذي تحلت به ، وتزينت به ، وجبين عض به تلجه الذي وضعه فوقه ليتجمل به ، ويتحلي بجواهره ، فما ألوم أحداً فعل بي ذلك"^(٣). أي: أن الأذى والألم أصابه من يبره ويحسن إليه.

(٥) قال ابن زيدون: " وهذه التّبوة غمرة ثم تنجلي ، وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تقشع"^(٤).

وهاتان استعارتان تمثيليتان ، تمثلان حال الذي يكون في حالة من المتوقع أن لا تدوم معه سريعاً . واستشهد الصفدي على توضيح هذه الحقائق بقوله: " وقال المبرد: كان ابن شبرمة إذا نزلت به نازلة ، قال: سحابة صيف عن قليل تقشع"^(٥).

(١) تمام المتون : ص ٥٧.

(٢) المصدر السابق : ص ٦٥.

(٣) المصدر السابق : ص ٦٦.

(٤) المصدر السابق : ص ٧٤.

(٥) المصدر السابق : ص ٧٦.

شبه ابن شبرمة هيئته وهو مصاب بمصيبة يتوقع زوالها بهيئة سحابة
الصيف التي لا تدوم سريعاً ، وعن قليل تقشع ، والجامع الهيئة الحاصلة من
الزوال والانقشاع بسرعة ، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه بعد التناسي
والادعاء ، على سبيل الاستعارة التمثيلية. ومثل ذلك قول الأمير شمس الدين
ابن جعفر بن شمس الخلافة^(١):

هي شدة يأتي الرخاء عقيبها وأسى يشر بالسرور العاجل
وإذا نظرت فإنّ بؤساً عاجلاً للمرء خير من نعيم زائل^(٢)
وقول شرف الدين مبارك مستوفي أربل:

وما هي إلا غمرة ثم تنجلي سريعاً وإلا نبوة تتصرم^(٣)
ويقول الصفدي: "مر بلال بن أبي بردة الأشعري بخالد بن صفوان
في موكب عظيم ، فقالخالد: سحابة صيف عن قليل تقشع ، فسمعه بلال ،
فقال: والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برّ، وأمر بضربه بالسياط
وحبسه"^(٤). وهذه من الاستعارات التي شاعت حتى صارت مثلاً مشهوراً بين
الناس.

هذا وعكس ذلك قول أبي القاسم هبة الله بن الفضل الطيب^(٥):
يا معشر الناس النفير النفير قد جلس الهردب فوق السرير
وصار فينا آمراً ناهياًو كنت أرجو أن لا يصير

(١) جعفر بن محمد "شمس الخلافة" بن مختار ، أبو الفضل : شاعر من أهل مصر ، له ديوان شعر ،
انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٢ ، ص ١٢٨ .

(٢) تمام المتون : ص ٧٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ٧٦ .

(٤) المصدر السابق : ص ٧٦ .

(٥) هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز ، أبو القاسم القطان : الشاعر ، وكان الغالب على شعره
الهجاء . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٦ ، ص ١٥٢ .

وكلما قالوا غداً ينجلي وظلمة عما قليل تنير
فتحت عيني فإذا الدولة الدولة والشيخ الوزير الوزير!^(١)
فإن كانت الشواهد السابقة تمثل هيئة الحالة التي تزول سريعاً ، فإن
هذا الشاهد الأخير يمثل الحالة التي لا أمل في زوالها .
ومن الاستعارات التمثيلية التي استشهد بها الصفدي قوله: "وفي
المثل الطمع الكاذب يدق الرقبة"^(٢). وهو من الاستعارات التمثيلية التي
شاعت وصارت مثلاً . ويمثل هيئة وحالة الإنسان الذي لم يقتنع بما عنده
ويطمع فيما عند غيره فيفقد كل شيء حينها.
وقصة هذا المثل كما أوردها الصفدي: "قاله خالد بن صفوان لأنه
كان قد بني دكاناً مربعاً لا يسع غيره ، ولا يصل الراجل إليه ، وكان إذا تغدي
قعد عليه وحيداً يأكل لبخله ، فجاء إعرابي على جمل ساوى الدكان ومد يده
إلى طعامه ، فبينما هو يأكل إذ هبت ريح فحركت شيئاً هنالك فنفر البعير
فأندقت رقبتة، فقال خالد الطمع الكاذب يدق الرقبة"^(٣).
ومنها قوله : "أغر من الدباء" ، وذلك لأن إعرابياً تناول قرعاً مطبوخاً
وكان حاراً فأحرق فمه ، فقال: "لا يغرنك الدباء وإن كان نشؤه في الماء"
ويضرب للرجل الساكن ظاهراً ، الكثير الغائلة باطناً. وقوله : "وأغر من
سراب" لأن الظمان يحسبه ماء ، و"أغر من الأمانى"^(٤).
وكل هذه الاستعارات تمثيلية ، تمثل حالة الإنسان الذي لا يقتنع
بواقعه ، فيطمع فيما عند غيره فيفقد كل شيء . ومن يتابع الأمانى تغره

(١) تمام المتون : ص ٧٦.

(٢) المصدر السابق : ص ٣١٦.

(٣) المصدر السابق : ص ٣١٦.

(٤) المصدر السابق : ص ٣١٧ . انظر: مجمع الأمثال ، للميداني : ج ٢، ص ١٧.

وتخذه ، والدهر ليس له أمان يوماً يسر ويوماً يضر . والذي يحاول الطمع
يجد الندم . قال الشاعر:

إنّ الأمانى غرر والدهر عرف ونكر

ومن سابق الدهر عثر^(١)

ويقول الصفدي: "ويقال أيضاً: أغر من ظبي مقمر" ، لأنّ الخشْف
الظبي حديث الولادة يغتر بالليل المقمر ، فلا يحترز حتى تأكله
السباع"^(٢).

٦ قال ابن زيدون: "وأنفع الحيا ما وافق جذباً ، وألذ الشراب ما أصاب
غليلاً"^(٣).

هذا التركيب استعمل في غير معناه الأصلي ، فهو يريد أن يقول: إنّ
تأخير عطاء الملك عنه لن يريبه ولن يقلقه ، فترك هذا التعبير وأتى بتعبير
آخر على سبيل الاستعارة التمثيلية ، وهو "أنفع الحيا وما وافق جذباً" ، أي :
أنّ أنفع المطر وأبركه ما جاء بعد جذب وجفاف . وبالمثل أنفع العطاء
وأفضله ما جاء بعد حاجة.

ويقول الصفدي: "أنفع المطر ما صادف محلاً ، وألذ الشراب ما صادف
حرارة العطش ، ولا شك أنّ المطر للأرض المححلة أنفع وأوفق لها من
الأرض المخصبة، وكذلك لذة الماء عند الظمآن أشد وقعاً مما يكون عن
الري"^(٤).

وابن زيدون في هذا المعنى ذكر عدة تعابير تصلح أن تكون استعارات

(١) تمام المتون : ص ٣١٧ . انظر: مجمع الأمثال ، للميداني : ج ٢، ص ١٧.

(٢) تمام المتون : ص ٣١٧.

(٣) المصدر السابق : ص ٨٠.

(٤) المصدر السابق : ص ٨٠.

تمثيلية منها: "أثقل السحاب مشياً أحفلها"^(١)، أي: أن السحب الثقيلة المشي المشي ، والبطيئة في حركتها هي المليئة بالماء ، وهي تمثل هيئة من يأتيك بالخير ولكن ببطء. و"أبطأ الدلاء فيضاً أملؤها"^(٢)، أي : أن الدلو التي تتأخر في البئر تكون مملوءة بالماء ، غير تلك التي تعود بسرعة . وهذا مأخوذ من قول ابن المعتز:

قلت وقد ضج رافعاً يده دعوا البرايا فالله يكلؤها
واستيقنوا بالدواء منه كما أبطأ وخير الدلاء أملؤها^(٣)
"وألذ الشراب ما أصاب غليلاً"^(٤)، أي: أن ألذ الشراب وأحلاه ما صادف إنساناً عطشانياً ؛ لأنه يجد لذة للشراب لا يجدها عندما يكون في حالة غير ذلك. وكل هذه التعابير تؤكد الحالة السيئة التي يمر بها ابن زيدون ، ومع ذلك ظنه الحسن وتفاؤله الواضح بالفرج القريب . وهذا يشبه قول ابن حيوس:

وإن ألذ القرب ما كان قبلهنوى أحلى وصال ما تقدمه جهد^(٥)
وقال سيف الدين قزل المشد:
فلا تبال بأمر جاء على قدر فالسيف يضرب والخطي يعتقل^(٦)
في قوله: "فالسيف يضرب والخطي يعتقل" استعارة تمثيلية ؛ حيث شبه حال الرجل الفارس الذي يجس في السجن وهو صامد مستبسل ويخرج من سجنه أشد ثباتاً بحال السيف الذي يضرب فيصير سيفاً ماضياً ، وبالرمح الذي يثقف ويعتقل فيصير رمحاً مقوماً معتدلاً ، فالعلاقة المشابهة.

(١) تمام المتون : ص ٧٨.

(٢) المصدر السابق : ص ٧٨.

(٣) المصدر السابق : ص ٧٩.

(٤) المصدر السابق : ص ٨٠.

(٥) المصدر السابق : ص ٨١.

(٦) المصدر السابق : ص ٧٠.

قال إبراهيم المدير وقد حبس:

فلا تنكري طول المداراة للعدا فإن نهايات الأمور قصار^(١)

وفي قوله: "إن نهايات الأمور قصار" استعارة تمثيلية، حيث شبه حال من يكون في حالة ضيق، وينتظر فرجاً قريباً، بحال الأمور التي في نهايتها والتي ستؤول لإقصار قريباً، بجامع أنّ كلا منهما ينتظر أمراً سيؤول إلى نهايته قريباً، ثم استعير التركيب الدال على حال المشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية. وبعد هذا البيت قوله:

لعل وراء الغيب أمراً يسرنا يقدره في علمه الخالق الباري^(٢)

وقال ابن المعتز:

يتآكلون ضغينة وخيانة ويرون لحم الغافلين حلالاً^(٣)

استعارة تمثيلية؛ حيث شبه حال الذين يغتابون الناس ويقضون كل وقتهم في الحديث عن عيوب غيرهم ومثالبهم، بالذين يتآكلون ضغينة وخيانة، وكأنّهم يأكلون وينهشون لحم غيرهم، فأنت إذا رأيت رجلاً غمماً يغتاب الناس وتريد أن تعبر عن حاله، فحينها تقول هؤلاء "يرون لحم الغافلين حلالاً".

(٧) قال ابن زيدون: "كل الصيد في جوف الفرا"^(٤).

وهذه استعارة تمثيلية، وهي من الاستعارات التمثيلية التي استعملت كثيراً حتى صارت مثلاً شاع استعماله بين الناس. يقول الصفدي: "وأصل المثل أنّ ثلاثة نفر خرجوا متصيدين فاصطاد أحدهم أرنباً والآخر ظبياً

(١) تمام المتون: ص ٧١. انظر: فوات الوفيات، لمحمد بن شاعر: ج ١، ص ٤٦.

(٢) تمام المتون: ص ٧١.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٣٦.

(٤) تمام المتون: ص ٣٣٧. انظر: الكامل، للمبرد: ج ١، ص ٢٣٩.

والثالث حمار وحش ، فأشتبش صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا ، وتطاولا عليه، فقال الثالث: "كل الصيد في جوف الفرا"، أي: هذا الذي رزقت وظفرت به يشتمل ما عندكما ، وذلك لأنه ليس مما يصيده الناس أعظم من حمار الوحش"^(١). هذا وقد استشهد النبي ﷺ حينما أستأذنه أبو سفيان وحجبه قليلاً ثم أذن له ، فقال له النبي ﷺ: يا أبا سفيان أنت كما قيل: "كل الصيد في جوف الفرا" ، أي: أنه أفضل من أنداده . يقول الصفدي بعدما ذكر هذه القصة، يتآلفه على الإسلام ، وقال أبو العباس: "معناه إذا حجبته قنع كل محجوب ، يضرب لمن يفضل على أقرانه"^(٢).

وتظهر الاستعارة التمثيلية في أن حمار الوحش يفضل على الأرنب والظبي ، وكذلك أبو سفيان يفضل على غيره من سادات مكة يومها. هذا وقد ورد هذا المعنى في شعر عدد من الشعراء ذكرهم الصفدي منهم:

(أ) شرف الدين بن عنين :

نسخت خلائقه الكريمة ما أتى في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا
لا تسمعن حديث ملك بعده يروى فكل الصيد في جوف الفرا^(٣)

(ب) ابن المعلم^(٤):

طوي الورى شعري عني وانثنى يقول: كل الصيد في جوف الفرا^(٥)

٨) قال ابن زيدون: "والبدل منك أعور ، وال عوض لفه"^(٦).

(١) تمام المتون : ص٣٣٧.

(٢) المصدر السابق : ص٣٣٧.

(٣) المصدر السابق : ص٣٣٨.

(٤) محمد بن محمد بن النعمان العكبري بن المعلم ، محقق إمامي ، انتهت إليه رئاسة الشيعة ، كثير التصانيف في الأصول والكلام والفقه ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٧ ، ص٢١.

(٥) تمام المتون : ص٣٣٧.

(٦) المصدر السابق : ص٣٣٩.

يقول الصفدي: "أصل هذا المثل أن يزيد بن المهلب لما صُرفَ عن خراسان بعثته بن مسلم الباهلي _ وكان شحيحاً وشيخاً أعور _ قال الناس: هذا بدلٌ أعور ، فصار مثلاً لكل من لا يرتضى به بدلاً من الذهاب"^(١). فلمشبه حال يزيد بن المهلب يعزل ويؤتي بدله بشيخ شحيح أعور ، وهذه الحالة مخدوفة، شبهت بحالة الشريف يؤتي بدله بالوضيع . واللفاء هي الشيء الخسيس. يقول الصفدي: وفي ذلك يقول الشاعر:

كانت خراسان أرضاً إذا يزيد بها وكل باب من الخيرات مفتوح
حتى أتانا أبو حفص بإمرته كأنما وجهه بالخل منضوح^(٢)
وفي المثل " أعطاني اللفاء " يضرب لمن يبخسك حقك ، ويظلمك فيه .
يقول أبو الطيب:

وما لاقني بلد بعدكمولا اعتضتُ من رب نعماي رب
ومن ركب الثور بعد الجوا د أنكر أظلافه والغب^(٣)
قال الصفدي: "ولهم في المثل: "اليوم خمر وغداً أمر" أول من قاله
امرؤ القيس . كان حجر أبو امرئ القيس قد طرد ابنه هذا لشعره وغزله ،
لأن الملوك كانوا يأنفون من ذلك ، فلحق امرؤ القيس بأرض اليمن ، ولم
يزل بها حتى قتل بنو أسد بن خزيمه حجراً ، فجاءه الأعور العجلي فأخبره
بمقتل أبيه ، فقال: "ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ، ولا
شرب غداً ، اليوم وخمر ، وغداً أمر" ، ثم شرب سبعة أيام ، ولما أصبح في
اليوم الثامن ارتحل ، وقام يسعي لأخذ الثأر"^(٤). ومعنى المثل أي: يشغلنا

(١) تمام المتون : ص ٣٣٩.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٣٩ . انظر : مجمع الأمثال ، للميداني : ج ١، ص ١٢٤.

(٣) تمام المتون : ص ٣٤٠ . انظر: مجمع الأمثال ، للميداني : ج ٢، ص ٤٩٦.

(٤) تمام المتون : ص ٨٣ _ ٨٤ .

اليوم خمر ، وغداً يشغلنا أمر ، يعني أمر الحرب ، أو اليوم خفض ودعة ، وغداً جد واجتهاد . وفي هذا استعارة تمثيلية ؛ لأنه تشبيه حالة بحالة ، وصار مثلاً يضرب في تنقل الدهر بحالاته . يقول الصفدي مستشهداً بقول ابن العفيف التلمساني^(١) :

قالوا غداً تندم من لثمه في ثغرة إذا يغلب السكر
فقال لي مبسمه : دعهم اليوم خمر وغداً أمر^(٢)
وذكر الصفدي عدداً من الشواهد التي تؤيد هذا المعنى وتؤكد.
٩) قال ابن زيدون: "خامري أم عامر"^(٣).

وهذا التركيب يمثل من عرف الحياة وتقلباتها ، وأن لا أمان لها فقد يكون الإنسان غنياً آمناً ، ويطمئن على ذلك ، ولا يأخذ حذر ، وفجأة تنقلب عليه الدنيا ، ويكون على أسوأ الأحوال . وقد يكون عكس ذلك . وهذه استعاره تمثيلية .

يقول الصفدي: "وهذا من الأمثال المضروبة تقول العرب: "خامري حضاجر ، أتاك ما تحاذر _ وحضاجر اسم للضبع، يقع على الذكر والأنثى _ ،ومن أسجاعهم في مثل هذا :لم ترع يا حضاجر ، كفاك ما تحاذر ، ضبارم مخاطر ، ترهبهم القساور _ الأسود _ . وهذا جعل مثلاً لمن عرف الدنيا في نقضها عهود الأمور ، بإيراد البلايا عقيب الرخاء ، ثم يسكن إليها مع علمه بأن من عاداتها أن تسلب ما وهبت ، كما تغتر الضبع ، بقول القائل: خامري أم عامر

(١) سليمان بن علي بن عبدالله العفيف التلمساني أبو الربيع : الشاعر المتقن في علوم النحو

والأدب والفقه والاصول ، له ديوان شعر . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٠ ، ص ٤١٩ .

(٢) تمام المتون : ص ٨٤ . انظر : ديوان الشاب الظريف ابن العفيف التلمساني ، تحقيق صلاح

الدين الهواري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١٤٢٤ هـ _ ٢٠٠٤ م : ص ١٥٧ .

(٣) تمام المتون : ص ٣١٨ .

، وأم عامر كنية الضبع ، وهي من أشهر كناها"^(١) . وهي من الأمثال التي تضرب للغافل المغرور.

وخامري أي : تستري لأنّ العرب تعتقد أنّ الضبع من أحقّ الحيوانات ، لأنّ الصيادين إذا أرادوا صيدها رموها بحجر فتخرج لتأخذه ، فيصطادونها . لأنها حينما تخرج تحسب أن الحجر شيئاً يصاد ، فتصاد هي . يقول الصفدي : وذكرت هنا لي بيتين نظمتهما في معني اقتضته الحال وهما :

وغانية علقتها ظبية ومذ غدت ضبُعاً سلبتها من ضمائري
فبا الأمس كان أم عمرو جميلة فما بالها قد أضحت أم عامر!^(٢)
١٠ قال ابن زيدون : " في كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار "^(٣)
والمعنى: أنّ شجر المرخ والعفار أفضل من باقي الشجر ، لأنّه إذا أحتك ببعضه أوري نارا . وهو يمثل حالة من يفضل على أخيه . ويقال استمجد المرخ والعفار ، أي : استكثرا ، وأخذا من النار ما هو حسبهما ، شبةً بمن يكثر العطاء طلباً للمجد ، لأنّهما يسرعان الوري . يضرب في تفضيل بعض الشيء على بعض.

(١) تمام المتون : ص ٣١٨ . انظر : مجمع الأمثال ، للميداني : ج ١ ، ص ٣٣٣ .

(٢) تمام المتون : ص ٣١٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٤١ . انظر : مجمع الأمثال ، للميداني : ج ٢ ، ص ٣١ .

المبحث الرابع

المجاز العقلي والمرسل

تعريف المجاز العقلي :

هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي . ويعرفه الجرجاني: "كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب من التأويل فهي مجاز"^(١). أي : كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في الفعل ، بضرب من التأويل ، كإسنادنا الفعل أو ما يقوم مقامه إلى غير ما هو له. مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيتْ عَلَيْهِمْ عَيْنُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]. فهنا نسبت الزيادة التي هي من فعل الله تعالى إلى الآيات لكونها سبباً فيها^(٢). ومن ذلك قولنا: شيدت الحكومة عدداً من معاهد العلم في العاصمة. فالحكومة لم تبني معاهد العلم بنفسها ولكنها أمرت ، ففي الإسناد مجاز عقلي علاقته السببية. ويعرفه السكاكي: "بأنه الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل، إفادة للخلاف لا بوساطة، مثل قولك : أنبت الربيعُ البقلَ"^(٣). ومن المجاز العقلي إسناد المبنى للفاعل إلى المفعول ، أو إسناد المبنى للمفعول إلى الفاعل. فالأول : مثل قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: ٤٣]. المعنى لا معصوم . والثاني : مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]. بدلاً من سائر ، أي : استعمل المفعول بدل الفاعل. وبمعنى أوضح أسند الوصف المبنى للمفعول للفاعل. ومنه إسناد الفعل إلى زمانه ، كقول أبي الطيب مخاطباً كافوراً :

(١) أسرار البلاغة ، للجرجاني : ص ٣٣٥.

(٢) أسرار البيان، لعلي محمد حسن العماري ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٣٦٥ هـ _ ١٩٦٥ م : ص ٣٣٩.

(٣) مفتاح العلوم، للسكاكي : ص ١٨٥.

أبا المسك أرجو منك نصراً على العدا وآمل عزاً يخضب البيض بالدم
يوماً يغيب الحاسدين وحالة أقيم الشقا فيها مقام التنعم
في قوله: "يوماً يغيب الحاسدين" مجاز عقلي، علاقته الزمانية، فإسناد غيب
الحاسدين إلى ضمير اليوم غير حقيقي، غير أن اليوم هو الزمان الذي يكون فيه
الغيب. ومنه إسناد الفعل إلى مصدره مثل قول أبي تمام:

تكاد عطايه يحن جنونها إذا لم يعوذها بنعمة طالب^(١)

وإسناد الفعل إلى المصدر مجاز عقلي علاقته المصدرية، وللمجاز العقلي
قرنتان لفظية ومعنوية^(٢).

تعريف المجاز المرسل:

من المجاز اللغوي له علاقات كثيرة، ليست المشابهة من بينها، وسمي
بالمجاز المرسل لعدم تقيده بعلاقة واحدة^(٣). أو هو الكلمة المستعملة في غير ما
وضعت له، لعلاقة غير المشابهة بين المعنيين. يقول الشيخ أحمد مصطفى
الطرودي التونسي: "ثم أعلم أن العلماء حصروا بالاستقراء طرق الاتصال في
خمسة وعشرين نوعاً^(٤): ومن علاقته على سبيل المثال:

١. اعتبار ما كان: مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ

فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۖ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ

طه: ٧٤ - ٧٥.﴾

٢. اعتبار ما يكون، قال تعالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ ۖ﴾ [يوسف: ٣٦].

(١) كتاب أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله دراسة تحليلية، لعمر فروخ بيروت

١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م : ص ١٦٨.

(٢) أسرار البيان، لعلي العماري : ص ١١٣.

(٣) الإيضاح، للقزويني : ص ٢٣٣.

(٤) جامع العبارات في تحقيق الاستعارات، لأحمد مصطفى الطرودي التونسي، دراسة وتحقيق

دكتور محمد رمضان الحربي، ط ١ ١٣٩٥هـ - ١٩٨٦م : ج ١، ص ٢٣٠.

٣. المحلية: كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (١٧) ﴿سَدَّعُ الزَّانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧ - ١٨]. حيث أطلق المحل النادي وأراد الحال.
٤. الحالية: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أُبْضِطُوا وَجُوهُهُمْ فَبَى رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]. رحمة الله مجاز أريد بها الجنة ، لأن الرحمة حالة فيها أطلق الحال وأراد المحل^(١).
٥. الآلية: كقوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]. حيث أطلق اللسان وهو الآلة التي يذكر بها ، فكلمة لسان مجاز لأنه لم يريد آلة الذكر اللسان بل أراد الذكر نفسه فالعلاقة آلية .
٦. الضدية: أي تسمية الشيء باسم ضده، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئًا مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]. كتسمية الأسود أشقر.
٧. الزيادة: أن يكون المعنى المجازي مبنياً على الزيادة . ومنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. على القول بصلة الكاف لأن معناها مثل ونفي المثل يوهم إثبات المثل لله تعالى عن ذلك علواً كبيراً فوجب زيادة الحرف.
٨. المجاورة: أي تسمية الشيء باسم مجاوره ، كتسمية قضاء الحاجة بالغائط لأنه في الأصل اسم للمطمئن من الأرض ، أي : المنخفض . ومنه طيب الله ثراه . حيث أطلق الثرى ، أي : التراب على الميت لمجاورته.
٩. حذف المضاف: سواء أقيم المضاف إليه مقامه ، كقوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣]. أي : حبه . أو عكسه ، مثل: أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ، أي : ابن رجل ، وضح أمره.
١٠. الإطلاق والتقييد: كقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المجادلة: ٣]. أي : مؤمنة بدليل التقييد بالإيمان في آية أخرى.

(١) الإيضاح ، للقزويني : ص ٢٣٧.

١١. إطلاق النكرة في موضع الإثبات للعموم: كقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا

أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]. أي: كل نفس، وإنما عدو ذلك من المجاز، لأنها لا تكون للعموم إلا في سياق النفي، أو شبهه، فصدق عليها حينئذ حد المجاز لاستعمالها في غير ما وضعت له. ومن علاقات المجاز المرسل الجزئية والكلية والسببية والمسببية واللازمة والملزومية وغيرها. والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي إما لفظية أو حالية تفهم من سياق الحديث^(١).

المجاز في كتاب تمام المتون

المجاز العقلي:

ورد المجاز في كتاب "تمام المتون" عند شرح الصفدي لقول ابن زيدون:
"وهل أنا إلا يد أدمها سوراها، وجبين عض به إكليله"^(٢)، حيث قال:
"والعض معروف، وإذا كان حقيقة فهو بالأسنان، ويكتب بالضاد المعجمة، وإذا كان مجازاً عظم الزمان، وعظت الحرب، كتب بالطاء القائمة"^(٣). فقوله عظم الزمان مجاز عقلي، وعظت الحرب أيضاً مجاز عقلي.

قال أبو بكر بن أحمد الصنوبري^(٤):

فما تسمع لي قولاً وما تقبل لي عذراً

وما لي فيك إلا الصبر ساء الدهر أو سرا^(٥)

في قوله: "ساء الدهر أو سرا" مجاز عقلي، فالدهر لا يسيء ولا يسر، بل الإساءة والسرور تأتيان من الناس. والفعل هنا أسند إلى غير ما هو له، والذي

(١) جامع العبارات، للطرودي: ص ٢٣٢-٢٤٣.

(٢) تمام المتون: ص ٦٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٦٥.

(٤) أحمد بن محمد بن الحسن الصنوبري الحلبي أبو بكر: شاعر اقتصر شعره على وصف الرياض والأزهار، وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة. انظر: الأعلام، للزركلي: ج ١، ص ٢٠٧.

(٥) تمام المتون: ص ٤٠، انظر: ديوان الصنوبري أحمد بن محمد بن الحسن الضبي، تحقيق دكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٠م: ص ٦٠-٦١.

سوغ ذلك الإسناد المسند إليه ، وهو زمان الفعل ، فالعلاقة الزمانية.
قال أبو فراس:

قد كنت عُدتِي التي أسطو بها ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي^(١)
مجاز عقلي ، فالزمان لا يشتد ، بل يشتد من فيه من الناس . فالفعل هنا
أسند إلى غير ما هو له ، والذي سوغ ذلك الإسناد المسند إليه ، وهو زمان الفعل
فالعلاقة الزمانية. أي: أنت الذي اعتمد عليه عند الشدة ، وأنت الذي ادخرك
لنوائب الدهر.

قال القاضي أبو الفتح نصر بن سيار الهرمزي السهرودي^(٢):
ومثلك من تعانده الليالي وتجمع نحوه نوب الزمان^(٣)
في قوله: "من تعانده الليالي" مجاز عقلي ، فالليالي لا تعاند ، بل يعاند
من فيها ، ولكنه أسند الفعل إلى زمان الفعل. ومعنى تعانده الليالي : تسوء حاله ،
وتحيط به المصائب من كل مكان ، وهذا كله بيد الله ، ولكنه أسندها كما قلنا
لزمان الفعل ، فالعلاقة الزمانية . قال صفي الدين الحلي:

ليس لي من صفات مجدك فخر هي أبدت لنا بديع المعاني
كلما أبدعت سجايك معنًى نظمت فكرتي وخط بناني^(٤)
وهذه من ضمن الأبيات التي أرسلها الشيخ صفي الدين للصفدي
ليجيزها. هنا يوضح الشاعر أن أخلاق الممدوح الفاضلة ، وصفاته الحميدة ،
وسيرته العطرة ، أظهرت لنا المعاني البديعة ، وكلما أبدعت واقتربت سجايه
وصفاته معنًى نظمته شعراً وكتبته. في قوله: "أبدعت سجايك" مجاز عقلي ؛ لأنَّ

(١) تمام المتن : ص ٤٦.

(٢) نصر بن سيار القاضي أبو الفتح الأسدي السهرودي: قال البخارزي له شعر كاسم ابيه بحوافر
الاجادة سيار ، ويقوادم الاصابة طيار . انظر : دمية القصر ، للبخارزي : ص ٣٢١.

(٣) الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٦ ، ص ٣٤ .

(٤) تمام المتن : ص ٣٠٣ . انظر : ديوان الصفي الحلي : ص ٢١٠.

الفعل أبدع أسند إلى غير فاعله ، ولأنّ السجايا لا تبدع وإنّما يبدع صاحبها ، ولكن لما كانت السجايا سبباً في الإبداع أسند الفعل إليها فالعلامة السببية .
أي : أن كل المعاني البديعة التي أنظمها شعراً لا فضل لي فيها ، فأنت صاحب الفضل ، لأنّ خالك الشريفة وسجاياك العطرة هي التي تقودني لذلك .
المجاز المرسل :

قال ابن زيدون : "ومزقت الأديم الذي باركت يد الله عليه"^(١) .
ففي قوله : "يد الله" مجاز مرسل ؛ حيث أطلق اليد التي هي سبب في
نعمة البركة ، وأراد العطايا والنعم التي هي سبب في البركة ، فالعلاقة سببية .
يقول أبو فراس :

قد كنت عدتي التي أسطو بها ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي^(٢)
في قوله : "يدي وساعدي" مجاز مرسل ، والمراد باليد: العطايا والهبات ،
واليد الحقيقية سبب في إيصالها للقاصدين والطالين ، فالعلاقة هي السببية .
قال أبو تمام :

لقد زدت أوضاحاً امتداداً ولم أكن بهيماً ولا أرض من الأرض مجهلاً
ولكن أياد صادفتني جسامها أغر فالففت بي أغر مجهلاً^(٣)
أي: إنك أكرمتني وزدت في شرفي وقدري ، وهي مثل قولهم بيض فلان
وجهي إذا فعل بي حسناً وخيراً . أو لقد زدني شهرة على شهرتي وذكر الأوضح
لأنّ الخيل التي بها أوضح أشهر من تلك البلق ، ولذا قال لم أكن بهيماً ؛ لأنّ
البهيم هو الذي لا يخالط لونه لون غيره . بمعنى أوضح : أنّ الممدوح وجهه أغر .
قال أبو فراس الحمداني :

أما أياديك عندي فهي واضحة ما إن تزال يدٌ منها تسوقُ يدا
لم لا أمد يدي حتى أنال بها مدى النجوم إذا ما كنت لي عضداً^(١)

(١) تمام المتون : ص ١٨٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٦ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٩٩ .

في كلمة "أياديك" مجاز مرسل أطلق الأيدي وأراد النعم التي حباه بها الممدوح ، والعلاقة بين كلمة "أيادي" وبين النعم أنّ اليد الحقيقية هي التي تمنح النعم ، فهي سبب فيها ، فالعلاقة هي السببية . يقول أبو الطيب:

له أياد على سابغة أعد منها ولا أعددها^(٢)

حيث أراد أبو الطيب ذكر نعم الممدوح وأفضاله المتعددة عليه ، فلم يعبر عنها بشكل مباشر ، ولكنه قام بذكر سبب هذه النعم وهي الأيدي التي تبذل الهبات للناس ، وتجزل العطاء وتمنح الأموال ، وأراد المسبب عنها ، وجمع الأيدي يدل على كثرة النعم التي يصعب حصرها وعدّها ، فالعلاقة أيضاً السببية.

وحيثما شرح الصفدي قول ابن زيدون : "وبث المسك إلا حديثاً أذعته في محامدك"^(٣)، تحدث عن الثناء والذكر الحسن قائلاً : "قال أبو الطيب : ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما قاله ، وفضول الناس أشغال

وقال المفسرون في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ ، أي : ثناءً حسناً^(٤). ففي قوله تعالى : ﴿لِسَانَ﴾ مجاز مرسل ، فاللسان سبب في الذكر ، وقد أطلق السبب وأراد المسبب ، فالعلاقة سببية . والثناء هو العمر الثاني المديد الباقي . وقال أبو اسحق الغزي:

فشهب الدراري للأفول طلوعها وشهب القوافي ما لهن أفول^(٥)

ففي قوله: "القوافي" مجاز مرسل ، لأنه أراد بالقوافي الأشعار والقوافي جزء منها ، أي: أطلق الجزء وأراد الكل.

(١) تمام المتون : ص ٢٨٢ .

(٢) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ١٩ .

(٣) تمام المتون : ص ٢٩١ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٩٣ .

(٥) المصدر السابق : ص ٢٩٣ .

والمعنى : أنّ المال يفنى ويزول ، والثناء الحسن يتناقله الناس عبر الأجيال ، فكم من ملك أو أمير مات وماتت معه دراهمه التي وهبها للشعراء ، ولكن بقيت تلك الأشعار سجلاً حافلاً عبر الأزمان .

قال الصفدي: " وقال معاوية رضي الله عنه لابن الأشعث بن قيس: ما كان جدك قيس بن معدي كرب أعطي الأعشى؟ فقال: أعطاه مالا وظهراً ورقيقاً وأشياء نسيتها. فقال معاوية : لكن ما أعطاكم الأعشى لا ينسى" ^(١). أي : أنه ترك لكم ذكراً حسناً أبد الدهر. ويشبه هذا قول عمارة اليميني ^(٢):

وأين الثياب المذهبات قشيرة ولي مذهبات فيك ليست بأسمال
سيبلي على قرب الحديد فعالكموتبقي علي سر الجديدين أقولي
ويعطل جيدي من حلي نداكموجيد معاليكم أبداً حالي ^(٣)
يقول : إنّ مدحهم بثياب مذهبات ليست قديمة أو بالية ، أي : قصائد غراء مثل الثياب المذهبات إلا أنّ الفرق بينهما أنّ ثيابكم تبلى وتتمزق ، ولكن قصائده تبقى أبد الدهر . وما زينتم به جيدي من حلي سيزول ، أما ما زينت به جيدكم فسيبقى أبداً ، وحقيقة أنّ الأشعار التي يمدح بها العظماء تبقى أما الأموال التي يبذلها العظماء للشعراء فإنّها تبلى وتنقطع. قال الخفاجي:

ولي فيك من غر القوافي قصائد تقبل أفواه الرواة لها رشفاً
ينم بها طيب النسيم إذا هفا وينشرها نور الرياض إذا رفا
وما أدعى هذا الكلام لأنّه صفاتك إلا أنني أحسن الوصفاً ^(٤)

(١) تمام المتون : ص ٣٩٣.

(٢) عمارة بن علي بن زيدان ، ابو محمد نجم الدين اليميني الشافعي : كان شاعراً فصيحاً بليغاً، اديباً ماهراً . انظر: الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ٤ ، ص ٧١ - ٧٢ .

(٣) تمام المتون : ص ٢٩٤ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٠٠.

أي : أن قصائدي من حسننها وإبداعها أن الرواة يقبلونها رشفاً ، والرشف يدل على اللذة والتمتع بها ، والنسيم الطيب ينقل خبرها بين الورى ، وينشرها نور الرياض ، وهذا الحسن لم يأت إلا لأن صفات الممدوح هي التي جعلت هذا الوصف يأتي أفضل وأجمل . هذه الأبيات استشهد بها الصفدي في شرح قول ابن زيدون " بل وجدت أجراً وجصاً فبنيت ، ومكان القول ذا سعة فقلت ". يقول الصفدي: " يعني أنه لا فضل لي في مدائحك لأنني فيها كمن وجد أجراً وجصاً فبني بيتاً من ذلك ، وشيد مكاناً ولكن لي في ذلك بعض فضل " ^(١).

في قوله " القوافي " مجاز مرسل ، حيث أطلق القوافي وأراد بها القصائد ، والقوافي جزء من القصائد ، فهو أطلق الجزء ، وأراد الكل فالعلاقة الجزئية.

قال أبو الطيب:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم ^(٢)
أراد الشاعر أن يعبر عن أدبه الذائع الصيت ، والمشهور والمنشر في كل بقعة ، والذي بلغ في الشهرة مبلغاً جعل من لا علم له بالأدب ينظر إليه ويعلمه ، ومن لم يسمع شعراً يسمع كلماته ويدركها ، وقد عبر الشاعر بـ " الأعمى " و " الأصم " وأراد من لا معرفة له بالأدب ، ولا علم عنده ولا يجيده ، والعلاقة بين المعنيين السببية ، فإن السمع والبصر من أسباب العلم بالأشياء وإدراكها ، والعمى والصمم من أسباب الجهل بها ، والقرينة قوله: " نظر ، وأسمعت " فإنه يستحيل أن يبصر الأعمى شيئاً ، أو أن يسمع الأصم حديثاً.

وقال ناصر الدين شافع بن علي ^(٣):

أرانا يراع ابن الوحيد بدائعاً تشوق بما قد أبهجته الطرق

(١) المصدر السابق : ص ٣٠٠.

(٢) تمام المتون : ص ٤٢ . انظر: ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ٢٦٧.

(٣) ناصر الدين بن شافع بن علي ، الكنانى العسقلاني ، كاتب مؤرخ ، باشر ديوان الإنشاء بمصر زماناً . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٣ ، ص ١٥٢ .

بها فات كل الناس سبقاً فحبذا يمين له قد أحرزت قصب السبق^(١)
في قوله: "يراع" مجاز مرسل ، لأنّ اليراع هو آلة الكتابة والإبداع
والفنون ، ولما كان اليراع هو الآلة التي يكتب بها كانت العلاقة هي الآلية.
وقال البحتري:

أصغ تستمع حر القوافي فإنها كواكب إلا أنّها سعود
ولا تمكن الإخلاق منها فإنّما يلذ لباس البرد وهو جديد^(٢)
في قوله: "حر القوافي" مجاز مرسل ، أطلق القوافي وأراد القصائد ،
والقوافي جزء من القصائد فالعلاقة الجزئية . أي : استمع إلى قصائدي أول
كتابتي ونظمي لها ، ولا تؤخر استماعها حتى تصير قديمة خلقة ، فإنّ البرد
واللباس يستحسن ويلذ لباسه إذا كان جديداً . وقال حسان:

ضحوا بأشط عنوان السجود يُقَطِّع الليل تسيحاً وقرآنا^(٣)
في قوله: "عنوان السجود" مجاز مرسل أطلق السجود وأراد به الصلاة ،
أي: أن سيدنا عثمان رضي الله عنه كان كثير الصلاة والقيام ، فالعلاقة جزئية لأنّ السجود
جزء من الصلاة. قال الصفدي: "كتب الوزير أبو بكر بن سعيد بن القبطرية
البطلّوسي إلى الوزير أبي الحسين بن سراج : ولو لا عوائق الزمان لطرت إليه
بجناح ، أو لامتطيت إليه أعناق الرياح"^(٤).
في قوله: "بجناح" مجاز مرسل ، لأنّه لا يطير بجناح ، وإنّما أطلق الجزء وأراد
الكل ، فالعلاقة الجزئية.

(١) تمام المتن : ص ٤٦.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٨٧ .

(٣) تمام المتن : ص ١٩١ . انظر: شرح ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق البرقوقي : ص ٤٦٩.

(٤) تمام المتن : ص ٢١٨.

في قوله: "وإذا الديار تنكرت" مجاز مرسل ، فالديار لا تتنكر ، وإنما المقصود سكان هذه الديار وأهلها ، فهذا مجاز مرسل حيث أطلق المحل "الديار" وأراد "الحال" سكانها وأهلها فالعلاقة المحلية.

الفصل الثالث

الكناية

تعريف الكناية :

في اللغة: أن تتكلم بالشيء وتريد غيره . وهي اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب للدلالة على معنى آخر لازم له ، أو مصاحب له ، أو يشار به عادة إليه ، لما بينهما من الملازمة بوجه من الوجوه . يقول المراغي: "الكناية لغة أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وقد كنوت بكذا عن كذا ، أو كنيت إذا تركت التصريح به"^(١).

وعرفها البلاغيون بأنها لفظ أطلق وأريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة المعنى الأصلي .

والمعنى الاصطلاحي واللغوي متقاربان في المعنى . يقول الجرجاني: "والمراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكنّه يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه فيؤمى إليه ، ويجعله دليلاً عليه"^(٢).

فمثلاً لفظ "طويل النجاد" كناية والمراد به طول القامة ، وقد يراد به المعنى الأصلي أي : طول علاقة السيف. وهذا هو سبب اختلاف الكناية عن المجاز ، ففي الكناية يجوز إرادة المعنى الحقيقي ، وهذا خلاف للمجاز الذي لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي لوجود القرينة المانعة من إرادته . وهي ثلاثة أنواع:

(١) علوم البلاغة ، للمراغي : ص ٣٠١ .

(٢) دلائل الأعجاز ، للجرجاني : ص ٦٦ .

أ) كناية عن صفة: مثل : فلان كثير الرماد ، والمراد صفة الكرم . لأن كثرة الرماد تدل على كثرة الإحراق ، ومنها إلى كثرة الضيوف . ومثل هذه الكناية تعد كناية بعيدة لأنه ينتقل منها إلى المطلوب بواسطة . يقول المراغي: " ونظيره قول الآخر:

وما يك في من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل

فإن الذهن ينتقل من جنب الكلب عن الهرير في وجه من يقصد داراً هو مقيم على حراستها ، والعكس دونها مع أن ذلك ليس من طبعه إلى أنه قد دام زجره وتأديبه حتى تغير عن مجري عادته ، ثم إلى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوهاً أثر وجوه ، ومن ذا إلى كونه ملجأً للقاصي الداني ، ومن ذا إلى أنه مشهور بحسن وقرى الأضياف"^(١).

والكناية الأخرى هي القرية وهي التي ينتقل منها إلى المطلوب بلا واسطة . يقول القزويني: "هي ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بلا واسطة"^(٢). ويستشهد لها بقوله: "ومنها قول الحماسي :

أبت الروادف والثدى لقمصها مس البطون وأن تمس ظهوراً"^(٣)

ب) كناية عن موصوف: مثل قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ١٣]. والمعنى : المراد هو السفينة حيث وضع صفتها موضع تسميتها . يقول المراغي : "شرطها الاختصاص بالمكنى عنه ليحصل الانتقال منها إليه"^(٤).

ج) كناية عن نسبة: ويراد بها نسبة أمر لآخر إثباتاً أو نفيًا ، فالمكنى عنه نسبة . مثل قول البحري:

أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول^(٥)

(١) علوم البلاغة ، للمراغي : ص ٣٠٣.

(٢) الإيضاح ، للقزويني : ص ٢٠٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٠٤ .

(٤) علوم البلاغة ، للمراغي : ص ٣٠٣.

(٥) شرح ديوان البحري ، للفخوري : ج ٢ ، ص ٢٧٦ .

حيث نسب المجد إلى آل طلحة ، فأبرز المجد وهو معنوى في صورة شخص يلقي رحله ويقيم ، كناية عن كونهم أمجاداً أجواداً ، بعناية الوضوح .

يقول القزويني: "المطلوب بها نسبة ، كقول زياد الأعجم:

إنَّ السَّماحةَ والمرَّوءَ والندى في قبة ضربت على ابن الحشر

فإنَّه حين أراد ألا يصرح بإثبات هذه الصفات لابن الحشر جمعها في قبة ، تنبيهاً بذلك على محلها ذو قبة وجعلها مضروبة عليه ، لوجود ذوي قباب في الدنيا كثيرين ، فأفاد إثبات الصفات المذكورة له ، بطريق الكناية . ونظيره قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه" (١).

وإنَّها تضع المعاني في صورة المحسوسات . مثل قول زياد الأعجم (٢) السابق

فالسَّماحةَ والمرَّوءَ والندى صفات معنوية ولكنَّه جعلها محسوسة . يقول المراغي: "وليس بالخفي ما للكناية من فضيلة في ألباس المعقول ثوب المحسوس ، أترك تشاهد لطف التعبير ، ودقة التصوير ، إذ تأملت الكناية بجمالة الخطب عن النمامة التي تفسد ذات البين ، وتهيج الشر ، في قوله تعالى يصف امرأة أبي لهب: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] فإنَّك وأنت تقرؤها يخيل إليك أنَّها ممسكة حطبها بيديها ، ومشعلة ناراً لتوقد العداوة والبغضاء بين قوم ، وتؤلب بعضهم على بعض" (٣).

والكناية مظهر من مظاهر البلاغة وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه ، وصفت قريحته . ومن أسرارها وجمالها أنَّها تعطيك الحقيقة مصحوبة بالدليل كقول البحري:

يغضون فضل اللحظ من حيث ما بدأهم عن مهيب في الصدور محب

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني : ص ٢٠٨.

(٢) زياد الأعجم مولى عبد القيس أبو امامة العبدي : عده محمد بن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الاسلام . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٠ ، ص ١٥٣ .

(٣) علوم البلاغة ، للمراغي : ص ٣٠٩.

فإنَّه كنى عن إكبار الناس للممدوح ، وهيتهم إياه بغض البصر الذي هو في الحقيقة برهان ودليل على الهيبة والإجلال.

ومن خصائصها أنَّها تمكن البليغ من التعبير عما لا يحسن ذكره بعبارة تسيغها الأسماع . ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَسْئِمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَحْذُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [النساء: ٤٣]. ومن أسرارها أيضاً أنَّها تمكنك من التعبير عما فيه جرح بعبارة يستسيغها السامع ، أي: النيل من الخصم ، دون أن ندع له سبيل . وهذا النوع يسمى بالتعريض. ومثال ذلك قول أبي الطيب :

رحلت فكم باك بأجفان شادن على وكم باك بأجفان ضيغم
وما ربة القرط المليح مكانه بأجزع من رب الحسام المصمم
فلو كان ما بي من حبيب مقنع عذرت ولكن من حبيب معمم
رمي واتقى رمي ومن دون ما اتقى هوى كاسر كفي وقوسي وأسهمي
إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم^(١)
يقول الهاشمي: "فإنَّه كنى عن سيف الدولة أولاً بالحبيب المعمم ، ثم وصفه بالغدر الذي يدعى أنَّه من شيم النساء ، ثم لامه على مبادرته بالعدوان ، ثم رماه بلجن لأنَّه يرمي ويتقي الرمي بالاستتار خلف غيره . على أنَّ المتنبي لا يجازيه على الشر بمثله ، لأنَّه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديماً ، يكسر كفه وقوسه وأسهمه إذا حاول النضال ، ثموصفه بأنَّه سيء الظن بأصدقائه ، لأنَّه سيء الفعل كثير الأوهام والظنون ، حتى ليظن أنَّ الناس جميعاً مثله في سوء الفعل ، وضعف الوفاء . فأنظر كيف نال المتنبي من سيف الدولة هذا النيل كله من غير أن يذكر من أسمه حرفاً"^(٢).

الكناية في كتابتنام المتون

(١) شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج٤ ، ص ٨١ .

(٢) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص ٢٨٢ .

تعد الكناية من الأساليب التي تناولها الصفدي ، وهي كالاستعارة لم يقسمها لأنواع كعامة البلاغيين ، ولكنها وردت متناثرة مثلها مثل كل الألوان البلاغية التي ذكرها مستشهداً بها .يقول شوشو: "إنّ الإحساس الأدبي لدي الصفدي ، إضافة إلى مخزونه الغزير من الشواهد الأدبية ، فضلاً عن سيره على منهج القدماء جعله يستحسن الكناية ، ويعدها أبلغ من التصريح ، إضافة إلى أنّه بعدم حديثه عن البعيد من الكنايات التي استقبحها بعض البلاغيين وباختصار شواهد على المقبول منه ، إشارة إلى أنّه سائر على منهجهم في قبول ما استحسنوه وما وضعوه لذلك الاستحسان من أسباب ، مثل قرب المعنى حتى لا تصبح لغزاً ، وملاحة الاستخدام حتى تأتي في موضعها غير متكلفة"^(١).

وتراه يشرح في جزء من أجزاء الرسالة فيأتي له بشاهد من الشواهد فحينما يكون فيه كناية يقول : كنى بكذا عن كذا ، فمثلاً يقول الصفدي شارحاً قول ابن زيدون: "لعلي ألقى عصاي بذراك ، ويستقر النوى في ظلك"^(٢). يشرح الصفدي هذا مستشهداً بالشعر ثم يتحدث عن الكناية ، يقول : "وقد حل في هاتين السجعتين قولاً لمعقر بن أوس بن حمار البارقي حليف بني غنم:

فألقت عصاه واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر

وقبل هذا البيت:

وحلت سليمي في هضاب وأيكة فليس عليها يوم ذلك قادر
والعرب تكني عن الاستقرار والسكون بإلقاء العصا، لأنّ المسافر إذا ألقى
عصاه عن كتفه فقد قرّ قراره وسكنت حركته"^(٣). فهذه كناية عن صفة ،
على الرغم من أنّه شرحها وفسرها ولكنه لم يسمها.

(١) النقد التطبيقي ، لسليمان شوشو : ص ٢٢٢ . انظر : مفتاح العلوم ، للسكاكي : ص ٤٠٥.

(٢) تمام المتن : ص ٣٦٦.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٦٦.

ويتحدث عن الكناية عن موصوف في استشهاده بقول حاتم الطائي:
"ولطممني غير ذات سوار"^(١). وهذه كناية عن موصوف ، إذ أطلق ذات السوار
وأراد بها الحرة "وغير ذات السوار" وأراد بها الأمة وصارت مثلاً.
وتحدث عن الكناية عن نسبة من غير أن يسميها ، وذلك باستشهاده
بالأبيات الآتية . يقول: "وقال عمارة اليمني :

إن الكفالة والوزارة لم تزل يؤمي إليك بفعلها ويشار
كانت مسافرة إليك وتبعد الأخطار ما لم تتركب الأخطار
حتى إذا نزلت عليك وشاهدت ملكاً يزين الملك من سوار
ألقت عصاها في ذراه وعُرِّيت عنها السروج وحطَّت الأوكار"^(٢)

ففي قوله: "كانت مسافرة إليك" كناية عن نسبة . وقوله: "حتى إذا
نزلت عليك" أيضاً كناية عن نسبة ، لأنَّه نسب الخلافة إلى منزله فجعلها تسافر
وتنزل عليه ، لأنَّه حينما أراد أن لا يصرح بإثبات الخلافة إليه ، وتأييد الناس له ،
جمعها في أنها مسافرة إليه ، ونازله في داره ، محصورة عليه لوجود منازل غير منزله ،
وأماكن للسفر غير مكانه ، فأفاد إثبات الخلافة له عن طريق الكناية .

قال المراغي : "يقول الشاعر:

ولا زال بيت الملك فوقك عالياً تشيد أطناباً له وعمود

في هذا البيت كناية عن نسبة هي اتصافه بالملك ، لأنَّ الذهن ينتقل من
ملازمته بيت الملك وحلوله في ذلك المكان إلى كونه ملكاً وهي من نوع
الإيماء"^(٣).

(١) المصدر السابق : ص ٣٧٤.

(٢) تمام المتن : ص ٣٦٩.

(٣) علوم البلاغة ، للمراغي : ص ٣١٠.

المبحث الأول

الكناية عن صفة

(١) قال ابن زيدون: "وإني غلبني المقلب ، وفخر على العاجز الضعيف ، ولطمتني غير ذات سوار" ^(١).

في قوله: "وإني غلبني المقلب ، وفخر على العاجز الضعيف" هذه كناية عن الذل والهوان الذي أصابه ، لأنّ الإنسان إذا غلبه القوي وافتخر عليه الأفاضل لا ضير ، ولكن إذا غلبه الضعيف وافتخر عليه العاجز كان أشد ذلاً وهواناً . يقول : "وهذه ثلاثة أمثلة من أمثلة العرب فالأول من بيت شعر لأمرئ القيس وهو:

وإنك لم يفخر عليك كفخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب
يريد بذلك أنه أشد ما على الإنسان أن يفخر عليه فخر ضعيف ، وأن يغلبه مغلب وهو المغلوب" ^(٢).

وقالت الخنساء:

وإنّ صخراً لمولانا وسيدنا وإنّ صخراً إذا نشئ لنحار ^(٣)
تقول إنّ صخراً هو قائد القبيلة وسيدها ، وحينما يأتي وقت الشتاء وهو الوقت الذي ينعدم فيه المطر ، ويكثر الجوع ، وهو زمن الحُل والجفاف عند العرب ، فإنّ صخراً ينحر الإبل . واستخدمت لفظ "نحار" وهي صيغة مبالغة تؤكد الكثرة والزيادة.

اللون البياني كناية عن صفة ، والمعنى المقصود من الكناية شدة كرمه . فهي لم تصرح بالكرم والجود ، وإنما صرحت باللازم وهو "لنحار".

(١) تمام المتن : ص ٢٧٢.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٧٢.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٣.

قال الإمام أبو الفضل طاهر الفقيه الحدث:

أشارت إليّ بعنايه مخضبة من دم الأفئدة

وقالت : على العهد يا سيدي فقلت إلى الحشر يا سيده^(١)

معنى قوله: "إلى الحشر يا سيده" أي : أنّ عهدي ومحبي لك دائمة إلى يوم القيامة. واللون البياني: كناية عن صفة. والمعنى المقصود من الكناية هو البقاء الدائم على العهد ، وعدم نقض حبال الود.

قال ابن حيوس:

معنى الكرماء صانوا ما وجهي بما بذلوه عن ذل السؤال^(٢)

في قوله: "ماء وجهي" كناية عن صفة ، ولأزم المعني الذي أراه هو كرامتي شرفي وعزتي.

قال الصفدي: تمثل سيدنا معاوية بقول الشاعر:

إذا مت مات الجود وانقطع الندى من الناس إلا من قليل مصدر

ورُدَّتْ أكف السائلين وأمسكوا من الدين والدنيا بجلف مجرد^(٣)

في قوله: "انقطع الندى" كناية عن صفة ، أي : أنّه لا يوجد من يحسن إلى الناس بعده. وكذلك في قوله: "وردت أكف السائلين وأمسكوا" كناية عن صفة أيضاً. والمعنى العام للبيت أنّه بموت سيدنا معاوية عليه السلام ينقطع الكرم والإحسان عن الناس إلا إحسان قليل جداً واستعار الموت للجود ليؤكد استحالة وجود الجود بعده ، والسائلون لا يجدون من يكرمهم ويحسن إليهم.

قال أبو طالب:

من الأكرمين من لؤي بن غالب إذا سيم خسفاً وجهه يتردد^(٤)

(١) تمام المتن : ص ٣٦.

(٢) المصدر السابق : ص ٤٧.

(٣) المصدر السابق : ص ٦٢.

(٤) المصدر السابق : ص ١٤٠.

في قوله: "إذا سيم خسفاً وجهه يتربد" كناية عن صفة والمعنى المقصود من الكناية رفضهم للضيم والذل. قال بكر بن حماد:

قل لابن ملجم والأقدار غالبه هدمت ويلك للإسلام أركاناً
قتلت أفضل من يمشى على قدم وأول الناس إسلام وإيماناً^(١)
في قوله: "أفضل من يمشى على قدم" كناية عن أنه أفضل وأعظم أهل زمانه ، ومن يأتي بعده ، وهي كناية عن صفة. ومثل ذلك قول جرير^(٢):
ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح^(٣)
أي: أنكم أفضل من ركب على الإبل ، وأراد بقوله هذا أنكم أفضل الناس ، وأما قوله: "وأندى العالمين بطون راح" أي : أنكم أكرم الناس. فالراحة إذا كانت ندية دلت على كرم صاحبها ، وحينما يقال: فلان أندى الناس يداً يعني ذلك أنه أكرمهم.

قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ^٤ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. وهذه كناية عن قدرة الله عز وجل واستيلائه الكامل على الأمور ، يقول الصفدي: "وفي قوله: "بيمينه" لطيفة لأنه لم يقل "وفي يمينه" حتى ينفي الظرفية التي هي من لوازم الأجسام ، وكل هذه العبارة كناية عن القدرة والاستيلاء الكامل فتبارك الله العظيم"^(٤).
قال الصفدي: حكى بعضهم قال: جعت يوماً فقلت: أذهب إلى صديقي فلان، فاتغدي عنده فلما أتيت داره وجدت ابنه فقلت له: أين أبوك؟ فقال: أعطني كسرة حتى أقول لك أين هو"^(٥).

(١) تمام المتون : ص ٢٠١.

(٢) جرير بن عطية بن الخطف التميمي الشاعر المشهور ابو حذرة : كان من فحول الشعراء في الإسلام . وكان بينه وبين الفرزدق مهاجة ، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ٧ ، ص ٣٦٩ .

(٣) تمام المتون : ص ٣٨٢.

(٤) المصدر السابق : ص ٣٨٧.

(٥) المصدر السابق : ص ٣٦١.

وهذه كناية عن الجوع الشديد ، فهو بدل أن يقول إنني جائع أطلق لفظاً آخر وهو طلبه الأكل شرطاً للإخبار عن أبيه.

يقول الهاشمي: "نعم قد تمتنع إرادة المعني الأصلي في الكناية لخصوص الموضوع: كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَكُوتُ مَطْوِيَّتٌ﴾ ، وكقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كناية عن تمام القدرة وقوة التمكن والاستيلاء"^(١).
(ب) يقول ابن زيدون: "وذلك بيده وهين عليه"^(٢).

يشرح الشيخ الصفدي كلام ابن زيدون بقوله: "أي : بيده هذا الذي سأله وقصده فيه وأمره راجع إليه ، وهو في حكمه يصرفه كيف أراد على ما يختار ، كما يكون الشيء بيده وهو كناية عن القدرة والاستيلاء"^(٣).
وهذه كناية عن صفة ، والمراد من الكناية القدرة التامة على كل شيء والاستيلاء الكامل على الأمور.

وقال أبو طالب يمدح أولئك النفر من قومه الذين مزقوا الصحيفة:
طويل النجاد خارج نصف ساقه على وجه يسقى الغمام ويسعد
عظيم الرماد سيد وابن سيد يحض على مقرى الضيوف ويحشد^(٤)
في قوله "طويل النجاد" كناية عن طول لقامة والوسامة ، والعرب تحبذ الطويل وتراه أحد صفات القيادة والعزة ، يقول ابن حجة الحموي: "مثال ذلك قولهم "طويل النجاد كثير الرماد" يعنون بذلك أنه طويل القامة كثير القرى فلم يذكروا المراد بلفظه الخاص ولكنهم توصلوا إليه بمعنى آخر هو رديفه في الوجود ألا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد وإذا كثر القرى كثر الرماد"^(٥). وقوله:

(١) جواهر البلاغة ، للهاشمي: ص ٣٧٥.

(٢) تمام المتن : ص ٣٨٢.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٨٢.

(٤) المصدر السابق : ص ١٤٠.

(٥) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج ٤، ص ٢٥.

"خارج نصف ساقه" كناية عن صفة الاستعداد .وقوله: "على وجهه يسقي الغمام ويسعد" كناية عن شرفه وعلو مكانته لأنّ الناس في الجاهلية يستسقون بأشراف الناس وأفضلهم ، وفي الإسلام يستسقون بأشرفهم وأقنابهم وأخشاهم لله.وقوله: "عظيم الرماد" كناية عن صفة الكرم ، وأنّ هذا الكرم والسيادة موروثة كابراً عن كابر وليس مستحدث ، فهو سيد وابن سيد وهذه تسمي بالكناية البعيدة ، لأنّ الانتقال إلى المعنى الكنائي يتم عبر لوازم متعددة بمعنى أن كثير الرماد أي : كثير الجمر ويلزم من ذلك أنّه كثير الاشتغال ، ومن ثمّ أنّه كثير الولايم ، وكثرة الولايم تدل على كثرة الضيوف ، وبما أنّه كثير الضيوف يعني أنّه كريم ، يقول الإمام عبد القاهر: "فليست المزية في قولهم "جم الرماد" إنّّه دل على قرى أكثر ، بل إنّك أثبت له القرى الكثير من وجهه هو أبلغ ، وأوجبته إيجاباً هو أشد وأدعيته دعوى أنت بها وبصحبته"^(١).

قال دعبل بن علي:

ولو أنّي بليت بهاشمي خوؤلته بنو عبد المدان
لهان عليّ ما ألقى ولكن تعالوا فأنظروا بمن ابتلاني^(٢)

أي: أنّ ما حدث له كان من بني هاشم وأخواله من بني عبد المدان لهان عليه ما يلقي لأنّهم أنداده ، ولكنه ابتلى بمن هو أدنى منه وقوله: "فأنظر بمن ابتلاني" هذا اللفظ كناية عن أنّ من ابتلى به أقل منه ، وهي كناية عن صفة.

قال البحري:

وألبيتني النعمة التي غيرت أخي على فأمسى نازح الود أجنباً^(٣)
في قوله: "فأمسى نازح الود أجنباً" كناية عن صفة أطلق هذا اللفظ وأراد لازم معناه. أي أن أخاه ابتعد عنه.

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني ، ص ٧١.

(٢) تمام المتون : ص ٢٧٤ . انظر : ديوان دعبل الخزاعي : ص ٣٥٩ .

(٣) تمام المتون : ص ٢٨٢ . انظر : شرح ديوان البحري ، للفخوري : ج ١، ص ١٢٢ .

قال أبو فراس الحمداني:

وأنت الذي بلغتني كل رتبة مشيت إليها فو قأعناق حسدي^(١)

في هذا البيت كناية عن صفة ، وهي في قوله: " فوق أعناق حسدي " والمعنى المقصود على كره منهم وخص الأعناق لأنها هي التي يحمل عليها ، ووقع الألم عليها أصعب وأشد. قال أبو بكر بن سعيد^(٢):

"ولو لا عوائق الزمان لطرت إليك بجناح ، أو لامتطيت أعناق الرياح ، ولاستبطأت السلاهيـب ، واستهـجنت الجرد اليعـايـب"^(٣).

في قوله: "امتطيت أعناق الرياح" كناية عن صفة ، أراد أن يقول أنه سيأتيه بسرعة شديدة ، فكنى عن ذلك بأنه سيركب على متون الطيور ، وعلى أعناق الرياح ، وكلاهما موسوم بالسرعة . وكذلك في قوله: "ولاستبطأت السلاهيـب" و"استهـجنت الجرد اليعـايـب" ، أي : أن هذه أقل سرعة من تلك .

قال السموأل^(٤):

فلسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما^(٥)
وضح أنه وبنى قومه شجعان يتلقون الأعداء بصدورهم ، ولا يولون الدبر ، والجروح التي تصيبهم في الحرب تكون من جهة وجوههم ، حيث تساقط الدماء على أقدامهم ، ولا تتساقط من ورائهم على جهة ظهورهم .
وهذه كناية عن صفة ، أي : أننا نموت وتدمي جروحنا مقبلين لا مدبرين .
والمعنى المقصود من الكناية الشجاعة. فالشطر الأول : كناية عن صفة الجبن التي

(١) تمام المتن : ص ٢٨٣ . انظر: ديوان أبي فراس رواية ابن خالويه : ص ٨٥.

(٢) عاصم بن أيوب أبو بكر البجليوسي : الأديب ، كان لغوياً ، عالماً فاضلاً ثقة . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١١ ، ص ٣٥٨ .

(٣) تمام المتن : ص ٢١٨.

(٤) السموأل بن عدياء ، من أهل تيماء في أطراف الشام ، من العرب الذين اعتنقوا اليهودية . انظر : طبقات الشعراء ، لابن سلام : ص ١٣٩ .

(٥) تمام المتن : ص ٢١٥.

ينفيها الشاعر عن قومه ، وفي الشطر الثاني : كناية عن صفة الشجاعة التي يثبتها لهم ، لأنّ الدماء تتساقط على الأعقاب في حالة الفرار ، وتتساقط على الأقدام في حالة الإقدام والمواجهة.

قال معن بن أوس^(١):

قلبت له ظهر المجن فلم أقم على ذاك إلا ريثما أتحول^(٢)

في قوله: "قلبت له ظهر المجن" كناية عن صفة ، والمعنى المقصود من الكناية هو إظهار العداوة . يقول المراغي: "وأن أراد كنى عن مقصوده وورى عن مراده ، فقال: ألبسوا عدوكم جلد النمر ، وأقلبوا له ظهر المجن"^(٣). وقلب له ظهر المجن مثل يضرب لمن كان لصاحبه مودة ورعاية ثم حال عن العهد هذا وتكنى العرب من يجاهر بالعداوة بقولهم: "لبس له جلد النمر" ، و"جلد الأرقم" ، وهي الحية التي فيها سواد وبياض ، وقلبت له ظهر المجن.

قال أبو طالب:

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى ويصبح من لم يكن كذي الذنب^(٤)
يقول أيضاً:

أليس أبونا هاشم شد أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

في قوله : "قبل أن يحفر الثرى" كناية عن صفة ، والمعنى المقصود من الكناية هو الموت.

وفي قوله: "أبونا هاشم شد أزره" كناية عن صفة ، أيضاً والمعنى المقصود الاستعداد . يقول أيضاً:

(١) معن بن أوس بن نصر المزني ، شاعر فحل ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، له مدح لجماعة من الصحابة ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٧ ، ص ٢٧٣ .

(٢) تمام المتون : ص ٣١٠ .

(٣) علوم البلاغة ، للمراغي : ص ٢٧٦ .

(٤) تمام المتون : ص ١٣٥-١٣٦ . البداية والنهاية ، لابن كثير : ج١ ، ص ٥٠٨ .

من الأكرمين من لؤي بن غالب إذا سيم خسفاً وجهه يتربد"^(١)
في قوله: "إذا سيم خسفاً وجهه يتربد" كناية عن صفة ، أطلق هذا اللفظ
وأراد به رفضه للضميم والنل لأنه من الأكارم والأجد .
قال سراج الدين الوراق:
متلون الأخلاق حرباواتها وسواده يمتاز منه القار
ويسى آداباً على ودأبي الـ إغضاء عنه ودأبه الإصرار^(٢)
وصف الشاعر عبده بالخداع والغش . وفي قوله: "متلون الأخلاق
حرباواتها" كناية عن صفة ، والمعنى المقصود الكناية النفاق.

(١) تمام المتون : ص ١٤٠ . البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ١ ، ص ٥٠٨ .

(٢) تمام المتون : ص ٢٢١ .

المبحث الثاني

الكناية عن موصوف

(١) قول ابن زيدون: "والكريم لا يجفو أرضاً فيها قوابله ، ولا ينسى بلداً فيها مرضعه"^(١).

أراد بقوله : "أرضاً فيها قوابله " أي : مكان ميلاده ، و"بلداً فيها مرضعه " أي : مكان رضاعه ، وكلاهما كناية عن موصوف .
هذا ويستشهد الصفدي بمجموعة من الأمثلة يدور معناها حول كلام ابن زيدون السابق .

قال الصفدي : قال الأول:

أحب بلاد الله ما بين منعج إلى وسلمى أن يصبوب سحابها
بلاد بها عق الشباب تئامي وأول أرض مس جلدي ترابها^(٢)
وقول محمد بن غالب الرصافي^(٣):

بلادي التي ريشت قويدمتي بها فريخاً وأوتني قراراتها وكرا
قيادي لين العيش في رونق الصبا إلى الله أن أنسى اغتراري بها غراً
لبسنا بها ثوب الشباب لباسها ولكن عرينا من حلاه ولم يعرا^(٤)
والكنيات هي: "بلاد بها عق الشباب تئامي" و"أول أرض مس جلدي
ترابها" و"بلادي التي ريشت قويدمتي بها فريخاً" وكل هذه الكنيات هي كناية
عن موصوف.

(١) تمام المتون : ص ٣٣٢.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٣٢. وهذه الأبيات وردت في رسالة ابن زيدون .

(٣) محمد بن غالب الرصافي ابوعبد الله الاندلسي : كان شاعر زمانه ، شعره مدون ينافس فيه . لم يتزوج ، وهو متعفف . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ٣ ص ١٦١ .

(٤) تمام المتون : ص ٣٣٢.

قال ابن ميادة^(١):

ألا ليت شعري هل أبیتن ليلة بجرّة لیلی حيث ربّتی أهلی
بلاد بها نیطت علی تمائمی وقُطِّعْنَ عني حين أدركني عقلي^(٢)
في قوله: "حيث ربّتی أهلی" يقصد الشاعر المكان الذي ولد فيه وكذلك
قوله: "بلاد بها نیطت علی تمائمی" وكلاهما كناية عن موصوف وأيضاً في قوله:
"وقُطِّعْنَ عني حيث أدركني عقلي" كناية عن موصوف وكلها يقصد موضع
مولده.

يقول الصفدي: "وأما الشفاعة فحكى أن عبد الله بن خارجه امتدح عبد
الملك بن مروان فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وعشرة تخوت من الثياب ، وأقطعه
ألف جريب ، وقال له: أمض إلى زيد الكاتب يكتب لك بها ، وأجرى له على
ثلاثين عائلاً فأتى زیداً ، فقال: ائتنی غداً فتردد إليه ، وكتب له شعراً فما أفاده
شيئاً ، فأتى سفيان بن الأبرد الكلبي فكلمه سفيان فأبطأ عليه ، فعاد إلى سفيان
وقال له:

إذا بدأت أبا يحي فأنّت لهاولا تكن حين هاب الناس هيابا
وأشفع فإنّك أنف لم تكن ذنبا فإنّ من شفعاء الناس أذنا
فأتى سفيان إلى زيد الكاتب ولم يفارقه حتى قضى شغله"^(٣).
في قوله: " فإنّك أنف " كناية عن موصوف ، أراد إنّك سيد وقائد ورأس
في قومك ، وفي المقدمة لأنّ الأنف في المقدمة.

(١) الرماح بن أبرد بن ثوبان الذبياني بن ميادة ، أبو شرحبيل المضري : شاعر رقيق هجاء من
خضرمي الأموية والعباسية، ومن العلماء من يرى أنّه أشعر الغطفانيين في الجاهلية والإسلام ،
انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٣ ، ص ٣١ .

(٢) تمام المتون : ص ٣٣٢ . انظر : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة : ص ٥٥٩ .

(٣) البيان والتبيين ، للجاحظ : ج ٤ ، ص ٣٨ .

وكذلك قوله: "لم تكن ذنباً" كناية عن موصوف ، والمعنى المقصود من الكناية آخر الناس وأتباعهم . وقديماً قال الشاعر يمدح بني أنف الناقة :
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم فمن يساوى بأنف الناقة الذنبا^(١)
فصاروا يفتخرون بهذا الاسم وقد كانوا من قبل يرونه ذماً لهم ولا يذكرونه . ويستطرد الصفدي في الحديث فحينما ذكر الشفيح قال: "وقضية الفرزدق والنوار امرأته حين قال:

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيح الذي يأتيك مؤتزراً مثل الشفيح الذي يأتيك عريانا
مشهورة"^(٢). في قوله: "الشفيح الذي يأتيك مؤتزراً" كناية عن موصوف ، أطلق هذا اللفظ وأراد به الرجل . وأما قوله: "الشفيح الذي يأتيك عريانا" يقصد بها المرأة وهي كناية عن موصوف أيضاً. والمعنى: إنَّ القاضي لم يقبل شفاعته أبنائه ، بينما قبل شفاعته زوجه وهي بنت منظور ، والسبب أنَّ الفرزدق حينما طلق زوجه النوار بنت مجاشع وتحاكما للأمير كان شفيح الفرزدق أبناء الأمير ، وشفيح النوار زوج الأمير "بنت منظور" وكان الحكم لصالح النوار ، فغضب الفرزدق وكتب هذه الأبيات وأراد "بالشفيح الذي يأتيك مؤتزراً" أبنائه "وبالشفيح الذي يأتيك عريانا" زوجه.

قال امرؤ القيس:

خليلي مرا على أم جندب نقض لبانات الفؤد المعذب
فإنَّك لم يفخر عليك كفاحر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب^(٣)
يقول: لأنَّ المغلب والعاجز الضعيف إذا قدرا لم يبغي ، وقيل: إنَّ ذلك أشد
دلاً على المغلوب وهو الأقرب.

(١) تمام المتون : ص ٣٦٠.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٦٠ . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ١ ، ص ١٩١٣ .

(٣) تمام المتون : ص ٢٧٣ . انظر : شرح المعلقات العشر ، للشنقيطي : ص ١٩ .

وقوله "ولطمتني غير ذات سوار" : "هذا المثل أطلقه حاتم : قاله عندما لطمته أمة قد جاءته ببعير ليفصله فنحره ، ويعني بذات السوار الحرة من النساء"^(١). لأنَّ الأسورة في الغالب تلبسها الحرائر .

يقول الصفدي ذكراً قصة أخرى لهذا المثل: "إنَّ حاتم الطائي مر ببلاد عنزة في بعض الشهر الحرم ، فناداه أسير لهم يا أبا سَفَّانة أكلني الأسار والقمل ، فقال: ويحك ! أسأت أن نوهت باسمي في غير بلاد قومي ، فساوم القوم فيه ، فقال: أطلقوه وخطوا يدي في القيد مكانه، فجاءته امرأة فلطمته، فقال: لو غير ذات سوار لطمتني! يعني أنني لا أقصص من النساء ، فعرف ، ففدى نفسه فداء عظيمًا . ومعنى المثل: لو لطمني من كان كفؤاً لي لهان عليّ ، ولكن لطمني من هو دوني"^(٢).

وهذه كناية عن موصوف إذا أطلق ذات السوار ، وأرد بها الحرة . وغير ذات السوار ، وأرد الأمة . فصار مثلاً.

(١) العقد الفريد ، لابن عبد ربه : ج ٣ ، ص ١٢٩ .

(٢) تمام المتون : ص ٢٧٤ .

المبحث الثالث

الكناية عن نسبة

(١) قال ابن زيدون: "لعلي ألقى عصاي بذراك ، ويستقر النوى في ظلك" ^(١).
ففي قوله: "ويستقر النوى في ظلك " كناية عن نسبة ، حيث نسب
استقرار النوى إلى شيء من متعلقات ابن جهور وهو الظل .

قال أبو تمام الطائي:

كريم إذا ألقى عصاه خيماً بأرض فقد ألقى بها رحله المجد ^(٢)
في قوله: "ألقى بها رحله المجد" ترك التصريح وأثبت المجد لما له تعلق
بهم وهو الرحل ، فأبرز المعاني في صورة نشاهدها وترتاح نفوسنا لها ، وهي كناية
عن نسبة ، حيث نسب المجد إلى رحل الممدوح ، وهذا تعبير شائع في الشعر
العربي .

قال الأمير تميم بن المعز ^(٣):

وسار بمدحي فيك كل مهجر وغني به
في السهل والوعر من يغدو
وصاغت له عليك حسناً وزينة
وحيك لها من حلي ألفاظه بُرد ^(٤)

المعنى أن شعره الذي مدح به الممدوح صار مشهوراً ذائع الصيت ، تنقلته
الأسنة ، وحدا به الركبان ، وغني به كل غاد ورائح. ولأنك تستحق هذا الثناء

(١) تمام المتون : ص ٣٦٦.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٦٧.

(٣) تميم بن المعز بن باديس الأمير صاحب إفريقية كان من خيار الملوك خلقاً وكرماً، انظر : البداية
والنهاية ابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٥٤٦ .

(٤) تمام المتون : ص ٢٩٩. انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ٧ ، ص ٢٧٤ .

صار هو زينة لمعاليك ، ولجذك ، ومكانك الأسمى ، ومن ألفاظه التي تشبه الحلبي في حسنهما ، حيك لها برد تلبسه مثلما صيغ لعلياك زينة.

وفي البيت الأول : كناية عن نسبة في قوله: "وسار بمدحي فيك كل مهجر" حيث نسب شعره الذي مدح به الممدوح إلى سير المهاجرين والغادين في السهل والوعر ، وأراد أنّ ثناءه ومديحه له صار معروفاً مسموعاً في كل ناد .
يقول أبو نواس :

وما جازه جود ولا حل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير^(١)
حيث جعل الجود متعلقاً بشيء من متعلقات الممدوح ونسبه إليه ، مثلما نسب الأمير تميم بن المعز مدحجه وثنائه إلى سير المهاجرين ، فالكناية في المثالين كناية عن نسبة.

(١) الاعجاز والايجاز ، للشعالبي : ص ١٦٤ .

الباب الثالث

علم البديع

الفصل الأول : المحسنات اللفظية

- المبحث الأول: الجناس .
- المبحث الثاني: السجع .
- المبحث الثالث: الاقنباس والنظمين .
- المبحث الرابع : الطلب .

الفصل الثاني : المحسنات المعنوية

- المبحث الأول : المذهب الكلامي .
- المبحث الثاني : التمثيل والشمانة .
- المبحث الثالث : حسن التعليل .
- المبحث الرابع : المبالغة .
- المبحث الخامس : النورية .
- المبحث السادس : التقسيم والاستقصاء
والإسجال بعد المغالطة
- المبحث السابع : المكس والتبديل
والحل والعقد وإرسال المثل .

علم البديع

تعريفه :

البديع لغة: الجديد قال الرازي^(١): "أبداع الشيء اختراعه لا على مثال، والله بديع السموات والأرض ، أي: مبدعهما والبديع المبتدع"^(٢).
واصطلاحاً: هو علم يهتم بدراسة تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي.

وترجع تسمية هذا العلم بهذا الاسم إلى بدر الدين بن مالك^(٣)، فهو الذي أطلق هذا المصطلح على المحسنات البديعية . يقول ابن حجة الحموي: "ثم جاء بدر الدين بن مالك فسمي هذه الوجوه التي ترجع إلى المعنى واللفظ "علم البديع" فكان أول من أطلق هذا المصطلح على هذه المحسنات البديعية"^(٤). وقد كانوا في السابق يطلقونه على كل علوم البلاغة ، ولذا كانوا يطلقون اسم البديع على الأشعار التي تحوي أساليب بيانية ، والتي أحدثها الشعراء المولدون أمثال بشار بن برد ، وأبي نواس ، ومسلم بن الوليد ، وحبيب بن أوس الطائي وغيرهم. قال ابن الأثير: "ويقال كلام بديع ، وكلام مخترع ، فالبديع يختص بمحاسن الألفاظ والمخترع متعلق بابتكار المعاني التي لم يسبق إليها"^(٥). أي: هو

(١) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي زين الدين: صاحب مختار الصحاح، الأعلام للزركلي : ج٦، ص ٥٥.

(٢) مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ترتيب محمود خاطر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : ص ٤٣.

(٣) محمد بن محمد بن مالك الطائي ابو عبد الله بدر الدين: هو ابن ناظم الألفية ، وكان إماماً مقدماً في النحو والمعاني والبيان ، من أهل دمشق ، من مؤلفاته "المصباح في المعاني والبيان" انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٧ ، ص ٣١.

(٤) خزانة الأدب، لابن حجة الحموي : ج١، ص ١٢٠.

(٥) جواهر الكنز تلخيص كنز اليراعة في أدوات ذوي البراعة، لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، تحقيق دكتور محمد زغلول سلام، منشأة المعارف الإسكندرية : ص ٤٨.

علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة ، وتكسوه بهاءً ورونقاً ، بعد مطابقتها لمقتضى الحال ووضوح دلالاته على المراد . ويقصد بوجوه التحسين أساليب وطرق معلومة وضعت لتجميل الكلام ، وتزيينه وتنميقه . وبما أنّ وجوه التحسين إمّا لفظية أو معنوية ، كان البديع لفظي ومعنوي ، فاللفظي هو ما رجعت وجوه تحسينه إلى اللفظ دون المعنى ، فلا يبقى الشكل إذا تغير اللفظ مثل الجناس والطباق الخ... والمعنوي هو ما رجعت وجوه تحسينه إلى المعنى دون اللفظ ، فيبقى مع تغيير الألفاظ مثل التورية وحسن التعليل الخ...^(١).

وهذا العلم من علوم البلاغة وجد في العصر المملوكي مساحة أوسع ومجالاً أرحب من علمي البيان والمعاني . فقد أهتم به العلماء والأدباء وتباروا في مضماره كثيراً ، والصفدي له كتب متخصصة في بعض أنواع البديع ، مثل كتابه "جنان الجناس" ، وكتاب "فض الختام عن التورية والاستخدام".

وإذا كان عبد الله بن المعتز يعد أول من دون قواعد علم البديع في كتابه "البديع" ، فإنّ هذا العلم وصل قمته وازدهر في العصر المملوكي ، حيث ظهرت قصائد تسمى بـ "البديعيات" يذكر الشاعر في كل بيت منها اسم نوع من أنواع البديع . فزكي الدين بن أبي الأصبع أوصل بديعيته إلى تسعين بيتاً ، والشاعر صفى الدين الحلبي في قصيدته التي مدح بها النبي ﷺ إلى مائة وأربعين ، ثم جاء ابن حجة الحموي الذي شرح بديعيته في كتابه "خزانة الأدب" ، وغيرهم من أدباء ذلك العصر تنافسوا في عدد أنواع البديع وفي أقسامه^(٢) . والعالم الأديب الصفدي ولد في هذا العصر وعاصر معظم أصحاب البديعيات المذكورين أو سمع عنهم وقد تأثر بهم وأثر فيهم.

(١) جواهر البلاغة ، للهاشمي: ص ٢٨٧.

(٢) علوم البلاغة ، للمراغي : ص ٣١٨.

الفصل الأول : المحسنات اللفظية

المبحث الأول: الجناس .

المبحث الثاني: السجع .

المبحث الثالث: الاقنباس والنظمين .

المبحث الأول

الجناس

تعريفه :

الجناس لغة: من الجنس . يقول الرازي: "الجنس الضرب من الشيء وهو أعم من النوع ، ومنه المجانسة والتجنيس بمعنى واحد"^(١).

واصطلاحاً : أن يتفق اللفظان في النطق، ويختلفان في المعنى . وهو نوعان:

(٣) التام: أن يتفق اللفظان في أربعة أمور : هي نوع الحروف ، وعددها ، وشكلها ، وترتيبها.

(٤) الناقص: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور السابقة .

يقول سعد الدين التفتازاني^(٢): "الجناس بين اللفظين وهو تشابههما في اللفظ . والتام منه: أن يتفقاً في أنواع الحروف ، وفي أعدادها ، وفي هيئاتها ، وفي ترتيبها"^(٣).

هذا وقد قسم البلاغيون الجنس غير هذين القسمين إلى عدة أقسام منها :
(أ) المماثل . (ب) المستوفي . (ج) جناس التركيب المتشابه . (د) المضارع . (هـ) جناس القلب ، وغيرها . وكل تدور في فلك هذين القسمين^(٤).

الجناس في كتاب "تمام المتون"

(١) مختار الصحاح ، للرازي : ص١١٣.

(٢) مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني : من أئمة العربية والبيان والمنطق ، وهو أول من صنف وعمره ست عشرة سنة . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٧ ، ص ٢١٩.

(٣) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، للعلامة سعد الدين التفتازاني ، تحقيق دكتور عبد الحميد هندأوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٨ هـ _ ٢٠٠٧ م : ص ١٠٩.

(٤) علوم البلاغة ، للمراغي : ص ٣٥٦ . انظر : البديع ، لابن منقذ : ٤٠ _ ٤١.

الجناس من الفنون البديعية التي شاعت في عصر الماليك ، باعتباره أحد
الحلل التي يحلون بها أعمالهم الأدبية . والجناس وعلى الرغم من أنه محسن لفظي
إلا أنه شديد الصلة بالمعنى ، مع توافق نغمة وانسجام جرسه .

والجناس من الفنون المحببة للصفدي ، وقد ذكرت أنه ألف فيه كتاباً اسمه
"جنان الجناس" ، وقد افتنن وأعجب به حتى عابه بعض النقاد في ذلك . يقول
ابن حجة: "وكان الشيخ صلاح الدين رحمه الله يستسمن ورمه ، ويظنه شحماً ،
فيشيع أفكاره منه ، ويملاً بطون دفاتره ، ويأتي فيه بتراكيب تخف عندها جلاميد
الصخور ، كقوله غفر الله له:

ونم في آمان بالحبيب ولا تخف لقائط واش في لقاء طواش^(١)

ويذكر ابن حجة مجموعة أبيات للصفدي ، ويراهها من الجناس المتكلف ،
ويستشهد بنقد ابن نباته لكتاب الصفدي جنان الجناس . يقول: "ومن أطرف ما
وقع للشيخ جمال الدين ابن نباته معه ، أنه لما وقف على كتابه المسمي: "جنان
الجناس" وقد اشتمل على كثير من هذا النوع ، قرأه: "جنان الجناس" وجرى
بينهما بسبب ذلك ما يطول شرحه ، وهذا ما يؤيد قولي إنه غير مذهبي ، ومذهب
من نسجت على منواله^(٢) .

وعلى الرغم مما ذكره ابن حجة ، وابن نباته قبله ، إلا أننا نجد أنه ليس
كل ما ذكره الصفدي في كتابه جنان الجناس جناساً متكلفاً ، بل هنالك نماذج كثيرة
من الجناس غير متكلف ، وشعر جيد استشهد به ، ولكني أجد العذر للصفدي
لأنه ألف كتاباً كاملاً ، وأكثر من ذكره ، ومن يكثر في الشيء يأتي بالمتكلف ، ولو
يسيراً ، وخاصة إذا كان في البديع . وقد شهد ابن حجة بذلك ، وذكر بعض
النماذج الجيدة للصفدي . يقول وهو يتحدث عن الجناس المركب المتشابه لفظاً
وخطاً: "وأورد الشيخ صلاح الدين الصفدي لنفسه في كتابه المسمي بـ"جنان

(١) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج١ ، ص ٣٧٩ .

(٢) المصدر السابق : ج١ ، ص ٣٨٢ .

الجناس " من هذا النوع قوله:

يا من إذا ما أتاه أهل المودة أولم

أنا محبك حقاً إن كنت في القوم أولم^(١)

وأرى أنّ ابن حجة وابن نباتة قد بالغوا في الهجوم على الصفدي في تكلفه للجناس ، فهو على الرغم من شغفه بالجناس إلا أنّه كان معتدلاً يستحسن المستحسن ، ويرفض المتكلف ، الذي لا يقبله الطبع ، ولا يستيسغه الذوق .

يقول الصفدي: "إنّ تناسب الألفاظ في الصورة كلها أو بعضها ومما لاشك فيه ، إنّ التوافق في الزي والهندام واقتراب الأشباه والنظائر بعضها ببعض تميل إليه النفوس بالفطرة ، وتغبط ويطمئن إليها الذوق ويسكن ، لأنّه نظام وانسجام وإئتلاف"^(٢). هذا وقد أشار الصفدي في كتاب "تمام المتون" إلى الجناس ، وفي بعض الأحيان يذكر أقسامه . يقول: "وهو جناس اشتقاق"^(٣). أو يقول "من الجناس المطمع"^(٤). وسوف نردها بالتفصيل والتحليل.

(١) قال ابن زيدون: "واستملي الربيع إلا ثناء ملأته من محاسنك"^(٥).

فلجناس بين كلمتي: "ملأته" و"استملي" يقول الصفدي: "تقول أملت الكتاب أمله ، وأملته أمله لغتان جيدتان ، جاء بهما القرآن المجيد ، واستمليته الكتاب ، سألته أن يمليه على أن يقول لك بما فيه . وقد أتى بالجناسين قوله: "ملأته، واستملي" وهو جناس اشتقاق على قول"^(٦). فالجامع بين "ملأته واستملي" هو الاشتقاق .

(١)خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي: ج ١ ، ص ٣٨٧.

(٢)فن الجناس ، علي الجندي، دار الفكر العربي، ط ١٩٥٤م : ص ٢٩.

(٣) تمام المتون : ص ٢٩٠.

(٤) المصدر السابق : ص ٣٣٥.

(٥) تمام المتون : ص ٢٩٠.

(٦) المصدر السابق : ص ٢٩٠.

وهو مثل قول أبي تمام: فيا دمع أنجدني على ساكني نجد^(١)
 فالجناس في كلمتي: "نجد، أنجدني". يقول المراغي: "أن يجمع اللفظين
 الاشتقاق كقوله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣].
 (٢) قال ابن زيدون: "والنسيب لا يحفى، والجمال لا يخفى"^(٢).

الجناس في كلمتي: "يحفى" و"يحفى" جناس غير تام، ويسميه أهل البديع
 بالجناس المضارع. يقول المراغي: "أن يكون هو وما يقابله في الطرف الآخر
 متقاربي المخرج، ويسمي مضارعاً... كقول الحريري: لهم في السير جرى السيل،
 وإلى الخير جرى الخيل"^(٣). ويسميه ابن منقذ بجناس التصريف، يقول: "أعلم أن
 تجنيس التصريف هو أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف"^(٤).
 ويستشهد الصفدي بقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦].

والجناس في كلمتي: "ينهون" و"ينأون"، والاختلاف بينهما حدث في
 حرف واحد فقط، حيث أبدلت الهاء همزة، وكلاهما من نفس المخرج، وهو
 أقصى الحلق. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:
 ١٠٤] الجناس في كلمتي "يحسبون" و"يحسنون".

(٣) قال ابن زيدون: "واعتقادي أن الطمع في غيرك طبع، والغني ممن سواك
 عنه"^(٥).

فالجناس في قوله: "طمع" و"طبع" وفي قوله: "غني" و"عنا" ومثل هذا
 قول الصفدي: "لا خير في طمع يدني إلى طبع"^(٦)، وهو أيضاً جناس مضارع،
 ويسميه الصفدي بالجناس المطمع. يقول الصفدي: "وقوله: "واعتقادي أن الطمع

(١) شرح ديوان أبي تمام: للتبريزي ج ٢، ص ٣٧٨.

(٢) تمام المتون: ص ٣٣٢.

(٣) علوم البلاغة، للمراغي: ص ٣٥٦.

(٤) البديع، لابن منقذ: ص ٤١.

(٥) تمام المتون: ص ٣٣٥.

(٦) المصدر السابق: ص ٣٣٥.

في غيرك طبع" ، هذا يعده بعض أرباب البديع من الجناس المطمع، وهو متى ما فرغ من ركنه الأول ، وابتدأ الثاني أطمع السامع أنه موافق لحروف الأول ، فإذا كمل الركن الثاني خالف الأول^(١). كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ [النساء: ٨٣]. وهذا من الجناس المضارع أيضاً.

ويستشهد الصفدي بقوله ﷺ: "الْخَيْلُ مَعْقُودٌ يَنْوَاصِيهَا الْخَيْرُ"^(٢). يقول ابن حجة: "فالمضارع هو المشابه في المخرج ... ومنه قوله ﷺ: (الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)"^(٣). ويصفه الصفدي بأنه من أعلى الجناس^(٤). ومن شواهد الصفدي على الجناس قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾

وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ [العاديات: ٧ - ٨] .

فالجناس في كلمتي "شهيد" و"شديد" والاختلاف في حرف الهاء والذال وهما متباعدين في المخرج ، وهذا ما يسمى بالجناس اللاحق ، ويصف الصفدي هذا النوع من الجناس بأنه دون الأول . يقول: "ودونه أن يخالف الركن الثاني الأول بحرف في وسطه ، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٥﴾". ويصف قول ابن زيدون: "الطمع في غيرك طبع" بأنه من هذا القسم^(٦).

(١) تمام المتون : ص ٣٣٥.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٣٥ . أخرجه البخاري في الصحيح : ج ٣، ص ١٠٤٧.

(٣) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج ١، ص ٤١٤ .

(٤) تمام المتون : ص ٣٣٥.

(٥) المصدر السابق : ص ٣٣٦.

(٦) المصدر السابق : ص ٣٣٦.

المبحث الثاني

السجع

تعريفه :

السجع لغة: من قولهم: سجعت الناقة ، إذا مدت حنيتها على جهة واحدة . يقول الرازي: " السجع : الكلام المقفى والجمع "أسجاع" و "أساجيع" سجع ، سجع الرجل من باب قطع ، و"سجع" أيضاً "تسجيعاً" وكلام "مسجع" و"سجعت" الحمامة هدرت ، وسجعت الناقة مدت حنيتها على جهة واحدة"^(١). واصطلاحاً: وهو أن تتوافق الفاصلتين في الحرف الأخير . مثل قول تعالى:

﴿وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا ۚ ﴿١﴾ فَأَلْصَقَتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات: ١ - ٢]. وهو على أنواع:

أ) المرصع : وهو ما اتفقت ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والقافية . يقول ابن رشيق : "وإذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعاً ، أو شبيهاً بالمسجوع ، فذلك هو الترصيع عند قدامة ، وقد فضله وأطنب في وصفه إطناباً عظيماً"^(٢). مثل قوله تعالى: ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخَذِهِ إِلَّا أَنْ تُغِصُّوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧] فالترصيع في "بأخذه، وفيه".

ب) المتوازي: وهو ما اتفقت فيه الفقرتان في الكلمتين الأخيرتين ، نحو قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُّرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣ - ١٤].

ج) المطرف : وهو ما اختلفت فاصلته في الوزن واتفقتا في الحرف الأخير ، نحو قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣ - ١٤] .

(١) مختار الصحاح ، للرازي : ص ٢٨٧.

(٢) العملة في محاسن الشعر وآدابه ، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت : ج ١، ص ٢٦ . انظر : علوم البلاغة ، للمراغي : ص ٣١.

يقول القزويني: "ومنه السجع وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد ، وهذا معنى قول السكاكي : الأسجاع من النثر كالقوافي في الشعر ، وهو ثلاثة أضرب: "مطرف ومتوازن وترصيع"^(١).

السجع في كتاب تمام المتون

الناظر للخطب والرسائل والمساجلات بين الأدباء والعلماء والأمراء في العصر الذي عاش فيه الصفدي يجد أنّ السجع مسيطر عليها ، ويظهر ذلك في أدبهم نظماً ونثراً ، وفي كتاب تمام المتون شواهد كثيرة لأنواع السجع .

(١) قال ابن زيدون: "واعتمادي عليه ، واعتدادي به"^(٢).

وهذا من السجع المرصع ؛ حيث اتفقت الفقرتان في قوله "عليه، به". يقول الصفدي: "وقد أتى ابن زيدون في هذه الألفاظ بالترصيع وهو من أنواع البديع ؛ لأنّه قال: "والذي ودادي له واعتمادي عليه ، واعتدادي به" فأتي بالبدال وبعدها الياء وهي ضمير المتكلم ، وعدى كل واحد بحرف جر: له ، وعليه وبه ، وهذا نوع من المبالغة يدل على قوة العارضة ، وسعة العبارة"^(٣).

وقد استشهد الصفدي بعدد من الشواهد للترصيع منها:

قول شرف الدين بن عبد العزيز^(٤):

لنا ملك واحد ما اشتهي ولكننا لم نجد مثله

ملاذي به ومثولي لديه وميلي إليه ومدحي له^(٥)

في قوله: "ملاذي به ، ومثولي لديه ، وميلي إليه ، ومدحي له" ترصيع لأنّه أتى بالكلام مقطوعاً إلى أجزاء مسجوعة.

(١) الإيضاح ، للقزويني : ص ٢٤٨.

(٢) تمام المتون : ص ٣٦.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٧.

(٤) عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن أبو محمد شرف الدين الأوسي الشافعي : الإمام الأديب

الشاعر شيخ الشيوخ . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٣ ، ص ٣٠١ .

(٥) تمام المتون : ص ٣٧ .

وقول الشاعر:

كتبت وشينات حالي غلبن إلى سيد جل عن مشبه
فشوقي إليه وشكري له وشعري فيه وشغلي به^(١)
والترصيع في قوله: "فشوقي إليه ، وشكري له ، وشعري فيه ،
وشغلي به".

وقد استشهد الصفدي أيضاً : بأبيات من شعره يقول وكتبت إلى بعض
الأصحاب:

كتب لمولي نأت داره وسينات حالي وقف لديه
فسوقي إليه سموي بهسؤالي عنه سلامي عليه^(٢)
والترصيع في قوله: "فسوقي إليه، سموي به، سؤالي عنه، سلامي عليه".
وقوله:

كتبت ودالات حالي كما تراها إلى سيد لم أخنه
دعائي ودمعي ودأبي له وعليه وفيه ومنه^(٣)
والسجع المرصع ظاهر في أبيات الصفدي السابقة . يقول الصفدي:
"ومن قول الحكماء: الأمانى تخدعك ، وعند الحقائق تدعك"^(٤).
وهذا من السجع المتوازي في قوله: "تخدعك، وتدعك" لاتفاق الفقرتين
في الكلمتين الأخيرتين .

(٢) قول ابن زيدون: "وأبليت البلاء الجميل في سباطك ، وقمت المقام المحمود في
بساطك"^(٥).

(١) تمام المتن : ص ٣٧.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٧.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٧.

(٤) المصدر السابق : ص ٥٥.

(٥) المصدر السابق : ص ٢٨٤.

وهذا سجع متوازي ، وهو مركب من فقرتين متحدتين في الحرفين الأخيرين ، وهذا من أفضل السجع ، لأن فقره متساوية ، ورصين التركيب ، وخالي من التكرار والتكلف.

(٣) قول ابن زيدون: "والليب يحن إلى وطنه ، حنين النجيب إلى عطنه" ^(١).

أي : أن اللبيب يحن إلى وطنه الذي نشأ فيه ، مثل حنين الفحل من الإبل إلى مبركه . والسجع في "وطنه ، وعطنه" وهو أيضاً من السجع المتوازي ، حيث اتفقت الكلمتان في النون والهاء . ومثل هذا قول الصفدي: "وفيه أيضاً: ميلك إلى مولدك ، من كرم محتدك" ^(٢). وقوله أيضاً: "قال برز جمهر: من علامات العاقل بره بإخوانه ، وحنينه إلى أوطانه ، ومُداراته لأهل زمانه" ^(٣).

(٤) قال ابن زيدون: "عارضها النظم مباحياً ، بل كايده مدهامياً" ^(٤).

يقول الصفدي: لا يريد بهذا الكلام أن النثر إذا تقدم فلا بأس للمتكلم أن يلحقه بشيء من النظم ، لأن النفوس ترتاح إلى ذلك ، ولأن البلاغة دائرة بين هذين النوعين وهما النظم والنثر" ^(٥).

والترصيع هنا في كلمتي "مباحياً ، ومدهامياً" ، حيث اتفقت الفقرتان في الكلمتين الأخيرتين.

(٥) قول ابن زيدون : "وحين أشفق من أن يعطفك استعطافه ، ويميل بنفسك إلى إلفاقه" ^(٦).

وإن كانت هذه العبارة أقل حسناً وجمالاً من سابقتها ، لأن الفقرات غير متساوية ، والسجع يجمل ويحسن إذا تساوت فقره ، وحدث توافق في الحروف

(١) تمام المتن : ص ٣٣٠.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٣١.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٣٠.

(٤) المصدر السابق : ص ٣٨٦.

(٥) المصدر السابق : ص ٣٨٦.

(٦) المصدر السابق : ص ٣٨٧.

الأخيرة . يقول الضياء ابن الأثير متحدثاً عن أفضل السجع: "ألا ترى كيف جاءت الفصول متساوية الأجزاء ، كأنما أفرغت في قالب واحد ، وهو أشرف السجع منزلةً للاعتدال الذي فيه"^(١) . وذلك حينما ذكر الآيات الكريمة: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ ﴾ [الضحى: ٩ - ١٠] ويفضل السجع لوروده في القرآن الكريم.

(١) المثل السائر ، لابن الأثير : ج ١، ص ٢٣٣.

المبحث الثالث

الاقتباس والتضمين

ذكرت الاقتباس والتضمين ، لأنّ كلاهما : هو أن يضمن الأديب كلامه شيئاً من كلام غيره^(١) .
تعريف الاقتباس :

هو أن يضمن الأديب كلامه شيئاً من القرآن الكريم ، أو الحديث النبوي الشريف لا على أنّه منه . يقول الهاشمي: " هو أن يضمن المتكلم منشوره أو منظومه شيئاً من القرآن ، أو الحديث على وجه لا يشعر أنّه منهما"^(٢) . ومثل ذلك قول ابن حجر العسقلاني:

خاض العواذل في حديث مدامعيلما جرى كالبحر سرعة سيره
فسحبته لأصون سر هواكم حتى يخوضوا في حديث غيره^(٣)
فقد اقتبس جزءاً من الآية ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠] ولا تكاد تشعر أنّها جزء من آية.
تعريف التضمين :

هو أن يضمن الشاعر شعره شيئاً من شعر الغير ، مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند أهل البلاغة والأدب . يقول الهاشمي: " أن يضمن الشاعر كلامه شعراً لدي نقاد الشعر وذوي اللسن"^(٤) . ومن التضمين قول الصفدي:
دبّ العذار فظن منه لائمي أني أكون عن الغرام بمعزل
لا كان ذاك فإني من معشر لا يسألون عن السواد المقبل^(٥)

(١) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج٤ ، ص٣٥٧ .

(٢) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص٣٣٤ .

(٣) الكشكول ، لبهاء الدين العاملي ، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي مفتي ليبيا : ج١ ، ص١٠٤ .

(٤) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص٣٣٧ . انظر: الإيضاح ، للقزويني : ص٢٦٤ .

(٥) الكشكول ، لبهاء الدين العاملي : ج٢ ، ص١٠٦ .

فقد ضمن شعره عبارة "لا يسألون عن السواد المقبل" وهي عجز منبئت
لحسان بن ثابت من قصيدته التي يمدح بها آل جفنة بالشام ، وصدر البيت هو:
"يغشون حتى ما تهر كلابهم" . وقوله أيضاً: "وقلت أنا مضمناً قول ابن
عبدون:

ورب أعور يشكو ضعف آله عن النكاح لما يلقي من الكبر
لا تشك من ريب الزمان أدنى فالدهر يفجع بعد العين بالأثر"^(١).
الاقتباس والتضمين في كتاب تمام المتون
(١) قال ابن زيدون: "ومع اليوم غد ، ولكل أجل كتاب"^(٢).

ضمن ابن زيدون كلامه هذا شيئاً من القرآن الكريم ، وهو ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ
كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] . ولا يشعر القارئ بأن ما اقتبسه من القرآن ، وهذا من
الاقتباس الجميل . يقول الصفدي: "ولكل أجل كتاب لفظ القرآن العظيم ،
والأجل : مدة الشيء ، ومعناه لكل شيء أجل مكتوب ، وأوقات محدودة ، أو لكل
أجل أجله الله كتاب أثبتته فيه ، لا يتقدم عن وقته ولا يتأخر"^(٣). ومن الذين
اقتبسوا هذا المعنى وضمنوه شعرهم السراج الوراق ، يقول الصفدي: وما أحسن
قول السراج الوراق ومن خطه نقلت :

أراني بطيئاً إذا ما كتبتوقد خلقت طينتي من عجل
كأنني خالفت نص الكتاب فعندي لكل كتاب أجل^(٤)
فقد اقتبس المعني وجعل المبتدأ "كتاب" في الآية مضافاً إليه ، والمضاف
إليه "أجل" مبتدأ . ومن الاقتباس ما ذكره الصفدي: "كان ابن الرومي منهوماً

(١) صرف العين ، للصفدي ، تحقيق دكتور محمد عبد المجيد لاشين، دار الآفاق العربية مدينة نصر،

القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م : ج ٢ ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٢) تمام المتون : ص ٨٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٨٣ .

(٤) المصدر السابق : ص ٨٣ .

بالأكل ، وكان يعجبه السمك ، فوعده أبو العباس أحمد المزيدي أن يبعث إليه كل يوم سبت وظيفة من السمك لا تنقطع عنه ، ثم قطعه . فقال:

ما لحيتاننا جفتــــنا وإن أخلفت الزائرين منتظرهم
جاء في السبت زورهم فأتتنا من حفاظ عليهم ما يكفيهم
وجعلناه يوماً عيد عظيم فكأنا اليهود أو نحكيهم
وآراهم مصممين على الهجـ رفلـم يـسـخـطون من يـرضيهم!
قد سبتنا وما أتتنا وكانوا يوم لا يسبتون لا تأتيهم" (١)

فقد اقتبس ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ في شعره ، وهي جزء من قوله تعالى: ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣]. ومن الاقتباس الجيد قول بعض الأعراب :

لقد بخلت حتى لو أني سألتها قذيالعين من ضاحي التراب لضنت
فإن بخلت فالبخل منها سجية وإن بذلت أعطت قليلاً وأكدت (٢)
في قوله: " أعطت قليلاً وأكدت " اقتباس فقد اقتبس في شعره شيئاً من
القرآن الكريم ، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْثَى ﴾ [النجم: ٣٤]
(٢) قال ابن زيدون: " بعد أن نظر الأعمى ، إلى تأميلي لك " (٣).

ضمن ابن زيدون رسالته جزء من شعر المتنبي يقول الصفدي: " وهو يشير
إلى قول أبي الطيب:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم (٤)

(١) تمام المتن : ص ١٢٤.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٦٨.

(٣) المصدر السابق : ص ٤٢.

(٤) المصدر السابق : ص ٤٢.

هذا ونجد ابن زيدون في بعض الأحيان يضمن رسالته بيتاً كاملاً ومثل ذلك قول المتنبي أيضاً:

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شي بعدكم عدم^(١)
يقول الصفدي: "وما أحسن ما أنشدنيه لنفسه إجازة الشيخ العلامة
شهاب الدين محمود^(٢) صاحب ديوان الإنشاء بالشام:
قل للذين رجونا والأمور لها حكم بأنا سنحظي أنا نرافقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكم يامن يعز علينا أن نفارقهم^(٣)
فقد ضمن الشهاب محمود جزءاً من شعر المتنبي في شعره.
٣) قال ابن زيدون: "والحين قد يسبق جهد الحريص"^(٤).

ضمن ابن زيدون رسالته شطر بيت من شعر عدي بن زيد العبادي^(٥).
وكان يجب عليه أن يشير إلى اسم عدي بن زيد في الرسالة ، حتى يعلم القارئ
أنه مأخوذ من قصيدته . يقول الجلال السيوطي: "التضمين أن يضمن شعره شيئاً
من شعر الغير ، مع التنبيه على أنه من شعر الغير إن لم يكن مشهوراً عند
البلغاء ، لئلا يتهم بالأخذ والسرقة وإلا فلا حاجة إليه"^(٦). ولكن الصفدي ذكر
ذلك وأشار إليه بقوله: " وهذا نصف بيت من أبيات لعدي بن زيد العبادي:
قد يدرك المبطئ من حظه والحين قد يسبق جهد الحريص^(٧)

(١) تمام المتون : ص ٣٤٥ . انظر : ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ٢٦٧.

(٢) محمود بن سلمان بن فهد الشهاب الحلبي ثم الدمشقي أبو الثناء : الصدر الكبير والشيخ
الإمام العالم ، شيخ صناعة الإنشاء . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٩٩٩.

(٣) تمام المتون : ص ٣٤٦.

(٤) المصدر السابق : ص ٥٦.

(٥) عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي : شاعر من دهلة الجاهليين . انظر : الأعلام ،
للزركلي : ج ٤ ، ص ٢٢٠.

(٦) شرح عقود الجمان ، للسيوطي ، ص ١٦٩.

(٧) تمام المتون : ص ٥٦.

(٤) قال ابن زيدون: "والغواة الذين لا يتركون أديماً صحيحاً"^(١).

وهنا ضمن رسالته من شعر الشاعر:

ولا تفش شرك إلا إليك فإن لكل نصيح نصيحاً
فإنني رأيت غواة الرجال لا يتركون أديماً صحيحاً

وقد أشار الصفيدي إلى ذلك ، وذكر البيتين وعلق عليهما بقوله: "وبعض الناس يزعم أن هذين البيتين لعلي بن أبي طالب عليه السلام، والصحيح أنه كان يتمثل بهما كثيراً"^(٢). ومعني قوله: " لا يتركون أديماً صحيحاً" أي: لا يدعون أحداً حتى ينالون منه .

(٥) قال ابن زيدون : "كل الصيد في جوف الفرا"^(٣).

وهذا مثل يضرب لمن يفضل على أقرانه ، وهو مشهور . وقد جاء مضمناً في الرسالة ، وهنالك شعراء كثيرون ضمنوا هذا المثل شعرهم ، نورد منهم:
قول صاحب شرف الدين بن عنين:

نسخت خلائقه الكريمة ما أتى في الكتب عن كسرى الملوك وقيصر
لا تسمعن حديث مَلِك بعده يروى فكل الصيد في جوف الفرا^(٤)
وقول أبو اسحاق الغزي:

لا تسألن سوى السعادة للعلا سبباً فكل الصيد في جوف الفرا^(٥)
وقول ابن المعلم:

طوي الوري شعري عنه وانشئ يقول كل الصيد في جوف الفرا^(٦)

(١) تمام المتون : ص ٢٢٩.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٢٩.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٣٧.

(٤) المصدر السابق : ص ٣٣٧.

(٥) المصدر السابق : ص ٣٣٨.

(٦) المصدر السابق : ص ٣٣٨.

وقول أبو الحسين الجزار في المديح:

وطالما حدثت نفسي بالغني منك وما كان حديثاً يفتري
ولست اختار كريماً بعدها عنك ؛ وكل الصيد في جوف الفرا^(١)

ففي البيت الأول اقتباس حيث اقتبس جزءاً من الآية الكريمة ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١] ، وفي البيت الثاني تضمين للمثل أعلاه.

وقول الصفي الحلي ، يقول الصفدي: "وذكرت هنا ما أنشدني لنفسه الشيخ صفي الدين الحلي رحمه الله في مליح لابس شمل فروة:

بصُروا بفُروك فازدروك لحالة أضحى بها معروف حسنك منكرا
كل أدار الطرف عنك محاولاً صيداً ، وكل الصيف في جوف الفرا"^(٢)
وكثير من الشعراء السابقين ضمنوا أبياتهم هذا المثل من كلام غيرهم.
٦) وقال ابن زيدون: "و أكرم غير مكرم ، وأشكو شكوى الجريح إلى العقبان والرخم"^(٣).

ويتحدث ابن زيدون عن سوء الحال الذي وصل إليه حيث لا أحد يكرمه ، وشكواه لا تأتي بفائدة ، فهي مثل شكوى الجريح إلى هذه الطيور التي تنهش عظامه وتأكله ، فهي لا تدري بحاله . وقوله " وأشكو شكوى الجريح إلى العقبان والرخم " تضمين لعجز بيت من شعر المتنبي صدره:

"ولا تشك إلى خلق فتشمتهم"^(٤) . ومعني البيت يجب على الإنسان ألا يشكو حاله إلى الناس ، مثل شكوى الجريح للغربان والرخم ، لأن النفس الشريفة ترى الموت خلوداً وبقاءً ، وهذه جليلة يعجز الخلق عن ركوبها.

(١) تمام المتون : ص ٣٣٨.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٣٨.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٤٩.

(٤) المصدر السابق : ص ٣٤٩ . انظر : ديون المتنبي ، للعقباوي : ص ٣٨٩.

(٧) قال ابن زيدون: "فإنَّ الحائز لهما ، الضارب بسهم فيهما ، وقليل ما هم"^(١). وهذا اقتباس حيث اقتبس شيئاً من القرآن الكريم من غير دلالة على أنه منه ، وهو جزء من الآية الكريمة ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۖ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ۖ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص: ٢٤].

ومن الاقتباس الجيد الذي استشهد به الصفدي قول بكر بن حماد^(٢): وكان منه على رغم الحسود له مكان هارون من موسى بن عمران^(٣) ففي قوله: مكان هارون من موسى بن عمران" مقتبس من قوله ﷺ للإمام عليّ كرم الله وجهه: " أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُّوسَىٰ " ^(٤). ومن الاقتباس قول الشاعر:

إلى النارياء ولد الزانية وهذا الهوى إلى الهاوية

وقعت فيا بردها في القلوب ويا ليتها كانت القاضية^(٥)

والاقتباس هنا مأخوذ منقوله تعالى: ﴿ يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾ [الحاقة: ٢٧] وغرضه من الاقتباس أن يستعير من قوة النص القرآني قوة ، وأن يبين ويكشف عن مهارته في إحكام الصلة بين كلامه وبين ما أخذه.

ومن الأبيات التي ضمنها ابن زيدون في رسالته قول المتنبي:

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللائي سررن ألوف^(٦)

(١) تمام المتون : ص ٣٣٣.

(٢) بكر بن حماد بنسمك الزناتي أبو عبد الرحمن التاهرتي : شاعر وعالم . انظر : الأعلام ،

للزركلي : ج ٢ ، ص ٦٣.

(٣) تمام المتون : ص ٢٠١.

(٤) صحيح البخاري : ج ٢ ، ص ٢١٨ .

(٥) تمام المتون : ص ٥٨.

(٦) المصدر السابق : ص ٨٨ . انظر : شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج ٣ ، ص ٣٦.

وقول البحري:

إلا يكن ذنب فعدلك واسع أو كان لي ذنب فضلك أوسع^(١)

وقول النابغة الذبياني:

حلفت فلم أترك لنفس ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب^(٢)

ونختم هذا الباب بأبيات في التضمين الأولى وهي قول الصفدي: " ولما أتصل ابن زيدون بخدمة المعتمد بن عباد وتمكن منه وحسنت حالته عنده ألقى إليه بعض الحسدة رقعة فيها مكتوبة:

لا تترك للناس موضع شبهة وأحزم فمثلك في العظام يحزم

قد قال شاعر كندة فيما مضى بيتاً على مر الليالي يعلم

" لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم"^(٣)

فقد ضمن البيت الأخير ، وقد أشار إلى أنه لأبي الطيب المتنبي.

وقول الصفدي نفسه:

وجارية تلهي النديم إذا علا عليها بطول الدهر في حال فعله

تقول كذا لي عادة مستمرة "أضحك ضيفي قبل إنزال رحله"^(٤)

وهذا تضمين وقد أخذه الصفدي من قول حاتم الطائي^(٥):

أضحك ضيفي قبل إنزال رحله و يخلص عندي والزمان جديب

وما الخصب للأضياف أن تكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب^(٦)

(١) تمام المتون : ص ١٠٣ . انظر : شرح ديوان البحري ، للفخوري : ج ٢ ، ص ٨٩ .

(٢) تمام المتون : ص ٣٣٩ . انظر : ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتقديم عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ : ص ٢٧ .

(٣) تمام المتون : ص ٢٣٧ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٣٧ .

(٥) حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي القحطاني أبو عدي: فارس وشاعر وجواد، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٢ ، ص ١٥١ .

(٦) تمام المتون : ص ٣٣٦ .

والعرب كانت تعد ملاقة الضيف بالبشر والترحاب وتهلل الوجه وإظهار السرور من كمال المروءة . وقد ذكر الصفدي أنه ضمن شطر هذا البيت . يقول: " وقد ضمننت أنا صدر ذلك البيت فقلت " ^(١) . ثم ذكر البيتين السابقين . وقد ضمن هذا المعنى ابن زيدون أيضاً في رسالته وذلك في قوله :
٨ قال ابن زيدون : " وضوحك قبل إنزال رحله ، وأعطي حكم الصبي على أهله " ^(٢) .

فقول ابن زيدون: " وأعطي حكم الصبي على أهله " أخذه من قول الشاعر:
ولا تحكما حكم الصبي فإنه كثير على ظهر الصديق مجاهله ^(٣)
قال الصفدي: " وكان أبو سفيان إذا نزل به جار قال له: يا هذا إنك قد اخترتني جاراً ، واخترت داري داراً ، فجناية يدك عليّ من دونك ، وإن جنت عليك يد فأحتكم حكم الصبي على أهله " ^(٤) .
٩ قال ابن زيدون: " وحاشاك أن أعد من العاملة الناصبة " ^(٥) .

وكلام ابن زيدون مقتبس من الآية الكريمة: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِعَةٌ ﴾ ^(٦)
عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿ [الغاشية: ٢ - ٣] . يقول الصفدي: " وقوله : " أعد من العاملة الناصبة " المراد بذلك : وجوه اليهود والنصارى ، أو جميع الكفار ، وجوه عملت في الدين ونصبت ، أي : تعبت في أعمال لا تنفعها في الآخرة ، لأنّ الرهبان ينصبون بصيام النهار وقيام الليل ويتركون ملاذهم " ^(٦) .

(١) تمام المتن : ص ٣٣٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٣٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٣٧ . انظر : الكامل ، للمبرد : ج ١ ، ص ٤١ .

(٤) تمام المتن : ص ٣٣٧ .

(٥) المصدر السابق : ص ٣٠٤ .

(٦) المصدر السابق : ص ٣٠٤ .

المبحث الرابع

الطلب

تعريفه :

يقول ابن حجة: "وهو أن يلوح الطالب بالطلب بألفاظ عذبة ، مهيبة ، منقحة ، مقترنة بتعظيم الممدوح ، خالية من الألحان والتصريح ، بل يشعر بما في النفس دون كشفه"^(١). فالإنسان البليغ ، صاحب الألفاظ العذبة ، والمعاني الرائعة ، يستطيع تحقيق طلبه . وقد ذكره الصفدي في شرحه لقول ابن زيدون: "فاستحسن العائدة منه ، واعتد بالفائدة"^(٢).

يقول الصفدي: "وهذا الكلام أخرجه مخرج التوكيد لاستعطاف ابن جهور ، وميل نفسه إلى هذا النظم ، وقبوله له ، وأنه صادف من قلبه موضعاً ، فكأن هذا الأمر صار وأنفصل حكمه . وهذا من باب من قولك: غفر الله له ورحمه ، وهذا إنما هو في الأصل دعاء ، والدعاء طلب ، والطلب استدعاء أمر لم يكن بعد ، ولكن تُخْرِجُه مخرج أمر قد صار ومضى ووقع ، وثوقاً برحمة الله وطمعاً في جوده . وما أحسن ما أتى بهذه الألفاظ في حق النظم ، وأنه الذي يبلغه المقصود لا النثر ، وإن كان قد جاء في النثر بما هو السحر الحلال ، والخدعة التي لا تحيد لها عن الأنفعال ، ولكن هذا كله من التصرف في فنون البلاغة ، وقوة المعارضة ، فهو يغالطه من هاهنا ، ويخدعه من هنأ ، ويكابه من هنا ، حتى يظفر منه بمبراهه"^(٣). ففي حديث ابن زيدون وثوق تام بحدوث العفو ، وحصول الصفح واللفظ من ابن جهور . أي: نقل المستقبل إلى الماضي وكأنه قد وقع . ومثله قول أبي الطيب:

(١) خزانة الأدب، ابن حجة الحموي : ج٤، ص٤١٩.

(٢) تمام المتون : ص٣٨.

(٣) المصدر السابق : ص٣٨٩.

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب^(١)

فأبو الطيب لوح وأشار بطلبه بهذه الألفاظ البليغة ، البديعة المنقحة ، التي ذكر فيها حاجته إيماءً مع تعظيم الممدوح . يقول: إنّ في نفسي حاجات لا ينبعث بها لساني ، وأنت من الفطانة والذكاء بحيث تدركها دون أن اذكرها ، فسكوتي عنها يقوم مقام الإفصاح عنها ، فالشاعر لا يطلب طلباً مباشراً وإنما يلوح تلويحاً بألفاظ تؤكد سمو وعظمة الممدوح .

والطلب ما هو إلا استعطاف واستلطاف ، ولكن بكلام مستعذب حسن لذيد مطمع في القبول . يقول الصفدي: "وفي المثل" تلطف أبي غزوان "وهو كنية القط، لأنك ترى القط الذي يكون عندك في البيت _ولا أعني به الأجنبي _ ، كيف يقف حذاءك ويخضع لك ، ويتمرغ على يديك ، وي طرح نفسه على ما يقرب منه من جسدك ، وتارة ينظر إليك ، وتارة يصيح ، ولا يزال بك حتى تطعمه ، إما رحمة له ، أو ضجراً منه"^(٢).

والظاهر أنّ الصفدي أشار إلى مصطلح "الطلب" هذا بعد تأمله ، ونظره فيما قاله بعض السابقين من علماء البديع ، الذين ذكروه وقسموه إلى عدة أقسام^(٣).

(١) شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج١، ص٣٤.

(٢) تمام المتون : ص٣٨٩.

(٣) الإيضاح ، للقزويني : ص٢٧٣ . انظر : جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص٣٤٠.

الفصل الثاني : المحسنات المعنوية

- المبحث الأول : المذهب الكلامي .**
- المبحث الثاني : النمثيل والشمانة .**
- المبحث الثالث : حسن النعليل .**
- المبحث الرابع : المبالفة .**
- المبحث الخامس : النورية .**
- المبحث السادس : النقسيم**
- والاستنقضاء والإسجال بعد المغالطة .**
- المبحث السابع : العكس والنبدیل**
- والحل والعقد وإرسال المثل .**

المبحث الأول

المذهب الكلامي

تعريفه :

هو أن يحتج المتكلم على خصمه بحجة تقطع عناده ، وتوجب له الاعتراف بما ادعاه المتكلم ، وإبطال ما أورده الخصم . قال ابن الأثير : "وسمي بالمذهب الكلامي لأنه يسلك فيه مذهب أهل الكلام في استدلالهم على إبطال حجج خصومهم"^(١). ومعني هذا أن يأتي المتكلم بأدلة وبراهين تؤكد صحة دعواه ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ، فانتفاء الفساد ، دليل على انتفاء آلهة غير الله ، وهذا دليل قوى وبرهان واضح ، وحجة من أقوى حُجج وأدلة التوحيد. ويعرفه القزويني بقوله : "المذهب الكلامي وهو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام"^(٢). ويستشهد القزويني بعدد من الآيات الكريمة التي وردت لإحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، وإقامة الحجة على المعاندين . ومن الآيات التي استشهد بها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] ، يقول القزويني : "أي: القمر أفل ، وربى ليس بأفل ، فالقمر ليس بربى"^(٣). وهذه حجة قوية تؤكد أن الذين يعبدون القمر على باطل ، لأن القمر يغيب ، وأما الذين يعبدون الله فهم على حق ، لأن الله دائم حي لا يموت.

المذهب الكلامي في كتاب تمام المتون

يقول الصفدي: "وقد سمي الجاحظ هذا النوع من البديع بالمذهب الكلامي ، وزعم ابن المعتز أنه لا يوجد منه شيء في الكتاب العزيز ، وهو كثير

(١) جواهر الكنز ، لنجم الدين بن الأثير : ص ٣٠٢.

(٢) الإيضاح ، للقزويني : ص ٢٣٣.

(٣) المصدر السابق : ص ٢٣٣.

فيه إلى الغاية"^(١). فالصفدي يؤيد كلام الجاحظ. ويخالف ابن المعتز مؤسس فن البديع ويذكر عدداً من الشواهد من القرآن يقول : "ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ، وقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١] ... الخ"^(٢).

وسوف نذكر هذه الشواهد ، ونحللها مع توضيح المذهب الكلامي فيها. وكلام الصفدي صحيح أن هذا الفن كثير في القرآن ، وذلك لأن كثيراً من آيات القرآن الكريم جاءت رداً على عناد الكافرين وإلحادهم ، واحتجاجاً عليهم. (١) قال ابن زيدون:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب^(٣)

قال الصفدي: "هذا البيت من جملة أبيات قالها النابغة _ وأسمه زياد بن معاوية _ يعتذر فيها للنعمان ويمدحه ، وأولها:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني	وتلك التي أهتم منها وأنصب
فبت كأن العائدات فرشن لي	هراساً به يعلى فراشي ويقشب
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة	وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة	لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولكنني كنت امرأً لي جانب	من الأرض فيه مستراد وملعب
ملوك وإخوان إذا ما مدحتهم	أحكم في أموالهم وأقرب
كقولك في قوم أراك اصطنعتهم	فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا ^(٤)

ومعنى الأبيات : أبيت أن تأتي امرأً تلعن عليه ، وتلك التي يصيبني منها الهم والإعياء ، فبت ليلتي كأن زائرتي وعائداتي في المرض فرشن لي الهراس

(١) تمام المتن : ص ٢٤٠.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٤٠.

(٣) المصدر السابق : ص ٢٣٩.

(٤) المصدر السابق : ص ٢٣٩ . انظر : ديوان النابغة : ص ٢٧.

_وهو نبت له شوك كثير _ ، أراد أن يوضح حالة السوء التي يعيش فيها لعدم رضا الملك عنه ، وهي صورة تمثيلية رائعة ، ويقسم له بالله ليؤكد صدقه ، وأنّ الذي نقل له هذه الوشاية كذوب وغشاش . ثم يقول مخاطباً النعمان بن المنذر:

إنّ لي مصالح ومنافع في الأرض التي أذهب إليها ، وأتردد نحوها ، وفي هذه الأرض ملوك وأصحاب إذا أنا مدحتهم ، وأثنت عليهم ، حكموني في أموالهم ، وأعطوني ما أريده ، وقربوني منهم ، مثلما تفعل أنت حينما يفد إليك شعراء من غير شعرائك الخاصين بك ، فيمدحونك وأنت تكرمهم ، وتجزل لهم العطايا ، ولا تراهم مذنبين مع أنّهم في الأصل شعراء لغيرك ، فعاملني كما تعامل أولئك. أي: إذا كان هؤلاء الشعراء الذين ليسوا من خاصتك ومدحوك ، وأنت أكرمتهم ، وأنت ترى أنّهم غير مذنبين ، فلماذا اتّهم أنا بالذنب ؟ وأنا إنّما صنعت كما صنعوا . فالنابغة الذبياني يقيس حالته بحالة هؤلاء الشعراء ، ويسوق الأدلة والحجج القوية على براءته.

يقول الصفدي: "والنابغة كان يتحدث مع النعمان في هذه الأبيات فيقول:

أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك ، وأنا أحسن إليّ قوم فمدحتهم، فكما أنّ مدح أولئك لا تعدّه ذنباً ، فكذلك مدحي لمن أحسن إليّ لا يكون لي ذنباً عندك"^(١).

وهذا يدل على حنق الشاعر ومهارته في الاحتجاج ، حتى استطاع أن يعود مرة أخرى للملك.

قال الصفدي: "عن الشعبي قال عمر رضي الله عنه: من أشعر الناس؟ قالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين، قال: من الذي يقول:

إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فأحددها عن الفند
وخيس الجن إنّني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد
قالوا: النابغة، قال فمن النبي يقول:

أتيك عارياً خلقاً ثيابي على خوف تظن بي الظنون

(١) تمام المتون : ص ٢٤٠ . انظر : علوم البلاغة ، للمراغي : ص ٢٣٣ .

قالوا : النابغة، قال: فمن الذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا : النابغة ، قال: فهو أشعر العرب"^(١).

ومن شواهد الصفدي على وجود المذهب الكلامي في القرآن الكريم :

(١) قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ، وقد تم الحديث عنها ، وتوضيح المذهب الكلامي في مقدمة الحديث عن هذا الفن . يقول التفتازاني: "واللازم هو فساد السموات والأرض باطل ، لأنّ المراد به خروجهما عن النظام الذي هما عليه ، فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة"^(٢).

(٢) وقوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ويفهم منها أنّه ليس مع الله من إله ، وكأنّ قائل ذلك قال: ولو سلمنا أنّه معه إله للزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق ، وعلو بعضهم على بعض ، فلا يتم في العالم أمر ، ولا ينفذ حكم ، والواقع خلاف ذلك ، ففرض إلهين فصاعداً محال لما يلزم منه المحال. قال سيد قطب : "وهذا صحيح لأنّ كل إنسان مسلم أو مشرك لا ينكر تناسق الكون ، وحركته المنظمة ، وهذا وحده إقناع لصاحب الفطرة السليمة على أنّ إله هذا الكون واحد لا شريك له"^(٣).

(٣) قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].
أي : أنّ القدرة التي تعلق بابتداء الخلق وإنشائه ولمن تكن قبل ذلك شيئاً تعلقت بإعادته مرة أخرى ، فالله عز وجل هو الذي يبدأ الخلق ، وهو الذي يعيده ، وهو أهون عليه ، لأنّ الإعادة أسهل من البدء . يقول الهاشمي: "وكل ما هو

(١) تمام المتون : ص ٢٤٠ . انظر : ديوان النابغة الذبياني : ص ٣٣.

(٢) المطول في شرح تلخيص المفتاح ، للتفتازاني : ص ٦٦٧.

(٣) في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ١٧ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ج ٤ ، ص ٣٣٧.

أهون عليه ، فهو أدخل تحت الإمكان ، فالإعادة ممكنة" ^(١) . ومن المذهب الكلامي ما رواه الصفدي: "ومن عجيب الدهاء أن قوماً قدموا خصماً لهم إلى الحاكم ، فقالوا: لنا عليه مال، فقال: صدقوا أيها الحاكم سألتهم المهلة إلى أن أبيع مالي من عقار ، ورقيق ، وإبل ، وشاء ، فقالوا: كذب ، _ أعزك الله _ وإنما يداهينا بذلك ، فقال: أيها الحاكم قد شهدوا لي بالإعسار ، فخلى الحاكم سبيله" ^(٢) . فقد رد عليهم بالحجة القاطعة ، والبرهان الساطع ، الذي جعل الحاكم يقتنع بكلامه . وقد قطعت حجته عنادهم.

(٤) قوله تعالى : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ^(٨١) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ^(٨٢) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿ [الأنعام: ٨٠ _ ٨٣].

يقول المراغي: "﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ﴾ أي : وجادله قومه في أمر التوحيد ، فهو حين أبان لهم بطلان عبادة الأصنام ، وربوبية الكواكب ، وأثبت لهم وحدانية الله ، ووجوب عبادته وحده ، حاجوه ببيان أوهامهم في شركهم، إذ قالوا : إنَّ إتخاذ الآلهة لا ينافي الإيمان بالله الفاطر للسموات والأرض ، لأنهم شفعاء عنده ، ولما لم يجد ذلك معه ، خوفوه أن تمسه آلهتهم بسوء ، وانتهت بهم خاتمة المطاف أن قالوا: أنهم ساروا إلى ما وجدوا عليه آباءهم . وليس للمقلد أن يحتج للحجة إذا قامت عليه ، وكثيراً ما يضطرب المقلد لسماع الحجة إذ يومض في قلبه نورها ، ثم يعود إلى سابق وهمه خائفاً مما لا يخيف، راجياً ما لا يرجي" ^(٣) .

(١) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص ٢٩٥ . انظر : المطول ، للتفتازاني : ص ٦٦٨.

(٢) تمام المتون : ص ٣٨٦.

(٣) تفسير المراغي ، لأحمد مصطفى المراغي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،

مصر ، ط ٣ ، ١٣٩٤ هـ _ ١٩٧٤ م : ج ٧ ، ص ١٧٥.

والآيات السابقة قطعت عناد المشركين ، وأقامت عليهم الحجة الواضحة .
ولتأكيد وجود المذهب الكلامي في القرآن الكريم كما قال الصفدي . انظر إلى
تفسير المراغي لقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ حيث
يقول: "وتلك الحجة الدامغة التي تضمنها البيان السالف المثبتة للحق ، المزيفة
للباطل ، هي الحجة التي أرشدنا إليها إبراهيم ، وأعطيناه إياها ، ليلزم قومه
ويقنعهم بها"^(١).

والآيات الكريمة تحوى بياناً مفصلاً ، وجواباً شافياً من المولى _ عز وجل _
به القضاء الفاصل بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين الذين حاجوه من قومه . ويختتم
المراغي حديثه بقوله: "وأعلم أن معرفة الله تعالى لا تحصل على الوجه الصحيح
إلا بتعليم الوحي ، وعلم الأنبياء به ضروري لا نظري ، فقد علمهم به ما لم
يكونوا يعلمون من الحجج العقلية ، والدلائل النقلية ، إلى نحو ذلك مما هداهم
الله"^(٢).

(١) المصدر السابق : ج٧ ، ص ١٧٩ . انظر : تمام المتون : ص ٢٤١.

(٢) التفسير ، للمراغي : ج٧ ، ص ١٧٣.

المبحث الثاني

النمثيل والشمانة

تعريف التمثيل :

عرفه قدامة بقوله : "أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى ، فيضع كلاماً يدل على معنى آخر ، وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد أن يشير إليه"^(١). ويؤيد ابن حجة قول قدامة بقوله: "التمثيل ما افترعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى ، وقال: هو أن يريد المتكلم معنى لا يدل عليه باللفظ الموضوع له ، ولا بلفظ قريب من لفظه ، وإنما يأتي بلفظ هو أبعد من لفظ الأرداف ، يصلح أن يكون مثلاً للفظ المعنى المراد ، كقوله تعالى: ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] وهذا التمثيل العظيم في غاية الإيجاز ، وحقيقته أي : هلك من قضى هلاكه ، ونجي من قُدرت نجاته"^(٢). والغرض منه الإيجاز.

التمثيل في كتاب تمام المتون

قال ابن زيدون: "وذلك بيده وهين عليه"^(٣).

والمعنى: كل الأمر راجع إليه جل وعلا ، وهو المتصرف في الحكم كيف أراد على ما يختار ، كما يكون الشيء بيده ، وهذا تمثيل . يقول الصفدي: "وهذه كناية عن القدرة والاستيلاء ، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَكُوتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧] وفي قوله: ﴿ بِيَمِينِهِ ﴾ لطيفة: لأنه لم يقل "في يمينه" حتى ينفي الظرفية التي هي من لوازم الأجسام . وكل هذه العبارة كناية عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل فتبارك الله العظيم ، وهذا النوع يسميه أرباب البديع التمثيل"^(٤).

(١) نقد الشعر، لقدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط ٣ : ص

١٥٩_١٦١.

(٢) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج ٢ ، ص ٣٤٥.

(٣) تمام المتون : ص ٣٨٣.

(٤) المصدر السابق : ص ٣٨٢.

وأرى أنّ التمثيل هذا أشبه في علم البيان بالكناية ، لأنّ المتكلم يعدل عن لفظ إلى لفظ آخر ، والفرق هو ما وضحه ابن حجة في شرحه لقوله تعالى: ﴿ وَفُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] ، حيث يقول: "وما عدل عن لفظ الخاص إلى لفظ التمثيل إلا لأمرين أحدهما : الاختصار لبلاغة الإيجاز، والثاني : كون الهلاك والنجاة كانا بأمر مطاع ، ولا يحصل ذلك من اللفظ الخاص"^(١).

ويستشهد الصفدي للتمثيل بقول الرماح بن ميادة:

ألم تك في يميني يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمالكا^(٢)

أراد أن يقول للأمير : أنني كنت قريباً منك ، فلا تجعلني بعيداً عنك ، فعدل عن هذا اللفظ إلى لفظ آخر ، وهو أنني كنت في يمينك فلا تجعلني في شمالك ، وكلا الكلامين _ الكلام الذي وضعه ، والمعنى الآخر الذي يقصده ، ينبئان بما يشير إليه بلفظ ومعنى يجريان مجري المثل له ، والإبداع في المقالة _ وقد أشار باليمين إلى الرضا ، وبالشمال إلى السخط .

يقول الصفدي: "أراد أن يقول : ألم أكن قريباً منك ؟ فلا تجعلني بعيداً عنك ، فعدل عن هذا اللفظ الخاص إلى لفظ أعم ، وهو التمثيل ، لما فيه من الزيادة في المعنى ، مما تعطيه لفظتا اليمين والشمال من القرب والبعد ، ومن الأوصاف التي لا يحصل إلا بذكرهما ، لأنّ اليمين أشد قوة من الشمال ، وأقرب إلى ربها ، لأنّها بها يأخذ ويعطي ويبطش ، ويعمل الصنائع ، وبها يعتمد ، وهي عنده مكرّمة على الشمال ؛ فهذه للأفعال الشريفة ، وتلك للأعمال الخسيسة ؛ ولهذا كانت يمين رسول الله ﷺ لأكل وشرابه ووضوئه ونعله ، وشماله لاستنجائه وإمالة الأذي عنه"^(٣).

(١) خزانة الأدب، لابن حجة الحموي : ج٢، ص٣٤٥.

(٢) تمام المتون : ص٣٧٣ . انظر: نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر : ص١٦٠.

(٣) تمام المتون : ص٣٨٣ . انظر : تحرير التحبير ، لابن أبي الأصبع : ص٢١٦.

تعريف الشماتة :

يقول ابن أبي الأصبع معرّفًا الشماتة: "إظهار المسرة بمن نالته محنة ، أو أصابته نكبة"^(١).

الشماتة في كتاب تمام المتون

وقد ذكرها الصفدي معلقاً على البيت الذي أورده ابن زيدون في رسالته:

كل المصائب قد تمر على الفتى فتتهون غير شماتة الحساد^(٢)

يقول: "وقد جاءت الشماتة في القرآن الكريم في مواضع منها قوله تعالى:

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ ، فقوله: ﴿ ذُقْ ﴾ شماتة وقوله: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ

الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ تهكم ، وقوله تعالى: ﴿ أَأَكْفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ

الْمُفْسِدِينَ ﴾ فعلى هذه الشماتة من أنواع البديع"^(٣). يقول ابن حجة الحموي:

"وفي الاستعمال المصطلح: هو عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار ،

والوعد في مكان الوعيد ، والمدح في معرض الاستهزاء ، فشاهد البشارة في موضع

الإنذار من الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ،

وشاهد المدح في معرض الاستهزاء بلفظ المدح قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ

الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾"^(٤). ويذكر الصفدي أمثلة لذلك منها:

قول الشاعر :

إلى الله يا ولد الزانية وهذا الهوى إلى الهاوية

وقعت فيا بردها في القلوب وباليته كانت القاضية^(٥)

(١) تحرير التحير ، لابن أبي الأصبع : ص ٥٦٧.

(٢) تمام المتون : ص ٥٨ .

(٣) المصدر السابق : ص ٥٨.

(٤) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج ٢ ، ص ١٩١ .

(٥) تمام المتون : ص ٥٨.

فالشاعر يظهر السرور بما حدث لهم من نكب ومصائب ، وأن مصيرهم
إلى هذه الهاوية.

يقول ابن الرومي:

لا زال يومك عبرة لغدك وبكت لشجو عينٍ ذي حسدك
فلئن بكيت فطالما بكيته همة لجأت إلى سندك
لو تسجد الأيام ما سجدتِ إلا ليوم فُتَّ في عضدك
يا نعمة ولت غضارتها ما كان أقبح حسنها بيدك
فلقد بدت برداً على كبدي لما غدت حرى على كبك
ورأيت نعمى الله زائداً لما استبان النقص في عددك^(١)
وكل الأبيات السابقة شماتة ، وقد بالغ فيها ، وأشدها البيت الأخير ، لأنّه
يرى أنّ نعم الله تصبح زائدة عليه إذا رأى النقص في عدد عدوه.

(١) تمام المتون : ص ٥٨ .

المبحث الثالث

حسن النعليل

تعريفه :

هو أن يتناسى الأديب صراحة أو ضمناً علة الشيء المعروفة ،
ويأتي بعلّة أدبية طريفة تناسب الغرض الذي يرمي إليه . يقول نجم
الدين بن الأثير: "وهو أن يذكر المتكلم شيئاً حكمه واقع ، أو متوقع ،
فيقدم قبل ذكره علة وقوعه ، لأنّ رتبة العلة مقدمة على المعلول" ^(١).
ومثل ذلك قول المتنبي:

ما به قتل أعاديهِ ولكن يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب ^(٢)

فالمعروف أنّ الملوك يقتلون عدوهم حتى يأمّنوا ، ويسلموا من
شرهم وكيدهم ، لكنّ الشاعر جاء بسبب آخر ، وهو أنّ الذئاب تحتاج
للأكل ، ولذا يقتل العدو حتى إذا أتت الذئاب وجدت ما تأكله ، ولم
ترجع خائبة . يقول الهاشمي: "فإنّ قتل الأعادي عادة للملوك ، لأجل أن
يسلموا من أذاهم وضررهم ، ولكن المتنبي اخترع لذلك سبباً غريباً ،
فتخيل أنّ الباعث له على قتل أعاديهِ لم يكن إلا ما اشتهر وعرف حتى
لدي الحيوان الأعجم من الكرم الغريزي ، ومجيئه إجابة طالب الإحسان ،
ومن ثمّ فتك بهم ، لأنّه علم أنّه إذا غدا للحرب رجّت الذئاب أن
يتسع عليها رزقها ، وتنال من لحوم أعدائه القتلى ، وما أراد أن يخيب لها
مطلباً" ^(٣). والغرض من العلة تأكيد كرمه.

(١) جواهر الكنز ، لنجم الدين ابن الأثير : ص ٢٣٩.

(٢) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ١٢٤.

(٣) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص ٢٩٧.

حسن التعلييل في كتاب تمام المتون:

نجد الصفدي يسمي هذا الفن من فنون البديع أحياناً بـ "حسن التعلييل" يقول: "وهذا الذي يسميه أرباب البديع حسن التعلييل"^(١)، وأحياناً يسميه بتحسين القبيح يقول: "وهذا من باب تحسين القبيح"^(٢). وكلاهما اسم لمسمي واحد فحسن التعلييل هو نفسه تحسين الشاعر لعله اخترعها بدل علة معروفة ، وهذا الفن يعد من أكثر الفنون انتشاراً في كتاب تمام المتون.

(١) قال ابن زيدون: "هل أنا إلا يد أدمها سوارها ، وجبين عض به إكليله"^(٣).

والمعنى: وصف نفسه بأنه يد أدمها سوارها الذي تتحلي وتزين به ، ووصفها أيضاً بأنه جبين عض به تلجه الذي فوقه . أي: أن ما أصابه أتاه من أقرب الناس إليه ، ولم يأت من بعيد . يقول الصفدي: "وهذا مأخوذ من قول أبي الطيب:

بنو كعب وما أثرت فيهميد لم يدمها إلا السوار

بها من قطعه ألم ونقص وفيها من جلالته افتخار

فأبو الطيب أراد أن يأتي بعله طريفة يبرر بها قتل سيف الدولة بن حمدان. لقبيلة بنو كعب التي كان يحسن إليها ويبرها ، ولكنها لم تحفظ الجميل حيث عادت فحاربتة ، فهو لها مثل السوار الذي أدمي اليد ولكن مع ذلك وجوده يضيف عليه جلالاً وجمالاً.

(١) تمام المتون : ص ٧٨.

(٢) المصدر السابق : ص ٦٦.

(٣) المصدر السابق : ص ٦٥.

قال الصفدي : "وقوله : يد أدامها سوارها" يشبه قول البخري^(١)
ويصفه أنه من باب تحسين القبيح ، ويستشهد بأبيات الوزير ابن كلس^(٢)
يقول الصفدي : "أن يعتذر له بشيء يعود قبحه حسناً ، كما اتفق للعزيز
صاحب مصر ووزير ابن كلس لما تسابقا بالحمام ، فسبق حمام الوزير فشق
ذلك عليه ، وأراد الإيقاع به ، فكتب الوزير إليه:

قل لأmir المؤمنين الذيله العلا والنسب الثاقب
طائر ك السابق لکنجاء وفي خدمته حاجب
فسكن غيظ الخليفة"^(٣).

وبعد تعليل الوزير لهذا الأمر الواقع ، وتقديره علة وقوعه قبل
ذكره وإنكاره العلة الحقيقية للسباق ، أتى بعله مبتكرة طريفة من
عنده ، وهو أن حمامه لم يسبق وإنما تقدم على حمام العزيز لأنه
حاجب ، والحاجب يتقدم على الملك ، وهو أقل مرتبة منه ، والملك
يكون حاجبه بالخارج تقابله الوفود قبل الملك ، وهو تعليل مناسب
لأنه أدى الغرض الذي أنشئ من أجله وهو إرضاء الملك. ويقول
الصفدي: "وكما قال الآخر لما احترق حرم النبي ﷺ:

لم يحترق حرم النبي لريبة تخشى عليه ولا هنالك عار
لكنما أيدي الروافض لامست ذاك الضريح فطهرته النار^(٤)
أنكر الشاعر العلة الحقيقية لحرق الروافض لحرم النبي ﷺ وهي

(١) تمام المتون : ص ٦٧.

(٢) المصدر السابق : ص ٦٧. وابن كلس : يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن كلس ، أبو
الفرج: وزير، من الكتاب الحساب ، ولد ببغداد. انظر : الأعلام ، للزركلي: ج ٨، ص ٢٠٢.

(٣) تمام المتون : ص ٦٧.

(٤) المصدر السابق : ص ٦٦.

كيدهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين ، وأتي بعلّة أدبية طريفة تناسب الغرض الذي يرمي إليه ، وهو أنّ النار طهرت الحرم حينما لامسته أيدي الروافض النجسة ، والغرض من العلة هو تأكيد ضلال وكفر الروافض ، لذا صار الحرم طاهراً من ملامستهم له ، وما فعله الروافض قبحهم الله قبيحاً ، ولكن الشاعر جعله مستحسناً بدل أن يكون حريقاً أصبح طهارة . وقريب من هذا قول أبو الحسين الجزار وقد ذكر حريق الحرم المدني ، يقول:

لله في النار التي وقعت به سر عن العقلاء لا تخفيه

أن ليس يبقي في فناء بقية مما بنته بنو أمية فيه^(١)

والجزار ذكر علة أخرى غير علة الشاعر السابق لسبب الحريق ، وهي أنّ النار حرقت ما بناه بنو أمية في الحرم ، وطهرته من كل شيء يتعلق بالأمويين. ولعل الغرض الأسمى الذي يرمي إليه الشاعران هو طهارة وقدسية وجلال الحرم المدني ، من أن يصاب بمكروه ، حتى لا تدخل الظنون والأوهام في قلوب العامة ، والله تعالى أعلم.

(٢) قال ابن زيدون: "فأبطأ الدلاء فيضاً أملؤها ، وأثقل السحاب مشياً أحفلها"^(٢).

وعلى الرغم من أنّ ابن جهور ترك ابن زيدون يمكث في السجن طويلاً ، إلا أنّ ابن زيدون يلتمس له العذر ، ويأتي بعلّة أدبية طريفة ، تجعل القبيح الذي فعله ابن جهور مستحسناً ، وهو أنّ الدلاء البطيئة تأتي مليئة بالماء ، والسحب الثقيلة تكون أكثر مطراً من تلك السريعة ،

(١) تمام المتون: ص ٦٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٧٨.

ولذا تأخير الملك في العفو عنه سيعقبه خير كثير . يقول الصفدي: "أخذ في الاعتذار عن المخاطب لكونه أخر الحنو عليه ، والإجابة إلى ما قصده منه ، وهو الذي يسميه أرباب البديع حسن التعليل ، لأنهم يحسنون الشيء بعباراتهم الفصيحة ، وإن كان الأمر في نفسه قبيحاً"^(١).

وكلام الصفدي يؤكد أن حسن التعليل ، وتحسين القبيح عنده بمعنى واحد ، ويضرب الصفدي أمثلة أخرى لحسن التعليل ، يقول : قال الوزير أبو الغارات طلائع بن رزيك^(٢):

وما أخضر ثوب الأرض إلا لأنّهاليه إذا زارت بأقدامها تخطو
ولا طاب نشر الزهر إلا لأنّهيجر عليها من جلابيها مرط^(٣)
فقد أنكر العلتين الحقيقيتين لإخضرار الأرض ، ولطيب نشر الزهر ، وأتي بعلتين أدبيتين طريفتين من عنده ، وهي على الترتيب خطو أقدامها على الأرض ، وقوله: "يجر عليها من جلابيها مرط" وقصده أن إخضرار الأرض ليس ناشئاً من سبب طبيعي ، وإنما من خطو أقدامها عليها ، وكذلك ما طاب نشر الزهر إلا لأنه يجر علي الأرض مرطاً من جلابيها .

ومثله قول أبو منصور ظافر الحداد^(٤):

قالوا محّا الجدري بهجته قسماً برب منى لقد كذبوا

(١) تمام المتون : ص ٧٨.

(٢) طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح أبو الغارات: وزير عصامي ، يعد من الملوك . انظر :
الأعلام ، للزركلي : ج ٣ ، ص ٢٢٨.

(٣) تمام المتون : ص ٧٨.

(٤) ظافر بن منصور الجذامي ، أبو نصر الحداد: شاعر من أهل الإسكندرية . انظر : الأعلام ،
للزركلي : ج ٣ ، ص ٢٣٦ .

قد صفت الصهباء وجنته لوناً فحمل صفوها الحب^(١)
أنكر الشاعر الأثر الذي تركه الجدري على الممدوح ، وأتى بعلّة
أدبية طريفة من عنده تناسب الغرض الذي يرمي إليه ، وهو أنّ الصهباء
قد جعلت لونه صافياً ، وأنّ هذا الأثر ليس أثر الجدري ، وإنّما هو
الحب.

وفي قول ابن زيدون: "أبطأ الدلاء فيضاً أملؤها"، يقول الصفدي:
"هذا نصف بيت قاله ابن المعتز في الاستسقاء من جملة بيتين وهما
قوله:

قلت وقد ضج رافعاً يده دعوا البرايا فالله يكلؤها
واستيقنوا بالدواء منه كما أبطأ وفر الدلاء أملؤها^(٢)
ويقول أبي الطيب:

ومن الخير بطاء سيبك عني
أسرع السحب في المسير الجهم^(٣)
يقول: إنّ تأخير جودك وما تجود به من سيب وعطايا فيه خير لي ،
لأنّك ستجود لي بالكثير ، وتأخير العطاء قبيح ، لأنّ النفس مولعة بحب
العاجل ، ولكن المتنبي علله وحسّنه بقوله : "أسرع السحب في المسير
الجهم" ، أي : أن ما يسرع من السحاب هو الجهم الذي لا ماء فيه ،
والبطيء منه وهو الذي يأتي بالماء ، وهذه مقارنة جميلة بين الممدوح

(١) تمام المتون : ص ٧٨ . انظر : ديوان ظافر بن الحداد ، تحقيق د . حسين نصار ، دار مصر للطباعة ،
٣٧ شارع كامل صدقي ، الفجالة : ص ٥٣ .

(٢) تمام المتون : ص ٧٨ .

(٣) تمام المتون : ص ٧٩ . انظر : ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ١٤٢ .

والسحاب ، فالممدوح يتأخر في العطاء ولكنه بعد ذلك يجود بعطاء وفير ،
والسحب البطيئة في سيرها تأتي بالوابل المدرار ، والغرض من العلة
تأكيد كرم الممدوح.

ويستشهد الصفدي أيضاً بقول التهامي^(١):

لو لم يكن أقحواناً ثغر مبسمها
ما كان يزداد طيباً ساعة السحر^(٢)

أنكر الشاعر طيب رائحة الأقحوان ساعة السحر ، وقال هذا
الطيب يخرج من فمها لأنّ ثغر مبسمها كالأقحوان ، والغرض من العلة
تأكيد طيب رائحتها.

٣) قال ابن زيدون: "وهل لبس الصباح إلا برداً طرزته بفضائك"^(٣).
فقد أنكر ابن زيدون العلة الطبيعية للون الصباح الباهي الواضح
، وأتى بعلّة أدبية مبتكرة ، تناسب الغرض الذي يرمي إليه ، وهو أنّ
الصباح لبس برداً طرز بفضائل الممدوح.

٤) قال ابن زيدون: "واستلمي الربيع إلا ثناء ملأته من محاسنك"^(٤).
أنكر العلة الحقيقية لجمال الربيع ، وأتى بعلّة أدبية طريفة من
عنده وهي أنّ الثناء الذي وجده الربيع ، ما وجده إلا لأنّه امتلأ محاسناً من
محاسن الممدوح.

(١) علي بن التهامي أبو الحسن ، له ديوان مشهور ، انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير :
ج ٢، ص ٢٤٣٧.

(٢) تمام المتون : ص ٧٨. انظر : الغيث المسجم ، للصفدي : ج ٢ ، ص ٣٥٧. انظر : ديوان ، التهامي ،
تحقيق ، د. علي نجيب عطوي ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦م : ص ١٨٣.

(٣) شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج ٤ ، ص ٢٢٤.

(٤) تمام المتون : ص ٢٩٠.

٥) قال ابن زيدون: "وبث المسك إلا حديثاً أذعته في محامدك"^(١).

أنكر العلة الحقيقية لانتشار وذيوع المسك ، وهي بث وانتشار محامده وفضائله بين الناس . فابن زيدون أراد أن يؤكد لممدوحه أنه أذاع ونشر محامده بين الناس ، وما هذا المسك المنتشر والذي فاحت رائحته وفشت بين الناس إلا إذاعته لمدحه.

(١) تمام المتن : ص ٢٩١.

المبحث الرابع

المبالغة

تعريفها :

المبالغة في اللغة : الاجتهاد في الشيء إلى حد الاستقصاء ، والوصول به إلى غايته . وتأتي بمعنى المغالاة ، وهي الزيادة بالشيء عن حده . قال العسكري : "المبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته ، وأبعد نهاياته ، ولا يقتصر في العبارة على أدنى منازله ، وأقرب مراتبه"^(١).

وقد حصرها علماء البلاغة في ثلاثة أنواع هي :

(أ) التبليغ : إن كان ذلك الادعاء ممكناً عقلاً وعادة . نحو قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَتِ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَتِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ بِرَبِّهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠] .

(ب) الغلو : مأخوذ من قولهم غلا في الرمي ، إذا جعل بينه وبين الغرض مدى ، ثم رمي فتجاوز الحد عند ذلك المدى . يقول نجم الدين ابن الأثير : "وأما الغلو : فهو الزيادة في الخروج عن الحد"^(٢) . مثل قول المعري :

تكاد قسيه من غير رام تمكن في قلوبهم النبلا^(٣)

يريد المعري أن يقول : "أن أعداء الممدوح لا ينجون من سلاحه ، حتى أن أقواسه تكاد تمكن السهام في قلوبهم من غير أن يرمي عنها رام ، وهنا نجد أن الإدعاء مستحيل عقلاً وعادة .

(١) الصناعتين ، للعسكري : ص ٣٦٥ .

(٢) جواهر الكنز ، لنجم الدين ابن الأثير : ص ١٣٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٣٥ .

ج) الإغراق : من قولهم أغرق في النزع ، إذا استوفى السهم إلى أن يخرج من كبد القوس إلى الناحية الأخرى . قال الرازي : "وأغرق النازع في القوس أي : استوفى مدها"^(١). الإغراق إن كان الادعاء ممكناً عقلاً لا عادة . ومثل هذا قول أبي الطيب المتنبي :

روح تردد في مثل الخلال إذا أطارت الريح عنه الثوب لم يبين
كفى بجسمي نحولاً أنني رجل لو لا مخاطبتي إياك لم ترني^(٢)
يقول المتنبي : إنَّ له روحاً تتحرك في جسم ضعيف رقيق ، يشبه الخلال _وهو عود رقيق تخلل به الأسنان_ ، هذا الجسم إذا عصفت الريح بالثياب التي فوقه لم يظهر ولا يرى لشدة نحوله ودقته . ويكفي جسمي من النحول والضعف أني يستدل عليّ بصوتي ، وإذا لم أتكلم لا يراني أحد . والادعاء هنا ممكن عقلاً وعادة .

وبعض علماء البديع يسمي هذه الأنواع الثلاثة مبالغة . يقول ابن منقذ : "أعلم أنَّ المعنى إذا زاد عن التمام سمي مبالغة . وقد اختلفت ألفاظه في كتبهم ، فسماه قوم "الإفراط ، والغلو ، والإيغال ، والمبالغة ، وبصفة أرفع من بعض"^(٣).

المبالغة في كتاب تمام المتون

لم يقسم الصفدي المبالغة إلى أنواع كما قسمها بعض علماء البلاغة إلى تبليغ وغلو وإغراق ، ولكنه اكتفى أن يفاضل بين هذه وتلك . يقول : "وهذه مبالغة عظيمة"^(٤) ، أو يقول : "وهذه مبالغة زائدة"^(٥) ، أو يقول : لا

(١) مختار الصحاح ، للرازي : ص ٢٧٢.

(٢) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ١٧ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ص ١٤٤.

(٣) البديع ، لابن منقذ : ص ١٥٥.

(٤) تمام المتون : ص ٤٢.

(٥) المصدر السابق : ص ٤٢.

وهذه غاية في المبالغة"^(١). وهكذا واللييب بالإشارة يفهم ، وقد ذكرت في تحليلي لكلام ابن زيدون وشرح الصفدي هذه الأنواع موضحاً اسم كل نوع.

(١) قال ابن زيدون : " بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك "^(٢)

ولاستحالة نظر الأعمى عقلاً وعادة ، يعد هذا غلو ، وحتى ولو كان بصيراً ، فالتأمل من المعنويات التي لا تشاهد بالعين .

يقول الصفدي شارحاً قول ابن زيدون : " فعلت بي ما تقدم من سلب لباس إنعامك ، وما بعده من الجمل المعطوفة ، بعد ما نظر الأعمى إلى تأميلي لك ، وهذه مبالغة زائدة ، وهو أن التأمل أمر معنوي لا تشاهده العين ، وأنا كنت مبالغاً فيما أملت منك ورجوته ، حتى رآه الأعمى من شدة أتصافي وتلبسي به ، وهذه مبالغة عظيمة في هذا المعنى "^(٣).

وقول الصفدي : " مبالغة زائدة " و " مبالغة عظيمة " تعني أنه يريد الغلو . ومثل هذا قول المتنبي :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم^(٤)

(٢) قال ابن زيدون : " وسمع الأصم ثنائي عليك ، وأحس الجماد بإسنادي إليك "^(٥).

وهذا غلو ؛ لأنّ سمع الأصم وإحساس الجماد مما يستحيل عقلاً وعادة . يقول الصفدي : " والإسناد في الحديث أن يرفعه إلى قائله ، وهذا مما تقدم

(١) تمام المتن : ص ٤٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ٤٢ . انظر: ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ٢٦٧.

(٥) تمام المتن : ص ٤٤.

فيالمبالغة . يقول : فعلت بي كل ذلك بعد ما نظر الأعمى تأميلي لك ، وسمع الأصم _ وهو الذي لا سمع له _ ثنائي الذي كنت أثنته عليك ، وأحس الجماد _ الذي لا إدراك له ولا إحساس _ برفع الحديث إليك ، وهذه غاية في المبالغة ، وطبقة عليا في البلاغة ، وهي أن يُثني عليه إلى أن يسمعه الأصم ، ويسند إليه حتى يحس الجماد بذلك" ^(١). يقول بعض الأعراب :

لقد بخلت حتى لو أنني سألتها

قذى العين من ضاحى التراب لضنت ^(٢)

في البيت الأول مبالغة ؛ لأنه وصفها بالبخل الشديد حتى لو أنها سئلت قذى العين _ وهو الذي يتمني كل إنسان أن يخرج من عينه _ لا تجود به لبخلها . فالشاعر وصفها بأنها بلغت الحد الأقصى في البخل . وهذا تبليغ ؛ لأنّ الادعاء ممكن عقلاً وعادة . يقول الهاشمي متحدثاً عن أنواع المبالغة : " والتبليغ : إن كان ذلك الادعاء ممكناً عقلاً وعادة" ^(٣).

قال سراج الدين الوراق :

ورقاد أهل الكهف دون رقاده

ما جن ليل أو أضاء نهار ^(٤)

في البيت مبالغة ؛ لأنه إدعى أنّ موصوفه ينام نوماً أكثر من نوم أهل الكهف ، والغرض من المبالغة تأكيد كثرة نومه . وهذا يمكن أن يسمى "إغراق" لأنه ممكن عقلاً لا عادة .

(١) تمام المتون : ص ٤٤_٤٥.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٦٨.

(٣) جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص ٣٠٣.

(٤) تمام المتون : ص ٢٢١.

المبحث الخامس

التورية

تعريفها :

التورية لغة : الإخفاء والستر . قال ابن منظور ^(١) : "وَوَرَّيْتُ الْخَبْرَ أُورِيهِ تَوْرِيَةً إِذَا سَتَرْتَهُ وَأَظْهَرْتَ غَيْرَهُ كَأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ وَرَاءِ الْإِنْسَانِ لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ وَرَّيْتَهُ فَكَأَنَّهُ يَجْعَلُهُ وَرَاءَهُ حَيْثُ لَا يَظْهَرُ" ^(٢).

واصطلاحاً : أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان ، معنى قريب ظاهر غير مراد ، ومعنى بعيد خفي هو المراد . قال نجم الدين ابن الأثير : "وحد التورية أن تكون الكلمة تحتمل معنيين ، فيستعمل المتكلم أحد احتماليهما ، ويهمل الآخر ، ومراده ما أهمله لا ما استعمله" ^(٣). ونحو ذلك قول المتنبي :

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسي وأنت يمانى ^(٤)
فمن ينظر لكلمة "يمان" يظن أن الشاعر يريد بها الرجل المنسوب
ليمن ، نسبة لوجود القرينة "قيس" ، ولكن الشاعر يقصد بكلمة "يمانى"
اسم السيف . والمعنى : أن كف شبيب وسيفه متنافران ، فلا يجتمعان لأن
شبيباً كان قيسياً ، والسيف يقال له "يمانى" ، فوري به عن الرجل المنسوب
إلى اليمن ، وبين اليمنيين والقيسيين تنافر قديم .

(١) محمد بن مكرم بن على ، جمال الدين أبو الفضل ابن منظور الانصاري الرويفعى الافريقى ، صاحب "لسان العرب" : الامام اللغوى الحجة . انظر : الأعلام ، للزركلى : ج٧ ، ص ١٠٨ .

(٢) لسان العرب ، لابن منظور : ج ١٥ ، ص ٣٨٦ .

(٣) جواهر الكنز ، لنجم الدين ابن الأثير : ص ١١١ .

(٤) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ٣٧٣ .

أو أن رقاب القتلى وشت بينه وبين سيفه بأنه قيسي ، وسيفه يمانني .
يقول ابن حجة : " التورية يقال لها : " الإيهام " و " التوجيه " و " التخيل " ، والتورية أولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمى لأنها مصدر " وريت الخبر تورية " إذا سترته وأظهرت غيره كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر " ^(١) . فأبو الطيب في بيتيه السابقين ستر وأخفي المعنى الذي يريده ، وأظهر المعنى الذي لا يريده . وهنا يظهر جمال التورية وسرها الخفي والدقيق ، وسحرها الذي يخلب الألباب .

التورية في كتاب تمام المتون

ألف الصفدي كتاباً في التورية وهو : " فض الختام عن التورية والاستخدام " ، وهذا يدل على أنه متبحر في هذا الفن ، وعلى الرغم من أن ابن حجة الحموي يقسو أحياناً على الصفدي ، إلا أنه في حديثه عن التورية يصف الصفدي بأنه من الفحول الذين انتبهوا لهذا الفن . يقول : " لأنّ هذا النوع ، أعني التورية ، ما تنبه لحاسنه إلا من تأخر من حذاق الشعراء وأعيان الكتاب ، ولعمري أنهم بذلوا الطاقة في حسن سلوك الأدب إلى أن دخلوا عليه من باب ، فإنّ التورية من أغلى فنون الأدب وأعلاه رتبةً ، وسحرها ينفث في القلوب ، ويفتح بها أبواب عطف ومحبة ، وما أبرز شمسها نقية من غيوم النقد إلا كل ضامر مهزول ، ولا أحرز قصبات سبقها من المتأخرين غير الفحول " ^(٢) . ويأتي ابن حجة ليؤكد صحة حديثه مستشهداً بقول الصفدي يقول : " ومما يؤيد قولي هذا قول الشيخ صلاح الدين الصفدي _ رحمه الله _ في دبلجة كتابه المسمى " فض الختام عن

(١) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج٣ ، ص ١٨٤ .

(٢) المصدر السابق : ج٣ ، ص ١٨٥ .

التورية والاستخدام" : ومن بديع ما هو نادر الوقوع ، ملحق بالمستحيل الممنوع ، وهو نوع التورية والاستخدام ، فإنه نوع تقف الأفهام حسرى دون غايته عن مرامي المرام"^(١).

وفي كتاب تمام المتون لم يكن للتورية مساحة كبيرة ، لأنها لم ترد أصلاً في الرسالة ، فالتورية تحمل معنيين كما ذكرنا ، وهذا لا يصلح في رسالة يريد صاحبها إيصال الفهم لابن جهور بأسهل الطرق ، ولكن ذكرها الصفدي في شرحه وها أنا أورد بعض الأمثلة على ذلك:

قال الصفدي الحلبي :

بصروا بفروك فازدروك لحالة أضحى بها معروف حسنك منكرا
كل أدار الطرف عنك محاولا

صيداً وكل الصيد في جوف الفرا"^(٢)

أي: أن الذين نظروا إلى شمل الفروة الذي يلبسه هذا الغلام المليح نفروا منه ، وغضوا عنه الطرف إلى غيره ، وما علموا أن ما اشتمل عليه الفرو أفضل من غيره . فالمعنى المتبادر للذهن الصيد الغزال المعروف لوجود القرينة "صيداً" ، ومراد الشاعر هذا الغلام المليح . يقول الصفدي : "وكنت قد أنشدته لبعض الناس فأنكره ، وقال : الفرا حمار الوحش _بفتح الفاء_ ، وكلام الصفدي لا تصح معه التورية إلا بكسر الفاء ، فقلت : الفراء مفتوح الفاء ، مقصور مهموز ، هو الحمار الوحشي ، ويجمع على فراء ممدود ، مكسور بالفاء ، كجبل وجبال . قال الشاعر :

(١) خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي : ج٣ ، ص ١٨٦ . انظر : كتاب فض الختام في التورية والاستخدام ، لصلاح الدين الصفدي ، تحقيق دكتور محمد عبد العزيز الحناوي ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٩م .

(٢) تمام المتون : ص ٣٣٨ .

بضرب كآذان الفراء فضوله وطعن كإيزاغ المخاض تبورها^(١)

ويقول سيف الدين بن المشد :

ومجلس راق من واش يكدره

ومن رقيب له في اللوم إيلام

ما فيه ساع سوى الساقى وليس به

على الندامى سوى الريحان نمام^(٢)

فكلمة "نمام" تحمل معنيين ، المعنى القريب هو الذي ينقل الأخبار السيئة بين الناس ، والقرينة هي "واش ، ورقيب ، وساع" ، ولكن المعنى الذي يريده الشاعر هو انتشار الرائحة ، فكلمة "الريحان نمام" يريد انتشار رائحة الريحان الذكية في المجلس ولا شيء غيره . أي : لا نمام يكشفها في هذا المجلس غير الرياحين . ومثل هذا قول الصفي الحلي :

أقول وطرف النرجس الغض شاخص

إلينا وللنمام حولي إلام

يا رب حتى في الحدايق أعين

علينا وحتى في الرياحين نمام^(٣)

فكلمة "النمام" لها معنيان ، فهي الواشي : الذي يسعى بين الناس بالوشاية . والنمام أيضاً : نبت له بذر كالريحان ، عطري قوي الرائحة ، سمي بذلك لسطوع رائحته .

وقال الصفدي :

(١) المصدر السابق : ص ٣٣٩ . انظر: مجمع الأمثال ، للميداني : ج ٢، ص ١٠٩-١١٠.

(٢) تمام المتون : ص ٢٣٦ . انظر: خزانة الأدب ، لابن حجة : ج ٣، ص ٢٨٦.

(٣) تمام المتون : ص ٢٣٦ . انظر: خزانة الأدب ، لابن حجة : ج ٣، ص ٢٦٠. انظر: ديوان الصفي الحلي

: ص ٥٥٩ .

قلت وقد أصبحت في روضة بها حبيبي قد قضي ديني
بالله يا منشورنا لا تشر بإصبع قط إلى البين
وأنت يا نرجس غمض ولا تغامر المنام بالعين^(١)

ويقارن ابن حجة بين مجموعة من الأشعار تناولت هذا المعنى يقول :

"ويعجبني قول بدر الدين بن يوسف بن لؤلؤ :

فعاطني صهباء مشمولة عذراء فالواشون نوام
وأكتم أحاديث الهوى بيننا ففي خلال الروض نمام^(٢)

وبين أبيات صفي الدين الحلبي ، وسيف الدين بن المشد فيقول : هذه
النكتة تقدمت للبدر بن لؤلؤ الذهبي ، وذكرت من أغار عليها من الجماعة
ولكن الأمير سيف الدين المشد زادها نكتة أخرى بديعة ، واستعملها أحسن
من الجماعة^(٣) . ويعذر ابن حجة الشيخ صفي الدين بأنه لم يلحق بهم ،
لأنّ هذا ليس مذهبه . يقول : "ومن هنا أخذ الجميع حتى الشيخ صفي
الدين الحلبي مع أنّ التورية غير مذهبه"^(٤) .

(١) تمام المتون : ص ٢٣٦ .

(٢) خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي : ج ٣ ، ص ٢٦٠ .

(٣) المصدر السابق : ج ٣ ، ص ٢٨٦ .

(٤) المصدر السابق : ج ٣ ، ص ٢٦٠ .

المبحث السادس

التقسيم والإسقاط

والإسجال بعد المغالطة

تعريف التقسيم :

التقسيم هو أن يستوفي المتكلم جميع أقسام الكلمة ، التي يمكن وجودها غير تارك منها قسماً واحداً . قال أبو هلال العسكري : " التقسيم الصحيح أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوى على جميع أنواعه ، ولا يخرج منها جنس من أجناسه ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الرعد: ١٢] ، وهذا أحسن تقسيم لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع وليس فيهم ثالث " ^(١) .

أي : أن يذكر المتكلم متعددًا ثم يضيف إلى كل من أفراد ما له على جهة التعيين ، أو بمعنى أحق أن يذكر المتكلم جميع أقسام ما ابتداء به . يقول الهاشمي : " وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين : أولهما : أن تستوفي أقسام الشيء نحو : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ [طه: ٦] . وثانيهما : أن نذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل منهما ما يليق به نحو :

ولا يقيم علي ضيم يراد به

إلا الأذلان عير الحي والوتد

(١) الصناعتين ، للعسكري : ٣٧٥ .

هذا على الخسف مربوط برمته

وذا يشج فلا يرثي له أحد^(١)

التقسيم في كتاب تمام المتون

قال ابن زيدون : "ولا أخلو من أكون بريئاً فأين عدلك ، أو مسيئاً فأين فضلك"^(٢).

وضح ابن زيدون لابن جهور الذي سجنه إنه لا يخلو من هذين الأمرين البراءة من الذنب ، أو أنه مجرم . والمتهم لا يخرج من هذين القسمين ، فهو يطلب العدل في حالة براءته ، والفضل في حالة ارتكابه الذنب ، وهذا تقسيم . يقول الصفدي : "لا أخلو : لا أكون خالياً من أحد القسمين : إما بريئاً مما رميت به ، فأين كان عدلك _والعدل ضد الجور _ وإما مسيئاً فأين كان فضلك _والفضل ضد النقص _ وهو الاتصاف بالحمد ، وهذا ألزم للمخاطب أن يعترف له بصحة التقسيم"^(٣).

ثم يأتي الصفدي بشواهد للتقسيم فيقول : "وقد جاء منه في القرآن العظيم قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢] ، فإنه ليس في البرق إلا الخوف من الصواعق ، أو الطمع في سقيا الغيث"^(٤). وتتجلى بلاغة القرآن العظيم في ذكر الخوف قبل الطمع ، لأن الإنسان إذا رأي البرق أول مرة خاف ، ثم إذا برق مرة أخرى طمع في الغيث . يقول ابن حجة الحموي : "فلما أن كان الأمر المخوف من البرق يقع في أول برقه ، أتى ذكر الخوف في الآية الكريمة أولاً ، ولما كان الأمر المطمع إنما يقع من البرق

(١) تمام المتون : ص ٨ . انظر : جواهر البلاغة ، للهاشمي : ص ٣٠٢ .

(٢) تمام المتون : ص ٩٧ .

(٣) المصدر السابق : ص ٩٧ .

(٤) المصدر السابق : ص ٩٨ .

بعد الأمر المخوف أتى ذكر الطمع في الآية الكريمة ثانياً ليكون الطمع ناسخاً للخوف ، لمجيء الفرج بعد الشدة"^(١). وقد وضع التقسيم قبل ذلك ، فقال : "وليس في رؤية البرق غير الخوف من الصواعق ، والطمع في الأمطار ، ولا ثالث لهذين القسمين"^(٢).

ومثل ذلك قول زهير^(٣):

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو شهود أو جلاء^(٤)

فقد قسم زهير الأسباب التي تؤخذ بها الحقوق إلى ثلاث ، إما يمين قسم ، أو شهود يشهدون لصاحبه ، أو كان واضحاً جلياً ، ولا يخلو من هذه الثلاثة . يقول الصفدي : "حتى إنَّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما سمع هذا ، قال : لو أدركته لوليته القضاء"^(٥).

ويتحدث الصفدي عن العلماء الذي يجيدون هذا الفن من فنون البديع يقول : "وما أحسن قول الإمام العلامة جمال الدين ابن الحاجب رحمه الله تعالى لما أدعى في مقدمته أن الكلمة ثلاثة أقسام ، ولا رابع لها ، قال : لأنها إما أن تدل على معنى في نفسها أو لا ، الثاني الحرف ، والأول إما أن يقترن بأحد الأزمنة أو لا ، الثاني الاسم ، وهذا الذي يسميه الأصوليون دليل السبر والتقسيم"^(٦).

(١) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج٤ ، ص٣٧.

(٢) المصدر السابق : ج٤ ، ص٣٧ . انظر : البديع ، لابن منقذ : ص٩٩.

(٣) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني من مضر : حكيم الشعراء في الجاهلية . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج٣ ، ص٥٢.

(٤) تمام المتون : ص٩٨ . انظر : شاعر السمو زهير بن أبي سلمى ، للدكتور عبد القادر الرباعي ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٦ م : ص٢٥ .

(٥) تمام المتون : ص٩٨.

(٦) المصدر السابق : ص٩٨.

وليس للكلمة قسم ثالث غير تلك الأقسام المذكورة . ويقول
الصفدي : " والإمام فخر الدين الرازي في هذا الباب أمره عجيب ، لأنه
إذا تكلم في المسألة يذكر تقسيمها ، وتفاريع التقسيم ، فلا يفوته بذلك
شيء من أحوالها" ^(١).

ويقول أيضاً : " ولما قدم قتيبة خراسان قال : من كان في يده من مال
عبد الله بن حازم شيء فلينبذه ، أو كان في فيه فيلفظه ، أو في صدره فلينفثه ،
فتعجب الناس من حسن ما قسم وفصل" ^(٢).

والمال لا يخرج من هذه الوجوه الثلاثة ، فيما أن يكون في يد الإنسان
بخزانة ، أو أن يكون جمعه يريد أن يأكله فهو في فيه ، أو هو في مكان يعلمه
في ضميره فعليه أن يتحدث به . قال الصفدي : " ومن كلام القاضي الفاضل
: يا من أنا عبده ، السيئة أنا معترف بأني كسبتها ، والخطيئة قد أحاطت بي
حكماً ، وأحاط بها الناس علماً ، وقد استوجبت نار غضبك ، وتثقيف أدبك
فإن عفوت فبحقك ، فإنك سيد عافٍ ، وإن عوقبت فبحقي لأنني عبد هافٍ ،
فحاكمني إليك ، ولا تحاكمني إليّ ، وإن أخطأت فأعذرني ، فإنني ابن آدم" ^(٣).

ومثل هذا قول بعض الأقدمين :

هبيني أمراً : إما بريئاً ظلمته وإما مسيئاً تاب منه واعتبا
أقول التماس العذر لما ظلمتني وحملتني ذنباً وما كنت مذنباً
ليهنك إثمات العدو بهجرنا وقطعك جبل الود حتى تقضبا ^(٤)

وقول القاضي الفاضل ^(١) . والشاعر الأمير وهو نفس معنى ابن زيدون
، أنه لا يخلو من أن يكون مذنباً أو بريئاً ، فهو يطلب الرحمة ، أو العدل .

(١) تمام المتن : ص ٩٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ٩٨ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٠٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٠١ .

والتقسيم في قوله : " فإن عفوت فبحقك ... وإن عوقبت " . والمجرم لا يخرج من هذين الحكمين العفو ، أو العقوبة ، وهذا التقسيم حسن . ومثله قول الشاعر :

فهني مسيئاً كالذي قلت ظلماً فعفواً جميلاً كي يكون لك الفضل
فإن لم أكن للعفو منك لسوء ما أتيت به أهلاً فأنت له أهل^(٢)
وقال البحري :

أقر بما لم أجنه متفضلاً إليك على أني إخالك ألوما
لي الذنب معروفاً وإن كنت جاهلاً
به ولك العتبي على وأنعما

ومثلك إن أبدي الجميل أعاده وإن بدأ المعروف عاد وتمما^(٣)
وهذه الأمثلة وغيرها مما ذكر الصفدي فيها تقسيم ، غير أنني أرى أن
في كلام القاضي الفاضل لون بديعي آخر ، وهو المذهب الكلامي لأنه يقيم
الحجة على صحة دعواه . ومن جميل التقسيم قول القائم بالله^(٤) :

جمعت لدي من الغرام عجائب خلفن قلبي في إसार موحش
حل يصد وعاذل متنصح ومعاندا يؤذي ونمام يشي^(٥)

(١) عبد الرحيم بن علي بن الحسن القاضي الفاضل : وزير السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وصاحب ديوان الإنشاء . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٨ ، ص ٢٠١ .

(٢) تمام المتون : ص ١٠٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٠٢ . انظر : شرح ديوان البحري ، للفخوري : ج ٢ ، ص ٣٨١ . والبيت

الثالث في الديوان : ومثلك إن أبدى الفعال أعاده وإن صنع المعروف زاد وتمما

(٤) عبد الله بن القادر بالله القائم بأمر الله أبو جعفر : بوع له بالخلافة لما توفي أبوه القادر بالله ،

انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٤٦ .

(٥) تمام المتون : ص ٢٢٩ .

وهذا من أحسن أنواع التقسيم ، لأنّ أهل العشق والغرام لا يجدون أمامهم سوى هؤلاء الذين ذكرهم "خل يصد" أي : معرض عنه ، و"عاذلتنصح" أي : من يلومه وينصحه في حبه ، و"معاند يؤذي" أي : من يحسده في حبه ويريد إيذائه ، و"نمام يشي" والآخر من يمشى بالنميمة حتى يفسد بينهما .

ونختم بقول أبي الطيب :

حتى أقام على أرباض خرسنة

تشقي به الروم والصلبان والبيع

للسبي من نكحوا والقتل ما ولدوا

والذهب ما جمعوا والنار ما زرعوا^(١)

يقول : مازال يسرع بجيوشه حتى نزل بأرباض خرسنة _ والأرباض : جمع ربض ، ماحول المدينة من القرى والضواحي _ وقد شقيت به الروم لأنّه يبيدهم ويقتلهم ، ويخرب بيعهم ، ويحرق صلبانهم . ولما أقام بهذه الأرض سبى نساءهم واطفالهم ، وقتل فرسانهم ، ونهب أموالهم . فابو الطيب جمع أولاً شقاء الروم بالمدوح ، ثم قسمه ثانياً وفصله .

الاستقصاء

تعريف الاستقصاء :

قال ابن أبي الأصبع : "وهو أن يتناول الشاعر معنى فيستقصيه ، إلى أن لا يترك فيه شيئاً"^(٢).

والمعنى أنّ الأديب يوضحه وضوحاً ، ويشرحه شرحاً لا يترك شاردة ولا واردة إلا بينها ووضحها ، حتى لا يأتي أحد من الأدباء غيره ويقول : لو ذكر

(١) ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ٢٥٢.

(٢) تحرير التحجير ، لابن أبي الأصبع : ج ٢ ، ص ٥٤٠ .

كذا لكان أفضل ، ولو أضاف كذا لكان أجمل ، بل الأديب يقف متأملاً ويقول : إنَّ هذا المعنى لا يحتاج إلى إضافة .

الاستقصاء في كتاب تمام المتون

يقول الصفدي : "الاستقصاء وهو أن يتناول البليغ معنى فيستقصيه ، ويأتي فيه بجميع عوارضه ولوازمه وأوصافه الذاتية ، ولا يترك فيه لمن بعده ممن يتأمله فضلة" ^(١).

قال ابن زيدون : "والله ما غششتك بعد النصيحة ، ولا انحرفت عنك بعد الصاغية ، ولا نصبت لك بعد التشيع فيك ، ولا أزمعت يأساً منك مع ضمان تكلفت به الثقة عنك ، وعهد أخذه حسن الظن عليك" ^(٢).

فابن زيدون أراد أن يتبرأ من ذنوبه ، وتناول هذا المعنى وأورد كل ما يتصل به ولم يترك لمن يأتي بعده شيئاً ناقصاً يكمله ، وهذا هو الاستقصاء . يقول الصفدي : "وكذا فعل ابن زيدون رحمه الله تعالى لما أراد أن يتبرأ عند ابن جهور من الذنوب ، فقال : ما غششتك ، ولا انحرفت عنك ، ولا نصبت لك ، ولا أزمعت يأساً منك مع ثقتي بك ، وحسن ظني بك ، فقد استقصى في التبري من الذنوب التي يتوهم وقوعها ، ولم يرض بذلك ، حتى قال : ومع برائي من ذلك أنا لم أياس منك لحسن ظني فيك ، وهذا كمال الاستقصاء لذلك حتى يقرر وجوب الرحمة له ، والعاطفة عليه" ^(٣).

ومن شواهد للاستقصاء عند الصفدي قول ابن الرومي :

وحديثها السحر الحلال لو أنه

لم يجن قتل المسلم المتحرز

(١) تمام المتون : ص ٢٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٥٤ .

(٣) تمام المتون : ص ٢٥٦ .

إن طال لم يملل وإن هي أوجزت

ودَّ الحدث أنَّها لم توجز

شرك العقول ونزهة ما مثلها للمطمئن وعُقلة المستوفز^(١)

فابن الرومي استقصى ورسم في هذه الأبيات صورة رائعة مؤتلفة الألفاظ والألحان ، جميلة الأنغام ، صورة صيرت محبوبته في غاية الحسن ومنتهي الجمال ، حيث شبه حديثها بالسحر الحلال ، وكلنا يعرف ما يفعله السحر في العقول ، ولكنه استدرك بوصفه للسحر بالحلال حتى يكون وصفه صادقاً . وورد أنَّ سيدنا عمر بن عبد العزيز قال لبعض من أحسن الكلام في طلب حاجته : " هذا والله السحر الحلال " ^(٢) . ثم وصف هذا السحر الحلال بميل الناس إليه إما اضطراراً أو اختياراً ، فقال في الميل الاضطراري " شرك العقول " ، فأخبر أنَّه يصيد العقول قنصاً . ثم قال في الميل الاختياري مقسماً له قسمين حاضرين في حالي الريث والعجل ، نزهة ما مثلها للمطمئن ، وعُقلة للمستوفز " وليس للمختار حالة زائدة على هاتين الحالتين ، إما أن يكون مطمئناً كان هذا الحديث نزهته ، وإن كان مستوفزاً كان عقلته ، فلم يبق في المعنى مقالاً لما بعده . يقول ابن أبي الأصبع : " فأنظر إلى كون هذا الشاعر وصف هذه المحبوبة بنهاية الوصف اللائق بمثله ، حيث قال : " حديثها السحر الحلال لفعله في العقول فعل السحر ، وجعله حلالاً لصدق الوصف ، وليضمن كلامه في صنعته قول الرسول ﷺ :

(١) المصدر السابق : ص ٢٥٧-٢٥٨ . انظر: البديع ، لابن منقذ : ص ١٦١ . انظر : ديوان ابن الرومي : ج ٣ ، ص ٢٤٧ . [الوفزة : أن ترى الإنسان مستوفزاً قد استقل على رجليه ولما يستو قائماً ، وقد تهيأ للأخذ والوثوب والمضي . وقال أبو معاذ : المستوفز الذي قد رفع إلتيه ووضع ركبته] ، انظر : لسان العرب ، لابن منظور : ج ٥ ، ص ٤٣٠ .

(٢) البلاغة والنقد بين التاريخ والفن ، دكتور مصطفى الصاوي الجويني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٥م : ص ٣١١ .

"إن من البيان لسحراً" ، فإنّ سحرالبيان سحر حلال ثم رجع فاستدركفيه فقال: ...لو أنّه لم يجن قتل المسلم المتحرز لكون قتل المسلم بغير حق حرام"^(١).

ومن الاستقصاء قول ابن الرومي :

أكسبها الحب أنها صبغت صبغة حب القلوب والحدق^(٢)
فابن الرومي يصف جارية سوداء بأنّها اكتسبت سوادها الحسن هذا من صبغة حب القلوب والحدق ، وربط سوادها بأجمل الأشياء في الحب وهي العيون والقلوب . يقول الصفدي : "فإنّه استقصى فيها جميع ما توصف به السوداء من المحاسن"^(٣).

قال ناصح الدين الأرجاني :

نمت بأسرار ليل كان يخفيها وأطلعت قبلها للناس من فيها^(٤)
يقول الصفدي : "فإنّه استقصى فيها جميع ما توصف به الشمعة من المحاسن"^(٥).

ومن الاستقصاء قوله تعالى : ﴿ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۖ ﴾ [البقرة: ٢٦٦] . فهذه الآية استقصت كل وصف الجنة ، واستقصت كل الوصف في الطريقة التي انتهت بها . يقول الصفدي : "لأنّ بعد قوله : ﴿ جَنَّةٌ ﴾ لو اقتصر على ذكرها لكان كافياً .

(١) تحرير التحبير ، لابن أبي الأصبع : ج ٢ ، ص ٥٤٠ .

(٢) تمام المتون : ص ٢٥٨ . انظر : ديوان ابن الرومي : ج ٤ ، ص ٣١٩ .

(٣) تمام المتون : ص ٢٥٨ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٥٨ .

(٥) تمام المتون : ص ٢٥٨ .

فلم يقف عند ذلك حتى قال : ﴿مِنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ ^قلأنّ الجنة تطلق على كل شجر يستر بظل ورقه الأرض . فإذا قال : ﴿مِنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ ^قكان مصاب ربها أعظم . ثم لم يقف عند ذلك حتى قال : ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ^قمتمما لوصفها بذلك . ثم كمل وصفها بعد التتميمين بأن قال : ﴿لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ^قوذلك لما علم أنّ الاختصار على وصفها بالنخيل والأعناب لا يكون ذلك وصفا كاملاً ، فأتي بكل ما يكون في الجنات ليشتد الأسف على فسادها ، ثم قال في وصف صاحب الجنة : ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ ^قثم استقصى المعنى في ذلك بما يوجب تعظيم الجنات ، بقوله بعد وصفه بالكبر : ﴿وَلَهُ دُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ ^قولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعف . ثم ذكر استئصال تلك الجنة التي ليس لهذا الذي أصابه الكبر وليس لذريته الضعفاء غيرها بالهلاك في أسرع وقت ، حيث قال : ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ ^قفلم يقصر على ذكر الإعصار للعلم بأنّه لا يحصل به سرعة الهلاك ، فقال : ﴿فِيهِ نَارٌ﴾ ^قثم لم يقف عند ذلك أيضاً حتى قال : ﴿فَأَحْتَرَقَتْ﴾ ^قلاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تقوم بإحراقها لما فيها من الأنهار ورطوبة الأشجار ، فاحترز من هذا الاحتمال بقوله : ﴿فَأَحْتَرَقَتْ﴾ ^ق"^(١) . فالصفي شرح في هذه الآية معنى الاستقصاء كاملاً ولم يترك شاردة ولا واردة إلا بينها .

(١) تمام المتن : ص ٢٥٧.

الإسجال بعد المغالطة

تعريفه :

"وهو أن يقصد الشاعر غرضاً من ممدوح ، فيأتي بالفاظ تقرر بلوغه ذلك الغرض ، فيسجل عليه ذلك ، مثل أن يشترط لبلوغه ذلك الغرض شرطاً يلزم من وقوعه وقوع ذلك الغرض ، ثم يقرر وقوع ذلك الغرض مغالطة ليقع المشروط"^(١).

الاسجال بعد المغالطة في كتاب تمام المتون

قال ابن زيدون : "و حين أشفق من أن يعطفك استعطافه ، ويميل بنفسك إلفافه"^(٢).

يقول الصفدي : "وهذا الذي سلكه ابن زيدون في هذا المكان نوع من سحر البلاغة وزخرفها ، وهو الذي يسميه أرباب البديع الإسجال بعد المغالطة ، لأنه غالط ابن جهور بما خدعه من كلامه المتقدم ، ثم أسجل عليه بعد ذلك أن هذا النثر الذي قدمته عطفك ، وأمال بالطفافه نفسك ، فأشفق النظم من ذلك ، وغار منه فأراد أن يساهمه ، ويكون له نصيب"^(٣).

فابن زيدون قصد من ممدوحه العفو والصفح عنه ، لأنّ كلما ذكره من حديث سابق هو مغالطة ، ثم قال إنّ كل ما ذكره من كلام ما هو إلا استعطاف واسترحام وإلفاف له . وهذا كما قال الصفدي إسجال بعد مغالطة . ثم يذكر الصفدي ما يدعم هذا المعنى بقوله : "وقد جاء من هذا

النوع قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ﴾ [غافر: ٨] .

ومنه قول الشاعر :

جاء الشتاء وما عندي لقرته

إلا ارتعادي وتصفيق أسناني

(١) تحرير التحرير ، لابن أبي الأصبع : ج ٢ ، ص ٥٧٤ .

(٢) تمام المتون : ص ٣٨٧ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٨٧ .

فإن هلكت فمولانا يكفني
هني هلكت فهب لي بعض أكفاني"^(١)
وقد تأتي المغالطة بلا إسجال كقول أبي نواس :
أسأل القادمين من حکمان كيف خلفتم أبا عثمان
فيقولون لي جنان كما سر ك في نفسها فسل عن جنان
ما لهم لا يبارك الله فيهم كيف لم يغن عندهم كتمان^(٢)
وجنان التي ذكرها كانت محبوبته ، وقد عشقها أبو نواس ، وكان صادقاً
في حبه لها ، وأبو عثمان هو أخو مولي جنان .

(١) المصدر السابق : ص ٣٨٧.

(٢) تمام المتون : ص ٣٨٧ - ٣٨٨ . انظر : تحرير التحبير، لابن أبي الأصبغ : ج ٢، ص ٥٧٤.

المبحث السابع

العكس والتبديل والحل والعقد وإرسال المثل

تعريف العكس والتبديل :

ويسمى بالمغايرة : وهو أن يأتي الشاعر أو الناثر إلى معنى لنفسه ، أو لغيره فيعكسه ويبدله .

العكس في اللغة :عَكَسَ الشيءَ يَعْكِسُهُ عَكْسًا فَاَنْعَكَسَ رَدَّ آخِرَهُ عَلَى أَوَّلِهِ^(١) ، ويقال له : التبديل . وفي الاصطلاح : تقديم لفظ من الكلام ثم تأخيره . مثل قوله تعالى : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ [آل عمران: ٢٧] ، حيث ذكر المولى عز وجل قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما ، وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر .

يقول نجم الدين بن الأثير : "ولأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة مدح فيها الدنيا فقال : "هي دار صدق لمن صدقها ، وعافية لمن فهم عنها ، ودار غني لمن تزود منها ، وأنها لمهبط الوحي ، ومدفن الملائكة . فقد غاير عليه السلام أكثر الناس علي ذمها"^(٢) . أي : أن معظم الناس يذمون الدنيا ويكثرون من هجائها ، ولكن الإمام علي كرم الله وجهه مدحها في هذه الخطبة فأثنى عليها فيكون بهذا قد غاير الناس وعكس قولهم .

العكس والتبديل في كتاب تمام المتون

(١) لسان العرب ، لابن منظور : ج ٦ ، ص ١٤٤ .

(٢) جواهر الكنز نجم الدين بن الأثير : ص ٢٨٧ .

ذكر الصفدي هذا المصطلح عند شرحه لقول ابن زيدون : "والحين
قد يسبق جهد الحريص"^(١).

قال : "وعكس بشار بن برد قول القطامي :
قديدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
فقال :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج"^(٢)
وهذا موجود كثير في أشعار العرب ونثرهم .
قال ابن زيدون : "والحينُ قد يسبق جهد الحريص"^(٣).

قال الصفدي : "وهذا نصف بيت لعدي بن زيد العبادي وهو :
قد يدرك المبطئ من حظه والحين قد يسبق جهد الحريص
وقال القطامي :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل"^(٤)
وهذه الأبيات تدعو إلى عدم الاستعجال في الأمور ، ومن أراد قضاء
حاجته ، وإدراك أموره ، فعليه بالتمهل والبطء . ويقول الآخر :
وربما ضر بعض الناس بطؤهم وكان خيراً لهم لو أنهم عجلوا^(٥)
وهذا البيت عكس قول القطامي : الذي جعل إدراك المطلوب وتحقيق
الأمان في التأني والسلامة ، ولكن هذا الشاعر وبشار عكسا المعنى . يقول

(١) تمام المتون : ص ٥٦.

(٢) المصدر السابق : ص ٥٦.

(٣) المصدر السابق : ص ٥٦.

(٤) المصدر السابق : ص ٥٦.

(٥) المصدر السابق : ص ٥٦.

الصفدي عن الإعرابي صاحب البيت السابق لما سمع قول القطامي قال :
"هذا يثبط الناس هلا قال بعد هذا" ثم أنشد بيته السابق .

الحل والعقد

تعريفه :

الحل : هو نثر النظم ، والعقد : هو نظم النثر . يقول ابن حجة الحموي : "العقد : ضد الحل لأنَّ العقد نظم المنشور ، والحل : نثر المنظوم"^(١). وعرفه ابن منقذ بقوله : " الحل والعقد : هو ما يتفاضل فيه الشعراء والكتاب ، وهو أن يأخذ لفظاً منشوراً فينظمه ، أو شعراً فينثره ، ويطارحه العلماء فيما بينهم"^(٢).

وقد شرط العلماء للعقد أن يأخذ الشاعر المنشور بجملة لفظه أو معظمه ، ويزيد وينقص فيه حتى يجعله شعراً موزوناً ، أما إذا أخذ الناظم بعض معنى المنشور دون لفظه عد ذلك من السرقات . يقول المبرد: "وكان إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية لا يكاد يخلي شعره مما تقدم من الأخبار والآثار ، فينظم ذلك الكلام المشهور ، ويتناوله أقرب متناول ، يسرقه أخفى سرقة فيقول:

وكانت في حياتك لي عظات

وأنت اليوم أوعظ منك حيا

إنما أخذه من قول المؤبد لقباذ الملك حين مات ، فإنَّه قال في ذلك الوقت : "كان الملك أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس"^(٣).

(١) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج٤، ص٤٢١.

(٢) البديع ، لابن منقذ : ص٣٦٣.

(٣) الكامل ، للمبرد : ج٢، ص٣٠١.

الحل في كتاب تمام المتون

يعد هذا الفن من فنون البديع أكثر الفنون وروداً في الكتاب ، فإذا تأملنا في الرسالة نجد معظمها حل لأشعار ، وحكم لأدباء سابقين له ، كما نجد كثيراً من الشواهد التي ذكرها الصفدي من النثر عقدها شعراء ، وكل هذا جاء لتوضيح الرسالة ، وتبيين غوامضها ، وفك طلاسمها . يقول دكتور شوقي ضيف : "وأكبر الظن أن خصائص ابن زيدون اتضحت لنا الآن ، فهو يعني عناية شديدة بحل الشعر في كلامه"^(١).

وهذا يؤكد ما قلته أن معظم عبارات الرسالة عبارة عن أشعار محلولة ، وهذا يدل على كثرة حفظه للأشعار ومعرفته الواسعة بها .

يقول الصفدي : في شرحه لقول ابن زيدون : "وأني لأتجلد وأري الشامتين أني لريب الدهر لا اتضعضع" وكلام ابن زيدون رحمه الله محلول من قول أبي ذؤيب الهزلي"^(٢). ومثل ذلك أيضاً حل ابن زيدون لبیت أبي العتاهية :

وقد يهلك الإنسان من باب أمنه وينجو بإذن الله من حيث يحذر^(٣)
حيث قال : "ويؤتي الحذر من مأمنه ، وتكون مَنِيَّة المتمني في أمنيته"^(٤). والصفدي لا يذكر أحياناً كلمة "حل" وإنما يكتفي بقوله : "وهذا مأخوذ من قول ..."^(٥)، أو قوله : " وهو يشير إلى قول ..."^(٦)، فالأول

(١) الفن ومذاهبه ، لشوقي ضيف : ص ٣٢٨ .

(٢) تمام المتون : ص ٦١ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٩ .

(٤) المصدر السابق : ص ٤٩ .

(٥) المصدر السابق : ص ٤٩ .

(٦) المصدر السابق : ص ٦٦ .

مثل قول ابن زيدون : "وألذ الشراب ما أصاب غليلاً"^(١). يقول الصفدي :
"وهذا مأخوذ من قول الشاعر أظنه كشاجم :

هذا الشراب أخو الحياة وما له من لذة حتى يصيب غليلاً"^(٢)

والثاني مثل قول ابن زيدون : "ومانبهتك إلا لأنام"^(٣). يقول الصفدي :
"هذا فيه إشارة إلى المثل السائر وهو "نبه لها عمراً ثم نم"^(٤).

(١) قال ابن زيدون : "وسمع الأصم ثنائي عليك ، وأحس الجماد بإسنادي
إليك"^(٥).

أي : أن الأصم سمع مدحي وثنائي عليك ، والجمادات أحست بذلك ،
وكلام ابن زيدون محلول من قول ابن الساعاتي :

في مثلها نظر الأعمى فلا برحت صبحي وأسمع حتى من به صمم
أثني بها كل شيء بعد عجمته فكل ما ضم صدر الخافقين فم^(٦)
وقد سبق إلى هذا أبو الطيب حين قال :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم^(٧)

(٢) قال ابن زيدون : "وإني لأتجلد وأري الشامتين أني لريب الدهر لا
أتضعضع"^(٨).

أي : أني أصبر وأكثر من الثبات ، وعدم المبالاة بالمصائب التي تحدث حتى
يعلم الشامتين أني لا أضعف أمام الحوادث ، ولا أتضعضع . يقول الصفدي :

(١) تمام المتون : ص ٨٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٨١ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٥٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٥٢ .

(٥) المصدر السابق : ص ٤٤ .

(٦) المصدر السابق : ص ٤٥ .

(٧) شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج ٤ ، ص ٨٣ .

(٨) تمام المتون : ص ٦٠ .

"وكلام ابن زيدون رحمه الله تعالى محلول من قول أبي ذؤيب الهزلي من قصيدته التي رثي بها أولاده فقال :

وتجلدي للشامتين أريهم إنني لريب الدهر لا أتضعع وأولها :

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع^(١)
(٣) قال ابن زيدون : "هل أنا إلا يد أدمها سوارها ، وجبين عض به أكليه"^(٢).
يرى الصفدي أنّ ما قاله ابن زيدون محلول من شعر لأبي الطيب وهي أبياته الآتية :

بنو كعب وما أثرت فيهم يد لم يدمها إلا السوار
بها من قطعه ألم ونقص فيها من جلالته افتخار^(٣)
وأرى أنّ ابن زيدون لم يحل بيت أبي الطيب ، وما قاله : "ما أنا إلا يد ... " هي مثل قديم دار على السنة الناس كثيراً ، وصار مشهوراً فاستشهد به .
(٤) قال ابن زيدون : "وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي ، وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تقشع"^(٤).

نثر ابن زيدون شعراً للشاعر شرف الدين مستوفي إربل ، وهو قوله :
وما هي إلا غمرة ثم تنجلي سريعاً وإلا نبوة تتصرم^(٥)
(٥) قال ابن زيدون : "وعلام رضيت من المركب بالتعليق ، بل من الغنيمة بالإياب"^(٦).

أي : أنّي أرضى بأقل الأمور وأصغرها وأقنع ، ولا أطاول لعظائمها .

(١) تمام المتون : ص ٦١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٦٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ٦٧ .

(٤) المصدر السابق : ص ٧٤ . انظر : نكت الهميان ، للصفدي : ص ١٢٦ .

(٥) تمام المتون : ص ٧٥ .

(٦) المصدر السابق : ص ٢٧٠ .

يقول الصفدي : "وهو يضرب في القناعة بإدراك بعض الحاجة ، والمركب هنا يجوز أن يكون بمعنى الركوب ، أي : أرض بدل ركوبك بتعليق امتعتك عليه . ويجوز أن يراد به الركوب"^(١).

وهذا حل ، لأنه نثر قول امرئ القيس :

وقد طوفت في الآفاق حتى قنعت من الغنيمة بالإياب^(٢)

٦ قال ابن زيدون : "ومالك لم تمنع مني قبل أن افترس ، وتدركني ولما أمزق"^(٣). يلومه على عدم سرعته لإنفاذه ، أي : لماذا لم تحميني قبل أن تفرسني الوحوش ، وتلحقني قبل أن تمزقني . وأراد بحديثه هذا لماذا لم تدركني قبل أن تنزل بي هذه الشدة .

يقول الصفدي : "وقوله : "وتدركني ولما أمزق" مأخوذ من بيت للممزق العبدى وهو :

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزق^(٤)

ومثل هذه الشواهد تذكر ساعة الشدة ، وصارت مثلاً يضرب في مثل هذه الأحوال ، وقد ورد هذا البيت في الرسالة التي أرسلها سيدنا عثمان رضي الله عنه إلى الإمام على كرم الله وجهه حينما كان محاصراً في الدار . يقول الصفدي : "وقيل أنه كتب وهو محصور إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : "أما بعد فقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطبيين ، وطمع في من لا يدفع عن نفسه ، ولم يعجزك كلئيم ، ولم يغلبك كمغلب ، فأقبل إليّ عليّ أي أمريك أحبت :

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزق^(٥)

(١) تمام المتون : ص ٢٧٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٧٠ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٧٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٧٦ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٩٢ . انظر : الكامل ، للمبرد : ج ١ ، ص ١٩ .

(٧) قال ابن زيدون : "ولعمرك ما جهلت أن صريح الرأي أن أتحول إذا بلغتني الشمس ونبايي المنزل"^(١).

وهذا النص محلول من بيت شعر لأبي تمام ، يقول الصفدي : "وهو يشير بذلك إلى قول أبي تمام من قصيدة مدح بها محمد بن عبد الملك الزيات يعاتبه :

وإن صريح الرأي والحزم لامرئ إذا بلغته الشمس أن يتحولاً"^(٢)

(٨) قال ابن زيدون : " وأصفح عن المطامع التي تقطع أعناق الرجال"^(٣).

وهذا محلول من قول البعيث المجاشعي :

طمعت بليلي أن تريع وإنما تقطع أعناق الرجال المطامع"^(٤)

العقد في كتاب تمام المتون

قال الصفدي : " قيل يوماً لأبي الحارث : ما تشتهي؟ فقال : أعين الرقباء ،

وألسنة الوشاة ، وأكباد الحساد"^(٥). ثم قال : "أخذ هذا بعضهم فنظمه :

قال لي عوادي غداة أتوني ما الذي تشتهي؟ واجتهدوا بي

قلت: مقلّى فيه لسان وشاة قطعوه فيه بصنع عجيب

وأضيفت إليه كبد حسود فقئت فوقها عيون رقيب"^(٦)

وقول أبي الطيب :

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل"^(٧)

عقدٌ ، حيث أخذ أبو الطيب كلام أحد الحكماء ونظمه ، وهو : "العيان

شاهد لنفسه ، والأخبار ترد عليها الزيادة والنقصان فأولى ما أخذ ما كان دليلاً

(١) تمام المتون : ص ٣٠٩ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٠٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣١٣ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣١٣ .

(٥) تمام المتون : ص ٢٢٤ .

(٦) المصدر السابق : ص ٢٢٤ .

(٧) المصدر السابق : ص ٣٠١ . انظر : ديوان المتنبي ، للعقباوي : ص ٣٧٢ .

على نفسه" ^(١). ومن العقد قوله أيضاً :

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل ^(٢)

فقد أخذ أبو الطيب قول الحكيم : "مباينة المتكلف المطبوع ، كمباينة الحق للباطل" ^(٣).

إرسال المثل

تعريفه :

يقول ابن حجة الحموي : "إرسال المثل : نوع لطيف من البديع ، ولم ينظمه في بديعية غير الشيخ صفى الدين الحلبي _ رحمه الله _ وهو عبارة عن أن يأتي الشاعر في بعض بيت بما يجري مجرى المثل ، من حكمة أو نعت أو غير ذلك مما يحسن التمثيل به" ^(٤).

قال ابن زيدون : "لكان فيما جرى على ما يحتمل أن يسمى نكالا ، ويدعى ولو على سبيل المجاز عقاباً ، وحسبك من حادث بامرئ : ترى حاسديه له راحمينا" ^(٥).

وهذا يضرب به المثل . يقول إنه لو فعل كل هذه الجرائم السابقة لوجب عليه كل هذا العقاب ، لكنه لم يفعلها . يقول الصفدي : "يريد بذلك أنه لو كنت أتيت بهذه الذنوب التي عدتها ، من تكبر إبليس على آدم ، وعدم السجود له ، وكنت مثل ابن نوح ولم أركب معه في السفينة ، وقلت ما قاله ، وكنت مثل فرعون الذي كفر ، وبني صرحاً ليطلع فيه إلى إله موسى ، وكنت مثل الذين عكفوا على العجل فكفروا بعد الإيمان بموسى ، ومثل الذين اعتدوا في

(١) جواهر الكنز ، لنجم الدين ابن الأثير : ص ١٩٨ .

(٢) تمام المتون : ص ٧٣ . انظر : ديون المتنبي ، للعقباوي : ص ٣٧٣ .

(٣) البديع ، لابن منقذ : ص ٣٧٤ .

(٤) خزانة الأدب ، لابن حجة : ج ٢ ، ص ١٢٥ .

(٥) تمام المتون : ص ٢١٩ .

السبت من بني إسرائيل ، وشربوا من النهر الذي نهام عنه ، وكنت كقदार في
ثمود الذي عقر الناقة ، وكنت كأبرهة بن الصباح _صاحب الفيل _ الذي قاده
لحرب الكعبة ، وكنت من جملة قريش الذين تعاهدوا على مهاجرة بني هاشم وبني
عبد مناف ، ومنعوهم من نكاحهم وبيعهم وشرائهم ، وكتبوا صحيفة بذلك
وعلقوها في الكعبة ، وأقام رسول الله ﷺ وأهله في الشعب محصورين ستين أو
ثلاث ، وكنت ممن تأول في بيعة العقبة ، وكنت ممن نفر إلى العير بدر ، وكنت
كابن أبي رأس المنافقين الذي انحزل بثلاث الناس يوم أحد، وكنت ممن تخلف عن
صلاة العصر في بني قريظة ، وكنت ممن جاء بالإفك على عائشة (رضي الله عنها) ،
وكنت ممن أنف من إمارة أسامة بن زيد وقد جهزه رسول الله ﷺ في سرية فيها مثل
أبي بكر وعمر ، وكنت ممن قال : إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة ، وكنت مثل
الذي قال : "ورويت رحي من كتيبة خالد" ، وكنت مثل أبي لؤلؤة الذي مزق
الأديم الذي باركت يد الله عليه وقتل عمر بن الخطاب ، وكنت ممن ضحى
بالأشط الذي عنوان السجود به فقتل عثمان بن عفان ، وكنت مثل ابن ملجم
قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكنت مثل عبيد الله بن زياد إذ كتب إلى عمر بن
سعد أن جمع بالحسين ، وكنت مثل يزيد وقد جرى بالحرّة ما جرى وتمثل بذلك
البيت ، وكنت مثل الحجاج الذي هدم الكعبة بالمنجنيق وصلب عبد الله بن
الزبير العائد بالبيت ... لكان في الذي جرى على ما فيه جزاء وكفاية ، وكان
نكالا وعقاباً ، ولو على المجاز"^(١).

ويرى ابن زيدون أنه لم يرتكب ذنباً عظيماً مثل هذه الذنوب التي ارتكبها
هؤلاء الذين ذكرهم ، وضرب بهم المثل . وقد استشهد الصفدي على إرسال
المثل بقول المتنبي :

وإن كان ذنبي كل ذنب فإنّه محا الذنب كل الحو من جاء تائباً^(٢)

(١) تمام المتون : ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٢١ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة : ج ٢ ، ص ١٥٢ .

يقول الصفدي : "وقد اختصر هذه الأشياء المعدودة والذنوب المذكورة ، وزاد عليها كل ما يمكن زيادته أبو الطيب المتنبي ، واختصر هذا وما بعده في بيت واحد"^(١). وهو البيت المذكور أعلاه ، ويستشهد أيضاً بقول المتنبي :

كفي بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنيا أن يكون أمانياً^(٢)
وبقول أبي تمام :

وحسبك حسرة لك من صديق يكون زمامه بيدي عدو^(٣)

وبقول سراج الدين الوراق يذم عبده :

متلون الأخلاق حرباواتها وسواده يمتاز منه القار

ويسئ آداباً على ودأبي ال إغضاء ودأبه الإصرار

وله ذكاء إياس في حاجاته وإذا قضا لي حاجة فحمار

ورقاد أهل الكهف دون رقاد ما جن ليل أو أضواء نهار^(٤)

وللأبيات بقية ، وكلها في رأي الصفدي مما يسير ويضرب بها المثل . وقد ذكرتها مستشهداً بها في أغراض بلاغية أخرى .

ومن الأبيات التي تجري مجرى المثل أبيات المتنبي من قصيدته الميمية التي

مطلعها :

وأحر قلبه ممن قلبه شيم ومن بجسمي وحالي عنده سقم^(٥)

وقد ورد في الرسالة قوله :

"يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم"^(٦)

(١) تمام المتون : ص ٢٢١ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة : ج ٢ ، ص ١٥٢ .

(٢) تمام المتون : ص ٢٢١ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة : ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٣) تمام المتون : ص ٢٢١ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة : ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٤) تمام المتون : ص ١٢١ .

(٥) شرح ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ج ٤ ، ص ٨١ .

(٦) تمام المتون : ص ٣٤٤ .

يقول الصفدي : "وكان سيف الدولة بن حمدان إذا تأخرت عنه مدائح أبي الطيب شق ذلك عليه وأقلقه ، وأكثر معاتبته إذا حضر وتقدم إلى من بحضرته بالتعريض بالمكروه ، ومخاطبته بما لا يحسن فكبر ذلك على أبي الطيب وآله غاية الإيلاء ، فأنشده هذه القصيدة بمحضر من العرب والعجم ، وكانت سبب الوحشة بينهما وفساد الحال . وبعد هذا البيت الذي أورده ابن زيدون :

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة لو أن أمركم من أمرنا أمم
إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم^(١)
وكل الأبيات السابقة تجري مجرى المثل لما فيها من حكمة . ومثله قوله :
يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وهذا لمن لا يميز بين الصحيح والسقيم ، والتبر والتراب . يقول ابن حجة الحموي : "وبيت الشيخ صفى الدين الحلي الذي نظمته في بديعته من هذا النوع ، وهو قوله :

رجوتكم نصحاء في الشدائد لي لضعف رشدي واستسمت ذا ورم
فقوله : "واستسمت ذا ورم ، من الأمثال السائرة"^(٢) .
والفرق والبون شاسع بين الشحم الحقيقي والشحم الناتج عن مرض وورم ، مثل الفرق بين النور والظلام والعلم والجهل .
وقوله :

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم^(٣)
وهذا يضرب لمن تساوت عنده الأضداد . فالنظر يحتاج له للتفريق بين النور والظلام ، فإذا استويا لدى الناظر فلا حاجة للنظر . ويتحدث الصفدي عن

(١) تمام المتون : ص ٣٤٥ .

(٢) خزانة الأدب ، لابن حجة : ج ٢ ، ص ١٩٠ .

(٣) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٩٠ .

إعجابه بهذه الأبيات وجمالها وحسنها بقوله : "ولم أورد هذه الأبيات إلا لأنها يليق بهذه الرسالة أن تدرج في أثنائها ، وتنخرط في سلكها"^(١).

هذا وقد استشهد بهذه الأبيات أيضاً ابن حجة الحموي في حديثه عن المحسن البديعي : "إرسال المثل". يقول : "ويعجبني من هذه القصيدة قوله يخاطب سيف الدولة ويشير إلى أنه سمع فيه كلام الأعداء ، وقد احضرهم لمواجهته ولم يخرج عما نحن فيه من إجراء المثل"^(٢). ثم يذكر ابن حجة أبيات المتنبي الميمية التي ذكرناها سابقاً^(٣).

وعلى الرغم من أن ابن حجة قد انتقد الصفدي في سرقاته من ابن نباتة إلا أنه يتفق معه في إعجابه بالمتنبي ، وذلك لأن ابن حجة يرى أن شعر أبي الطيب من أكثر الأشعار التي جرى بها المثل ، وطاب بها الذوق ، ولذا أورد كثيراً من شعره في هذا الباب . يقول ابن حجة : "ولقد رأيت هنا في هذا القدر الذي أوردته من شعر أبي الطيب من "إرسال المثل" ما تطيب به الأذواق وتجول به فرسان الإنشاء بالخمير من جياذ الأقلام في ميادين الأوراق ، وعلى كل تقدير فما لأبي الطيب في حكمه وأمثاله مثيل . وهنا نكتة لطيفة وهي أن الشيخ صلاح الدين الصفدي _ رحمه الله _ كان مذهبه تقديم أبي الطيب على أبي تمام وهو مذهب أبي العلاء المعري ، فإنه سمي ديوانه بعدما شرحه "معجز أحمد". واتفق أن الشيخ صلاح الدين اجتمع بالشيخ جمال الدين بن نباتة بالديار المصرية وذاكره في أبي الطيب وأبي تمام فوجده على مذهبه ، واجتمعا بعد ذلك بالشيخ أثير الدين أبي حيان وذكراه في ذلك فقدم أبا تمام فلامه على ذلك فقال : أنا لا أسمع لوماً في حبيب"^(٤).

(١) تمام المتون : ص ٣٤٥ .

(٢) خزانة الأدب ، لابن حجة : ج ٢ ، ص ١٥١ .

(٣) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٥١ .

(٤) خزانة الأدب ، لابن حجة : ج ٢ ، ص ١٧٨ .

وهنا جاء دور ابن حجة لكي يؤكد وقوفه مع الصفدي ، واستحالة رجوعه عن حب أبي الطيب . يقول : "ومذهبي في ذلك كمذهب الشيخ صلاح الدين والشيخ جمال الدين ، وإن كان الشيخ أثير الدين ما سمع في حبيبه لوماً وخالف من لومه فيه وفند . فمن المستحيلات رجوع أبي بكر عن حب أحمد ، وقد عنّ لي أيضاً أن أورد هنا من سارت في الخافقين حكمه وأمثاله ، وإنقاد أهل الذوق السليم إلى طاعته" ^(١) . وهكذا يواصل ابن حجة ذكره لمناقب المتنبّي وفضائله . ومن أبيات المتنبّي التي ذكرها الصفدي في "تمام المتون" وذكرها ابن حجة في "خزانة الأدب" واستشهد بها على إرسال المثل قوله :

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل دعا فلبه قبل الركب والإبل ^(٢)
وقوله :

وقد وجدت مكان القول ذا سعة
فإن وجدت لساناً قائلاً فقل ^(٣)

وقوله :

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به
في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل ^(٤)
وقوله :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله
ولكن لشعري فيك من نفسه شعر ^(٥)

(١) خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي : ج ٢ ، ص ١٧٨ .

(٢) تمام المتون : ص ٣٠١ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة : ج ٢ ، ص ١٣١ .

(٣) تمام المتون : ص ٣٠١ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة : ج ٢ ، ص ١٣١ .

(٤) تمام المتون : ص ٣٠١ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة : ج ٢ ، ص ١٣١ .

(٥) تمام المتون : ص ٢٩٧ . انظر : خزانة الأدب ، لابن حجة : ج ٢ ، ص ١٣٧ .

الباب الرابع

القضايا النقدية

الفصل الأول : الصفي الناقد

- المبحث الأول: طريقة الصفي النقدية .
- المبحث الثاني : طريقة إختياره للنصوص .
- المبحث الثالث: الذوق الأدبي .
- المبحث الرابع : مقومات الشخصية . الأدبية عبد الصفي .
- المبحث الخامس: نوثيق النصوص .

الفصل الثاني : المصطلحات النقدية

- المبحث الأول: الاستحسان والتعديل .
- المبحث الثاني: الاختلاس .
- المبحث الثالث: الدوشي .
- المبحث الرابع : العذوبة .
- المبحث الخامس: الفصاحة .
- الفصل الثالث : القضايا النقدية .
- المبحث الأول : السرقات الأدبية .
- المبحث الثاني: الموازنات .
- المبحث الثالث: المفاضلة بين الشعر والنثر .
- المبحث الرابع: اللفظ والمعنى .
- المبحث الخامس: نقد الصفي لبعض نصوص ابن زيدون .

القضايا النقدية

تعريف النقد :

النقد في اللغة : من نقده الدراهم "ونقد" له الدراهم أي أعطاه إياها فانتقدها أي : عدها ، ونَقَدَ الدراهم وانتقدها : أخرجها من الزيف ، وبابها نَصَرَ . وفي أساس البلاغة : "نقده الثمن ونقده له ، ونقد النقد الدراهم ، ميز جيدها من رديئها ... ومن المجاز : هو من نقادة قومه : من خيارهم . ونقد الكلام ، وهو من نَقَدَ الشعر ونقاده ... انتقد الشعر على قائله ، وهو ينقد بعينه الى الشيء : يديم النظر اليه باختلاس حتى لا يفتن له"^(١). ومعظم المعاني اللغوية يربطها رابط بالمعاني الاصطلاحية ، فتميز الدراهم الجيدة من الدراهم الرديئة أقرب إلى تمييز النص الأدبي الصحيح الجيد ، من النص الأدبي الرديء .

النقد اصطلاحاً : يقول دكتور محمود رزق سليم : "النقد الأدبي هو النظر في التنتاج لأمة ، أو فرد ، ومقدار نطقه بالحق وتقلبه على وجوهه المتعددة ، تحرياً لمظاهر الحسن فيه ، وتلمساً لمواضع النقص فيه ، جاهدين في إبراز حسنه ، أو نقصه"^(٢). أي : النقد الأدبي هو دراسة العمل الأدبي ومناقشته ، واستخراج عناصر الجمال إن كان العمل سامياً ، وعناصر القبح إن كان رديئاً . يقول دكتور بدوى طبانة : "وأيا ما كان الأمر فإن مفهوم كلمة "النقد" في الأدب لا يبعد عن مفاهيمها اللغوية التي عرفها أصحاب اللغة ، بل إن أكثر المعاني الحقيقية يمكن أن تلحظ في هذا الاستعمال المجازي في نقد الأدب . تناوله "النقد" إعطاؤك الدراهم إنساناً وأخذها الانتقاد

(١) أساس البلاغة ، للزحشري : ص ٤٦٩ .

(٢) عصر سلاطين المماليك ، لمحمود رزق سليم : ج ٥ ، ص ١١٤ .

ونقد الأدب دراسته والنظر فيه ، وهو ينقد بعينه إلى الشيء : يديم النظر إليه باختلاس حتى لا يفطن إليه" ^(١).

وقد بدأ النقد مثله مثل أي علم صغير ، ثم تطور ونما . وكان ظهوره منذ العصر الجاهلي مع ظهور الأدب ، حيث كان العربي في ذلك العصر تصدر منه ملاحظات ، وأراء ناتجة عن طبعة السليم ، وذوقه المرفه ، وكان نقداً فطرياً يعتمد على السليقة . مثل تفضيل زوج امرئ القيس: علقمة الفحل ^(٢) على زوجها وإنكار طرفة بن العبد ^(٣) على المسيب بن علس ^(٤) في قوله :

وقد أتلافى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم
حيث انتقده طرفة وقال : "استنوق الجمل" لأن الصيعرية من سمات النوق فاستعمالها مع الجمال إحالة غير مقبولة . وما يروى عن النابغة أنه كانت تضرب له قبة من آدم بسوق عكاظ فيأتيه الشعراء ، وينشدون أمامه الشعر ، ليحكم بينهم ^(٥) . كل هذه المعاني وتلك تدل على أنه يوجد نقد منذ العصر الجاهلي ، وإن كان بدائياً بسيطاً . ثم تطور بعد ذلك عبر القرون ، حتى جاء العصر العباسي حيث ظهرت كتب نقدية قيمة توازن وتفاضل بين

(١) دراسات في نقد الأدب العربي ، دكتور بدوى طبانة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٦٥م : ص ٢٢ .

(٢) علقمة بن عبلة الفحل : من بني تميم ، من ربيعة الجوع ، شاعر جاهلي ، كان ينازع امرأ القيس الشعر . انظر : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة : ص ١٣٩ .

(٣) طرفة بن العبد بن سفيان البكري الوائلي أبو عمر : شاعر من الطبقة الأولى جعله الملك عمرو بن هند من ندمائه . انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١١٤ .

(٤) المسيب بن علس واسمه زهير بن علس وهو خال الأعشى (اعشى قيس) ، ابو الفضة : من شعراء بكر بن وائل المعدودين . انظر : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة : ص ١٠٦ .

(٥) المثل السائر ، لابن الأثير : ج ١ ، ص ٤ .

الأدباء والشعراء ، مثل كتاب "الموازنة" للأمدى^(١) و"الوساطة بين المتني وخصومه" للقاضي الجرجاني^(٢). وما جاء به الصفدي ونقاد عصره يعد امتداداً لما ورثوه من العصر العباسي .

(١) الحسن بن يشر بن يحيى الأمدى ، أبو القاسم : عالم بالادب ، راوية ، من الكتاب ، له شعر ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٢ ، ص ١٨٥ .

(٢) علي بن عبد العزيز بن الحسن ، أبو الحسن الجرجاني : قاضي القضاة ، كان من مفخر الإسلام ، حسن السيرة في القضاء . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٤ . ص ٤٠٠ .

الفصل الأول : الصفدي الناقد

المبحث الأول: طريقة الصفدي النقدية .

**المبحث الثاني : طريقة اخنياره
للنصوص .**

المبحث الثالث: الذوق الأدبي .

**المبحث الرابع : مقومات الشخصية .
الأدبية عبد الصفدي .**

المبحث الخامس: نوثيق النصوص .

المبحث الأول

طريقة الصفدي النقدية

كان الشيخ الصفدي بحراً متلاطماً من بحور الأدب ، حفظاً وتأليفاً ومدارسة ومساجلة مع أهل عصره . وكان ذواقاً لا يقرأ النص قراءة عابرة ولكنه يتعمق فيه ، حتى يصل إلى أدق خفاياه ، ويدرك مكنونه ، ويوضح الغامض منه . يقول محقق "تمام المتون" محمد أبو الفضل إبراهيم : " فإنه كان غواصاً في المعاني ، مبتكراً للنكت البديعة ، عارفاً بفنون الأدب"^(١).

والقارئ لـ "تمام المتون" يجد الصفدي يكثر من إيضاحه للمعني ، بذكر الشواهد والأدلة نظماً ونثراً ومقارنة ، حتى يصل المعني واضحاً للسامع . انظر إلى قوله في شرح قول ابن زيدون : " بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك"^(٢) ، يقول : " فعلت بي ما تقدم من سلب لباس إنعامك ، وما بعده من الجمل المعطوفة ، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك ، وهذه مبالغة زائدة ؛ وهو أن التأمل أمر معنوي لا تشاهده العين ، وأنا كنت مبالغاً فيما أملت منك ورجوته ، حتى رآه الأعمى من شدة اتصافي وتلبسي به . وهذه مبالغة عظيمة في هذا المعني"^(٣) . وبعد شرحه الواضح هذا نجده يربط قول ابن زيدون بقول المتنبي . فيقول وهو يشير إلى قول أبي الطيب :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

ثم يذكر مطلع القصيدة التي منها البيت ، حتى يجعل الصورة مكتملة

أمام القارئ . فيقول : " وهذا من قصيدته التي يقول في أولها :

(١) تمام المتون : ص ١٥ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٢ .

واحر قلبه ممن قبله شيم ومن بجسمي وحالي عنده سقم^(١)
ويذكر الصفدي بعد ذلك عدة أبيات تؤكد المعنى ، وتزيده وضوحاً
وبياناً . ولعل من أهم ما يميز الصفدي اهتمامه بالجانب اللغوي ، وتطبيقه
في نقده ، وسيتضح لنا ذلك في عرض النصوص التي تناولها بالنقد ، فهو
أولاً يبرز الجانب اللغوي ، بعد أن يوضح غامضة ويبين مبهمه . تقول دكتورته
نعمه رحيم العزاوي : " إن طريقة استخدام الأديب للغة في عرض مضامينه
الجيدة ، تحدد منزلته بين الأدباء ، وتعطيه السمة التي يتفوق بها على غيره أو
يتخلف "^(٢).

والصفدي إمام في اللغة ، فمعظم نصوص الرسالة قبل أن يتناولها من
الناحية الأدبية والبلاغية شرحها لغوياً شرحاً اقرب إلى شرح المعاجم . مثل
ذلك شرحه لقول ابن زيدون : "من أبقاه الله ماضي حد العزم"^(٣) .
يقول الصفدي : "ماضي حد العزم أي : حاد العزيمة ، والماضي :
السيف الناقد في الضريبة ، والعزم العزيمة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ
عَزْماً ﴾ ، وعزمت على الأمر أعزم عزماً وعُزْماناً بضم العين وعزيمة وعزيماً
إذا أردت فعله "^(٤).

(١) تمام المتون : ص ٤٣ .

(٢) النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري لنعمة رحيم العزاوي : ص ٥ .

(٣) تمام المتون : ص ٣٨ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٨ .

المبحث الثاني

طريقة اختياره للنصوص

يختار الصفدي نصوصه التي يوضح بها شرحه من كافة العصور ، لا يتقيد بعصر دون آخر ، يجمعها ويقارن بينها ، يشيد بالنص الذي يعجبه ، ويلتمس العذر لغيره ، ويحاول إصلاح الفاسد منها . يقول محمد علي سلطاني : " إنّ الصفدي قلما تحدث في النقد حديثاً نظرياً ، فروحه تأبى القواعد وتنفر منها ، وإنّما يتحدث من خلال النصوص المختارة في المعنى الواحد ، أو الشعور المشترك ، فيجمعها على تباين عصورها ، ويقوم التمييز على المقارنة فيما بينها ، وهذا لعمري منهج رائع بل إنّ المنهج الفني السليم"^(١).

فهو يريد تقريب الفهم إلى الآخرين حتى يتذوقوا ما تحمله هذه النصوص من سحر البيان ، انظر الى شرحه لقول ابن زيدون : " فلا غرو قد يغص بالماء شارب ، ويقتل الدواء المستشفي به"^(٢).

يقول الصفدي : " وجاء في كلام ابن المعتز رحمه الله : " ربما شرب شارب الماء قبل ربه " وقال الشاعر :

من غص داوى بشرب الماء غصته

فكيف ينفع من قد غص بالماء

وقال الآخر :

إلى الماء يسعى من يغص بأكلة فقل أين يسعى من يغص بماء

(١) النقد الأدبي في القرن الثامن الهجري بين الصفدي ومعاصريه ، لمحمد علي سلطاني ، منشورات دار الحكمة ، دمشق : ص ٤٨ .

(٢) تمام المتون : ص ٤٥ .

وقال عدى بن زيد العبادي :

لو بغير الماء حلقي شَرَقُ كنت كالغصان بالماء اعتصاري"^(١).

وهكذا يستمر الصفدي في ذكر الشواهد ويقارن بينها ، ولا يقف عند الأشعار فقط ، بل يتناول المنثور . يقول : " وفي المثل من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء . وهذا من كلام أكثم بن صيفي ، لأنّ الغاص بالطعام يرجع إلى الماء ، وإذا كان الماء هو الذي أغصه فلا حيلة له ، فكذلك بطانة الرجل وأهله إذا خانوه فسد حاله . وفي المثل أيضاً : يا ماء لو بغيرك غصت"^(٢). فكل هذه النصوص المنظومة والمنثورة نجده يقارن بينها وبين قول ابن زيدون ، مظهراً حسنها وجمالها . يقول محمد على سلطاني : "فالنصوص عنده هي التي تتحدث ، تتلاقى وتتجاوز فيبرز الحسن من تلاقيها ، وسر الجمال من جوارها ، وسحر البيان من هذه المقارنة التي تقوم بينها من غير قصد إليها ، ولا عناء يتجشمه القارئ في ذلك"^(٣).

وعلى الرغم من أنّ الصفدي لا يعلق على معظم هذه النصوص التي يذكرها إلا أنّ هذه النصوص الكثيرة تجعل القارئ أكثر متعة ، وأكثر استفادة ، فهو يجعل القارئ يفكر ويتأمل ويتذوق ، ويجعل ميدان الخيال أمامه واسعاً ، حتى يعمل فكره ، ويصول ويجول في مضماره . وكثيراً ما نجد الصفدي يذكر المصادر التي أخذ منها النص ، فحينما بدأ شرحه ذكر أنّه نقل هذه الرسالة من خط الإمام علي بن ظافر^(٤). يقول: "وها أنا أورد الرسالة

(١) تمام المتون : ص ٤٦ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٨ .

(٣) النقد الأدبي ، لسلطاني : ص ١٤٨ .

(٤) علي بن ظافر بن حسين الأزدي أبو الحسن جمال الدين المالكي : ولي وزارة الملك الأشرف ،

كان محباً لأهل الدين والصلاح . انظر : الوافي بالوفيات ، الصفدي : ج ١٤ ، ص ٣١٠ .

منقولة من خط الإمام علي بن ظافر رحمه الله^(١). ثم ذكر المصادر التي أطلع منها على سيرة ابن زيدون مثل كتاب "الذخيرة" و"قلائد العقيان". يقول الصفدي " اثنى عليه ابن بسام في "الذخيرة" وابن خاقان في " قلائد العقيان" ، وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة"^(٢). يقول محمد علي سلطاني : "وألفت النظر هنا إلى أنّ الصفدي سيضيف إلي منهجه هذا مبدأ آخر يساير منهجه في اعتماد النصوص ، وذلك في إعادة معاني النص المدرّس إلى مظانها الأولى ، إشارة منه إلى أنّها ليست لأدباء عصره ، وإنّما هي معاني السابقين من الشعراء ، ونقلها المتأخرون إلى النثر من جهة ، وإلى أغراض أخرى من جهة ثانية"^(٣).

وهذا صحيح لأنّ المتتبع إلى شعراء هذا العصر يجد كثيراً من المنشور القديم نظموا شعراً ، وحتى الكتاب حلوا أشعار السابقين لهم . ويحسن في هذا المقام أن نقول إنّ أهم المصادر التي اعتمد عليها الصفدي بعد القرآن الكريم والحديث النبوي هي المصادر اللغوية والأدبية ، ولأنّه كان رجلاً واسع الثقافة موهوباً ذكياً ناقداً شاعراً مؤرخاً ثبّتاً صادقاً فيما يقول ، وقد أشاد به كثير من العلماء المعاصرين له والذين أتوا من بعده^(٤).

كل هذه الأسباب ساعدت على كثرة إنتاجه وغزارة مؤلفاته وكثرة المؤلفات والكتب التي خلفها تؤكد كثرة مصادره المتنوعة والمتعددة .

(١) تمام المتون : ص ٢٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ٦ .

(٣) النقد الأدبي ، لسلطاني : ص ١٥٢ .

(٤) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ٢ ، ص ٣١٢-٣١٣ .

المبحث الثالث

الذوق الأدبي عند الصفدي

الذوق الأدبي هو الإحساس بالجمال عند الكاتب حينما يقف على نص أدبي معين يتأمله ، ويكون ذلك نتيجة تمرسه . يقول دكتور قلقيلة : "الذوق الأدبي هو الحاسة السادسة للإنسان نتيجة تمرسه بالأعمال الأدبية ، والفنية ووقوعها تحت تأثير حضارة خاصة وثقافة معينة ، وكثيراً ما عول النقد عليه في تقدير الأدب"^(١).

فالصفدي ناقد ذواقة ، يورد الأمثلة ثم يعقب عليها ، ويقارن بينها وبين نظائرها بما يدل على أنها تحتاج في فهمها والانفعال بها إلى ذوق لطيف ، وإحساس مرهف . ويهدف من ذكره للأبيات الشعرية والموازنة بينها إلى تنمية الذوق الأدبي لدى القارئ ، حتى يتدرب على الموازنة والمفاضلة بين شاعر وآخر فأنت توازن وتفاضل مثلاً بين قول امرئ القيس :
وقد طوفت في الآفاق حتى قنعت من الغنيمة بالإياب
وبين قول الطغرائي :

والدهر يعكس آمالي ويقنعني من الغنيمة بعد الكد بالقفل^(٢)
انظر إليه يتأمل قول جرير :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فأرجعي بسلام
عاب الصفدي عليه قوله : "فأرجعي" ويرى أنه ليس هناك لفظة أبشع من قول المحب لمن يحبه أرجع ولذا يرد عليه بقوله :
يا خجلتا لجرير من قول كفانا الله عاره

(١) انظر النقد الأدبي في العصر المملوكي ، للدكتور عبد العزيز قلقيلة ، ط ١ ، سنة ١٩٧٢م : ص ٢٧٠ .

(٢) تمام المتون : ص ٢٧٠ .

طرتك صائدة الفؤا د وليس ذا وقت الزيارة
هل كان يلقي إن أتا ه خيال من يهوى خساره
أو كان قلب قد حوا ه من حبيب أو حجاره
يقول السبكي : " فعجبت له كيف ترك لفظه "أرجعي" وهو أبشع
ما عيب به جرير ، وقلت :

أما جرير فجر ثوب العار في دعوى الضنى وله دثار غرام
إذا كذب الدعوى وقال لها وقد زارته في الغلس أرجعي بسلام
ثم قلت : لعل الشيخ صلاح الدين إنما ترك لفظه الرجوع لنكارتها
وقلت :

إنني لا أعجب من جرير وقوله قولاً غدوت به أنكر حاله
طرتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فاستمع أقواله
وأعذر فلست بقادر والله أن أحكى الذي بعد الزيارة قاله
فلما وقف الشيخ صلاح الدين علي كلامي كله ، زعم أنني اعترف له
بحسن النقد ، وقال :

أما جرير فلم يكن صباً ولكن يدعى
أو ما تراه أته صائدة القلوب فلم يع
بل قال جهلاً ليس ذا وقت الزيارة فأرجعي
لو كنت حاضر أمره قلت أرجعي وله أصفعي^(١)
وأرى أن جريراً لم يعرض عنها ، ولكنه كما قال السبكي : " لم يقصد
برجوعها إلا الشفقة عليها من الزيارة في غير وقت الزيارة"^(٢).

(١) طبقات الشافعية ، للسبكي : ج ٩ ، ص ١٥١ . انظر : الغيث المسجم ، للصفيدي : ج ١ ، ص ٢٤٢.

(٢) طبقات الشافعية ، للسبكي : ج ٩ ، ص ١٥٢ .

وقد أعجب سيدنا عمر بن عبد العزيز^(١) بهذا البيت ، وكان سبباً في تفضيل جرير على كل الشعراء الذين أتوا معه لمقابلة سيدنا عمر في أول توليه الخلافة ، ويحكي أنه منعهم جميعاً لأبيات قالوها ، يرى أنها تخالف تعاليم الشرع ، وقال سيدنا عمر لعدي بن أرطأة^(٢) : " فهل بالباب أحد سوى ذلك قال : نعم جرير ، قال أما أنه الذي يقول :

طرتك صائفة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فأرجعي بسلام

فإن كان لا بد فأذن لجرير فأذن له فدخل وهو يقول :

إنّ الذي بعث النبي محمداً جعل الخلافة للإمام العادل

وسع الخلائق عدله ووفاءه حتى أروعى وأقام ميل المائل

إنّي لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مولعة بحب العاجل

فقال له ويحك يا جرير اتق الله فيما تقول . ثم إن جريراً استأذن عمر

في الإنشاد فلم يأذن له ، ولم ينهه فأنشده قصيدة طويلة يمدحه بها ، فقال له :

ويحك يا جرير لا أرى لك فيما هاهنا حقاً ، فقال : إنّي مسكين وابن سبيل .

قال : إنّا ولينا هذا الأمر ونحن لا نملك إلا ثلاثمائة درهم ، أخذت أم عبد الله

مائة ، وابنها مائة ، وقد بقيت مائة . فأمر له بها ، فخرج على الشعراء

فقالوا : ما وراءك يا جرير ؟ قال : ما يسوؤكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين

وهو يعطي الفقراء ، ويمنع الشعراء ، وإنّي عنه لراضٍ . ثم أنشأ يقول :

رأيت رقي الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقياً^(٣)

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، أمير المؤمنين ، أبو حفص الأموي رضي الله عنه الخليفة

الراشد . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٤ ، ص ٧٦٩ .

(٢) عدي بن أرطأة الفزاري ، الدمشقي أمير البصرة لعمر بن عبد العزيز ، روى له مسلم

والأربعة ، وهو الذي قبض على يزيد بن المهلب وبعث به مقيداً إلى عمر بن عبد العزيز . انظر

الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٤ ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٣) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ١ ، ص ١٩١ - ١٩١٢ . انظر : ترجمة جرير ، الأعلام للزركلي :

ج ٢ ، ص ١١٩ .

وهذه القصة تدل على معرفة سيدنا عمر بن عبد العزيز بالشعر ،
وأَنَّهُ استطاع أن يمنع كل شاعر من الشعراء الذي قدموا عليه بالحجة
الدامغة من شعره ، وأَنَّهُ ناقد يتذوق الشعر ، ويعرف ما يناسب ويسير مع
تعاليم الإسلام ، وما يخالف ، وما هو جميل مقبول ، وما هو قبيح مرزول .

ونلاحظ أنَّ سيدنا عمر بن عبد العزيز إنَّما نظر لبیت جرير بما
يناسب الذوق ولا يخالف تعاليم الشرع فارتضاه ، أما الصفدي فكان نظره
بمعيار أهل الحبة ، فالحبيب يقبل على محبوبه في كل وقت ولا يقول له ارجع .

يقول دكتور محمد زغلول سلام عن الصفدي : " ويكشف عن ذوقه
الأدبي ما علق به من فنون التعبير البديعة كالاستعارة والتشبيهات ، ويهتم
منها بصفة عامة بتقارب الصورة وتناسبها ، ودلالاتها المعنوية والشعورية ،
لكنَّه يغفل عن التنبيه إلى اللفظ وتمكنه في السياق أو نفوره وقلقه"^(١) . ومن
الأمثلة التي تدل على تذوقه للنصوص تعليقه على قول الطغرائي :

نؤم ناشئةً بالجزع قد سقيت نصالها بمياه الغنج والكحل

يقول الصفدي : " وفي بيت الطغرائي من أنواع البديع الكناية وهي
أبلغ من الصريح وأوقع في النفوس . ألا ترى أنَّ قولك : " بعيدة مهوى
القرط " أبلغ من قولك : " طويلة العنق " وقول امرئ القيس :

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها

نؤوم الضحي لم تنتطق عن تفضل

أبلغ من قوله : منعمة ذات خدم وجواري يخدمونها ، فهي تنام
الضحى ولم تشد وسطها بنطاق الخدمة"^(٢) .

(١) الأدب في العصر المملوكي ، للدكتور محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف الإسكندرية ، جلال
حزي وشركاه : ص ٤٨٥ .

(٢) الغيث المسجم ، للصفدي : ج ١ ، ص ٤٠٥ .

فهو يغوص في أعماق النص يحلله ، مبيناً مواطن حسنه وقبحه ، ويبيدي إعجابه بالنص في ألفاظ يعبر بها عن هذا الإعجاب . وآراءه تعتمد على حاسة الذوق ، ونجدها ماثلة أثناء شرحه . يقول محمد علي سلطاني : "لقد أدرك الصفاي أهمية النقد في الأدب وتناجه ، وأدرك كذلك أنّ الذوق هو أول ما يجب توفره عند من يدخل هذا الميدان ، يلي هذا بالضرورة الدراية والمران والرياضة حتى يغدو صاحب الذوق هذا قديراً في تعمق النصوص ، والوصول إلى أغوارها ، وإدراك أسرارها"^(١).

فهو عارف بفنون الأدب ولا يتسرع في إصدار الأحكام ، بل يتأمل ويخوض في بحار المعنى ثم يصدر الحكم ، وذلك لأنه صاحب ذوق سليم مصقول مهذب . والذوق السليم يهدي البليغ إلى جودة النظم ، وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم . يقول ابن خلدون^(٢) : "متحدثاً عن ملكة الذوق : "وهذه الملكة كما تقدم إنّما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع ، والتفطن لخواص تراكيبه ، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة البيان ، فإن هذه القوانين إنّما تفيد علماً بذلك اللسان ، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها"^(٣).

(١) النقد الأدبي ، لسلطاني : ص ١٤٧ .

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ، أبو زيد : الإمام المؤرخ . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٣ ، ص ٢٣٠ .

(٣) المقدمة : لعبد الرحمن بن خلدون ، مكتبة جزيرة الورد القاهرة ، ٤ ميدان حلیم ، ط ١ ، ٢٠١٠م : ص ٥٨١ . انظر : النقد التطبيقي ، لسليمان شوشو : ص ٢٩٩ .

فابن خلدون يهتم بالذوق والتعرف على الجمال أكثر من الاعتماد على تطبيق القوانين البلاغية المقيدة ، لأنه يرى أنّ العرب أمة مطبوعة ، وحديثها يأتي سجية من غير تكلف .

ومختارات الصفدي في شرحه تدل على ذوقه الرفيع ، لأنها من مختارات الأدباء والكتاب والبلغاء التي استساغتها أذواقهم ، واستخدموها في مكاتبتهم . يقول وهو يبدأ شرح الرسالة : " وهذا أوان الشروع في إيرادها على التفصيل شيئاً فشيئاً ؛ ليتأتى الكلام على ما أودعه فيها من الإشارات إلى الوقائع والأمثال ، وخلّد فيها من أبيات اشتهر بين الأدباء استعمالها ، وتخلل في غصون الرسائل والمكاتبات ورودها ؛ حسب الإمكان " ^(١) . فهو يأتي ليزيد متن ابن زيدون رونقاً وبهاءً ، ويجعله أكثر جمالاً ، فهو يترك الردئ ليأتي بالجميل ، ويجعل قلمه يجوس خلال الديار ، ويغوص في قاع البحار ، حتى يخرج الجواهر الثمينة ، ويلج في أعماق الآبار حتى يخرج الماء الزلال . يقول : " فكم توقف القلم في الأذن على ما حصل فيه أدنى لبس ، وكم ضاق من غسان ، ولم يسع جميع بني عبس ، وكم دفع عن صدر كثير من المحاسن ، وأعرض عن منهل كان مأوه العذب غير آسن " ^(٢) .

(١) تمام المتون : ص ٣٠ .

(٢) الغيث المسجم ، للصفدي : ج ١ ، ص ١٣ .

المبحث الرابع

مقومات الشخصية الأدبية عند الصفدي

يرى الصفدي أنّ العالم هو المختص بفن واحد ، أما الأديب فهو الذي يطلب كل الفنون . يقول : "من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً واحداً ، ومن أراد أن يكون أديباً فليوسع في العلوم"^(١).

لذا نجده يفتح على كل العلوم ينهل من معينها ، ويلتهم ما فيها ويضرب مثلاً باللاحظ في مؤلفاته التي تشتمل على كل المعارف ، ومع ذلك يرى أنّ يكون الأديب مطبوعاً لا متكلفاً . يقول : "إنّ الطبع أنفع للأديب من علم العروض ، لأن كل من نظم العروض شق ذلك عليه وأتى به متكلفاً ، ولا يتأتى له وزن البيت الواحد ، بل الكلمة الواحدة إلا بعد مشقة عظيمة ، وإلى أن ينظم الناظم بالعروض بيتاً يكون صاحب الطبع السليم قد نظم قصيدة"^(٢).

ويتضح مما سبق أنّ مقومات الشخصية الأدبية عند الصفدي هي الثقافة والطبع ، وقد وافقه على ذلك جمع من علماء عصره كالقلقشندي^(٣) . يقول القلقشندي : "إنّ كاتب الإنشاء في الحقيقة لا يستغني عن علم ، ولا يقف عند فن ، لكن احتياجه إلى ذلك ليست على حد واحد ، بل منه ما يحتاج إليه وهي مواد الإنشاء التي يستمد منها ، ويقتبس من مقاصدها

(١) الغيث المسجم ، للصفدي : ج ١ ، ص ٤ .

(٢) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٤ .

(٣) أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري : المؤرخ الاديب البحاثة . وهو من دار علم ، من تصانيفه "صبح الاعشى في قوانين الانشا". انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ١ ، ص ١٧٧ .

كاللغة التي منها استمداد الألفاظ ، والنحو الذي استقامة الكلام ، وعلوم
البلاغة التي هي مناط التحقيق والتحسين ونحو ذلك"^(١).
فالصفدي ومن وافقه يرون أنّ مع الطبع لابد من الإلمام بكافة العلوم
التي تصقل الأديب ، وتجعله ضليعاً متمرساً ، وذلك لأن الطبع يحتاج إلى
الإنتاج الأدبي ، فهو لا ينهض إلا بوجود هذه العوامل المساعدة .

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، للقلقشندي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة
والنشر ، مطابع كوستا تسوماس وشركاه : ج ١ ، ص ٣٩-٤٠ .

المبحث الخامس

نوثيق النصوص

توثيق النصوص قضية انتبه النقاد العرب لها قديماً ، وظهر مؤلفات مثل كتاب "طبقات الشعراء" ، وكتاب "الشعر والشعراء" وغيرها تؤكد اهتمام هؤلاء الكتاب بتوثيق النصوص ، وتصحيحها حتى لا يدعى أحد من الناس شعراً أو نثراً لغيره . لأنّ العرب أمة أمية _ لا تكتب _ فقد ظهر في العصور التالية للعصر الجاهلي مجموعة من القبائل أدعت شعراً لغيرها ، أو كتبت شعراً على لسان زعمائهم الأوائل فيه فخر حتى يلحقوا بتلك القبائل التي سبقتهم في هذا الميدان . يقول ابن سلام : " فلما راجعت العرب رواية الشعر ، وذكر أيامها ومآثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على السُن شعرائهم ، ثم كانت الرواة بعدُ فزادوا في الأشعار وليس يُشكّل على اهل العلم زيادة ذلك ولا ماوضع المولدون " ^(١) .

واهتم الصفدي بتوثيق النصوص ، وكان أكثر حرصاً ودقة على إيراد النص الذي يذكره لقائله ، ويذكر المصدر الذي وجد فيه النص . فحينما ذكر رسالة ابن زيدون أوضح المصدر الذي أخذه منها ، قال : " وها أنا أورد الرسالة منقولة من خط الإمام على بن ظافر رحمه الله " ^(٢) .

(١) طبقات الشعراء ، لابن سلام : ص ٥٥-٥٦ .

(٢) تمام المتون : ص ٢٢ .

وقوله : نقلت من خط شمس محمد بن قيم الجوزية : "إن بريرة إنما اشترتها عائشة واعتقتها بعد ذلك"^(١). وقوله : "قال ياقوت في "معجم البلدان" : "وجد على خشبٍ من خشب غمدان لما هدمه عثمان مكتوب برصاص مصبوب في خشبة : "اسلم غمدان هادمك مقتول" فهدمه عثمان فقتل"^(٢).

وقد كان الصفدي يهتم بالسند ، وينقل السلسلة حتى لكأن الكتاب كتاب حديث لا كتاب أدب ، ففي ذكره للحديث الذي رواه هند بن أبي هالة^(٣) : "كان رسول الله ﷺ فحماً مفحماً ، يتلأأ وجهه تالأؤ القمر ليلة البدر"^(٤). ذكر جميع السند وأطال فيه ، وهذا يؤكد مدى تأثيره بشيخه المحدث جمال أبي الحجاج يوسف المزي ، فهو ينقل الحديث ويحرص عليه دون حذف أو اختصار . يقول دكتور نبيل محمد رشاد : "و حين يورد الصفدي حديثاً من أحاديث سيدنا محمد ﷺ ينص على مصدره ، كأن يقول : "رواه مسلم أو متفق عليه ، وهذا يدل على إطلاعه على المصادر ، وإلمامه بما فيها من حديث"^(٥).

وأحياناً يجد الصفدي : لفظة غير مناسبة في الرسالة يرجح أنها ربما كانت خطأً من النسخ أو غير ذلك ، تجده يقترح وضع كلمة غيرها محل محلها . يقول هذا أنسب من اللفظة التي وجدتها في المصدر ، فمثال ذلك

(١) تمام المتون : ص ١٦٩ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٩٥ .

(٣) هند بن أبي هالة التميمي : ربيب رسول الله ﷺ وأخو أولاده من خديجة ، انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٦ ، ص ١٩٤ .

(٤) الشمائل الحمدي ، للإمام الترمذي ، تحقيق سيد عمران ، دار الحديث القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٢ هـ _ ٢٠٠١ م : ص ١٥ .

(٥) الصفدي وشرحه على لامية العجم دراسة تحليلية ، لنيل محمد رشاد : ص ٩١ .

قول ابن زيدون : فعم عبث الجفاء بأذمتي"^(١). فبعد أن يذكر مصدرها قائلاً:
"كذا وجدته بخط الشيخ الإمام الأديب الكامل على بن ظافر _ رحمه الله
تعالى _ في اختصاره نفائس الذخيرة"^(٢). تجده يقترح كلمة "فيم ، أو علام"
بدلاً من "فعم" يقول : "والظاهر أنَّ ابن زيدون _ رحمه الله تعالى _ إنما
قال : "ففيم" أو "علام"^(٣).

ومثال للمصادر المسموعة قوله : "أنشدني لنفسه أجازة شيخنا الإمام
شهاب الدين أبو الثناء محمود _ رحمه الله تعالى _ من قصيدة مدح بها
الصاحب تاج الدين محمد حنا"^(٤). قوله : "وأنشدني صفي الدين لنفسه
إجازة"^(٥). وقوله : "أنشدني في هذه المادة لنفسه الشيخ صفي الدين عبد
العزیز الحلبي سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة"^(٦). فهو يذكر الذي سمع منه
والمناسبة وأحياناً يضيف إليهما السنة التي سمع فيها ، ومنها قوله : "فهذه
بيعات العقبة الثلاثة ، حدثني بها شيخنا الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن
محمد بن سيد الناس اليعمري مختصراً من سيرته"^(٧).

ومن أهم المصادر التي اعتمد عليها وذكرها في كتابه هي :

١. كتاب "الأسماء والصفات" : الإمام البيهقي^(٨).

(١) تمام المتون : ص ٤٠٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٠٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٠٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٣٦ .

(٥) المصدر السابق : ص ٢٣٦ .

(٦) المصدر السابق : ص ٢٤٦ .

(٧) المصدر السابق : ص ١٤٣ .

(٨) المصدر السابق : ص ٣٤ . والبيهقي هو : أحمد بن الحسين بن علي ، الإمام الحافظ . انظر :

الأعلام ، للزركلي : ج ١ ، ص ١١٦ .

٢. "المنهاج في شعب الإيمان" : الحليني^(١).
٣. "الروض الأنف" : السهيلي الخثعمي^(٢).
٤. "التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن" : السهيلي الخثعمي^(٣).
٥. "أدب الكتاب" : محمد بن يحيى الصولي^(٤).
٦. "فصل المقال" : أبو عبيدة البكري^(٥).
٧. "مروج الذهب" : المسعودي^(٦).
٨. "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" : ابن رشيق القيرواني^(٧).
٩. "الذخيرة" : ابن بسام^(٨).
١٠. "نفائس الذخيرة" : ابن ظافر^(٩).

(١) تمام المتون : ص ٣٥ . والحليمي هو : الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري . انظر :
الأعلام ، للزركلي : ج ١ ، ص ٢٥٣ .

(٢) تمام المتون : ص ٣٥ . والسهيلي هو : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي ، حافظ ، عالم
باللغة والسير ، ولد في مالقة . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٣ ، ص ٣١٣ .

(٣) تمام المتون : ص ٣٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٨ . الصولي هو : محمد بن يحيى بن عبد الله أبو بكر : من أكابر العلماء
نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس ، له تصانيف عديدة . انظر : الأعلام ، للزركلي :
ج ٧ ، ص ١٣٦ .

(٥) تمام المتون : ص ٥٦ . أبو عبيدة البكري هو : عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري
الأندلسي ، مؤرخ جغرافي ، ثقة ، علامة بالأدب . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ٩٨ .

(٦) تمام المتون : ص ٦٢ . المسعودي هو : علي بن الحسين بن علي أبو الحسن : من ذرية سيدنا عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه ، مؤرخ ، رحالة ، مجتهد . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ٢٧٧ .

(٧) تمام المتون : ص ١١٧ .

(٨) تمام المتون : ص ٦ ، ٢١ ، ١٤١ . ابن بسام هو : علي بن بسام الشنتريني الأندلسي أبو الحسن ،
أديب من الكتاب الوزراء . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ٢٦٦ .

(٩) تمام المتون : ص ١٤١ . وابن ظافرهو : علي بن ظافر بن حسين ، جمال الدين أبو الحسن : الفقيه
الوزير ، من الشعراء والأدباء والمؤرخين . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٤ ، ص ٣١٠ .

١١. "سيرة ابن سيد الناس المعروفة بعيون الأثر" : ابن سيد الناس^(١).
١٢. "فضائل أبي بكر" : ابن زنجويه^(٢).
١٣. "الاستيعاب" : ابن عبد البر^(٣).
١٤. "معجم البلدان" : ياقوت^(٤).
١٥. "تاريخ الطبري" : محمد بن جرير الطبري^(٥).
١٦. "الطبقات" : ابن سعد^(٦).
١٧. "مقامات الحريري" : الحريري^(٧).
١٨. "دمية القصر" : الباخريزي^(٨).
١٩. "مجمع الأمثال" : الميداني^(٩).

(١) تمام المتون : ص ١٤٣ .

(٢) تمام المتون : ص ١٨٢ . ابن زنجويه هو : محمد بن زنجويه البخاري ، أبو بكر : الفقيه الفرضي ، حدث بدمشق وكان إماماً في السنة . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ٢ ، ص ١٧٥ .

(٣) تمام المتون : ص ١٩٠ . ابن عبد البر هو : يوسف بن عبد الله بن محمد ، أبو عمر النمري القرطبي الإمام المالكي ، محدث قرطبة ، انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٦ ، ص ٣٦٠ .

(٤) تمام المتون : ص ١٩٥ . ياقوت الحموي هو : ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله : مؤرخ ، من علماء اللغة والأدب . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٨ ، ص ١٣١ .

(٥) تمام المتون : ص ٣٧١ . الطبري هو : محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر : الإمام المجتهد المؤرخ ، شيخ المفسرين انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٦ ، ص ٦٩ .

(٦) تمام المتون : ص ٢٠١ . ابن سعد هو : محمد بن سعد بن منيع مولى بني هاشم أبو عبد الله : الحافظ البصري ، كثير العلم ، كثير الحديث ، كثير الكتب ، عرف بكاتب الواقدي . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٦ ، ص ١٣٦ .

(٧) تمام المتون : ص ٢٢٣ . الحريري هو : القاسم بن محمد بن عثمان الحريري ، البصري أبو محمد : الأديب الكبير ، صاحب المقامات الحيرية ، انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٥ ، ص ١٧٧ .

(٨) تمام المتون : ص ٢٥٣-١٨٤ .

(٩) تمام المتون : ص ٢٧٣ . الميداني هو : أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري أبو الفضل : الأديب ، صاحب مجمع الأمثال ، لم يؤلف مثله في موضوعه . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ١ ، ص ١٤ .

٢٠. "الكامل في اللغة والأدب" : أبو العباس المبرد^(١).
٢١. "الفردوس الأعلى" : الحافظ شهريار ابن شيرويه^(٢).
٢٢. "مناقب الشافعي" : الإمام فخر الدين الرازي^(٣).
٢٣. "الكشاف" : جار الله الزمخشري^(٤).
٢٤. "سيرة ابن هشام" : ابن هشام^(٥).
٢٥. "الصحاح" : الجوهري^(٦).
٢٦. "غريب الحديث" : الخطابي^(٧).
٢٧. "قلائد العقيان" : ابن خاقان^(٨).

هذه هي المصادر التي نقل منها وذكرها بأسمائها ، وهنالك مصادر نقل منها ولم يذكر أسمائها ، وإنّما ذكر أسماء مؤلفيها وقد أشار إلى ذلك في قوله : "قال الأديب أبو محمد مالك المغربي"^(٩)، و"قال الكلبي"^(١٠)، و"نقلت من

(١) تمام المتون : ص ٢٩٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٠٧ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٧١ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٨٣ . الزمخشري هو : محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي ، أبو القاسم :

من أئمة والتفسير واللغة ، أشهر كتبه الكشاف . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٧ ، ص ١٧٨ .

(٥) تمام المتون : ص ١٤٥ . ابن هشام هو : عبد الملك بن هشام بن أيوب ، حال الدين أبو محمد :

مؤرخ ، كان علماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ١٦٦ .

(٦) تمام المتون : ص ٣٧١ . الجوهري هو : إسماعيل بن حماد أبو نصر : لغوي من الأئمة ، خطه يذكر

مع خط ابن مقله . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ١ ، ص ٣١٣ .

(٧) تمام المتون : ص ٤٠٠ . الخطابي هو : أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب ، من ولد زيد بن

الخطاب أبو سليمان : صاحب تصانيف . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ٥ ، ص ١٤٤ .

(٨) تمام المتون : ص ٦ . وابن خاقان هو : الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله

القيسي ، أبو نصر : كاتب ، مؤرخ ، من أهل إشبيلية . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٥ ، ص ١٣٤ .

(٩) تمام المتون : ص ٨٩ .

(١٠) المصدر السابق : ص ١٣٤ .

خط شمس الدين بن قيم الجوزية^(١)، "وما أحسن ما نقلت من خط علاء الدين الكندي الوادعي"^(٢)، "ويقول : يعقوب بن السكيت"^(٣)، "وقال الكسائي"^(٤)، ومثل هذا كثير في كتاب "تمام المتون"، إضافة إلى المصادر السماعية مثل الحديث الذي سمعه من أستاذه ابن سيد الناس والذي ذكرته في هذا المبحث سابقاً^(٥).

ولكن أهم المصادر اعتمد عليهما القرآن الكريم ، ثم الحديث النبوي الشريف ، والسيرة النبوية المباركة يقول : "وفي البخاري ومسلم"^(٦). وغيرها من كتب الحديث التي نقل منها .

(١) المصدر السابق : ص ١٦٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٩٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٤٨ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٤٨ .

(٥) المصدر السابق : ص ٢٥٣ .

(٦) المصدر السابق : ص ٢٤٣ .

الفصل الثاني : المصطلحات النقدية

- المبحث الأول: الاستنحسان والتعديل .**
- المبحث الثاني: الاختلاس .**
- المبحث الثالث: الحوشي .**
- المبحث الرابع : العذوبة .**
- المبحث الخامس: الظرافة.**
- المبحث السادس: الفصاحة .**

المبحث الأول

الاسنحسان والنعدیل

هذا المصطلح شائع عند النقاد فحينما يعجبهم نص جميل لافت للنظر يستحسنوه . يقول إدريس الناقوري : " وفي الاصطلاح النقدي والأدبي عامة يتعدد معنى الحسن مصدراً ، والحسن صفة يتعدد سياق استعماله ، إلا أنه يمكن القول : إن هذا الاصطلاح حافظ على معناه اللغوي الأصلي ، الذي يقصد به الجمال الظاهر للعيان ، أو المثير للإحساس" ^(١).

والصفي حينما يذكر شواهد يستحسن بعضها ويفضلها على البعض الآخر ، فمثلاً في ذكره لمقتل الإمام عليّ كرم الله وجهه ذكر قول البحتري :

ولا عجب للأسد إن ظفرت بها

كلاب الأعادي من فصيح وأعجم

فحربة وحشي سقت حمزة الردى

وموت عليّ من حسام ابن ملجم ^(٢)

يذكر بعد ذلك مجموعة من الأشعار التي تناولت هذا المعنى ، فيفضل عليهم قول الشيخ شرف الدين ويستحسنه ، يقول : " وما أحسن قول شيخ الشيوخ شرف الدين :

أدر كأس خمر كصرفاً ففي حياة المدام حياة الفؤاد

ولا تقتلنها تكن ثالثاً لأشقي ثمود وأشقي مراد ^(٣)

(١) المصطلح النقدي في نقد الشعر ، لإدريس الناقوري ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ،

طرابلس ، ط ٢ ، سنة ١٩٨٤م : ص ٢٦٠.

(٢) تمام المتون : ص ٢٠٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٠٢ .

وأثناء ذكره للأبيات التي تتحدث عن العفو والصفح ، يذكر قول ابن
الخياط الدمشقي :

من الكاظمين الغيظ والمحسنين إذا برحت بالصدور الحقود
فمتّ مجرم إلى عفوهِ ينلك مع العفو بر وجود
إذا كنت سيد قوم ولم تسعهم بحلم فأنت المسود^(١)
نجده يفضل عليه قول مسلم بن الوليد . يقول : "وما احسن قول
مسلم بن الوليد في الرشيد :

بأبي وأمي أنت ما أندى يداً وأبر ميثاقاً ومـأزكا
يغدو عدوك خائفاً فإذا رأى أن قدرت على العقاب رجاك^(٢)
وختاماً نذكر استحسانه لبیت المتنبي الوارد في الرسالة :
يا من يعز علينا أن نفارقهم

وجداننا كل شيء بعدكم عدم^(٣)
وبعد هذا البيت يورد أبيات يستحسنها منها :
يا أعدل الناس إلا في معاملتي
فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
أعيذها نظرات منك صادقة
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخي الدينا بناظره
إذا أستوت عنه الأنوار والظلم

(١) تمام المتون : ص ٩٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ٩٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٤٤ .

ثم يقول : " ولم أورد هذه الأبيات إلا لأنها يليق بهذه الرسالة أن تدرج في أثنائها ، وتنخرط في سلكها"^(١). وهذا يدل على حسن اختياره للنصوص وتفضيل بعضها على بعض .

يقول ابن زيدون : " وأظمأتني إلى برود إسعافك ، ونفضت بي كف حياطتك"^(٢).

حينما شرح الصفدي هذه العبارة وصفها بأنها في غاية الحسن والجمال ، لما فيها من استعارة جميلة . يقول الصفدي : " وقد استعار الظمأ _ وهو شدة العطش _ إلى برد الإسعاف ، ونفض الكف من الإحاطة به والحوزة له ، وذلك في غاية الحسن"^(٣). ويظهر الحسن عند الصفدي في مقارنته بين النصوص التي يستشهد بها ، حيث يفاضل ويقول هذا أحسن ، وهذا في غاية الحسن . يقول شوشو : " ويكون الحسن عنده صفةً للنقد ، وذلك حين وصف به رأياً لابن جبارة قاله في أبيات سناء الملك ، فقال الصفدي : قلت : هذا لعمري نقد حسن"^(٤).

(١) تمام المتون : ص ٣٤٥ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٠ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٠ .

(٤) النقد التطبيقي ، لسليمان شوشو : ص ٦٠ . انظر : تمام المتون : ص ٤٠ .

المبحث الثاني

الاختلاس

يقول ابن رشيّق : " هو نقل المعنى من غرض إلى غرض " ^(١) . وإلى هذا المعنى أشار الصفدي معلقاً على قول ابن قلاقس :

وغير عجيب أن أوفيك مجرمًا أنيب وأرجو في ذراك متابا
فأسبل رداء العفو منك تكرمًا فحسبي كوني غبت عنك عقابا ^(٢)

يقول الصفدي : " وهو مأخوذ من قول الأول :

أرض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنبٌ عقابه فيه
لو لم ينله من العقاب سوى بعدك عنه لكان يكفيه ^(٣)

يقول الصفدي : " ولقد زاد ابن زيدون في هذا المقام ، وأفرط في الخضوع والتوسل ، وما أحقه أن ينشد قول المؤمل بن أميل :

إذا مرضتم أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر ^(٤)

ومعنى الاختلاس الذي يرمي إليه الصفدي هو السرقة الخفية ، وليس نقل المعنى ، ومثال ذلك تعقيبه على قول أبي الطيب :

لك الحمد في الدر الذي لي لفظه فإنك معطيه وإنّي ناظم

يقول الصفدي : " وهو مأخوذ من قول ابن الرومي :

ودونك من أقاويلي مديحاً غدا لك دره ولي النظام ^(٥)

(١) العملة ، لابن رشيّق : ج ٢ ، ص ٢٨٢ .

(٢) تمام المتون : ص ١٠٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٠٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٠٥ .

(٥) المصدر السابق : ص ٢٩٨ .

أي : أن كلا القولين من مادة واحدة اختلسها الثاني من الأول ، أو
اللاحق من السابق . ولذا نجده كثير ما يقول : "ومن هذه المادة" أو يقول :
"والأصل في هذه المادة"^(١) . يقول معقّباً على قول أبي الحسين الجزار :

ولقد كستوك من قريضي حلة

جلّت عن التضييق والترفع

حسنت برقم من خلالك فاغتدت

كالروض في التسهيم والتوسيع^(٢)

يقول الصفدي : "والأصل في هذه المادة كلها قول أبي الطيب :

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه

_ وإن لم أشأ _ تملّى عليّ وأكتب^(٣)

ومثل هذا موجود بكثرة في شرح الصفدي .

(١) تمام المتون : ص ٢٩٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٩٧ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٩٧ .

المبحث الثالث

الحوشي

هو الكلام الغامض الغريب . جاء في لسان العرب : "وحوشى الكلام : وحشيه وغريبه ، ويقال فلان يتتبع حوشي الكلام ووحشي الكلام ، وعقمي الكلام ، بمعنى واحد . وفي حديث عمرو : لم يتتبع حوشى الكلام ، أي : وحشيه وعقله ، والغريب والمشكل منه"^(١).

وقد كان سيدنا عمر يفضل زهير لأنه لا يعاقل في الكلام ، ولا يتتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه"^(٢).

ذكر الصفدي لفظ "الحوشي" بهذه الدلالة حينما شرح قول ابن زيدون : "حتى زف إليك منه عروساً مجلوة في أثوابها ، منصوبة بحليها وملابها"^(٣). وصف الصفدي قصيدة ابن زيدون الميمية التي شبهها بالعروس ، بأنها ذات ألفاظ عذبة ، فصيحة بليغة ، غير غريبة ولا حوشية ، يقول : "وهي القصيدة الميمية في أثوابها ، وحليها وملابها . أراد بالثياب ألفاظها ، لأنه تخير لها ألفاظاً فصيحة عذبة التركيب ، عرية من الألفاظ الغريبة الحوشية ، التي ينبو عنها السمع"^(٤). وقد مدح النقاد الشعراء والكتاب أصحاب الأسلوب الفصيح البليغ ، السهل غير الغامض والساقط . يقول الجاحظ : "لم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب ، فإنهم قد التمسوا ما لم يكن متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً سوقياً"^(٥).

(١) لسان العرب ، لابن منظور : ج ٤ ، ص ٢٧٠ .

(٢) دلائل الإعجاز ، للجرجاني : ص ٥٩٤ . انظر : طبقات الشعراء ، لابن سلام : ص ٦٢ .

(٣) تمام المتون : ص ٣٩٠ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٩٠ .

(٥) البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار

الفكر ، بيروت ، لبنان : ج ١ ، ص ١٣٧ .

المبحث الرابع

العذوبة

والعذوبة في لسان العرب من "عذب" : و"العذب من الشراب والطعام كل مستساغ والعذب الماء الطيب"^(١).

وعذوبة الكلام رفته وسهولته . وهو عند الصنفدي عكس الغرابة والحوشية ، فحينما شرح قول ابن زيدون "حتى زف إليك منه عروساً مجلوة في أثوابها ، منصوصة بحليها وملابها"^(٢). قال : "وقد ادعى ابن زيدون أنه قد زف إليه عروساً من نظمه ، _ وهي القصيدة الميمية _ في أثوابها وحليها وملابها . أراد بالثياب ألفاظها لأنه تخير لها ألفاظاً عذبة التركيب"^(٣). فنجد الصنفدي وصف عبارة ابن زيدون بأن ألفاظها عذبة التركيب ، أي : سهلة رقيقة . وحينما شرح قول الطغرائي :

مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع

والشمس رآد الضحى كالشمس في الطفل^(٤)

قارن بينه وبين قول المعري :

وافقتهم في اختلاف من زمانكم

والبدر في الوهن مثل البدر في السحر^(٥)

(١) لسان العرب ، لابن منظور : ج ١ ، ص ٥٨٣ .

(٢) تمام المتون : ص ٣٩٠ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٩٠ .

(٤) الغيث المسجم ، للصنفدي : ج ١ ، ص ٩٠ . وتطفيل الشمس ميلها للغروب . انظر : لسان

العرب ، لابن منظور : ج ١ ، ص ٤٠١ .

(٥) الغيث المسجم ، للصنفدي : ج ١ ، ص ٩٠ .

وبعد المقارنة ذكر لفظ العذوبة ، باعتباره مقابلًا للفظ الغرابة . يقول
الصفدي : "ولكن قول المعري ألطف عبارة ، وأحسن إشارة ، لأنّ الطغرائي
أغرب في لفظي رآد والطفل ، وعذوبة الألفاظ أمرهم في البلاغة"^(١) .
فالصفدي فضل المعري على الطغرائي لعذوبة ألفاظه وسهولتها .

(١) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٩٠ .

المبحث الخامس

الظرافة

جاء في لسان العرب : "الظرف البراعة وذكاء القلب . وقيل الظرف : حسن العبارة ، وقيل حسن الهيئة ، وقيل الحنق بالشيء ، وقد ظرف ظرفاً ويجوز في الشعر ظرافة"^(١). ومن المصطلحات التي يستخدمها الصفيدي أثناء شرحه مصطلح الظرافة ، بمعنى البراعة والخفة . يقول ابن منقذ : "أعلم أنّ أشعار العرب والمحدثين ، قد ورد فيهما الظريف السهل ، كقول بعضهم :

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جرت

وأشقى لقلبي أن تهب جنوب

يقولون : لو عزبت قلبك لأرعوى

فقلت : وهل للعاشقين قلوب"^(٢)

وبهذا المعنى نجد الصفيدي يصف بعض الأبيات التي يجدها مناسبة للمعنى الذي يرومه بالظرافة ، ومثل ذلك عندما تحدث عن معنى الشفاعة في شرح قول ابن زيدون : والشفاعة زكاة المروءة"^(٣). يقول : وما أظرف قول دعبل الخزاعي :

جننا به يشفع في حاجة فاحتاج في الأذن إلى شافع"^(٤)

وقوله : وما أظرف قول القائل :

وإذا المليح أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع"^(٥)

(١) لسان العرب ، لابن منظور : ج ٩ ، ص ١٨٣ .

(٢) البديع ، لابن منقذ : ص ١٩٣ .

(٣) تمام المتون : ص ٣٥٨ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٦١ .

(٥) المصدر السابق : ص ٣٦٢ .

المبحث السادس

الفصاحة

قال نجم الدين بن الأثير : "الفصاحة : خلوص الكلام من التعقيد ، وأصله من الفصيح : وهو اللين الذي أخذت عنه الرغوة"^(١). وتعنى البعد عن الركاقة ، واستعمال الكلمات الوعة والغريبة ، وأن يكون الكلام حسن المخارج ، جيد التركيب . وبهذا المعنى ذكرها الصفدي في تعقيبه على قول ابن زيدون : "حتى زف إليك منه عروساً مجلوة في أثوابها ، منصوبة بجليها وملايها" حيث قال : "أراد بالثياب ألفاظها لأنه تخير لها ألفاظاً فصيحة ، عذبة التركيب ، عرية من الألفاظ الغريبة"^(٢).

فقد وصف الصفدي ألفاظ ابن زيدون بالفصاحة ، أي : بخلوها من التعقيد والمعاظلة .

(١) جواهر الكنز ، لنجم الدين بن الأثير : ص ٣٤ .

(٢) تمام المتون : ص ٣٩٠ .

الفصل الثالث : القضايا النقدية

المبحث الأول : السرقات الأدبية

المبحث الثاني: الموازنات

المبحث الثالث: المفاضلة بين الشعر

والنثر

المبحث الرابع: اللفظ والمعنى

المبحث الخامس: نقد الصفي

لبعض نصوص ابن زيدون

المبحث الأول

السرقات الأدبية

تحدث النقاد عن السرقات الأدبية ، وهي أن يلجأ الشاعر إلى معاني أو ألفاظ غيره فيأخذها ، وهي أنواع : منهم من يأخذ المعنى ، ومنهم من يأخذ اللفظ ، ومنهم من يأخذهما معاً ، ولذا قسموها إلى محمودة ومذمومة .

يقول ابن طباطبا^(١) عائباً على الشعراء الذي يسرقون أعمال غيرهم مع تغيير للألفاظ والأوزان : "يغير على معاني الشعراء فيودعها في شعره ، ويخرجها في أوازن مخالفة لأوزان الأشعار التي تناول منها ما يتناول ، ويتوهم أن تغييره للألفاظ والأوزان مما يستر سرقة ، أو يوجب له فضيلة"^(٢) . فهو ينهاهم عن فعل ذلك لأنه شنيع ، على الرغم من أنه يرى أن الأقدمين والسابقين لهم لم يتركوا لهم شيئاً . ولكن ابن الأثير لا يوافق على هذا الحديث جملة ، وإنما يرى أن ابتداع المعاني مفتوح ، لأن الشعراء الجاهليين ابتدعوا معاني لم يسبقهم عليها أحد ، وجاء بعدهم شعراء العصر الأموي والعباسي فطرقوا وابتدعوا معاني لم يطرقها وابتدعها الجاهليون . يقول : "فإن قيل إن المعاني المبتدعة سبق إليها ، ولم يبق معنى مبتدع ، عورض ذلك بما ذكرته ، والصحيح أن باب الابتداع للمعاني مفتوح إلى يوم القيامة ، ومن الذي يحجر على الخواطر وهي قاذفة بما لا نهاية له ؟ إلا أن من المعاني ما يتساوى الشعراء فيه ، ولا يطلق عليه اسم الابتداع لأول قبل آخر ؛ لأن الخواطر تأتي به من غير حاجة إلى اتباع الآخر الأول ، كقولهم في الغزل :

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا ، الحسينيا لعلوي ، أبو الحسن : شاعر مفلق

وعالم بالادب ، من كتبه "عيار الشعر" . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٥ ، ص ٣٠٨ .

(٢) عيار الشعر ، لابن طباطبا ، تحقيق ، دكتور عبد العزيز المانع مكتبة الخانجي ، القاهرة : ص ١٤ .

عفت الديار وما عفت آثارهن من القلوب"^(١)

ويستمر ابن الأثير في ذكر الأمثلة على ذلك ، ويرى أن مثل هذا لا يطلق عليه اسم سرقة . يقول : "وكذلك يجري الأمر في غير ما أشرت إليه من معان ظاهرة ، تتوارد الخواطر عليها من غير كلفة ، وتستوى في إيرادها ، ومثال ذلك لا يطلق على الآخر فيه اسم السرقة من الأول"^(٢).

وقد قسمها العلماء إلى عدة أقسام محمودة ومذمومة ، وتحدثوا عن الأخذ الحسن وأنواعه وطرقه ، والقبيح المذموم وأحواله^(٣).

قضية السرقات الأدبية عند الصفدي

تعد قضية السرقات الأدبية من أبرز وأكثر القضايا النقدية التي شغلت الأدباء قديماً وحديثاً ، ويعد الصفدي أحد النقاد الذين أدلوا بدلوهم فيها ، وغاصوا في لجتها ، فأتوا بماء عذب وأخرجوا درراً ثمينة ، والمعلوم أن السرقات لا ينتبه إليها ولا يعرفها إلا من أكثر من حفظ الشعر .

يقول ابن الأثير: "ومن المعلوم أن السرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها إلا بحفظ الأشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد"^(٤). والصفدي إذا نظرنا إلى مؤلفاته نجده من أكثر الكتاب استشهاده بالشعر ، ويذكر شعراء ربما لا يكونون معروفين لدى بعض الأدباء ، وهذا يدل على كثرة اطلاعه ، وقد لا يقول في شرحه هذه سرقة أو هذا مسروق من قول فلان وإنما يعبر عنه بقوله : "وهو مأخوذ من قول ابن الرومي"^(٥) ، "ومن هذه المادة قول أبي

(١) المثل السائر ، لابن الأثير : ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

(٢) المثل السائر ، لابن الأثير : ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

(٣) الصناعتين ، للعسكري : ص ١٩٦ . انظر : البديع ، لابن منقذ : ص ٢٦٤ .

(٤) المثل السائر : لابن الأثير : ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

(٥) تمام المتون : ص ٢٩٨ .

تمام الطائي"^(١)، "ومن مادة ابن زيدون ما قاله ابن المعلم"^(٢).
وأحياناً يعترف على نفسه إنه أخذ معنى لغيره وصاغه شعراً . ومثل
ذلك قوله : "وقلت أنا في معنى قول امرئ القيس: "قنعت من الغنيمة
بالإياب :

قنعت بالعود إلى منزلي وذاك دأب المرء في خيبته
كلحجر الملقى إلى صاعد ليس له هم سوى عودته"^(٣)
والأخذ والاختلاس والسرقة كل تدور حول معاني قريبة لبعض ،
تدل اشتراك ظاهري أو خفي بين الألفاظ والمعاني . تحدث عنها بإسهاب ابن
رشيقي القيرواني وقال أنه لا يسلم منها أحد ، وقد تكون خفية لا يعرفها إلا
البصير الحاذق من نقاد الشعر . يقول : "وهذا باب متسع جداً لا يقدر أحد
من الشعراء أن يدعى السلامة منه ، وفيه أشياء غامضة إلا عن البصير
الحاذق بالصناعة ، وأخرى فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل"^(٤).
أمثلة لبعض السرقات التي تناولها الصفدي
قال بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج^(٥)
يعلق عليه بقوله : "واختصره سلم الخاسر فجودة ما شاء ، فقال :
من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور^(٦)

(١) تمام المتون : ص ٣٣٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٠٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٧١ .

(٤) العملة ، لابن رشيقي : ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

(٥) تمام المتون : ص ٥٦ .

(٦) المصدر السابق : ص ٥٦ . انظر : الاعجاز والايجاز ، للشعالي : ص ١٦٦ .

وهذه من السرقات الحمودة ، والصفدي عبر عنها بقوله : "اختصره... فجوده" . والإيجاز محمود وخاصة إذا كان جيداً . وقد ذكر هذه الأبيات ابن منقذ في حديثه عن السرقات الحمودة ، يقول : "أخذه سلم الخاسر" ^(١) ، فهو أيضاً يستخدم كلمة أخذ بدلاً عن سرق .

قال القاضي زين الدين عمر بن الوردي ^(٢):

لي شهوتان أحب جمعهما لو كانت الشهوات مضمونة
أعناق عدالي مدققة ومفاصل الرقباء مدفونة ^(٣)
هذا المعنى أخذه الصفدي نفسه يقول : "وقلت أنا في هذه المادة :
بتنا وما نقلنا سوى قبل وريق فيه سلاف مشروبي
نُمنّا وما تمّن الوشاة بنا لولا فضول الحلي والطيب" ^(٤)
وهذه أيضاً من السرقات الحمودة .

وهذا وقد يكون النص المسروق أو المأخوذ منه شعراً ، وقد صاغه الذي أخذه نثراً ، وقد تعرضت لذلك في حديثي عن الحل _ حل الشعر _ وهذا كثير جداً في رسالة ابن زيدون ، لأنّ معظم معانيها محلولة من أشعار .
قال ابن زيدون : "ورويت رحي من كتّبة خالد" ^(٥) . يقول الصفدي معلقاً عليه ذاكراً أنّه أخذه من غيره ، بقوله : "يشير بذلك إلى قول أبي شجرة السلمي وهو بيت قاله في شعر له :

(١) البديع ، لابن منقذ : ص ٢٦٥ .

(٢) عمر بن الوردي زين الدين : الإمام العلامة ، الأديب الناظم الناصر ، القاضي الشافعي .
انظر : ألحان السواجع بين الباديء والمراجع : للصفدي ، تحقيق محمد عائش ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨ هـ _ ٢٠٠٧ م : ج ٣ ، ص ٢٥ .

(٣) تمام المتون : ص ٢٣٤ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٣٤ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٨٥ .

ورويت رحي من كتية خالد وإنني لأرجو بعدها أن أعمرا^(١)
وتعميماً للفائدة في هذا المعنى نذكر قول الصفي : "وكان أبو
شجرة السلمي من فتاك العرب ، أتى إلى عمر بن الخطاب بعد الردة
يستحمله ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا أبو شجرة السلمي ، فقال له
عمر : أي عدو نفسه ، ألت القائل حين ارتددت :

ورويت رحي من كتية خالد وإنني لأرجو بعدها أن أعمرا
وعارضتها شهباء تخطر بالقنا ترى البيض في حافتيها والسنورا
ثم أنحني عليه عمر بالدرة ، فسعي إلى ناقته فحل عقالها ، وأقبلها حرة بني
سليم ، يحث السير هرباً من الدرة ، وهو يقول :
قد ضن عنا أبو حفص بنائله
وكل مخطب يوماً له ورق
ما زال يضربني حتى خذيت له
وحال من دون بعض الرغبة الشفق
ثم التفت إليها وهي جاثية
مثل الطريدة لم ينبت لها ورق
أوردتها الخل من شوران صادرة
إنني لأزرى عليها وهي تنطلق
يطير مرواً خطاها عن مناسمها
كما تنوقد عند الجهبذ الورق
إذا يعارضها خرق تعارضه
ورهاء فيها إذا استعجلتها خرق

(١) تمام المتن : ص ١٨٥ .

ينوء آخرها منها بأولها

سُرح اليدين بها نهضة العنق" (١)

فهو يؤكد سرعة هروبه من سيدنا عمر رضي الله عنه ، وركوبه فوق ناقته التي هي أيضاً أكثر سرعة .

والأمثلة على الأخذ والسرقة من المنظوم كثيرة في الرسالة ، وهذا على سبيل المثال لا الحصر . يقول دكتور شوشو : "وقد يكون نص الأخذ نثراً ، ونص المأخوذ شعراً ، وهذا كثير جداً في شرحه للرسالة" (٢) .

هذا ويعد الأخذ من النظم أقل عيباً من غيره ، لأنه من السرقات الخفية اللطيفة . يقول ابن طباطبا : "وإن وجد المعنى اللطيف في المنشور من الكلام وفي الخطب والرسائل والأمثال فتناوله وجعله شعراً كان أخفى وأحسن" (٣) .

(١) تمام المتون : ص ١٨٧ . انظر: الكامل ، للمبرد : ج ١ ، ص ٢٢٩ .

(٢) النقد التطبيقي ، لسليمان شوشو : ص ٢٦١ .

(٣) عيار الشعر ، لابن طباطبا : ص ١٢٦ .

المبحث الثاني

الموازنات

عرفت الموازنات في الأدب العربي قديماً ، والنظر إلى ما كتبه محمد بن سلام الجمحي^(١) في كتابه "طبقات فحول الشعراء" ، وابن قتيبة^(٢) في مقدمة كتابه "الشعر والشعراء" ، يجد موازنة ومفاضلة بين الشعراء ، وتوضيح خصائصهم . ولكن من أوائل الذين كتبوا كتاباً بهذا الاسم هو الأمدى في كتابة "الموازنة" الذي وازن فيه بين شعر أبي تمام والبحري ، واعتمد فيه ذكر خصائص كل منهما ، ومنهجه ، ومدى التزامه بعمود الشعر ، وخصائص اللفظ والمعنى ، وأيهما يتجنب الألفاظ المعقدة ووحشى الكلام . يقول الأمدى متحدثاً عن البحري وأبي تمام : "وأنتهما لمختلفان لأنّ البحري أعرابي الشعر مطبوع ، وعلى مذهب الأوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف ، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ، ووحشى الكلام . ولأنّ أبا تمام شديد التكلف ، صاحب صنعة ، ويستكره الألفاظ والمعاني ، وشعره لا يشبه أشعار الأوائل ، ولا على طريقهم ، لما فيه من الاستعارات البعيدة ، والمعاني المولدة"^(٣) . وعلى الرغم من أنّ الأمدى يتعصب للبحري ويمدحه كثيراً ، إلا أنّ كتابه يعد من أهم الكتب التي أوضحت الجانب التطبيقي للموازنات ، وأوضحت كذلك منهجين أو طريقتين ، أحدهما :

(١) محمد بن سلام بن عبدالله الجمحي ، أبو عبدالله البصري : كان من اهل الفضل والأدب .

انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ٢ ، ص ٢٠٥-٢٠٦ .

(٢) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد : من أئمة الأدب ، ومن المصنفين الكثيرين .

انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٦ ، ص ٦٤٦ .

(٣) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري ، للأمدى ، تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٤ :

ج ١ ، ص ٤-٥ .

طريق القدماء الذين يلتزمون بعمود الشعر ، والثاني : المحدثين أهل البديع وأصحاب المعاني الغامضة . يقول دكتور شوقي ضيف : "وتراه يستهل الكتاب ببيان أنّ في الشعر مذهبين متقابلين يختلفان من حيث صنعه ونقده ، أما المذهب الأول : فمذهب المطبوعين الذين لا يتكلفون في صنع الشعر بل يرسلون أنفسهم على سجيتها ويمثلهم البحري ، وأما المذهب الثاني : فمذهب المتكلفين الذين يبعدون في معانيهم ويغمضون فيها ، حتى تحتاج إلى شرح واستنباط ويمثلهم أبو تمام"^(١).

الموازنات عند الصفدي

اعتمدت موازنات الصفدي في كتابه "تمام المتون" تارة على نظرة شمولية للنص ، وتارة أخرى على نظرة جزئية . فالنظرة الشمولية تمثلت في اختياره لرسالة ابن زيدون التي كتبها لابن جهور فهو أولاً يصدر حكماً عاماً مبدئياً إعجابه بها . يقول : "وبعد فإنّ رسالة ابن زيدون التي كتبها لابن جهور من الرسائل الطنّانة ، والخمائل التي لا يذوى زهرها ، وحائم غصونها بالتغريد رنانة ، والفضائل التي لا تزال محاسنها على من حاول معارضتها منانة ، قد أبرزها منشئها كالقمر ليلة تمامه ، وكالزهر المخبوء في أكمامه ، أتعبت من يجاريها"^(٢). وهكذا يستمر الصفدي في مدحه وثنائه على الرسالة وعلى صاحبها .

وأما النظرة الجزئية فتتمثل في نقده لبعض نصوص الرسالة ، نقداً لا يخرج عن آراء النقاد السابقين له ، مثل حديثهم عن حلاوة اللفظ ، وجمال المعنى ، والصورة الحسنة^(٣).

(١) البلاغة تطور وتاريخ ، دكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٦ : ص ١٢٨ .

(٢) تمام المتون : ص ٣ .

(٣) النقد التطبيقي ، لسليمان شوشو : ص ٢٨٢ .

يقول معقّباً على قول ابن زيدون : " يا مولاي وسيدي الذي ودادي له"^(١). يقول : "الذي ودادي له" أتى بها فذة لا أخت لها ، ولو قل بعدها : "وسدادي" لكان قد أخی بين الكلام كما قل بعد ذلك ، "اعتدادي به ، واعتماداي عليه" أي : أن الإتيان بالجناس بين "ودادي" ، و"سدادي" مطلوب ويجعل الألفاظ متجانسة متوالفة ، فهو يوازن بين الألفاظ ويشعر بقيمتها التعبيرية ، ويريدها أن تكون متناسبة مع بعضها غير متنافرة . يقول شوشو : "والصفدي في موازناته لم يهمل جانب الزيادة في المعنى بين النصين المتوازنين بشرط أن تمثل عمقاً فنياً يقصد إليه أحد الشاعرين ، أو تزيد في توضيح المراد من النص لاسيما وإن كانت راسخة في مكانها من الصياغة"^(٢).

ومثال ذلك موازنته بين قول امرئ القيس :

وقد طوفت بالآفاق حتى قنعت من الغنيمة بالإياب

وقول الطغرائي:

والدهر يعكس آمالي ويقنعني من الغنيمة بعد الكل بالقفل

نجده يفضل قول الطغرائي ويستحسنه بسبب الزيادة في المعنى يقول :

"وهو أحسن من الأول لأنه زاد فيه بقوله "بعد الكد" يعني أنني قنعت من

الغنيمة بعد ما كدّدت نفسي ، واتبعتها بالقفل وهو الرجوع"^(٣).

(١) تمام المتون : ص ٣٠ .

(٢) النقد التطبيقي ، لسليمان شوشو : ص ٢٨٢ .

(٣) تمام المتون : ص ٢٧٠ .

المبحث الثالث

المفاضلة بين الشعر والنثر

المفاضلة بين الشعر والنثر تناولها معظم النقاد ، فبعضهم فضل النثر على الشعر لسبب ديني ، يقول ابن الأثير : "والمنثور منها أشرف من المنظوم ، لأسباب من جملتها أنّ الإعجاز لم يتصل بالمنظوم ، وإنّما اتصل بالمنثور"^(١). وبعضهم لسبب تاريخي أو خلقي يقول الجاحظ : "والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ، ويدعو إليه ويحث عليه بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاعرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم"^(٢). والقرآن يعد من النثر لا من النظم .

وبعضهم لسبب فني . يقول صاحب الصناعتين^(٣): "وينبغي أن تتجنب إذا مدحت أو عاتبت المعاني التي يتطير منها ، ويستشنع سماعها ... وإذا دعت الضرورة إلى سوق خبر ، واختصاص كلام ، فتحتاج إلى أن تتوخى في الصدق ... وينبغي ترتيب الألفاظ ترتيباً صحيحاً ، فتقدم منها ما كان يحسن تقديمه ، ونؤخر منها ما يحسن تأخير ، ولا نقدم منها ما يكون التأخير به أحسن ، ولا تؤخر منها ما يكون التقديم به أليق ، فمما افسد ترتيب ألفاظه قول بعضهم :

يضحك منها كل عضو لها من بهجة العيش وحس القوام
ترفل في الدر لها وفرة كوفرة الملط الخليع الغلام
كان ينبغي أن يقول كوفرة الغلام الملط الخليع ، أو الغلام الخليع

(١) المثل السائر ، لابن الأثير : ج ٢ ، ص ٣٥٥ .

(٢) البيان والتبيين ، للجاحظ : ج ١ ، ص ٧٥ .

(٣) الصناعتين ، للعسكري : ص ١٦٥ - ١٧٠ .

الملط" وقد عابه هنا لأنه قدم الصفة على الموصوف ، وهي من القول الرديء . وكذلك التنافر وعدم الانسجام في قوله " بهجة العيش " وحسن القوام ، وعلى الرغم من أن ابن رشيق يفضل الشعر على النثر لكنه مع ذلك يقول : " وقيل : ما تكلمت به العرب من جيد المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره ، ولعل بعض الكتاب المتصرين للنثر الطاعين على الشعر ، يحتجون بأن القرآن كلام الله تعالى منشور ، وأن النبي ﷺ غير شاعر ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ ^(١) . وهذا ما احتج به الصفدي في فضيلة النثر ، ومنهم من له أسباب غير هذه الأسباب ، ولكن لكل منهما مزية تفضله على الآخر ، وحجة يحتج بها على سبقه .

وقد تعرض الصفدي للمفاضلة بين الشعر والنثر حينما شرح قول ابن زيدون : " ولما توالى غرر النثر ، واتسقت درره ، فهز عطف غلوائه ، وجر ذيل خيلائه ، عارضه بالنظم مباهاياً ؛ بل كايده مداهاً حين أشفق أن يستعطفك استعطافه ، وتميل بنفسك ألطافه ، فاستحسن العائدة منه ، واعتد بالفائدة له " ^(٢) .

ثم شرح الصفدي حديث ابن زيدون بقوله : " يريد بهذا الكلام أن النثر إذا تقدم فلا بأس للمتكلم أن يلحقه بشيء من النظم ، لأن النفوس ترتاح إلى ذلك ، ولأن البلاغة دائرة بين هذين النوعين ، وهما النظم والنثر " ^(٣) .

والصفدي يذكر آراء بعض العلماء في هذه القضية فيقول : " وقد ذهب قوم إلى أن النثر أشرف من النظم ، قالوا : ومن الدليل على ذلك أن

(١) العملة ، لابن رشيق : ج ١ ، ص ٢٠ .

(٢) تمام المتون : ص ٢٧ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٨٦ .

الكتاب والمترسلين أقل من الشعراء ، لأنه يكون في كل زمان جماعة من الشعراء ، ولعل ذلك الزمان لا يكون فيه كاتب مفلق ، يدون كلامه ويخلد . ومن الدليل أيضاً على شرف النثر كون القرآن غير منظوم^(١) . وباستشهاده هذا يؤكد تفضيله للنثر ، لأنه لم يذكر الذين فضلوا الشعر . ولكنه فضل النثر بشرط أن يكون في قمة البلاغة ، يعتمد على الذوق السليم ، وتقبله النفس ، ويكون له وقعاً طيباً على السمع . يقول الصفدي : " والنثر إن لم يكن في الذروة العليا من البلاغة لا تقبله النفوس ، وتمجه الأسماع"^(٢) . ويرى الصفدي أن الذي يجعل الشعر يمتاز على النثر هو الوزن والقافية ، ولا يرى للشعر مزية غير هذه تفضله على النثر ، يقول : " ولأن الشعر يروجه الوزن الذي هو ملائم للطبع"^(٣) . وفي نهاية المطاف نجد الصفدي يفضل النثر على النظم ، لأن الشعراء يوجدون في كل زمان بكثرة ، بينما نجد الكتاب نادرين وقليلين . والنثر الذي يعنيه هو النثر الفني القائم على المهوبة والخيال والعاطفة والإحساس ، والمتمكن صاحبه من لغة العرب ، الملم بقواعدها وأسرارها .

وقد كان الكتاب في ذلك العصر أحد الأعمدة الرئيسة التي تعتمد عليها الدولة ، وقد ذكر ذلك الصفدي في موضع آخر من " تمام المتون " حيث يقول : " وكان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله يقول : والله ما فتحت البلاد إلا بأقلام الفاضل"^(٤) . ويؤكد هذا القول ضياء الدين ابن الأثير عند بيانه لأهمية الكاتب ، يقول : " فإن كل دولة لا تقوم إلا على دعامتین ، من

(١) تمام المتون : ص ٣٨٦ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٨٦ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٨٦ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢١٨ .

السيف والقلم ، وربما لا يفتقر الملك في ملكه إلى السيف إلا مرة أو مرتين ،
وأما القلم فإنه يفتقر إليه على الأيام"^(١).

والحقيقة أنّ النثر والنظم لكل منهما مزية يتفوق بها على صاحبه ،
والملوك تحتاج للشعراء حوجتها للكتاب ، فإذا احتاج الناصر صلاح الدين
الأيوبي^(٢) إلى القاضي الفاضل ، فقد احتاج سيف الدولة بن حمدان إلى أبي
الطيب ، ولم تقم له قائمة بعد فراقه ، وفوق ذلك كله كان الشعر يقف جنباً
إلى جنب مع السيف في الدفاع عن حياض الدعوة الإسلامية ، وخير شاهد
على ذلك دفاع سيدنا حسان بن ثابت وسيدنا كعب بن مالك^(٣) . وسيدنا
عبد الله بن رواحة^(٤) . عن الدعوة الإسلامية في أول عهدها^(٥).

(١) المثل السائر ، لابن الأثير : ج ٢ ، ص ٣٥٥ .

(٢) يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان صلاح الدين أبو المظفر : السلطان العادل المؤيد المرابط
المتاغر ، من أعظم ملوك الاسلام ، فتح القدس وطهر السواحل من الافرنج ، كان شافعي
المذهب أشعري العقيدة . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٦ ، ص ٣١٧ .

(٣) كعب بن مالك الخزرجي الانصاري شاعر النبي ﷺ أبو عبد الله : شهد العقبة وكان مجوداً
مطبوعاً يخوف المشركين بالحرب . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٥ ، ص ٣١٤ .

(٤) عبد الله بن رواحة الانصاري الخزرجي أبو محمد : أحد النقباء ، شهد العقبة وبدراً والمشاهد
كلها الا الفتح ، لأنه استشهد في يوم مؤته ، أحد الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله ﷺ .
انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي : ج ١٢ ، ص ٨٤ .

(٥) تاريخ الأدب العربي ، لعمر فروخ : ج ١ ، ص ٣٣٣ - ٣٣٠ .

المبحث الرابع

اللفظ والمعنى

اختلف النقاد قديماً في قضية اللفظ والمعنى ، فبعضهم قدم اللفظ وآخرون قدموا المعنى ، وبعضهم اتخذ طريقاً وسطاً . فأبو هلال العسكري يقدم اللفظ حيث يقول : "ومن الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ ، إنَّ الخطب الرائعة ، والأشعار الرائقة ، ما عملت لإفهام المعاني فقط ، لأنَّ الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الإفهام"^(١) . فهو يرى أنَّ المعنى يكون مفهوماً ، سواء كانت الألفاظ جيدة أم رديئة ، ولذا يكون التنافس في رونق الألفاظ ، وجودة المطالع ، وحسن المقاطع . ونفس هذا الرأي للجاحظ الذي يرى : "أنَّ المعاني كثيرة متشعبة ، ولكنها مستورة في الصدور ، وإنَّما الفضل في الدلالة عليها باللفظ الحسن"^(٢) . فهو يرى أنَّ اللفظ هو الذي يزين المعنى ، ويجعله أحلى وأجمل .

وضياء الدين ابن الأثير من أنصار المعنى ، فهو يحب أن تأتي المعاني مبتكرة ، ذات لون بياني من تشبيه واستعارة وكناية وصورة شعرية رائعة ، ويرى أن تكون هذه المعاني مصاحبة لألفاظ سهلة مقبولة ملائمة وموافقة لها . يقول : "والنظر فيه إنَّما هو إلى المعاني ، لا إلى الألفاظ ، ولست أعني بذلك أن تعمل الألفاظ بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة ، بل أعني أنَّ مدار النظر في هذا النوع إنَّما يختص بالمعاني ، فرب لفظ قليل دل على معنى كثير ، ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل ، ومثال هذا كالجوهرة الواحدة بالنسبة للدرهم الكثيرة ، فمن ينظر إلى طول الألفاظ يؤثر الدرهم

(١) الصناعتين ، للعسكري : ص ٣٣ .

(٢) البيان والتبيين ، للجاحظ : ج ١ ، ص ١٥ .

لكثرتها ، ومن ينظر إلى شرف المعاني يؤثر الجوهرة الواحدة لنفاستها .
ولهذا سمي النبي ﷺ الفاتحة "أم الكتاب" وإذا نظرنا إلى مجموعها وجدناه
يسيراً ، وليست من الكثرة إلى غاية تكون بها أم "البقرة" و"آل عمران"
وغيرهما من السور الطوال ، فعلمنا حينئذ أن ذلك لأمر يرجع إلى
معانيها^(١). فابن الأثير يفضل المعنى ، ويرى أنه الأصل في الكلام مع عدم
إهمال الألفاظ . ويرى ابن رشيق أنهما مرتبطان وكل منهما مكماً للآخر ،
يقول : "اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم
يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختلف بعض اللفظ كان
نقصاً للشعر وهجنة عليه"^(٢).

وبعد أن يذكر أمثلة لمن يعتنون باللفظ وأخرى لمن يعتنون بالمعنى ،
يتحدث عن أن معظم العلماء والنقاد يفضلوا اللفظ على المعنى . يقول :
"وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى سمعت بعض الحذاق يقول :
قال العلماء : اللفظ أغلى من المعاني ثمناً ، وأعظم قيمة ، وأعز مطلباً ، فإن
المعاني موجودة في طباع الناس يستوي فيها الجاهل والحاذق ، ولكن العمل
على جودة الألفاظ ، وحسن السبك ، وصحة التأليف"^(٣). وهذا موافق لرأي
الجاحظ ومخالف لابن الأثير .

ويخالفهم في الرأي عبد الرحمن بن خلدون إذ يقول : "وإنما المختار
من الشعر ما كانت ألفاظه طبقاً على معانيه ، أو أوفى ، فإن كانت المعاني
كثيرة كان حشواً ، واستعمل الذهن بالغوص عليها فمنع الذوق عن استيفاء
مدركه من البلاغة ، ولا يكون الشعر سهلاً إلا إذا كانت معانيه تسابق ألفاظه

(١) المثل السائر، ابن الأثير : ج ٢ ، ص ٥٢ .

(٢) العملة ، لابن رشيق : ج ١ ، ص ١٢٤ .

(٣) المقدمة ، لابن خلدون : ص ٦٦٤ .

الي ذهن" ^(١). فهو مع المعاني ولكن لا مع كثرتها ولا مع قلتها ، فهو مع مطابقتها . أي : أنه يعتمد على الأسلوب المعبر عما يريد الكاتب أو الشاعر ، ولأنّ للعرب أساليبهم التي ابتكروها ليعبروا بها عما يريدون .

حقيقة اللفظ والمعنى عند الصفدي

نجد أنّ الصفدي يسير على ذات الطريقة التي سلكها سابقوه ، فهو يهتم بفصاحة اللفظ وسهولته وعدوبته ، وصواب المعنى وملاءمته للفظ الذي يؤديه . فمثلاً يعلق على قول ابن زيدون " ومع اليوم غد ، ولكل أجل كتاب " ^(٢). بقوله : ومع اليوم غد ، هذا أصله من أمثال العرب ، ولكنهم يقولون : " إنّ مع اليوم غداً " يضرب مثل في تنقل الحالات ، وتقلب الأيام بالدول على مرّها وكرّها " ^(٣). وهذا مثال اللفظ القليل الذي يضم معاني كثيرة ومفيدة . وقوله أيضاً : " ولكل أجل كتاب " ، لفظ القرآن العظيم ، والأجل مدة الشيء ، ومعناه لكل شيء أجل مكتوب ، وأوقات محدودة ، أو لكل أجل أجله الله كتاب أثبت فيه ، لا يتقدم عن وقته ، ولا يتأخر " ^(٤). فالصفدي يرى أنّ في التقديم والتأخير في حديث ابن زيدون حصر للمعنى ، وفيه دقة ولطف وملائمة لهذا المعنى مع اللفظ .

وتعقيبه على قول ابن زيدون " واعتمادي عليه واعتدادي به " ^(٥). يقول : " وقد أتى ابن زيدون في هذه الألفاظ بالترصيع ، وهو من أنواع البديع ، لأنّه قال : " الذي ودادي له ، واعتمادي عليه ، واعتدادي به " ، فأتى بالدال وبعدها الياء ، وهي ضمير المتكلم وعدى كل واحد بحرف جر : له ،

(١) تمام المتون : ص ١٢٧.

(٢) المصدر السابق : ص ٨٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ٨٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ٨٣ .

(٥) المصدر السابق : ص ٣٦ .

وعليه ، وبه ، وهذا نوع من المبالغة يدل على قوة العارضة ، وسعة
العبارة"^(١). فالصفدي بعد أن شرح العبارة ، ووضح ما تحمله من معنى يقول
: أي : عدتي التي ادخرتها ليوم حاجتي"^(٢). تكلم عن الألفاظ العذبة التي أتت
مطابقة لهذه المعاني ، وملائمة لها .

(١) تمام المتون : ص ٣٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٧ .

المبحث الخامس

نقد الصفدي لبعض نصوص ابن زيدون

خصص الصفدي فصلاً وجه فيه نقداً لبعض نصوص ابن زيدون .
وقدم لهذا النقد بالثناء على ابن زيدون ، ومدحه باعتباره من فرسان البيان
وأساطين البلاغة . بقوله : " فيما ظهر لي من الانتقاد على ابن زيدون رحمه
الله تعالى ، وإن كان من الفضل بالحل الأعلى ، ومن الأدب بالنور الأجلى ،
فإنّه لا بد من الكبوة للجواد ، والهفوة لمن عرض عقله على السواد ،
فالعصمة لا تشتط إلا للمرسل ، ومن عرض نحره للعوالى فلا بد أن يبسل ،
وفوق كل ذي علم عليم"^(١) .

فهو على الرغم من إعجابه بابن زيدون ومكانته العلمية إلا أنّه
ينتقد بعض عبارات رسالته ، ويقول هذه الأخطاء لا أحد معصوم منها إلا
المرسلين ، ثم يواصل بعد ذلك نقده ، وسنذكر في هذا المبحث بعض آرائه
النقدية التي أوردتها في شرحه ، ولم يجعلها في فصل منفرد ، وبعدها تلك التي
أوردتها جملة في فصل مستقل ، في خاتمة الكتاب .

(١) قال ابن زيدون : " يا مولاي وسيدي الذي ودادي له "^(٢) .

أكد الصفدي صحة كلام ابن زيدون في تقديمه المولى على السيد ،
وانتقد القضية وكتاب الحكم ، الذي يقدمون السيد على المولى ، يقول :
" وقد غلب على كتاب الحكم عن القضية أن يقولوا : سيدنا ومولانا قاضي
القضية ، فيما يكتبونه من السجلات وغيرها ، والصواب في تقديم مولانا
على سيدنا "^(٣) . ثم يذكر الأسباب يقول : " الأول : أن كتاب الإنشاء هم

(١) تمام المتون : ص ٣٩٩ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٠ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣١ .

الأصل في هذه الصناعة وأول ما يقولون المولوي الأميري ويأتون بالسيد بالآخر^(١). ويستشهد بقول الخنساء:

وإن صخرًا لمولانا وسيدنا وإن صخر إذا نشتوا لنحار^(٢)

ويرى الصفدي أن البلاغة أن يذكر العام أولاً ثم يذكر الخاص ، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨] ، وكلام الصفدي صحيح لأن هذا أحد طرق الإطناب عند البلاغيين ، وهو ذكر الخاص بعد العام فقد خص الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة سيدنا جبريل وسيدنا ميكال بالذكر ، مع أنهما داخلان في عموم الملائكة تكريماً لهما ، وتعظيماً لشأنهما كأنهما من جنس آخر . قال السيوطي :

وذكر خاص بعد ذي عموم منبهاً بفضله العلوم

كعطف جبريل وميكال علا ملائكتك قلت وعكسه جلا^(٣)

يقول الصفدي : " فالمولى أعم من السيد ، لأن المولى يطلق على معانٍ كما تقدم ، والبلاغة أن تقول : يا صاحبي ، يا أخي ، يا حبيبي ، لأنّ الأصحاب كثيرة ، والأخوة أقل منهم ، والحبيب لا يكون إلا واحداً "^(٤).

(٢) قال ابن زيدون : " الذي ودادي له " يقول الصفدي : " أتى بهذه فنة لا أخت لها ، ولو قال بعدها : " وسدادي " لكان قد أخي بين الكلام كما قال بعد ذلك : " واعتدادي به واعتمادي عليه "^(٥). فالصفدي يطالب ابن زيدون

(١) تمام المتن : ص ٣٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٣ .

(٣) شرح عقود الجمان ، للسيوطي : ص ٧٢ .

(٤) تمام المتن : ص ٣٣ .

(٥) المصدر السابق : ص ٣٩٩ .

بالإتيان بلفظة "سدادي" حتى تكون اللفظتان متناسقتان متوالفتان مع بعضهما ، ويرى الصواب في العبارة الثانية : "واعتمادي به ، واعتماد علي" لما فيها من التآخي والتناسب ، وهذا ما يسمي بالانسجام بين الألفاظ والتآلف وعدم التنافر . يقول ابن أبي الأصبغ : " أن يأتي الكلام متحدراً كتحد الماء المنسجم"^(١) . ويقول الصفدي متحدثاً عن قصيدة الطغرائي : "وتراكيب كلماتها منسجمة عذبة ، غير قلقلة ولا نافرة"^(٢) .

فاللفظتان متآلفتان . وسدادي أي : توفيقني ، فهو يرى أنه له مودة مع ابن جهور ، وبه سداده وتوفيقه . فقد توجد ألفاظ أخرى ، ولكن هذه أنسب وأليق . يقول ابن حجة الحموي : " ائتلاف اللفظ مع اللفظ هو أن يكون في الكلام معنى يصح معه واحد من عدة معانٍ فيختار منها لفظة ، بينها وبين بعض الكلام ائتلاف"^(٣) . وعلى هذا الطريق اختار الصفدي كلمة "وسدادي" .

(٣) قال ابن زيدون : "وأنفع الحيا ما وافق جدبا ، وألذ الشراب ما أصاب غليلاً"^(٤) .

يقول الصفدي : " كان يحسن به ويليق بهذا الموضع لو أنشد :
لولا اطراد الصيد لم تك لذة فتطاردي لي بالوصل قليلاً"^(٥)
فالصفدي يرى أن اللذة في مطاردة الخيل ، ولذا يطلب منها أن تطارده ، ولكن بالوصل حتى يكون للوصل لذة . وهذا مثل يرسل ويراد به طلب

(١) تحرير التحير ، لابن أبي الأصبغ : ص ٢٤٩ .

(٢) الغيث المسجم ، للصفدي : ج ١ ، ص ٢٧ .

(٣) خزانة الأدب ، لابن حجة : ج ٤ ، ص ٣٣٩ .

(٤) تمام المتون : ص ٨٠ .

(٥) المصدر السابق : ص ٣٩٩ .

القرب . والحسن من أوصاف محاسن الكلام ، وعند الصفدي هو إظهار جمال الكلام حتى يكون عذبا في النفس ، وحلوا في القلب .

وابن زيدون يطلب من ابن جهور أن يعفو عنه ، لأنه في أشد الحاجة للعفو والصفح ، فأفضل العفو ما كان بعد ذنب ، ويضرب لذلك مثلاً أن أفضل المطر ما كان بعد جذب ومحل ، وأحلى الشراب ما كان بعد عطش . والصفدي يرى إنشاد البيت أعلاه أفضل من قول ابن زيدون السابق .

وأرى أن ما قاله ابن زيدون أنسب وأليق ، والصفدي نفسه في موضع آخر من الكتاب يؤكد ذلك بقوله : " وهذا من أحسن الاعتذار للمخاطب في إهماله الجواب ، وتركه الإجابة إلى قصده " ^(١) . ثم يشرح قول ابن زيدون مؤكداً صحة كلامه بقوله : " أنفع المطر ما صادف محلاً ، وألذ الشراب ما صادف حرارة العطش ، ولا شك أن المطر للأرض المححلة أنفع وأوفق لها من الأرض المخصبة ، وكذلك لذة الماء عند الظمان أشد وقعاً مما يكون عد الري " ^(٢) .

٤) قال ابن زيدون : " ولا أخلو من أكون بريئاً فأين عدلك ، أو مسيئاً فأين فضلك " ^(٣) .

يقول الصفدي : " كان يحسن بهذا الموضع ويليق به لو قال بعد ذلك :

هبيني ظلوماً نلتته بمساءةٍ

قصاصاً فأين الأخذ يا عزُّ بالفضل " ^(٤)

(١) تمام المتون : ص ٨٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٨١ .

(٣) المصدر السابق : ص ٩٧ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٩٩ .

ما قاله الصفدي وابن زيدون معناهما واحد أي : أنه إما أن يكون محسناً فيجب العدل ، وإما أن يكون مسيئاً فيطلب الرحمة والعفو . و كلام الصفدي صحيح لأنّ في البيت إيجاز ، والإيجاز هو البلاغة .

ويرى الصفدي أنّ ابن زيدون أخذ المعاني التي ذكرها من هذا البيت بعد ما حلّه . يقول : "ومن هذا البيت أخذ ابن زيدون ، وإياه حل" ^(١) وكلاهما بليغ . وهو ما يسميه البلاغيون بالتقسيم . وقد ذكر ذلك الصفدي في شرحه لقول ابن زيدون السابق ، وذكرت ذلك في شرحي للتقسيم وهو استيفاء المتكلم جميع أقسام المعنى . والصفدي حينما أراد إتباع هذا البيت لقول ابن زيدون قصد أن يكون الكلام حسناً جامعاً لمزايا الجمال . يقول دكتور محمد علي سلطاني متحدثاً عن الصفدي : "لم يكتف بلمس مواطن الحسن في هذه الأبيات ، بل ذهب بعيداً وهو الناقد الفني في إغناء نفوسنا ، وتوسيع أفق تذوقنا عن طريق المقارنة ، فيإيراده لأقوال الشعراء لم تكن للإشارة إلى أن الشاعر سرق المعنى من ذاك ، وإنّما يدفعه إلى هذا إمتاع تذوقه بالنظر إلى المعنى أو الشعور" ^(٢) .

٥) قال ابن زيدون : "حنانيك قد بلغ السيل الزبى" ^(٣) .

يقول الصفدي : " كان يحسن بهذا الموضع ويليق به أن لو زاده : "وجاوز الحزام الطبيين" ، الطبي : لذوات الحافر والسباع كالضرع لغيرها ، وهكذا كتب عثمان بن عفان إلى علي بن أبي طالب وهو محصور في الدار : "أما بعد فقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطبيين" ^(٤) .

(١) تمام المتون : ص ١٠١ .

(٢) النقد الأدبي ، لسلطاني : ص ١٢٤ .

(٣) تمام المتون : ص ٣٩٩ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٩٩ .

ما ذكره ابن زيدون مثل يضرب للأمر إذا جاوز الحد ، فهو في محتته في السجن يرى أنه بلغ من الضنك مبلغاً عظيماً ، فالسيل إذا بلغ تلك الحفرة التي يصاد فيها الأسد كان سيلاً جارفاً بلغ الحد . والصفدي يوافقه على المثل ولكن يطلب منه أن يردفه بالمثل الآخر " وجاوز الحزام الطُّبين" ^(١) . وهو مثل يضرب للأمر إذا جاوز الحد . وأرى أن ما قاله الصفدي أبلغ ، لأنّ هذا مما استشهد به سيدنا عثمان رضي الله عنه يوم الدار ، وهو من شيوخ قریش ، وهم أهل الفصاحة والبلاغة ، والقبائل العربية تحتكم إلى لغتها ، وفوق ذلك هو من أهل القرآن الكريم حفظاً ، ودراية ، وفهماً ، وتدبراً ، وجمعاً وكفى . والصفدي مولع بإيراد المعاني المترادفة ، وذلك لثقافته الواسعة ، ومعرفته العميقة بلغة العرب وتاريخها .

وإيراد هذين المثليين مع بعضهما يؤيدان معنى واحداً أجمل وأفضل . وقول ابن زيدون : " وقد بلغ السيل الزبى " مناسب ومؤلف مع ما ذكره الصفدي : " وجاوز الحزام الطُّبين " وكلاهما مثل يضرب للأمر إذا عظم واشتد ، وفات حده ، وهذا ما يسمى بمراعاة النظر . يقول ابن حجة الحموي : هذا النوع أعني مراعاة النظر : يسمى التناسب والائتلاف والتوفيق والموافاة" ^(٢) .

٦ قال ابن زيدون: " وتأولت في بيعه العقبة" ^(٣) .

يقول الصفدي : " لم ينقل أحد من علماء السير أنّ أحداً ممن بايع رسول الله ﷺ في العقبة الأولى ، ولا الثانية ولا الثالثة من الأنصار رضي الله عنهم نكث بيعته أو تأول فيها ، فيإراد هذه القرينة مع ما تقدمها من الوقائع المشهورة

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج١ ، ص ١٤٤٣ . انظر : مجمع الأمثال ، للميداني : ج١ ، ص ١٦٦ .

(٢) خزانة الأدب ، لابن حجة : ج٢ ، ص ٣٣٥ .

(٣) تمام المتون : ص ١٤١ .

غير لائق"^(١). والخطأ الذي انتقده الصفدي خطأ يتعلق بالتاريخ الإسلامي ،
والسيرة العطرة لأن بيعات العقبة الأولى والثانية ليس فيها تأويل ، ولا
الثالثة كذلك ، وهذا يدل على تمسكه بدينه ، وحبه لأصحاب النبي ﷺ ،
وحرصه على عدم المساس بهم . وقد ذكر في شرحه لحديث ابن زيدون
البيعات الثلاث كما وردت في السيرة ، ولكي يؤكد صحة حديثه يقول :
"فهذه بيعات العقبات الثلاث ، حدثني بها شيخنا الإمام الحافظ أبو الفتح
محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري مختصراً من سيرته"^(٢).
فالصفدي يتبرأ من قول ابن زيدون ويؤكد صحة قوله . يقول : "وأما أنا فلم
أقف مما علمته أن أحداً من أهل العلم بالسير تأول في بيعة من البيعات ، أو
صدر منه بعد المبايعة فصل يخالف قوله ، ولم أعلم لقول ابن زيدون وجهاً
فيما ذكره مع هذه الوقائع التي سردها وأشار إليها"^(٣). ومن يرجع إلى كتب
السيرة يجد أن ما قاله الصفدي صواباً^(٤). أن ابن زيدون رحمه الله أخطأ في
هذا القول ، وربما قصد مشهداً غيره والتبس عليه الأمر .

(٧) قال ابن زيدون : " وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة"^(٥).

يرى ابن زيدون أنه لم يرتكب ذنباً عظيماً ، ويذكر مثلاً لهذا الذنب :
"وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة" فهو يعد أن التخلف عن
الصلاة ذنب ، ولكن الصفدي يرى أن الذين تخلفوا عن الصلاة في بني
قريظة لم يعيهم النبي ﷺ ، ولم يعتب على احد منهم ، ولم يرد هذا القول في

(١) تمام المتون : ص ٤٠٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٤٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٣ .

(٤) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ١ ، ص ٥٤٦-٥٥٧ .

(٥) تمام المتون : ص ١٤٦ .

كتب السيرة . يقول : " فَإِنَّ هَذَا وَإِنْ كَانَ وَقَعَ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، لَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَرْبَابِ السِّرِّ فِيمَا عَلِمْتَهُ أَنَّهُ عَابَ عَلَى أَحَدٍ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي بَنِي قَرِظَةَ تَأْخِيرَهُ ، فَإِنَّ فِيهِمْ مَنْ صَلَّى الْعَصْرَ فِي وَقْتِهَا فِي بَنِي قَرِظَةَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا " ^(١) .

ويقول في موضع آخر : " وتلاحق الناس برسول الله ﷺ ، فَأَتَى رِجَالٌ مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ لَمْ يَصَلُّوا الْعَصْرَ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : " لَا يَصَلُّونَ أَحَدَ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قَرِظَةَ " فَصَلُّوا الْعَصْرَ بِهَا مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ، فَمَا عَابَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ ، وَلَا عَنَّفَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " ^(٢) . ونقد الصفدي هنا نقد يختص بالجانب التاريخي ودقة المعلومات وصحتها ، ويغضب لذلك لأنها متعلقة بالتاريخ الإسلامي وهو من المؤرخين ومن المتفقيين في الدين . قال ابن كثير : " عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : " لَا يَصَلُّونَ أَحَدَ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قَرِظَةَ " فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا نَصَلِّي الْعَصْرَ حَتَّى نَأْتِيَهَا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ نَصَلِّي لَمْ يَرِدْ مِنَّا ذَلِكَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَعْنَفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ " ^(٣) .

والتأويل الذي ذكره ابن زيدون في بيعة العقبة لو ذكره في صلاة العصر يوم بني قريظة لكان أفضل وأجمل .

٨) قال ابن زيدون : " وزعمت أن إمارة أبي بكر فلتة " ^(٤) .

كلام ابن زيدون السابق ورد في حديث طويل منسوب لسيدنا عمر رضي الله عنه ومنه قوله ".... وقد بلغني أن قائلاً يقول : " كانت بيعة أبي بكر فلتة

(١) تمام المتون : ص ٤٠٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٦٥ .

(٣) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ١ ، ص ٧٣٧ .

(٤) تمام المتون : ص ١٧٨ .

وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر ، وأنه كان خيرنا" ^(١) .
والقصة طويلة تتحدث عما حدث يوم السقيفة . ويرد الصفدي على ابن
زيدون بقوله : " فإن مثل هذه العبارة لا تورث في الجنايات ولا الخطايا ، لاسيما
وهي من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ما تقدم بيانه" ^(٢) . فابن زيدون
أوردها باعتبارها إحدى الجنايات ، وأنه لم يرتكبها ولم يزعمها . والصفدي
يرى أن مثل هذه العبارة يجب أن لا ترد في هذا الباب باب الجنايات والخطأ ،
لأنها من قول سيدنا عمر رضي الله عنه وخلافة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه كانت جامعة
لشمل المسلمين بعد التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، ولم يكن بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من هو أفضل منه رضي الله عنه . ويذكر الصفدي أدلة على صحة خلافته منها :
أ) وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ ... الْآيَةُ ﴾ [الفتح: ١٦] . فكان هو الذي
دعا الأعراب إلى جهاد بني حنيفة ، وكانوا أولى بأس شديد ، ولم يقاتلوا لجزية
وإنما قوتلوا ليسلموا ، وكان قتالهم بأمر سيدنا أبوبكر رضي الله عنه وفي سلطانه . و
قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ [الفتح: ١٦] . أوجب عليهم
الطاعة لسيدنا أبي بكر رضي الله عنه ، وكان ذلك في الآية كالنص على خلافته .

ب) وقوله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] .
وقد بين في سورة الحشر من الصادقون ؟ فأمر الذين تبوءوا الدار
والإيمان أن يكونوا معهم تبعاً لهم ، فحصلت الخلافة في الصادقين بهذه
الآية ، فاستحقوها بهذا الاسم ، ولكن ليس في الصادقين من سماه الله تعالى
الصادق إلا أبوبكر رضي الله عنه وكانت له خاصة ثم للصادقين من بعده . وفيها
أيضاً : رد على الروافض الذين ينكرون خلافته ، إذ أن سيدنا علي كرم الله

(١) تمام المتن : ص ١٧٩ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٠٠ .

وجهه تزوج بالحنفية أم ولده محمد ، من سبايا عسكر سيدنا أبي بكر من بني حنيفة ، فلو لم يعتقد صحة خلافته لم يتزوج من سبيه^(١). قال ابن كثير : "وقد اتفق الصحابة عليهم السلام علىبيعة الصديق في ذلك الوقت"^(٢).

(٩) قال ابن زيدون : "وكتبت إلى عمر بن سعد : أن جعجع بالحسين"^(٣). ونقد الصفدي هنا أيضاً يتعلق بالتاريخ ، فهو يرى أن عبيد الله بن زياد^(٤)، لم يكتب إلى عمر بن سعد^(٥)، وإنما كتب إلى الحر بن يزيد التميمي^(٦). يقول الصفدي : "وعبيد الله بن زياد إنما كتب بذلك إلى الحر بن يزيد التميمي ، وكان قد أرسله في ألف فارس"^(٧). وكلام الصفدي صحيح ويؤكد قول ابن الجوزي^(٨) في حديث طويل منه : "وذلك أنه أقبل حتى نزل شراف ، فبينما هم كذلك إذ طلعت عليهم الخيل ، فنزل الحسين عليه السلام ، وأمر بأبنيته فضربت ، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي _ وكان صاحب شرطة ابن زياد _ حتى وقفوا مقابل الحسين عليه السلام في حرّ الظهيرة، فأمر الحسين رجلاً فأذن ، ثم خرج فقال : أيها الناس إنَّها معذرة إلى الله وإليكم ، إنِّي لم آتكم حتى قدمت علي رسلكم ، وأتتني

(١) تمام المتون : ص ١٨١_١٨٢ . انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ١ ، ص ١٣٠٥ .

(٢) البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ١ ، ص ١٣٠٥ .

(٣) تمام المتون : ص ٣٠٢ .

(٤) عبيد الله بن زياد بن أبيه ، والي ، جبار خطيب ، كانت الفاجعة بمقتل الحسين عليه السلام في أيامه وعلى يده . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ١٩٣ .

(٥) عمر بن سعد بن أبي وقاص ، الزهري المدني ، أمير من القادة الشجعان ، قتله المختار الثقفي حينما خرج يتبع قتلة الإمام الحسين . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٥ ، ص ٤٧ .

(٦) الحر بن يزيد التميمي اليربوعي ، قائد من أشرف تميم ، أرسل لقتال الحسين فانقلب على الأمويين وقاتل مع الحسين وقتل بين يديه . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٢ ، ص ١٧٢ .

(٧) تمام المتون : ص ٤٠١ .

(٨) المصدر السابق : ص ٤٠١ .

كتبكم أن أقدم علينا ، فليس لنا إمام ، فإن كنتم كارهين انصرفتم عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه ، فسكتوا عنه ، وقالوا للمؤذن : أقم الصلاة ، فأقام الصلاة ، وصلى الحسين ، وصلى الحر معه ، ثم تراجعوا ، فجاءت العصر ، فخرج يصلي بهم ، وقال : أتتني كتبكم ورسلكم ، فقال الحر : ما ندري ما هذه الكتب والرسل . فقال : يا عقبة بن سميان ، أخرج إليّ الخرجين . فأخرجهما مملؤين صحفاً فنشرها بين أيديهم ، فقال الحر : إنّنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك ، وقد أمرنا أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد ، فقال الحسين : الموت أدنى إليك ، من ذلك . وقام فركب ، وركب أصحابه ، وقال : انصرفوا بنا . فحالوا بينه وبين الانصراف ، فقال للحر : ثكلتك أمك ، ما تريد ؟ قال : إنّني لم أؤمر بقتالك ، إنّما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة ، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة ، ولا تردك المدينة ، حتى أكتب إلى ابن زياد ، وتكتب أنت إلى يزيد ، أو إلى ابن زياد لعل الله أن يرزقني العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك ، فتباشر الحسين ، والحر يسايره ، ثم جاءه كتاب عبيد الله بن زياد أن جمع جمع بالحسين حتى يبلغك كتابي" (١) .

(١٠) قال ابن زيدون : " فكيف ولا ذنب لي إلا نعمة أهداها كاشح ، ونبأ جاء به فاسق" (٢) .

يرى ابن زيدون أنّ ما حل به من عذاب وإبعاد وذل وغضب من ابن جهور لا يليق به ، لأنّه لم يرتكب ذنباً ، وكل ما حدث كان عبارة عن نعمة

(١) المنتظم في تاريخ الأمم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا و

مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤١٥ هـ _ ١٩٩٥ م :

ج ٢ ، ص ٣٣٥ وما بعدها . انظر : تمام المتون : ص ٢٠٣ _ ٢٠٤ .

(٢) تمام المتون : ص ٢٢٢ .

أتى بها حاسد . يقول الصفدي : " كان يليق بهذا الموطن أن يزيد فيه :
 "وفرية اختلقها حاسد" ليحسن بعد ذلك قوله : "وهم الهمازون المشعرون
 بنميم"^(١). والصفدي يري في ذكر " الفرية " إكمالاً للمعنى وإتماماً للفائدة ،
 حتى تتناسب مع قول ابن زيدون بعد ذلك " الهمازون المشعرون بنميم " ،
 لأنّ النميمة والوشاية والأخبار الكاذبة كلها تأتي في سياق واحد . قال تعالى :
 ﴿ وَلَا تَطْعُمْ كُلَّ حَلَاْفٍ مَّهِينٍ ۖ هَٰذَا مَشَاءُ بَنِمِيمٍ ۝ ﴾ [القلم: ١٠-١١] . فالهماز : الذي
 يغتاب الناس ويأكل لحومهم بالطعن عليهم ، والنمام : الذي ينقل الكلام
 السيئ ، ويسعى بين الناس بنقل النميمة حتى يفسد ما بينهم . قال سيد
 قطب^(٢) : " ثم يبرز قيمة العنصر الأخلاقي مرة أخرى في نهى الرسول ﷺ عن
 إطاعة أحد هؤلاء المكذبين بالذات ، ويصفه بصفاته المزرية المنفرة ، ويتوعده
 بالإذلال والإهانة "^(٣) .

(١١) قال ابن زيدون : " وما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم " .
 والذي يقول بعده :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب "^(٤)
 يقول الصفدي : " ليس هذا البيت بعد هذه السجعات بمتمكن في
 إirاده ، ولا ثابت في وصفه ، وكان الأليق بهذه السجعات لو أورد قول أبي
 الطيب :

وإن كان ذنبى كل ذنب فإنّه محا الذنب كل الحو من جاء تائباً

(١) تمام المتون : ص ٤٠١ .

(٢) سيد قطب إبراهيم ، مفكر إسلامي مصري ، من جماعة الإخوان المسلمين . انظر : الأعلام ،

للزركلي : ج ٣ ، ص ١٤٧ .

(٣) تفسير الظلال ، لسيد قطب : ج ٦ ، ص ٣٦١ .

(٤) تمام المتون : ص ٤٠١ .

لكان حسناً وافياً بالمقصود" ^(١). فالصفدي ينقده من ناحية الحسن ، ولكن كلا البيتين يوضح أنه تاب توبة يجب بعدها أن يعفى ويصفح عنه .
والصفدي يعجبه الكلام المتناسق البليغ ، لذا يُعجب بقول الأحنف بن قيس ^(٢): " ما أقول في قوم الصدق محمود إلا منهم " فهذا قول في غاية البلاغة ، الجامعة لضروب من المعاني ، لأنّ هذا غاية في الذم للسعة لأنّهم يذمون بما يحمد به الناس " ^(٣). ولكن بيت أبي الطيب يمثل حال ابن زيدون أنّه جاء تائباً ، فمهما بلغ ذنبه من العظم ، فإنّ مجيء الإنسان تائباً يمحو عنه تلك الذنوب .

(١٢) قال ابن زيدون: " والله ما غششتك بعد النصيحة ... إلى قوله وعهد أخذه حسن الظن عليك " ^(٤).

ويرى الصفدي أنّ ابن زيدون أحسن لو أورد بعد هذه الجمل المعطوفة على الجملة التي أقسم عليها قول الشاعر :
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب ^(٥)
وكلام ابن زيدون كله هو : " والله ما غششتك بعد النصيحة ، ولا انحرقت عنك بعد الصاغية ، ولا نصبت لك بعد التشيع فيك ، ولا أزمعت يأساً منك ، مع ضمان تكفلت به الثقة عنك ، وعهد أخذه حسن الظن عليك " ^(٦).

(١) تمام المتون : ص ٤٠١ .

(٢) الأحنف بن قيس بن معاوية التميمي ، أبو بحر : سيد تميم ، وأحد العظماء الدهلة ، الفصحاء الشجعان ، يضرب به المثل في الحلم . انظر : الأعلام ، للزركلي : ج ٤ ، ص ٣٣٣ .

(٣) تمام المتون : ص ٢٣٦ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٤٢ .

(٥) المصدر السابق : ص ٢٤٠ .

(٦) المصدر السابق : ص ٢٤ .

فالصفدي حينما رأى الإتيان ببيت للمتنبى السابق بعد قول ابن زيدون : " وما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم " بدل بيت النابغة ، والإتيان ببيت النابغة بعد هذه الجمل المعطوفة إنّما أراد الاستحسان ، فهو يستحسن ويستظرف ما في البيت من حسن ورشاقة وعذوبة ، حتى يكون الكلام جيداً في غاية الحسن ، لا تناقض في معانيه ولا تكلف . فالصفدي يقترح ألفاظاً تكون أكثر مناسبة ، وعبارات تكون أليق ، حتى يخرج الكلام في ثوب قشيب . وبيت النابغة أورده ابن زيدون قبل هذه الجمل ، ليقنع ابن جهور أنّه ما زال مخلصاً ووفياً له ، ولكن الصفدي يرى أنّ البيت أفضل أن يكون بعدها لا قبلها . وحديث الصفدي صحيح ، لأنّ بعد إنكاره لكل التهم التي نفاها عنه ، والتي بدأها بالقسم يحسن أن يختمها بهذا البيت حتى يكون أنفي للشك .

١٣) قال ابن زيدون : " فعم عبث الجفلة بأذمتي " ^(١) .

ويرى الصفدي أنّ الصحيح أن يقول : " ففيم " أو " علام " وقد أوردها في شرحه " ففيم " يقول الصفدي " كذا وجدته بخط الشيخ الأديب الكامل عليّ بن ظافر _ رحمه الله تعالى _ في اختصاره نفائس الذخيرة . والظاهر أن ابن زيدون _ رحمه الله تعالى _ إنّما قال : " ففيم " أو " علام " ^(٢) . فالصفدي يجد له العذر ، على الرغم من أنّه متأكد من المصدر الذي أخذ منه الرسالة ، وربما يكون هذا خطأ في النسخ .

١٤) قال ابن زيدون : " ومالك لم تمنع مني قبل أن افترس ، وتدركني ولما أمزق ، أم كيف لا تتضرم جوانح الأكفء حسداً لي على الخصوص بك " ^(٣) .

(١) تمام المتون : ص ٢٥٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٠٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٧٥ .

نقده الصفدي نقداً لغوياً يختص بالنحو_وقد تعرضت لاهتمامه
 بالجانب اللغوي _ يقول : "وما لدخول هذه الجمل المصدرة بأمر مناسبة على
 هذه الجمل المصدرة بحرف الاستفهام ، لأنه لا يجوز أن تقول : مالك لم تقم ولم
 تتركب أم كيف لا تكون قاعداً ؟ وهذه "أم" وإنما يعطف بها على
 الاستفهام بالهمزة . فتقول : أقمت أم قعدت"^(١). ومع ذلك يلتمس العذر
 لابن زيدون ويرى أن هذا ربما كان خطأ في النسخ ، وابن زيدون ربما قال غير
 ذلك . يقول الصفدي : " والظاهر أن ابن زيدون _ رحمه الله تعالى _ قال :
 "وكيف لا والله أعلم"^(٢). وبهذا يكون المعنى صحيحاً بلاغياً ونحويّاً . يقول
 شوشو : "وكما أنه وقف في نقده اللغوي للألفاظ عند الأخطاء في
 الاستخدام واقترح ألفاظاً تكون أكثر مناسبة ، وصحة للسياق ، كذلك كان
 يقف على الخطأ في بعض معاني الأدوات التي هي من باب معاني النحو ،
 خشية أن يقع فيه منشئ الأدب ، أو ناقله فيسعى إلى تصحيحه ، من ذلك ما
 أخذه على ابن زيدون في قوله : " ومالك لم تمنع مني قبل أن افترس"^(٣).
 وبعد "أم" وما قبلها في عبارات ابن زيدون التي أوردها ، وهذا صحيح من
 جهة أن "أم" التي توسطت بين قوله : " ومالك لم تمنع مني قبل أن افترس"
 وبين قوله : " كيف لا تتضرع جوانح الأكفء" هي أم المتصلة ، والذي يؤيد
 هذا المعنى ويؤكد ، قوله الصفدي : "وهذه "أم" إنما يعطف بها على
 الاستفهام ، فتقول: أقمت أم قعدت"^(٤). ويرى شوشو أن "أم" التي وردت
 في حديث ابن زيدون هي "أم" المنقطعة ويستشهد بأراء النحويين . يقول :

(١) تمام المتون : ص ٤٠٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٠٢ .

(٣) النقد التطبيقي ، لشوشو : ص ١٧١ .

(٤) تمام المتون : ص ٤٠٢ .

"إلا أنّ" أم" التي جاءت في هذا الموضع من رسالة ابن زيدون هي "أم" المنقطعة التي ذكرها السبكي في قوله: "وكذلك لو كانت الجملتان لشخصين، وبذلك صرح أبو حيان، وأنشد بدر الدين بن مالك رحمه الله"^(١). وبذا الرأي يكون ما أخذه الصفدي على ابن زيدون غير صحيح، بمعنى أنّ "أم" التي وردت في الرسالة أضربت عن كلام قبلها، وانقطعت عنه، واستأنفت كلاماً جديداً.

(١٤) قال ابن زيدون: "عارف بأنّ الأدب الوطن لا يخشى فراقه، والخليط لا يتوقع زياه"^(٢).

فالصفدي يرى أنّ هذا الحديث غير مستقيم في المعنى، وعلى غير العادة، لأنّ كل إنسان يخشى أن يفارق وطنه الذي ولد فيه. يقول: "وهو غير مستقيم ولا متفق لأنّ كل أحد يخشى فراق وطنه"^(٣).

والصفدي يرى أنّ في هذه العبارة خطأ في النسخ أيضاً، بدليل أنّ الجمل التي بعدها تؤكد حب الوطن وحنين العاقل إليه. يقول: "والظاهر أن ابن زيدون _ رحمه الله تعالى _ . قال: "عارف أن الوطن يجتنب فراقه، والخليط يخشى زياه وإنّما صحف "يجتنب" بـ "يخشى" وزادها "لا" لأنّه قال فيما بعد "غير أن الوطن محبوب، والمنشأ معروف، والليب يحن إلى وطنه"^(٤). فالصفدي يرى أنّ في حديث ابن زيدون تناقض لأنّه وضّح أنّ الأدب ألا يهاب الإنسان فراق وطنه. ثم جاء فنقض ذلك بقوله: "غير أن الوطن محبوب". يقول الصفدي: "أخذ الآن في نقض ما قرر من أنّه

(١) النقد التطبيقي، لشوشو: ١٧٢. انظر: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ص ١١٥.

(٢) تمام المتون: ص ٣٣١-٤٠٢.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٠٢.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٠٢.

الأدب ، ألا يخشى من فراق الوطن ، وما عطف عليه من تلك الجمل ، فقال :
غير أن الوطن محبوب ، لما طبعت النفس عليه ، وقد جاء في الحديث "حب
الوطن من الإيمان"^(١). ولا أرى في ذلك تناقض لأن ابن زيدون قد ظلم
وهضمت حقوقه في بلده التي نشأ فيها ، من أقرب الناس إليه ، والذين عبر
عنهم بقوله : " ما أنا إلا يد أدمها سوارها ، وجبين عض به إكليله " . ومن
يجد مثل هذه الآلام والمصاعب لا يخشى فراق وطنه ، وقد يهاجر إلى بلد آخر .
نعم إنه قد لا ينسى بلده ولكنه يفارقه ، ولذلك استدرك بعد ذلك وقال :
"غير أن الوطن محبوب ، والمنشأ مألوف" ومن العرب من يقول :

لا يمنعك خفض العيش في دعة نزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد إن حللت بها أهلاً بأهل وجيراناً بجيران^(٢)
ولكن هذا نادر ، والأكثر هو تعلق الناس بأوطانهم ، وهذا كثير في
أشعارهم يقول ابن الرومي :

ولي وطن آليت ألا أبيعهُ وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدتُ به شرخ الشباب ونعمة كنعمة قوم أصحبوا في ظلالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاهما الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلك^(٣)
وقد أورد الصفدي أبياتاً كثيرة تتناول هذا المعنى .

(١٥) قال ابن زيدون : "والكريم لا يجفو أرضاً بها قوابله ، ولا ينسى بلداً
فيها مراضعه"^(٤).

(١) تمام المتون : ص ٣٢٩ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٣٠ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٢٩ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٣٣ .

يرى الصفدي أنه من الأفضل أن يضيف ابن زيدون إلى الجملتين السابقتين جملة : " ولا يرفض معهداً قضى الشباب فيها مآربه" ^(١). فإذا نظرنا إلى كلام الصفدي من جانب السجع وتوافق الفواصل فهو صحيح . أما من ناحية المعنى الموافق للفظ الملائم له ، فما أورده ابن زيدون أصح ، لأنه قال بعد هاتين الجملتين : "قال الأول :

أحب بلاد الله ما بين منعج إليّ وسلمي أن يصبوب سحابها
بلاد بها عق الشباب تمائي وأول أرض مس جلدي ترابها" ^(٢)
فقد أورد ابن زيدون القوابل ، لأنهن يستقبلن المولود قبل إرضاعه ، ثم أردفها بالرضاعة ، لأنها تكون بعدها مباشرة ، وأخيراً جاء دور الأرض التي يتربى فيها ، والترتيب جاء مناسباً .
(١٦) قال ابن زيدون : " إنَّ الطمع في غيرك طبع ، والغنى ممن سواك عنه" ^(٣).

ونقد الصفدي هنا نفس النقد السابق ، فهو يرى إتماماً للفائدة وإكمالاً للمعنى لو أضاف إليها : "والطمأنينة إلى غيرك غرور ، والثقة بخلافك خذلان" يقول : " لكان فيه زيادة وحسن" ^(٤). بعد أن أكد أن الطمع في غير ابن جهور دنس ، والغنى دونه عناء وتعب ، أراد الصفدي منه أن يردف ذلك بقول أن الأمن والطمأنينة معك ، ومن يثق في غيره يخذل ولا ينصر" ^(٥). أي : أن القناعة والغنى والأمن والثقة بالنصر كلها مع ابن جهور ، ومن فارقه لا يجد مكسباً ولا غنى ، ولا أمناً ولا ثقة سواه .

(١) تمام المتون : ص ٤٠٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٣٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٣٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ٤٠٣ .

(٥) المصدر السابق : ص ٤٠٣ .

الختمة

❖ النتائج .
❖ التوصيات .

الخاتمة

الحمد لله بجماع محامده التي لا يبلغ منتهاها ، والشكر له على آلائه وإنّ لم يكن أحدٌ أحصاها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة محققٍ أصولها محيطٌ بمعناها ، وأشهد أنّ محمداً رسولٌ حلّ من ربا النبوة أعلاها فعلاها ، وحمل من أعباء الرسالة إدّها ، فاضطلع بها وأداها ، فجلا الله به عن البصائر رينها ، وعن الأبصار عشاها . صلى الله عليه من الصلوات أفضلها وأزكاها ، وأبلغه عنا من التحيات أكملها وأولاها ، ورضي الله عن عترته وأزواجه وصحابته وأمته ما سَفَرَت شمس عن ضحاها . وأحمده أن وفقني حتى اكملت هذا البحث بعد جهدٍ وعناء طويل .

وبعد .

جاء هذا البحث بعنوان : (القضايا البلاغية والنقدية في كتاب تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون للصفدي دراسة تحليلية بلاغية نقدية) .

قام هذا البحث على دراسة وعرض ما ورد في "كتاب تمام المتون" من قضايا بلاغية ، ونقدية ، إضافة إلى ما يتصل بهذا المجال من إشارة إلى بعض ما كتبه في آثاره الأخرى .

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة . تحدثت في التمهيد عن عصر الصفدي وحياته وشيوخه وآثاره ، وعن ابن زيدون حياته ورسالته التي تعد العمود الفقري لهذا البحث .

وقد خصصت الباب الأول لعلم المعاني ؛ لأنّ علماء البلاغة الأوائل يقدمونه في دراستهم على علمي البيان والبديع ، على الرغم من أنّ أكثر ما أورده الصفدي في شرحه يدور في البيان والبديع ، وقد انحصرت الدراسة في الخبر والإنشاء ، والتقديم والتأخير ، والقصر .

وتناولت في الباب الثاني علم البيان ، ونجد أكثر الألوان البيانية استخداماً هي الاستعارة ، سواءً في الرسالة أو في تعليقات الصفدي ، ولا تكاد تجد تعليقاً مباشراً عن المجاز المرسل والعقلي ، أما التشبيهات : فأكثرها وروداً الضمني ، ثم التمثيل ، وأخيراً تناولت الكناية .

وفي الباب الثالث وهو الذي تناولت فيه علم البديع ، وهو أكثر العلوم البلاغية ذيوماً في العصر المملوكي ، حيث كثرت فيه التصانيف نظماً ونثراً ، وتحدثت فيه عن المحسنات اللفظية والمعنوية ، ولعل أكثر أنواع البديع وروداً في الرسالة وشرحها ، هي الجناس والسجع في المحسنات اللفظية ، وحسن التعليل والمبالغة في المحسنات المعنوية .

وأما الباب الأخير _ القضايا النقدية _ فقد تبين لي أنّ الصفدي اعتمد في آرائه النقدية على ذوقه وفطرته ، ومهارته التي اكتسبها من كثرة اطلاعه ، ومساجلاته مع الأدباء في عصره .

وأوضحت فيه طريقة نقده وتناوله للنص الأدبي ، واهتمامه بمقياس الخطأ والصواب ، ومعرفة الجيد من الرديء ، والمقبول المستحسن من المردول المستشنع . كما بينت مصطلحاته النقدية ، وتوثيقه للنصوص ، وآراءه في قضية اللفظ والمعنى ، والمفاضلة بين الشعر والنثر ، وغيرها .

النتائج

١. يعد كتاب "تمام المتون" من أهم الأسفار الخالدة التي تعد ذخيرة ومصدراً لأشعار الشعراء السابقين والمعاصرين له ، ومرجعاً لبعض العلوم التي قد تكون ضاعت مصادرها الأصلية ، ومن أهم الكتب التي تناولت القضايا البلاغية والنقدية من خلال عرض النصوص الأدبية .
٢. ما كتبه الصفدي وما تركه من آثار علمية يؤكد ويعبر تعبيراً صادقاً ، عن التطور الذي وصلت إليه الحياة الأدبية في العصر المملوكي .
٣. كما اتضح لي من خلال البحث أنّ هذا العصر الذي يسميه بعض النقاد بـ "عصر انحطاط الأدب" ، أنّ هذه التسمية فيها نظر وظلم لهذا العصر ؛ لأنّه شهد نتاجاً أدبياً راقياً ، وفيه علماء وأدباء أفذاذ ، أثروا الحياة العلمية والأدبية بما تركوا لنا من ذخائر نفيسة .
٤. أنّ الصفدي له معرفة واسعة بالأدب ، ودراية كاملة بفنونه ، فهو شاعر وأديب ، تجده يستشهد بكلام العرب نظماً ونثراً _ في كل العصور _ لإيضاح المعنى .
٥. اعتمد الصفدي في شرحه على منهج يقوم على دراسة ما كتبه العلماء السابقين ، وفهمه وشرحه شرحاً مهذباً ، يجعل المادة العلمية بعد حذف الحشو منها سهلة للقاريء .
٦. وقد اهتم بالشعراء عامة ، والمعاصرين له خاصة ، وظهر ذلك في كثرة استشهاده بأشعارهم .
٧. اعتمد في شرحه على الطريقة التحليلية ، التي يطغى فيها شرحه للنصوص بين الإيجاز تارة والإطناب تارة أخرى .

التوصيات

١. دراسة الشواهد القرآنية ، وشواهد الحديث النبوي ، والشواهد

الأدبية من نظم ونثر في كتاب "تمام المتون" .

٢. تحقيق ودراسة بقية آثار الصفدي في مجالات البلاغة والأدب ، لأنها

غنية بالعلم والمعرفة ، مثل "حلى النواهد على ما في الصحاح من

الشواهد" ودراسته كتبة اللغوية والبلاغية المطبوعة ، مثل كتاب

"تصحيح التصحيف وتحرير التحريف"، و"نفوذ السهم فيما وقع

فيه الجوهري من الوهم" ، وكتاب "جنان الجناس" ، و"فض الختام

عن التورية والاستخدام" ، و"الكشف والتنبيه على التشبيه"

وغيرها .

٣. دراسة منهج الصفدي من خلال الكتب التي ألفها .

الفهارس

فهرس الآيات

الصفحة	سورة البقرة	
٦٩	الآية ٦٥	﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾
٨٥	الآية ٢١٤	﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهِ ۖ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾
١٢٢	الآية ١٧	﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾
١٦٨	الآية ٢١٤	﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ ﴾
٢٤٢	الآية ٢٦٧	﴿ وَلَسْتُمْ بِتَآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ۖ ﴾
٢٦٥ ، ٢٦٦	الآية ٢١٠	﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾
٢٩٤	الآية ٢٦٦	﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾
٣٦٧	الآية ٩٨	﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾
سورة آل عمران		
٢٦	الآية ٧	﴿ وَأُخْرُ مُتَشَبِهَةٌ ﴾
٩٩	الآية ١٩٠	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾
٢٩٨	الآية ٢٧	﴿ تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾
سورة النساء		
٢١٦	الآية ٤٣	﴿ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً ﴾

		﴿فَتَيَمَّمُوا﴾
٢٤١	الآية ٨٣	﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾
٢٤٧	الآية ١٤٠	﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾
	سورة المائدة	
٨٥	الآية ١١٦	﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ﴾
٩٩	الآية ١٢٠	﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾
	سورة الأنعام	
٧٥	الآية ١٤١	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾
٢٤٠	الآية ٢٦	﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾
٢٥٩	الآية ٧٦	﴿فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾
٢٦٣	الآية ٨٠_٨٣	﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾
	سورة الأعراف	
٣٣	الآية ٦٢	﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾
٦٩	الآية ١٤٨	﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِن حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾
١٧٨	الآية ١٥٤	﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾
٢٤٩	الآية ١٦٣	﴿وَيَوْمَ لَا يَسْتَبِشُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾
	سورة التوبة	

٣٧٤	الآية ١١٩	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾
	سورة يونس	
١٤٢	الآية ٢٤	﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنْ السَّمَاءِ﴾
	سورة يوسف	
٢٥٢	الآية ١١١	﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾
	سورة الرعد	
٢٤٨	الآية ٣٨	﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾
٢٨٧	الآية ١٢	﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾
	سورة إبراهيم	
١٢١	الآية ٢٤_٢٥	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ﴾
	سورة النحل	
١٨٢	الآية ١١٢	﴿فَإِذْ قَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾
	سورة الكهف	
٢٤٠	الآية ١٠٤	﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾
	سورة مريم	
٩٩	الآية ٤٦	﴿قَالَ أَرَأَيْتُ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَّبِعُهُمْ﴾
١٦٧ ، ١٦٥	الآية ٤	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ﴾

	سورة طه	
٢٢٢	الآية ٥	﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾
٢٨٦	الآية ٦	﴿لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾
	سورة الأنبياء	
٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢	الآية ٢٢	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾
	سورة المؤمنون	
٢٦٠ ، ٢٦٢	الآية ٩١	﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾
	سورة النور	
٢٧٧	الآية ٤٠	﴿أَوْ كُظُمَتِ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾
	سورة الفرقان	
٨١	الآية ٧	﴿مَالِ هَذَا الرُّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾
الصفحة	سورة النمل	
١٢٦	الآية ٨٨	﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾
	سورة القصص	
٢٦	الآية ١٥	﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾
٩٣	الآية ٧٩	﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾
	سورة الروم	
١٧٣	الآية ١٩	﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾

		الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ ﴿٢٤٠﴾
٢٤٠	الآية ٤٣	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ۚ ﴾
٢٦٢	الآية ٢٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾
سورة يس		
٦٣	الآية ١٤	﴿ إِنَّا إِلَيْكُم مَّرْسَلُونَ ﴾
٦٣	الآية ١٦	﴿ قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا إِنَّا إِلَيْكُم لَمَّرْسَلُونَ ﴾
١٦٨	الآية ٣٧	﴿ وَءَايَةٌ لَهُمُ الْيَلُّ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴿١٦٨﴾
١٦٨	الآية ٥٢	﴿ مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا ۚ ﴾
سورة الزمر		
٢٦٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢١	الآية ٦٧	﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ ۚ ﴾
سورة غافر		
٢٩٦	الآية ٨	﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ﴾
سورة الفتح		
٣٧٤	الآية ١٦	﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾
سورة الحجرات		
١٨٦	الآية ١٢	﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾
سورة ق		
١٠٠	الآية ١٩	﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۚ ﴾

	سورة النجم	
١٠٠	الآية ٩	﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾
٢٤٩	الآية ٣٤	﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْثَىٰ﴾
	سورة القمر	
٢١٤	الآية ١٣	﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾
	سورة الجمعة	
١٢٣	الآية ٥	﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾
	سورة التغابن	
١٠١ _ ١٠٠	الآية ١	﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
	سورة القلم	
٣٧٧	الآية ١٠_١١	﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَاكِ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَزَ مَشَاءٍ بَنِيمٍ﴾
	سورة الحاقة	
١٦٩	الآية ١١	﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾
٢٥٣	الآية ٢٧	﴿يَلْتَمِتْهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾
	سورة نوح	
٢٤٢	الآية ١٣_١٤	﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾
	سورة المرسلات	
٢٤٢	الآية ١_٢	﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا﴾
	سورة الأعلى	

٦٢	الآية ١٤	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾
	سورة الغاشية	
١٠٠	الآية ٢٥_٢٦	﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾
٢٤٢	الآية ١٣_١٤	﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾
٢٥٥	الآية ٣	﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾
	سورة الضحى	
٢٤٦	الآية ٩_١٠	﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾
	سورة العاديات	
٢٤١	الآية ٧_٨	﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾
	سورة الكافرون	
٩٩	الآية ٦	﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾
	سورة المسد	
٢١٥	الآية ٤	﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾

٨٠	ألا أنبئكم ما العضة
٢٩٣	إنّ من البيان لسحراً
١٣٧	إنّ من أمتي رجالاً
٢٤١	الخيّل معقود بنواصيها الخير
١٤٠	العالم بغير عمل
٣٣٦	كان رسول الله ﷺ فحماً مفخماً
٨٩	اللهم أغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون
٩٥	ما هذا يا صاحب الطعام
١٤١	مثل العالم الذي يعلم الناس الخير
٣٣	من حمل علينا السلاح
١٦٦	من كذب عليّ
٧٨ ، ٧٧	هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد
٢٤	وأما معاوية فصعلوك
٦٥	وأنا مولى من لا مولى له

فهرس الأشعار

قافية الهمزة		
الصفحة	العدد	شطر البيت
٣٦٩	١	إلى الماء يسعى من يغص بأكلة

٧٢	٢	أنا صخرة الوادي إذا ما زوحت
١١٢	١	إنّما مصعب شهاب من الله
١١٤	١	بالحاكم العادل أضحى الدين معتلياً
٢٨٨	١	فإنّ الحق مقطعه ثلاث
٥٠	١	كل المصائب قد تمر على الفتى
١٢٢	١	لساني صارم لا عيب فيه
١٧٤	١	لي في مديحك يا رسول عرائس
٣٦٩	١	من غص داوى بشرب الماء غصته
٥٣	١	وإذا نظرت إلى أميري زادني
قافية الباء		
الصفحة	العدد	شطر البيت
١٠٤	١	أبعد المشيب المنقضى في الذوئب
٢٦٠	٧	أتاني أبيت اللعن إنك لمتني
٣٨٣ ، ٢٢٧ ، ٥٣	٢	أحب بلاد الله ما بين منعج
٢٢٨	٢	إذا بدأت أبا يحي فانت لها
٢٥٤	٢	أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله
٢٢٥ ، ٨٧	١	أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى
٨٧	١	ألا أبلغا عنى ذات بيننا
٨٤	٤	ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً
١٨٢	٢	ألنت لي الأيام من بعد قسوة
٧٨	١	أيرجوا معشراً قتلوا حسيناً
٣٥٢	٢	بتنا وما نقلنا سوى قبل
٣٧٨ ، ٣٧٧ ، ٢٦٢ ، ٢٥٤ ، ٥١	١	حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
٢٩٩	٢	خليلي مرا على أم جندب

٦٦	٢	فما سودتني عامر عن كلاله
٣٠٥	٣	قال لي عوادي غداة أتوني
٢٧٣	٢	قالوا محاً الجدرى بهجته
٢٧١	٢	قل لأمير المؤمنين الذي
٢٤٤	٢	كتبت وشينات حالي غلبن
١٥٦	٢	لا تلن للخطوب واصلب فمن لان
٢٦٩	١	ما به قتل أعاديه ولكن
١١١	١	ما زلزلت مصر من كيد يراد بها
٢٨٩	٣	هبيني امرأً إما بريئاً ظلمته
٣٤٢	١	وأخلاق كافور إذا شئت مدحه
٧١	٣	وأفجعني فيروز لا در دره
٢٢٣	١	وألبستني النعمة التي غيرت أخي
٣٧٧ ، ٣٠٧	١	وإن كان ذنبي كل ذنب فإنه
٢١٩	١	وإنك لم يفخر عليك كفخر
٣٤١	٢	وغير عجيب أن أوفيك مجرمًا
٣٥٧ ، ٣٢٢ ، ٣٠٤	١	وقد طوفت في الآفاق حتى
٥٢	٢	ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى
١٥٤	٢	يا أيها الملك النائي برؤيته
١٤٠	٤	يتوب على يدي قوم عصاة
٢١٥	١	يغضون فضل اللحظ من حيث ما بدا
٦٥	١	يقلب رأساً لم يكن رأس سيد
١٢٣	١	يهز الجيش حولك جانبيه
قافية التاء		
الصفحة	العدد	شطر البيت

١٢٢	١	إنّما الدنيا كبيت
٣٥١ ، ١٤٤	٢	قنعت بالعود إلى منزل
٢٨٠ ، ٢٤٩	١	لقد بخلت حتى لو أني سألتها
قافية الثاء		
الصفحة	العدد	شطر البيت
٨٢	٤	وقد غادروني بعدهم لحمة العدا
قافية الجيم		
الصفحة	العدد	شطر البيت
٢١٥	١	إنّ السّماحة والمرؤة والندی
١١٩	١	كأنّ أصوات من إيغالهن بنا
٣٥١ ، ٢٩٩	١	من راقب الناس لم يظفر بحاجته
قافية الحاء		
الصفحة	العدد	شطر البيت
١٨٣	٢	أردد لحظ ظني في وجوه
٢٢١	١	ألستم خير من ركب المطايا
١٥٧	١	لك الفضل إن طاب شكري ونشري
١٧٦	١	وكم لي فيك من عذراء زفت
١٥١	٣	ولا تغبطن أخوا الدنيا بزخرفها
٢٥١	٢	ولا تفش سرك إلا إليك
قافية الدال		
الصفحة	العدد	شطر البيت
٣٣٨	٢	أدر كأس خمر ك صرّفاً ففي
٢٢٠ ، ١٧٩	١	إذا مت مات الجود وانقطع الندى

أشارت إلي بعناية	٢	٢٢٠ ، ١٧١
أعان عليها كل صقر كأنه	١	١٧٥
إلا سليمان إذ قال الإله له	٢	٢٦١
جريء على جل الخطوب كأنه	١	١٣٣
جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا	٢	١٣٢
شرط الكفأة ستة قد حررت	٢	١٠٤
طويل النجاد خارج نصف ساقه	٢	٢٢٢
فأستجل درأً أنت لجة بحره	١	١٧٣ ، ١٥٨ ، ١٣٥
قد كنت عدتي التي أسطو بها	٢	١٥٠ ، ٦٧
كريم ألقى عصاه نخيم	١	٢٣١
كل المصائب قد تمر على الفتى	١	٢٦٧ ، ٦٨
لا زال يومك عبرة لغدك	٧	٢٦٨
مالي أرى أمري لديك كأنه	١	٧٩
من الأكرمين من لؤي بن غالب	١	٢٢٦ ، ٢٢٠
من الكاظمين الغيظ والمحسنين	٣	٣٣٩
والذي حارت البرية فيه	٢	٩٨
وأنت الذي بلغتني كل رتبة	١	٢٢٤
وإنني لحلو تعتريني مرارة	١	٦٢
وسار بمدحي فيك كل مهجر وغنى به	٢	٢٣١
وكم ترحه لم أحسبها لقيتها	١	١٧٧
ولئن شعرت فإن أيسر ما أرى	٢	١٨٠ ، ١٣٧
ولا زال بيت الملك فوق عالياً	١	٢١٨
ولا يقيم على ضيم يراد به	٢	٢٨٦
ومنك أخذنا القول فيك جلالة	١	١٥٩

قافية الرء		
الصفحة	العدد	شطر البيت
٢١٤	١	أبت الروادف والثدي لقمصها
٢٥	٣	أتحسب أن ذا يرضي علياً
١٣٥	١	أحبب جمالاً كبدر الدجى
٣٤١	١	إذا مرضتم أتيناكم نعودكم
١٥٦ ، ٨٤	١	ألست ترى الريحان يشمم ناضراً
٨٣	١	ألست ترين الخمر يظهر حسنهما
١٤٥	١	ألم ترني بين السماطين منشداً
٨٨	٣	أمنن علينا رسول الله في كرم
٢١٨	٥	إن الكفالة والوزارة لم تزل
١٣٨	١	إنما البشر روضة فإذا كان
٢٨٣ ، ٢٥٢	٢	بصروا بفروك فازدروك لحالة
٢٨٣	١	بضرب كآذن الفراء فضوله
٢٥٧	٣	بلادي التي ريشت قويدمتي بها
٣٠٣ ، ٢٧٠	٢	بنو كعب وما أثرت فيهم
٩٠ ، ٨١	٢	تذكر أمين الله حقي وحرمتي
١٤٧	٣	جارت هذا الدهر لكن
٦٢	١	حامي الحقيقة محمود الخليفة
٢٤٧	٢	خاض العواذل في حديث مدامعي
٢٥	٢	رأيت بني الطوامث والزواني
٢٥١	١	طوى الورى شعري عنه وأنثنى
٢١٧	٢	فألقت عصاها واستقر بها النوى
٩٢_٩١	٢	فلا تنكرن طول المداراة للعدا

٢٥١	١	لا تسألنّ سوى السعادة للعلا
١٧٣، ١٥٨	٢	لا فضل لي في نظامي در فضلکم
٢٧١	٢	لم يحترق حرم النبي لريبة
٢٧٥	١	لو لم يكن أقحوان ثغر مبسمها
٣٠٨، ٢٢٦	٢	متلون الأخلاق حرباواتها
٣٥١	١	من راقب الناس مات غمّاً
٢٥١	٢	نسخت خلائقه الكريمة ما أتى
١٥٢، ١٣٠	١	هي الآداب حلي غير أني
١٤١	٢	وأتم الأشياء نوراً وحسناً بكر
٣٤٤	١	وافقتهم في اختلاف من زمانكم
٣٦٧، ٢١٩، ١٢٧	٢	وإنّ صخرأ لمولانا وسيدنا
١٢٢	١	وتراكضوا خيل الشبابي
٢٤٨	٢	ورب أعور يشكو ضعف آله
٢٨٠	١	ورقاد أهل الكهف دون رقاده
٣٥٣	٢	ورويت رمحي من كتيبة خالد
٢٥٢	٢	وطالما حدثت نفسي بالغنى
٩٣	١	وليتها إذ فدت عمراً بخارجة
١٠٢	١	وما أنا أسقمت جسمي به
١٤٣	٢	وما أنا إلا كالجواد يصونه
٣١١	١	وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله
٢٣٢	١	وما جازه جود ولا حل دونه
٩٤	٢	يا حبيبي الذي أرى فيه عمري
٣٢٢	٤	يا خجلتا لجرير من

قافية الزين		
الصفحة	العدد	شطر البيت
٢٩٢ ، ١٣٤	١	وحديثها السحر الحلال لو أنّه
قافية السين		
الصفحة	العدد	شطر البيت
١٥٥	٢	رب ضحكك جنيته من عبوس
١٧٩	١	وإذا ما السحاب قطب وجهاً
قافية الشين		
الصفحة	العدد	شطر البيت
٢٩٠	٢	جمعت لدي من الغرام عجائب
١٤٦ ، ٨٧	١	دع الحرص وأقنع بالكفاف من الغنى
١٨٢	٢	كتم الزيارة في الدجى فضياؤه
٢٣٨	١	ونم في أمان بلحبيب ولا تخف
قافية الضاد		
الصفحة	العدد	شطر البيت
٢٥٠	١	قد يدرك المبطئ من حظه
قافية الطاء		
الصفحة	العدد	شطر البيت
٢٧٣	٢	وما اخضر ثوب الأرض إلا لأنّه
قافية العين		
الصفحة	العدد	شطر البيت
٣٣	١	أتجعل نهبي ونهب العبيد

١٨١	٢	إذا عوفي المرء في جسمه
١٨١	٢	أرضى وأقنع بالآمال كاذبة
٢٥٤ ، ٥٠	١	إلا يكن ذنب فعذل واسع
٣٣٣	٤	أما جرير فلم يكن
٣٠٣ ، ٧٩	١	أمن المنون وريبها تتصدع
٣٤٦	١	جئنا به يشفع في حاجة
٢٩١	٢	حتى أقام على أرباض خرشنة
٣٠٥ ، ١١١	١	طمعت بليلي أن تريع وإنما
١٣٠	٢	فالعين بعدهم كأن حداقها
١٠٩	٢	فصار اسمه في النائبات مدافعاً
٣٤٦	١	وإذا المليح أتى بذنب واحد
١٧٨	٢	وإذا المنية أنشبت أظفارها
٣٤٢ ، ١٧٦ ، ١٣٦	٢	ولقد كسوتك من قريضي حلة
١٨٥	٢	يهدي إليك من الشئ ملابساً
قافية الفاء		
الصفحة	العدد	شطر البيت
٢٥٣ ، ٥٠	١	فإن يكن الفعل الذي ساء واحد
٩٥ ، ٩٠	٢	يا قليل الخير موفور الصلف
قافية القاف		
الصفحة	العدد	شطر البيت
١٣٩	١	أحرم منك ما أقول وقد
١٠٢	٣	ثلاثة منعته من زيارتنا
٣٠٤	١	فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل
٣٥٣	٧	قد ضن عنا أبو حفص بنائله

٩١	٢	لا تقطعنّ عائلة بر ولا
١٦٤	١	وأقبل يمشي في البساط فما درى
١٣٤	١	وجاءوا عارضاً برداً وجئنا
قافية الكاف		
الصفحة	العدد	شطر البيت
٢٦٦	١	ألم تك في يميني يديك جعلتني
٣٣٩	٢	بأبي وأمي أنت ما أندى يداً
١٦٤	١	لا تعجبي يا سلم من رجل
٣٨٢	٤	ولي وطن آليت ألا أبيعته
١٤٤	١	وما أنا غير سهم في هواء
٩٤ ، ٦٩	٤	يا رب إنَّ العبد يمنع
٩٤	٢	يا رب لا ارجو لهم سواكا
١٤٣	٢	يقول رم تلق الذي أنت طالب
قافية اللام		
الصفحة	العدد	شطر البيت
٣١١	١	أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل
١٥٩	٢	إذا الكريم رأي الخمول نزيله
٢٤٨ ، ١٠١	٢	أراني بطيئاً إذا ما كتبت
٢٢٨	٢	ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
٣٢٤	٣	إنَّ الذي بعث النبي محمداً
٣٣٣	٣	إنِّي لأعجب من جرير وقوله
٢١٤	١	أوما رأيت المجد ألقى رحله
٤٠	٨	بلاد تصطبي الأحلام فيها
٢٧٧	١	تكاد قسيه من غير رام

٣١١ ، ٣٠٥	١	خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به
٢٤٧	٢	دب العذار وظن من لائمي
١٣٥	١	ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته
١٦٠	٢	سافر فإن الليث لما غاب عن
١٥٩	٢	سفهاً لحلمك إن رضيت بمشرب
١٧٣	٤	فاستجل أبكار المديح عرائساً
١٣٦	١	فشهب الدراري للأفول طلوعها
١١١	١	فقلت العلا بالمكرمات وإنما
٩١	١	فلا تبال بأمر جاء عن قدر
١١٠	٢	فما لي رجاء في سواك ولا يرى
٢٩٠	٢	فهنيئاً مسيئاً كالذي قلت ظالماً
٦٧	١	قال لي كيف أنت قلت عليل
٢٩٩	١	قد يدرك المتأني بعض حاجته
١٦٦	١	قفأ نبك من ذكرى حبيب ومنزل
٢٥٥	١	قلبت له ظهر المجن فلم أقم
١٣٢	٤	قوم هم كدر الحياة وسقمها
١٣٣	٢	كان خلافة جعفر كنبوة
٩١	١	لا ترض من دنياك ما أدناك من
١٢٤	١	لا تنكري عطل الكريم من الغنى
١٣٤	١	لا عهد لي بغارة مثل السيل
٣٠٦ ، ١٤٨ ، ٩٢	١	لعل عتبك محمود عواقبه
١١٣	١	للقفر لا للفقر هبها وإنما
٢٤٣	٢	لنا ملك واحد ما أشتهي
٣٦٨	١	لولا اطراد الصيد لم تك لذة

٥١	١	ليت أشياخي ببدر علموا
١١٠	٢	ما كنت إلا السيف أخلصه
٣٤٤	١	مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع
١٥١ ، ١٢٨	١	مصاحبة المنى خطر وجهل
٢٢٠ ، ١٥١ ، ٦٨	٣	مضى الكرماء صانوا ماء وجهي
١٥٧	٢	ملك تعين المادحين صفاته
٣٣٥	١	نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت
٣٦٩	١	هبيني ظلوماً نلت به بمساءة
٣٠٢	١	هذا الشراب أخو الحياة وما له
٥٤	١	وإذا امرؤ أهدي إليك صنعة
١٢٩	٢	وإذا اهتز للندى كان بجراً
٧٠	٣	والبيت صار حمى إذ كان مظهره
٣٥٧ ، ٣٢٢	١	والدهر يعكس آمالي ويقنعني
٣٠٥	١	وإن صريح الرأي والحزم لامرئ
١٥١	٢	وإنني لأخضر من ذكره
٢٥٤	٢	وجارية تلهي النديم إذا علا
٦٤	١	وجدنا الفضل أكرم من رقاش
٢٩٩	١	وربما ضر بعض الناس بطؤهم
٥٣	١	وقيل له أهلاً وسهلاً ومرحباً
٢٥٥	١	ولا تحكما حكم الصبي فإنه
١٥٥	٢	ولي رسم عليك ولا دفاع
١٨٠	٢	وليل كموج البحر أرخى سدوله
١٥٣	٣	وما أبيض وجه الخائن الحرب في الوغى
٢١٤	١	وما يك في من عيب فإنني

ومن يك ذا فم مريض	١	١٦٥
ويضحى فتيت المسك فوق فراشها	١	٣٣٥
قافية الميم		
شطر البيت	العدد	الصفحة
أبعد تمسكي بنداك دهرأ	٢	١٠٤
أجرى حديثك ثم أعلم أنه	١	١٨٥
أقر بما لم أجنه متفضلاً	٢	٢٩٠
أقول وطرف النرجس الغض شاخص	٢	٢٨٤
ألست الموالي فيك غر قصائدي	٢	١٢٦ ، ٨٣ ، ٥١
أما جرير فجر ثوب العار في	٢	٣٣٣
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي	١	٣١٧ ، ٣٠٢ ، ٢٧٩ ، ٢٤٩
تخبر من لا قيت أُنك عائد	١	١١٢
ثلاثة آلاف وعبدأ وقينة	١	٥١
حتام نحن نساري النجم في الظلم	١	٨٥
حسد القراة للقراة قرحة	١	١٣٠
الخليل والليل والبيداء تعرفني	١	٦١
رجوتك نصحاء في الشدائد لي	١	٣٠٩
رحلت فكم باك بأجفان شاد	٥	٢١٦
طردتك صائدة القلوب وليس ذا	١	٣٣٤ ، ٣٣٢
فأضرب وليدك تأديباً على رشد	٢	١٥٤
فدى لمن لا يزال نائله	٢	١٢٧
فعاطني صهباء مشمولة	٢	٢٨٥
فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً	١	٥٠
فلا تعدل إلى الواشين سمعاً	١	١٣١ ، ٩٠

٢٢٤	١	فلسن على الأعقاب تدمي كلومنا
٩٢	١	فليتك تسمع القولين حتى
٣٠٢	٢	في مثلها نظر الأعمى فلا برحت
٢٥٠	٢	قل للذين رجونا والأمور لها
٢٥٤ ، ٩٠	١	لا تترك للناس موضع شبهة
٣٤١	١	لك الحمد في الدر الذي لي لفظه
٢٤٩	٥	ما لحيتاننا جفتنا وإن
١٢٤	١	من يهن يسهل الهوان عليه
٥٤	٣١	الهوى في طلوع تلك النجوم
٣١٨ ، ٣٠٨ ، ٩٤ ، ٩٣	١	وا حر قلبه ممن قلبه شيم
٣٤١	١	ودونك من أقاويلي مديح
٣٦٧	٢	وذكر خاص بعد ذي عموم
٣١٤	١	وقد أتلافى الهم عند احتضاره
٣٣٨ ، ١٥٦	٢	ولا عجب للأسد إن ظفرت بها
١٤٩	٤	وما السجن إلا ظل بيت سكنته
٣٠٩	١	وما انتفاع أخي الدنيا بناظره
١٣٥	١	وما زالت رياح الشعر شتى
٦٣	١	وما كل هاوٍ للجميل بفاعل
٣٠٣	١	وما هي إلا غمرة ثم تنجلي
٢٨٤	٢	ومجلس راق من واش يكدره
٢٧٤	١	ومن الخير بطء سبيك عني
٣٣٩ ، ٣٠٩ ، ٩٤	١	يا أعدل الناس إلا في معاملتي
٨٨	١	يا دار عبلة بالجواء تكلمي
٢٩٣	١	يا من إذا أتاه أهل المودة أو لم

يا من يعز علينا أن نفارقهم	١	٣٣٩ ، ٣٠٨ ، ٢٥٠ ، ٩٣ ، ٥٣
يضحك منها كل عضو لها	٢	٣٥٨
قافية النون		
شطر البيت	العدد	الصفحة
أتيتك عارياً خلقاً ثيابي	١	٢٦١
إذا ما الدهر جر على أناس	٢	١٧٩
أسأل القادمين من حكمان	٣	٢٩٧
أضحى التنائي بديلاً من تدانينا	٣	٤٦
أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم	٢	٢٢٩
برغم شبيب فارق السيف كفه	٢	٢٨١
جاء الشتاء وما عندي لقرته	٣	٢٩٦
روح تردد في مثل الخلال إذا	٢	٢٧٨
سافر تنل رتب المفخر والعلا	٢	١٦٠
عزاءك إن حبست فليس عيباً	٤	١٤٧
قل لابن ملجم والأقدار غالبية	٢	٢٢١
قلت وقد أصبحت في روضة	٣	٢٨٤
كتبت ودالات حالي كما	٢	٢٤٤
لا يمنعك خفض العيش في دعة	٢	٣٨٢
لست أنسى وقد وقفت	٥	٧١ _ ٧٢
لي شهوتان أحب جمعهما	٢	٣٥٢ ، ١٠٣
ما كل ما يتمنى المرء يدركه	١	٩٨
من سره الموت صرفاً لا مزاح	١	٨٨
والملك العظيم فيهم أسيراً	٣	١٢٨
وحسبك من حادث بامرئ	١	٥١

١٣٤	١	وكان في الحرب سيفاً ماضياً ذكراً
٢٥٣	١	وكان منه على رغم الحسود له
٢٢٣	٢	ولو أني بليت بهاشمي
قافية الهاء		
الصفحة	العدد	شطر البيت
٣٤١	٢	أرض لمن غاب عنك غيبته
١٢٤	١	في طلعت البدر شيء من محاسنها
٤١	١	قلت أعددت مع التوحيد
٢٤٧	٢	قلت وقد ضج رافعاً يده
قافية الواو		
الصفحة	العدد	شطر البيت
٣٠٨	١	وحسبك حسرة لك من صديق
قافية الياء		
الصفحة	العدد	شطر البيت
٢٦٧ ، ٢٥٣	٢	إلى النار يا ولد الزانية
٩٢	١	عسى الله أن يجري المودة بيننا
٨٦	١	فأحمد الله على صحبته
٦٥	٤	فإذا جالسته صدرته
١٦٧	١	قواصد كافور توارك غيره
٢٤٤	٢	كتبت لمولى نأت داره
٣٠٨	١	كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً
٢٧٢	٢	لله في النار التي وقعت به
٣٣٠	١	لو بغير الماء حلقي شرق
٣٠٠	١	وكانت في حياتك لي عظات

فهرس الأعلام

- إبراهيم عليه السلام ٩٩ ، ٢٦٤
- أبرهة ٥١ ، ٦٩ ، ٧٠
- إبليس لعنه الله ٣٠٦
- ابن أبي الأصبع ١٤ ، ١٦٣ ، ٢٣٥ ، ٢٦٧ ، ٢٩١ ، ٣٦٨
- ابن أبي الجنوب ١٣٣
- ابن أبي داؤود القاضي ٤٢
- ابن أبي عيينة ٧٩
- ابن أفلح ٤٣ ، ٤٦

- ابن التعاويني ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
- ابن الجوزي ٣٧٥
- ابن الحاجب ٢٨٨
- ابن الخياط ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١٣١ ، ٣٣٩
- ابن الرومي ٤٢ ، ١٣٤ ، ٢٤٨ ، ٢٦٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٤١ ، ٣٥٠ ، ٣٧٤
- ابن الزبير ١١٢ ، ١١٣
- ابن الساعاتي ١٠٢ ، ١٥٣ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٣٠٢
- ابن الشبل ١٥٧
- ابن العفيف التلمساني ١٩٩
- ابن العماد الحنبلي ١٨ ، ٢١ ، ٣٣
- ابن القيم ٣٣٦
- ابن المدبر ٨٣ ، ٩١ ، ١٤٣ ، ١٩٦
- ابن المظفر الدوري ١٤٠
- ابن المعتز ١٣٣ ، ١٨٦ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٣٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٤ ، ٣١٩
- ابن المعلم ١٩٣ ، ٢٥١
- ابن المنير الطرابلسي ١١٣
- ابن النبيه ١٤٥
- ابن بسام ٣٦ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٣
- ابن تغري بردي ٨ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٨
- ابن تيمية ٨ ، ٢٦
- ابن جرير الطبري ٢٣ ، ٣٣٤
- ابن جهور ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٩ ، ١٨٥ ، ٢٥٦
- ٢٧٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢
- ابن حجة الحموي ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٥٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،

٢٦٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٦٨ ، ٣٧١

- ابن حجر ٧ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤٧
- ابن حيان الأندلسي ١٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٣٨٠
- ابن حيوس ٦٨ ، ١٣٧ ، ١٥١ ، ١٨٠ ، ١٩٥ ، ١٩٠ ، ٢٢٠
- ابن خلدون ٣٣٦ ، ٣٦٣
- ابن رشيق ٣٦ ، ٢٤٢ ، ٣٣٣ ، ٣٤١ ، ٣٥١ ، ٣٥٩
- ابن زكوان ٤٣ ، ٤٤
- ابن زنجويه ٣٣٤
- ابن سعد ٣٣٤
- ابن سلام ٣٣٠
- ابن سناء الملك ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٤٧ ، ١٥١
- ابن سيد الناس ١٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٧٢ ، ٣٧٦
- ابن سينا ١٤٤
- ابن شمس الخلافة ١٩٢
- ابن طباطبا ٣٤٩ ، ٣٥٤
- ابن عباس ١١٣
- ابن عبد البر ٣٣٤
- ابن عبدوس ٤٦ ، ٤٨
- ابن عبدون ٩٣ ، ٢٤٨
- ابن عساكر الدمشقي ١٥
- ابن عمر رضي الله عنه ٣٧٣
- ابن عنين ١٨٥ ، ١٩٧ ، ٢٥١
- ابن فارس ١ ، ١١٦
- ابن قلاقس ١٥٥ ، ١٧٩ ، ٣٤١

- ابن كثير ٦ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥
- ابن كلّس ٢٧١
- ابن مسعود رضي الله عنه ٨٠ ، ٨٩
- ابن ملجم ١٥٧ ، ٣٠٧
- ابن منظور ٢٨١
- ابن منقذ ٢٤٠ ، ٢٧٨ ، ٣٠٠ ، ٣٤٦ ، ٣٥٢
- ابن نباتة ١٧ ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩
- ابن نباتة السعدي ١٨١ ، ١٨٢
- ابن هشام ٣٣٥
- أبو إسحاق الغزي ١١١ ، ١٥١ ، ٢٠٧ ، ٢٥١
- أبو الأسود الدؤلي ٧٨
- أبو الحسين الجزار ٧١ ، ٩١ ، ١٣٦ ، ١٧٦ ، ١٨٧ ، ٢٥٢ ، ٢٨٢ ، ٣٤٢
- أبو الحسين بن سراج ٢١١
- أبو العتاهية ٨١ ، ٩٠ ، ١٨٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠١
- أبو الفتح البستي ١٤١
- أبو الفرج الاصفهاني ٣٦
- أبو الفضل الميكالي ١٤٦
- أبو الفضل ابن الفقيه ١٧١ ، ٢٢٠
- أبو بكر البطلوسي ٢١١
- أبو بكر الصديق رضي الله عنه ٥١ ، ٣٠٧ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥
- أبو بكر بن سعيد ٢٢٤
- أبو بكر محمد عليم ٣٨ ، ٤١
- أبو تمام ٧٣ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٣٠٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٥

- أبو جهم ٢٤
- أبو حاتم الرازي ١٤٩
- أبو ذؤيب الهزلي ٧٩ ، ١٧٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٣
- أبو سعيد الرستمي ١١٠
- أبو سفيان رضي الله عنه ٤٢ ، ١٩٧ ، ٢٥٥
- أبو شجرة السلمي ٣٥٣
- أبو طالب بن عبد المطلب ٨٤ ، ٨٧ ، ١٣٣ ، ١٧٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥
- أبو طاهر السلفي ١٥
- أبو عبيدة البكري ٣٣٣
- أبو علي القالي ٣٥
- أبو فراس ٦٧ ، ١١٠ ، ١٣٥ ، ١٥٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٢٤
- أبو لؤلؤة المجوسي ٣٠٧
- أبو نواس ٦٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٩٧
- أبو هلال العسكري ١٢٠ ، ١٦٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨٦ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢
- أحمد المزيدي ٢٤٩
- أحمد بن الرفعة الشامي ٨
- أحمد شوقي ١٧٤
- أحمد مصطفى الطرودي ٢٠٢
- الأحنف بن قيس رضي الله عنه ٥١ ، ٣٧١
- إدريس الناقوري ٣٣٨
- إدريس بن يحيى ٤٧
- آدم عليه السلام ٥٠ ، ٣٠٦
- الأرجاني ٢٩٤
- آزر ٩٩

- أسامة بن زيد رضي الله عنه ٥١ ، ٣٠٧
- الأشعث بن قيس ٢٠٨
- الأصمعي ١٤٦ ، ١٨١
- الاقرع ٣٣
- أکثم بن صيفي ٦٩ ، ١٤٢ ، ١٩٠ ، ٣٣٠
- الآمدی ٣١٥ ، ٣٥٥
- امرؤ القيس ١٤٥ ، ١٦٦ ، ١٨٠ ، ١٩٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٥٧
- أيوب عليه السلام ٦٨
- البخارزي ١٣٠ ، ١٥٢ ، ٢٧١ ، ٣٣٤
- باغر ١٥٢
- البحترى ٨٣ ، ١٢٤ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٨٢ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٣ ، ٢٥٤ ، ٢٩٠ ، ٣٣٨
- البخاري ٤٢ ، ٣٣٦
- بدر الدين بن جماعة ١٧ ، ٢٣
- بدر الدين بن لؤلؤ ٢٨٥
- بدر الدين بن مالك ٢٣٤ ، ٣٨١
- برز جمهر ٢٤٥
- البرقوقي ٩٥
- بشار بن برد ٢٣٤ ، ٢٩٩ ، ٣٥١
- البعيث الجاشعي ١١١ ، ٣٠٥
- بكر بن النطاح ١٧٧
- بكر بن حماد ١٣٤ ، ٢٢١ ، ٢٥٣
- بنت منظور ٢٢٩
- بيبرس ٩ ، ١١
- البيهقي ٣٣٢ ، ٣٧٢

- تاج الدين محمد ٣٣٢
- التاج السبكي ١٧ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٣٣ ، ٣٨١
- التفتازاني ٢٣٧
- تقي الدين السبكي ١٧ ، ٢٣
- تميم بن المعز ٢٣١ ، ٢٣٢
- التهامي ٢٧٤
- تورن شاه ٤
- الجاحظ ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٣٤٣ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢
- جبريل عليه السلام ٣٦٧
- جرير ٢٢١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤
- جودت الركابي ٤٨
- الجوهري ٣٣٥
- حاتم الطائي ٢١٧ ، ٢٣٠ ، ٢٥٤
- الحجاج بن يوسف ٣٣ ، ٣٢ ، ٣٠٧
- الحر بن يزيد ٣٧٥ ، ٣٧٦
- الحريري ٢٤٠
- حسان بن المصيصي ١٥٧
- حسان بن ثابت رضي الله عنه ٦٢ ، ٨٨ ، ٢١٠ ، ٢٤٨ ، ٣٦١
- الحسين بن علي رضي الله عنه ٥١ ، ٧٨ ، ٣٠٦ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦
- الحلبي ٣٣٣
- الحماسي ٢١٤
- حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ١٥٧
- حمزة فتح الله ٤١
- خالد بن الوليد رضي الله عنه ٥١ ، ٣٠٧

- الخطابي ٣٣٥
- الخطيب البغدادي ١٥١
- الخفاجي ١٢٧، ١٨٨، ٢٠٨
- الخنساء ٦٢، ١٢٧، ١٢٨، ٢١٩، ٣٦٧
- الخوارزمي ٨٤، ١٥٦
- دعبل ٦٥، ٨٦، ٢٣٣، ٣٤٦
- الذهبي ١٧، ١٩
- الرازي ١٥، ٢٣، ١٨٤، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٧٨، ٢٨٨، ٣٣٥
- الرقاشي ٦٤، ٦٥
- الرماح بن ميادة ٢٦٦
- الرياشي ١٣٩
- الزجاج ٧٥
- الزركلي ١٦، ٢٣، ٤٣
- الزخشي ١٠٨، ٣١٣، ٣٣٥
- زهير بن أبي سلمى ٢٨٨
- زهير بن صرد ٨٨
- زياد الأعجم ٢١٥
- زيد الكاتب ٢٢٨
- السامري ٦٩
- السراج الوراق ١٠١، ١٨٢، ٢٢٦، ٢٤٨، ٢٨٠، ٣٠٨
- سعيد عاشور ٢
- سفيان بن الأبرد ٢٢٨
- السكاكي ١٦٧، ٢٠١، ٢٤٣
- السموأل ٢٢٤

- السهرودي ١٤٧
- السهيلي ٣٣٣
- سيد قطب ٢٦٣ ، ٣٧٧
- سيف الدولة بن حمدان ٩٣ ، ١٤٨ ، ١٦٤ ، ٢١٦ ، ٣٦١
- سيف الدين تومان ٦
- سيف الدين قزل ٩١ ، ١٣١ ، ١٩٥ ، ٢٨٤
- السيوطي ١١٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ٢٥٠ ، ٣٦٧
- شافع بن علي ٢١٠
- الشافعي ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٦
- شجرة الدر ٣ ، ٤ ، ٥
- شرف الدين بن عبد العزيز ٢٤٣ ، ٣٣٨
- الشريف الرضي ١٤٣
- الشعبي ٢٦١
- شهاب الدين محمود ١٧ ، ٤١ ، ٢٥٠ ، ٣٣٣
- الشهرستاني ٣٦
- شهریار ٣٣٥
- شوقي ضيف ٢٧ ، ٣٠ ، ٤٨ ، ٣٥٦
- الشوكاني ٢٣
- الصالح إسماعيل ٨
- الصالح أيوب ٢ ، ٣ ، ٤
- صخر ١٢٨ ، ٢١٩
- الصفي الحلي ١٣٥ ، ١٥٨ ، ١٧٣ ، ٢٠٥ ، ٢٣٥ ، ٢٥٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٠٦ ، ٣٣٣
- الصنوبري ٢٠٤
- الصولي ٣٣٣

- ضياء الدين بن الأثير ١٠٠ ، ١٥٥ ، ١٨٠ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦٩ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣
- طالتوت ٦٩
- الطرابلسي ٩١ ، ١٥٩
- طرفة بن العبد ٣٦٤
- الطغرائي ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢٢ ، ٣٣٥ ، ٣٤٤ ، ٣٥٧ ، ٣٦٨
- طلائع بن زريك ٢٧٣
- ظافر بن الحداد ٢٧٣
- عائشة الصديقة (رضى الله عنها) ٥١ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٣٠٧
- عاتكة بنت زيد (رضي الله عنها) ٧١
- عامر بن الطفيل ٦٦
- العباس بن الأحنف ١٣٩
- العباس بن مرداس ٣٣
- عبد الرحمن ٢٤
- عبد القاهر الجرجاني ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١١٩ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٢٠١ ، ٢٢٣
- عبد الله بن حازم ٢٨٩
- عبد الله بن خارجة ٢٢٨
- عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ٣٦١
- عبد الله بن محمد بن مروان ٤٧
- عبد الله بن يزيد ٢٤
- عبد المطلب بن هاشم ٦٩ ، ٩٤
- عبد الملك بن مروان ٣٣ ، ٣٢ ، ٢٢٨
- عبد المنعم عبد الواحد ١
- عبيد الله بن زياد ٣٠٦ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦

- عتبة بن أبي سفيان ١٨٧
- عتبة بن مسلم ١٩٨
- عثمان بن عفان رضي الله عنه ٢٨ ، ٨٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣٣٠ ، ٣٧١
- علي بن زيد ٢٥٠ ، ٣٣٠
- عز الدين أيبك ٤ ، ٥
- العز بن عبد السلام ٨
- العزيز صاحب مصر ٢٧١
- عقبة بن سمعان ٣٧٦
- علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٢٥ ، ٢٨ ، ٥١ ، ١٣٤ ، ١٥٧ ، ١٨١ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٧٤ ، ٣٠٧
- علي بن ظافر ٣١ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٧٩
- علي بن محمد الوزير ١١
- عمارة اليمني ٢٠٨ ، ٢١٨
- عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٧١ ، ٢٦١ ، ٢٨٨ ، ٣٠٧ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤
- عمر بن الوردي ١٠٣ ، ٣٥٢
- عمر بن سعد ٥١ ، ٣٧٥
- عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ٢٩٣ ، ٣٢٤
- عمر فروخ ١٤
- عمرو بن الأبرد ١٩١
- عنبرة ٨٨
- عيسى عليه السلام ٦٣ ، ٨٤
- عيينة ٣٣
- غانم بن الوليد ٢١١
- الغزي ١٢٨ ، ١٣٦

- فاطمة بنت قيس (رضي الله عنها) ٢٤
- الفتح بن خاقان ٨٣ ، ١٥٢ ، ٣٣١ ، ٣٣٥
- الفردق ٦٥ ، ٢٢٩
- فرعون لعنه الله ٣٠٦
- الفيروز أبادي ١٨
- فيصل حسن عباس ١٠٦
- القائم بالله ٢٩٠
- القاضي الجرجاني ٣١٥
- القاضي الفاضل ٣٣ ، ١٥٦ ، ١٧٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٦١
- قباذ ٣٠٠
- قتيبة بن مسلم ٢٨٩
- قدامة بن جعفر ٢٦٥
- القزويني ٦٣ ، ٦٤ ، ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٧٨ ، ٢١٤ ، ٢٤٣ ، ٢٩٠
- قطام ٥١
- القطامي ٢٩٩ ، ٣٠٠
- القلقشندي ٣٢٨
- قلقيلة ٣٢٢
- قيس بن معدي كرب ٢٠٨
- كافور ١٦٧
- الكسائي ٣٣٦
- كشاجم ٣٠٢
- كعب بن مالك ٣٦١
- الكلبي ٣٣٦
- كليب وائل ٨٠

- لؤي بن كعب ٦٧
- لويس التاسع ٣
- المؤيد ٣٠٠
- المؤمل بن أميل ١٩٠ ، ٣٤١
- مالك بن أنس ٢٣ ، ٢٤
- مالك بن طوق ١٣٠
- المأمون العباسي ١
- المبرد ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٠٠ ، ٣٣٥
- المتنبّي ٦١ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٨٥ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٩١ ، ٣٠٢ ، ٣٧٩ ، ٣٧٨ ، ٣٧٧ ، ٣٦١ ، ٣٤٢ ، ٣٤١ ، ٣٣٩ ، ٣١١ ، ٣٠٨ ، ٣٠٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٢
- المتوكل العباسي ١٣٣ ، ١٥٢
- محمد ابو الفضل ابراهيم ٢٧ ، ٣١٧
- محمد العادل السلطان الأيوبي ٢
- محمد بن الحداد ١٥٩
- محمد بن الحنفية ١١٢ ، ١١٣
- محمد بن القاسم بن عاصم ١١١ ، ١١٤
- محمد بن المثنى ٣٣
- محمد بن غالب الرصافي ١٨٥ ، ٢٢٧
- محمد بن كثير ١١٢
- محمد بن مالك المغربي ٣٣٦
- محمد زغلول سلام ١٢ ، ١٥ ، ٣٥ ، ٣٣٥
- محمد على سلطاني ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٦ ، ٣٧٠

- محمد كامل الفقي ٧، ٩، ١١
- محمد كرد علي ٣٩
- محمود رزق سليم ٥، ٣١٣
- المراغي ٥٨، ٦٢، ٦٣، ٩٢، ٩٣، ٩٧، ١١٦، ١٢١، ١٦٧، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٥، ٢٤٠،
٢٦٣، ٢٦٤
- المزي ١٨
- مستوفي أربل ١٤٩، ١٩٢، ٣٠٣
- المسعودي ٤٢، ٣٣٣
- مسلم بن الحجاج ٣٣٠، ٣٣٦
- مسلم بن الوليد ٧٢، ٢٣٤، ٣٣٩
- المسيب بن علس ٣٦٤
- المظفر حاجي ٧
- معاوية بن أبي سفيان ﷺ ٢٤، ٢٥، ٢٠٨، ٢٢٠
- المعتمد بالله ٤٦
- المعتمد بن عباد ٤٧، ٢٥٤
- المعري ٩٨، ١٥٤، ٢٧٧، ٣٤٤
- معقر بن أوس ٢١٧
- معن بن أوس ٢٢٥
- المفضل النكري ١٣٤
- المقرئ ٤
- الممزق العبدي ٣٠٣
- المنصور قلاوون ١١
- موسى ﷺ ٥١، ٦٩، ٨٤، ٣٠٦، ٢٥٣
- الميداني ٣٣٥

- ميكال عليه السلام ٣٦٧
- الميكالي ٨٧
- النابغة ٧٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٧٩
- الناصر حسن بن قلاوون ١٣
- الناصر صلاح الدين الأيوبي ١٢٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١
- نبيل محمد رشاد ٣١ ، ٣٣٠ ، ٣٣١
- نجم الدين بن الأثير ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٩٨
- نصر بن سيار السهرودي ٢٠٥
- النعمان بن المنذر ٧٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
- نعمة رحيم العزاوي ٣٨ ، ٣١٨
- النوار بنت مجاشع ٢٢٩
- نوح عليه السلام ٥٠
- هارون عليه السلام ٢٥٣
- هاشم بن عبد مناف ٨٤
- الهاشمي ٦١ ، ٦٢ ، ٧٥ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٤٧ ، ٢٦٣ ، ٢٨٠ ، ٢٨٦
- هبة الله بن الفضل ١٩٢
- هند بن أبي هالة عليه السلام ٣٣٠
- الوادعي ٣٣٦
- وحشي عليه السلام ١٥٧
- ولادة بنت المستكفي ٣١ ، ٤٥ ، ٤٦
- ياسر سليمان شوشو ٣٤ ، ٣٧ ، ٢١٦ ، ٣٤٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٨٠
- ياقوت الحموي ٣٣٤
- يزيد بن المهلب ١٩٨

- يزيد بن معاوية ٣٠٧ ، ٣٧٦
- يعقوب بن السكيت ٣٣٦

فهرس القبائل

٣٠٧ ، ٦٩	بني اسرائيل
٢٧٢	بني أمية
٢٢٣	بني عبد المدان
٢٧٠	بني كعب
٢١٧	بني نمير
٢٢٣	بني هاشم
٣٠٧	الحرّة
٥١	الخزرج
٢٩١	الروم
١٣٣	القحطانيين
٣٧١ ، ٣٠٧ ، ٥١	قريش

قريظة	٣٧٣ ، ٣٧٢ ، ٥١
القيسيين	٢٨٠
اليمنيين	٢٨٠

فهرس الأماكن

أحد	٣٠٧ ، ٧٨ ، ٥١
إشبيلية	٤٧ ، ٤٦
الأندلس	٤٨ ، ٤٣ ، ٣٩
بدر	٥١
بطليرس	٤٧
بغداد	٨٥
البلاد الاوربية	٣٩
الجعرانة	٨٨
الحجون	١٣٣
الحيرة	٧٢
دمشق	١٨ ، ١٦ ، ٦
الرصافة	٤٣
السودان	٤١ ، ٣٩
الشام	٢٥٠ ، ٢٥ ، ٧

٢١ ، ١٦	صفد
٧	طرابلس (الشام)
٨٥	العراق
٣٧٣ ، ٣٧١ ، ٧٨	العقبة
٣٧١	عكاظ
٢٣٠	عنزة
٣٣١	غمدان
١٦	فلسطين
٣٩ ، ١٨	القاهرة
٧٢	القدس
٣٣١ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٣	قرطبة
٣	قلعة الروضة
٧٨	كربلاء
٧٥	الكوفة
٣٧٦	الكوفة
٨٥ ، ٧ ، ٣	مصر
١٣٣	مكة
٣	المنصورة
٢٨٠ ، ١٣٣	اليمن

المصادر والمراجع

• أبو ذؤيب الهزلي ، حياته وشعره ، نورة الشعلان ، ط ١٤٠٠هـ _ ١٩٨٠م ، شركة الطباعة العربية ، السعودية .
• الإتقان في علوم القرآن ، للإمام السيوطي ، تحقيق فؤاد أحمد زمري ، ط ٢ ، ١٤٢١هـ _ ٢٠٠٠م .
• الأدب العربي في العصر المملوكي ، للدكتور محمد كامل الفقي . مطبعة التقدم ، القاهرة ، ط ١ .
• الأدب في العصر المملوكي ، للدكتور محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف الإسكندرية ، جلال حزي وشركاه .
• أساس البلاغة ، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م .
• أسرار البلاغة في علم البيان ، للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
• أسرار البيان ، لعلي محمد حسن العماري ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٣٦٥هـ _ ١٩٦٥م .
• أشعر الشعراء الستة الجاهلين ، للعلامة يوسف سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنري ، شرح وتعليق دكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٢١هـ _ ١٩٩٢م .
• الاعجاز والايجاز ، لأبي منصور الثعالبي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ _ ١٩٨٣م .

• الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط١٦ ، يناير ٢٠٠٥م .
• ألحان السواجع بين الباديء والمراجع ، للصفدي ، تحقيق محمد عائش ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
• الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، تحقيق مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية ، القاهرة _ مصر .
• البداية والنهاية ، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
• البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، القاضي محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق خليل المنصور ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط١ ، سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
• البديع في البديع في نقد الشعر ، لأسامة بن مرشد بن علي بن منقذ ، تحقيق عبده علي مهنا دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
• بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، لأبي جعفر الضبي ، تحقيق صلاح الدين الهوري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
• البلاغة تطور وتاريخ ، دكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٦ .
• البلاغة فنونها وأفنانها ، دكتور فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، ط ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
• البلاغة والنقد بين التاريخ والفن ، دكتور مصطفى الصاوي الجويني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٥م .
• البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمر بن بحر الجلاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
• تاريخ الأدب العربي ، لعمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٦ ، ١٩٩٧م .
• تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس ، لشوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ١١١٩ كورنيش النيل .
• تاريخ الامم والملوك ، للامام ابن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،

ط ٤، ١٤٢٩هـ_٢٠٠٨م .
• تاريخ دمشق ، للحافظ هبة الله بن عساكر ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط ١، ١٤١٩هـ_١٩٩٨م .
• تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، لابن أبي الأصبع زكي الدين عبد العظيم بن الواحد المصري ، تحقيق دكتور ، حنفي محمد شرف ، طبعة القاهرة ، ١٣٨٣هـ .
• تفسير المراغي ، لأحمد مصطفى المراغي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط ٣، ١٣٩٤هـ_١٩٧٤م .
• التلخيص في علوم البلاغة ، للخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، ط ١٩٠٤م .
• الجامع الصحيح ، للإمام مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث القاهرة ، ط ١، ١٤١٢هـ_١٩٩١م .
• الجامع الصحيح للإمام البخاري ، تحقيق أبو عبد الله محمود بن الجميل ، مكتبة الصفا ، ط ١، ١٤٢٣هـ_٢٠٠٣م .
• جامع العبارات في تحقيق الاستعارات ، لأحمد مصطفى الطرودي التونسي ، دراسة وتحقيق دكتور محمد رمضان الحربي ، ط ١، ١٣٩٥هـ_١٩٨٦م .
• جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع ، تأليف السيد أحمد الهاشمي ، تحقيق محمد رضوان مهنا ، مكتبة الإيمان ، ط ١، ١٤٢٠هـ_١٩٩٩م .
• جواهر الكنز تلخيص كنز اليراعة في أدوات ذوي البراعة ، لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي ، تحقيق دكتور محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف الإسكندرية .
• حاشية الدسوقي على مختصر السعد ، تحقيق الدكتور خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١، ١٤٢٣هـ_٢٠٠٢م .
• الحيوان ، لأبي عثمان الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط ١، ١٣٥٦هـ_١٩٣٨م .
• خزانة الأدب وغاية الأرب لأبي بكر بن علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي ،

تحقيق دكتورة كوكب دياب ، دار صادر ، بيروت ، ط٢ ، سنة ١٤٢٥هـ _ ٢٠٠٥م .
• الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون ، لأبي بكر محمد عليم ، ١٣٤٥هـ _ ١٩٢٦م .
• دراسات في نقد الأدب العربي ، دكتور بدوى طبانة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٦٥م .
• الدر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م .
• دلائل الإعجاز ، للإمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق دكتور محمود محمد شاعر ، مطبعة المدني بجدة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ _ ١٩٩٢م .
• دمية القصر وعصرة أهل العصر ، لأبي الحسن علي بن الحسن بن علي البخاري ، تحقيق على إبراهيم محمود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٩هـ _ ٢٠٠٨م
• ديوان ، التهامي ، تحقيق ، د . علي نجيب عطوي ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦م .
• ديوان ابن التعاويني ، تحقيق د . س . مرجليوث مطبعة المقتطف بمصر ، ١٩٠٣م .
• ديوان ابن الرومي ، تحقيق عبد الأمير علي مهنا ، دار مكتبة الهلال ، ط١ ، ١٤١١هـ _ ١٩٩٠م .
• ديوان ابن المعتز ، شرح دكتور يوسف شكري فرحان ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ _ ١٩٩٥م .
• ديوان ابن النيه المصري ، تحقيق عمر محمد الأسعد ، دار الفكر ، ط١ ، يناير ١٩٦٩م
• ديوان ابن حيوس ، تحقيق خليل مرام بك ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ _ ١٩٨٤م .
• ديوان ابن سناء الملك ، تحقيق محمد إبراهيم نصر و د . حسين محمد نصار ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٨هـ _ ١٩٦٩م .
• ديوان ابن قلاقس ، تحقيق الدكتورة سهام الفريح ، مكتبة المعلا ، الكويت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ _ ١٩٨٨م .
• ديوان ابن منير الطرابلسي ، تحقيق دكتور عمر عبد السلام تدمري ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م .

• ديوان أبي الأسود الدؤلي : صنعة أبي سعيد الحسن السكري ، تحقيق الشيخ محمد آل ياسين مؤسسة إي ف للطباعة والتصوير ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ _ ١٩٨٢ م .
• ديوان أبي الطيب المتنبي ، شرح أبي البقاء العكبري المسمي بـ "التيان في شرح الديوان" وضع فهارسه مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلي ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان .
• ديوان أبي العتاهية وأشعاره وأخباره ، تحقيق دكتور شكري فيصل .
• ديوان أبي العتاهية ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٤ هـ _ ١٩٦٤ م .
• ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده علام دار المعارف ، القاهرة ، ط ٤ .
• ديوان أبي طالب بن عبد المطلب ، صنعة أبي هفان المهزومي المصري ، وعلى بن حمزة البصري التميمي ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل يسين ، دار مكتبة الهلال ط ١ ، ١٤٢١ هـ _ ٢٠٠٠ م .
• ديوان أبي فراس ، تحقيق دكتور يوسف شكري فرحات ، دار الجيل ، بيروت .
• ديوان أبي فراس رواية أبي عبد الله بن خالويه ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٦٥ هـ _ ١٩٦٦ م .
• ديوان البحري شرح وتقديم حنا الفخوري ، دار الجيل بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ _ ١٩٩٥ م .
• ديوان الخليل ، للشاعر خليل مطران ، دار مارون ، بيروت .
• ديوان الخنساء ، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط ٣ ، ١٤٢٧ هـ _ ٢٠٠٦ م .
• ديوان الشاب الظريف ابن العفيف التلمساني ، تحقيق صلاح الدين الهواري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١٤٢٤ هـ _ ٢٠٠٤ م .
• ديوان الشريف الرضي لمصنفة أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى ، وزارة الإرشاد الإسلامية إيران ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
• ديوان الشوقيات ، لأحمد شوقي ، السياسة والتاريخ والاجتماع .
• ديوان الصنوبري أحمد بن محمد بن الحسن الضبي ، تحقيق دكتور إحسان عباس ، دار

الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٠م .
• ديوان المتنبي ، تحقيق الدكتور إسماعيل العقباوي ، دار الحرم للتراث ، سوق الكتاب الجديد بالعتبة ، القاهرة .
• ديوان النابعة الذبياني ، شرح وتقديم عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٥هـ _ ١٩٨٤ .
• ديوان جرير ، شرح دكتور يوسف عيد ، دار الجليل ، بيروت ، ط١ .
• ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق دكتور وليد عرفان ، دار صادر ، بيروت .
• ديوان دعل بن علي الخزاعي ، جمعه وقدم له عبد الصاحب عمران الدجيلي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٩م .
• ديوان صفى الدين الحلي ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٢هـ _ ٩٦٢م .
• ديوان ظافر بن الحداد ، تحقيق د . حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، ٣٧ شارع كامل صدقي ، الفجالة .
• ديوان عامر بن الطفيل رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ، عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩ .
• الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ، تحقيق للدكتور إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ١٩٧٩م .
• سرح العيون في شرح رسالة بن زيدون ، لجمال الدين بن نباتة المصري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٦م .
• السلوك لمعرفة دولة الملوك ، لأبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقرئزي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ _ ١٩٩٧م .
• شاعر السمو زهير بن أبي سلمى ، للدكتور عبد القادر الرباعي ، عالم الكنب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٦م .
• شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ _ ١٩٩٨م .

• شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، للشيخ أحمد الأمين الشنقيطي ، تحقيق محمد الفاضلي ، المكتبة المصرية للطباعة والنشر ، ط ٢ ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
• شرح المفضليات ، للتبريزي ، أبو زكريا يحيى ابن علي بن حمد الشيباني تحقيق على محمد البجاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر .
• شرح ديوان أبي الطيب لأبي العلاء المعري "معجز أحمد" ، تحقيق دكتور عبد المجيد دياب ، دار المعارف ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .
• شرح ديوان المتنبي وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
• شرح ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
• شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، للحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
• الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق دكتور عمر الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
• الشمائل المحمدية ، للإمام الترمذي ، تحقيق سيد عمران ، دار الحديث القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
• صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، للقلقشندي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر ، مطابع كوستا تسوماس وشركاه .
• صرف العين ، للصفدي ، تحقيق دكتور محمد عبد المجيد لاشين ، دار الآفاق العربية مدينة نصر ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م .
• الصفدي وشرحه على لامية العجم دراسة تحليلية ، للدكتور نبيل محمد رشاد مكتبة الآداب القاهرة ، ط ١ ، سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
• الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق دكتور مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
• ضياء الدين ابن الأثير وجهوده في النقد ، للدكتور محمد زغلول سلام ، مكتبة النهضة

، مصر ، بالفجالة .
• طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين عبد الوهاب السبكي ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناجي ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي .
• طبقات الشعراء ، لمحمد بن سلام الجمحي ، تحقيق دكتور عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٨هـ _ ١٩٩٧م .
• عصر الدول والإمارات "الأندلس" ، للدكتور شوقي ضيف دار المعارف ، ط ٤ .
• العصر المالكي في مصر والشام ، للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار النهضة العربية ، بيروت ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٦م .
• عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، لمحمود رزق سليم ، ط ٢ ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، ١٣٨٨هـ _ ١٩٦٢م .
• علم البيان ، للشيخ عثمان أبو النصر ، مطبعة أبو الحسن ، غزة ، ١٣٥٧هـ _ ١٩٣٨م .
• علم البيان ، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية ، د . بدوي طبانة ، مكتبة الأنجلو المصرية .
• علوم البلاغة البيان والمعاني والبدیع ، لاحمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٤ ، ١٤٢٨هـ _ ٢٠٠٧م .
• العملة في محاسن الشعر وآدابه ، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت .
• عيار الشعر ، لابن طباطبا ، تحقيق ، دكتور عبد العزيز المانع مكتبة الخانجي ، القاهرة .
• الغيث المسجم في شرح لأمية العجم للشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ ، ١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٣م .
• فن الجناس ، علي الجندي ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٤م .
• الفن ومذاهبه في النثر العربي ، للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ١١١٩ كورنيش النيل ، ط ٤ ، ١٩٦٥م .
• فوات الوفيات والذيل عليها ، محمد بن شاکر الکتبی تحقیق ، الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

• في الأدب الأندلسي ، للدكتور جودت الركابي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٦ .
• الكامل في اللغة، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٩ هـ _ ٢٠٠٨ م .
• كتاب أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله دراسة تحليلية ، لعمر فروخ بيروت ١٣٨٤ هـ _ ١٩٦٤ م .
• الكشكول ، لبهاء الدين العاملي ، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي مفتي ليبيا .
• كنز العمال ، لعلاء الدين على بن حسام الدين الهندي البرهان فوري ، تحقيق الشيخ بكري حياتي ، وصفوت السقا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، شارع سوريا ، ١٤٠٩ هـ _ ١٩٨٩ م .
• لزوم ما لا يلزم مما يسبق حرف الوري لأبي العلاء المعري ، شرح وتحقيق د . كمال اليازجي ، دار الجيل بيروت ، ط١ ، ١٤١٢ هـ _ ١٩٩٢ م .
• لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ، ط١ .
• المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق الشيخ كامل محمد محمد عويضة ، دار لكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٩ هـ _ ١٩٩٨ م .
• مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني ، ط٢ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .
• مجمل اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي ، تحقيق زهير عبد الحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة .
• مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ترتيب محمود خاطر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
• المصطلح النقدي في نقد الشعر ، لإدريس الناقوري ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، ط٢ ، ١٩٨٤ م .
• المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، للعلامة سعد الدين التفتازاني ، تحقيق دكتور عبد الحميد هندواوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٨ هـ _ ٢٠٠٧ م .
• معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار

الجيل بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ _ ١٩٩١ م .
• مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن السكاكي ، منشورات المكتبة العلمية الجديدة ، بيروت .
• المقدمة ، لعبد الرحمن بن خلدون ، مكتبة جزيرة الورد القاهرة ، ٤ ميدان حليم ، ط ١ ، ٢٠١٠ م .
• المنتظم في تاريخ الأمم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤١٥ هـ _ ١٩٩٥ م .
• المنجد في اللغة والآداب والعلوم ، للويس معلوف ، المطبعة الكاثوليكية ، ط ١٩ .
• الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري ، للأمدي ، تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٤ .
• النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لجمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، دار الثقافة والإرشاد القومي .
• نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ، للدكتور عبد المنعم ماجد ، مطبعة الرسالة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، شارع محمد بك فريد ، ١٩٦٤ م ،
• النقد الأدبي في العصر المملوكي ، للدكتور عبد العزيز قلقيلة ، ط ١ ، ١٩٧٢ م .
• النقد الأدبي في القرن الثامن الهجري بين الصفدي ومعاصريه ، ل محمد علي سلطاني ، منشورات دار الحكمة ، دمشق .
• النقد التطبيقي عند الصفدي دراسة وتوجيه ، للدكتور ياسر بن سليمان شوشو ، مكتبة وهبة ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ _ ٢٠٠٧ م .
• نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ .
• النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، دكتور نعمة رحيم العزاوي منشورات ، وزارة الثقافة والفنون العراق ، ١٩٧٨ م .
• نكت الهميان في نكت العميات ، للصفدي ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨ هـ _ ٢٠٠٧ م .

• الوافي بالوفيات ، للصفدي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ _ ٢٠٠٥م .
• وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس أحمد بن محمد إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق دكتور يوسف علي طويل ودكتورة مريم قاسم طويل ، ط ١ ، دار الكتب العلمية بيروت ، سنة ١٤١٩هـ _ ١٩٩٨م .
• يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق الدكتور مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ _ ١٩٨٣م .

فهرس المحتويات

الصفحة

الموضوع

التمهيد

١

.....

٢

..... الصفدي عصره وحياته

٢

..... عصر المماليك الذي عاش فيه الصفدي

٧

..... الحياة الاجتماعية

١٠

..... الحياة الدينية

١٣

..... الحياة العلمية والثقافية

١٦

..... ترجمة الإمام صلاح الدين الصفدي

١٧

..... شيوخه

٢١

..... أعماله

٢١

..... آثاره ومؤلفاته

٢٣

..... مذهبه الفقهي

٢٧

..... دراسة وصفية لكتاب تمام المتون

٤٣

..... ترجمة أبي الوليد بن زيدون

٤٣

..... اسمه ونسبه

٤٣

..... شيوخه وثقافته وعلمه

٤٥	 حياته السياسية والاجتماعية
٤٨	 آثاره
٤٩	 نص رسالة ابن زيدون الجدية
٥٧	 الباب الأول : علم المعاني
٥٨	 تعريف علم المعاني
٦٠	 الفصل الأول : الخبر
٦١	 المبحث الأول : الخبر وأضرابه والغرض من إلقاءه
٦١	 تعريف الخبر
٦٢	 أضرب الخبر
٦٣	 أغراض الخبر
٦٤	 أضرب الخبر وأغراضه في كتاب تمام المتون
٧٥	 المبحث الثاني : الإنشاء الطلبي
٧٥	 تعريف الإنشاء
٧٦	 الإنشاء الطلبي في كتاب تمام المتون
٧٧	 الاستفهام
٨٦	 الأمر
٩٠	 النهي
٩٢	 التمني
٩٣	 النداء
٩٦	 الفصل الثاني : التقديم والتأخير والقصر
٩٧	 المبحث الأول : التقديم والتأخير
١٠٠	 التقديم والتأخير في كتاب تمام المتون
١٠٥	 المبحث الثاني : القصر
١٠٥	 تقسيم القصر من حيث طرفيه

١٠٥	 تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع
١٠٧	 طرق القصر
١٠٨	 القصر في كتاب تمام المتون
١١٥	 الباب الثاني : علم البيان
١١٦	 تعريف علم البيان
١١٨	 الفصل الأول : التشبيه
١١٩	 تعريف التشبيه
١٢١	 أركانه
١٢١	 أقسامه
١٢٥	 التشبيه في كتاب تمام المتون
١٢٦	 المبحث الأول : التشبيه المفرد
١٣٩	 المبحث الثاني : تشبيه التمثيل
١٤٧	 المبحث الثالث : التشبيه الضمني
١٦٢	 الفصل الثاني : المجاز اللغوي
١٦٣	 تعريف الاستعارة
١٦٤	 أقسامها
١٦٩	 الاستعارة في كتاب تمام المتون
١٧٠	 المبحث الأول : الاستعارة التصريحية
١٧٧	 المبحث الثاني : الاستعارة المكنية
١٨٧	 المبحث الثالث : الاستعارة التمثيلية
٢٠١	 المبحث الرابع : المجاز العقلي والمرسل
٢٠١	 تعريف المجاز العقلي
٢٠٢	 تعريف المجاز المرسل
٢٠٤	 المجاز في كتاب تمام المتون

٢١٢	 الفصل الثالث : الكناية
٢١٣	 تعريف الكناية
٢١٦	 الكناية في كتاب تمام المتون
٢١٩	 المبحث الأول : الكناية عن صفة
٢٢٧	 المبحث الثاني : الكناية عن موصوف
٢٣١	 المبحث الثالث : الكناية عن نسبة
٢٣٣	 الباب الثالث : علم البديع
٢٣٤	 تعريف علم البديع
٢٣٦	 الفصل الأول : المحسنات اللفظية
٢٣٧	 المبحث الأول : الجناس
٢٣٧	 تعريف الجناس
٢٣٨	 الجناس في كتاب تمام المتون
٢٤٢	 المبحث الثاني : السجع
٢٤٢	 تعريف السجع
٢٤٣	 السجع في كتاب تمام المتون
٢٤٧	 المبحث الثالث : الاقتباس والتضمين
٢٤٧	 تعريف الاقتباس
٢٤٧	 تعريف التضمين
٢٤٨	 الاقتباس والتضمين في كتاب تمام المتون
٢٥٦	 المبحث الرابع : الطلب
٢٥٦	 تعريف الطلب
٢٥٨	 الفصل الثاني : المحسنات المعنوية
٢٥٩	 المبحث الأول : المذهب الكلامي
٢٥٩	 تعريف المذهب الكلامي

٢٥٩	 المذهب الكلامي في كتاب تمام المتون
٢٦٥	 المبحث الثاني : التمثيل والشماتة
٢٦٥	 تعريف التمثيل
٢٦٥	 التمثيل في كتاب تمام المتون
٢٦٧	 تعريف الشماتة
٢٦٧	 الشماتة في كتاب تمام المتون
٢٦٩	 المبحث الثالث : حسن التعليل
٢٦٩	 تعريف حسن التعليل
٢٧٠	 حسن التعليل في كتاب تمام المتون
٢٧٧	 المبحث الرابع : المبالغة
٢٧٧	 تعريف المبالغة
٢٧٨	 المبالغة في كتاب تمام المتون
٢٨١	 المبحث الخامس : التورية
٢٨١	 تعريف التورية
٢٨٢	 التورية في كتاب تمام المتون
	المبحث السادس : التقسيم والاستقصاء والإسجال بعد
٢٨٦	 المغالطة
٢٨٦	 تعريف التقسيم
٢٨٧	 التقسيم في كتاب تمام المتون
٢٩١	 تعريف الاستقصاء
٢٩٢	 الاستقصاء في كتاب تمام المتون
٢٩٥	 تعريف الإسجال بعد المغالطة
٢٩٦	 الإسجال بعد المغالطة في كتاب تمام المتون
٢٩٨	المبحث السابع : العكس والتبديل والحل والعقد وإرسال

	المثل
٢٩٩	تعريف العكس والتبديل
٣٠٠	تعريف الحل والعقد
٣٠١	الحل في كتاب تمام المتون
٣٠٥	العقد في كتاب تمام المتون
٣٠٦	تعريف إرسال المثل
٣١٢	الباب الرابع : القضايا النقدية
٣١٣	تعريف النقد
٣١٦	الفصل الأول : الصفدي الناقد
٣١٧	المبحث الأول : طريقة الصفدي النقدية
٣١٩	المبحث الثاني : طريقة اختياره للنصوص
٣٢٢	المبحث الثالث : الذوق الأدبي عند الصفدي
٣٢٨	المبحث الرابع : مقومات الشخصية الأدبية عند الصفدي
٣٣٠	المبحث الخامس : توثيق النصوص
٣٣٧	الفصل الثاني : المصطلحات النقدية
٣٣٨	المبحث الأول : الاستحسان والتعديل
٣٤١	المبحث الثاني : الاختلاس
٣٤٣	المبحث الثالث : الحوشي
٣٤٤	المبحث الرابع : العذوبة
٣٤٦	المبحث الخامس : الظرافة
٣٤٧	المبحث السادس : الفصاحة
٣٤٨	الفصل الثالث : القضايا النقدية
٣٤٩	المبحث الأول : السرقات الأدبية
٣٥٠	قضية السرقات الأدبية عند الصفدي

٣٥١	 أمثلة لبعض السرقات التي تناولها الصفدي
٣٥٥	 المبحث الثاني : الموازنات
٣٥٦	 الموازنات عند الصفدي
٣٥٨	 المبحث الثالث : المفاضلة بين الشعر والنثر
٣٦٢	 المبحث الرابع : اللفظ والمعنى
٣٦٤	 حقيقة اللفظ والمعنى عند الصفدي
٣٦٦	 المبحث الخامس : نقد الصفدي لبعض نصوص ابن زيدون
٣٨٤	 الخاتمة والنتائج والتوصيات
٣٨٥	 الخاتمة
٣٨٧	 النتائج
٣٨٨	 التوصيات
٣٨٩	 الفهارس
٣٩٠	 فهرس الآيات
٣٩٧	 فهرس الأحاديث
٣٩٨	 فهرس الأشعار
٤١٤	 فهرس الأعلام
٤٢٩	 فهرس القبائل
٤٣٠	 فهرس الأماكن
٤٣٣	 فهرس المصادر والمراجع
٤٤٢	 فهرس المحتويات